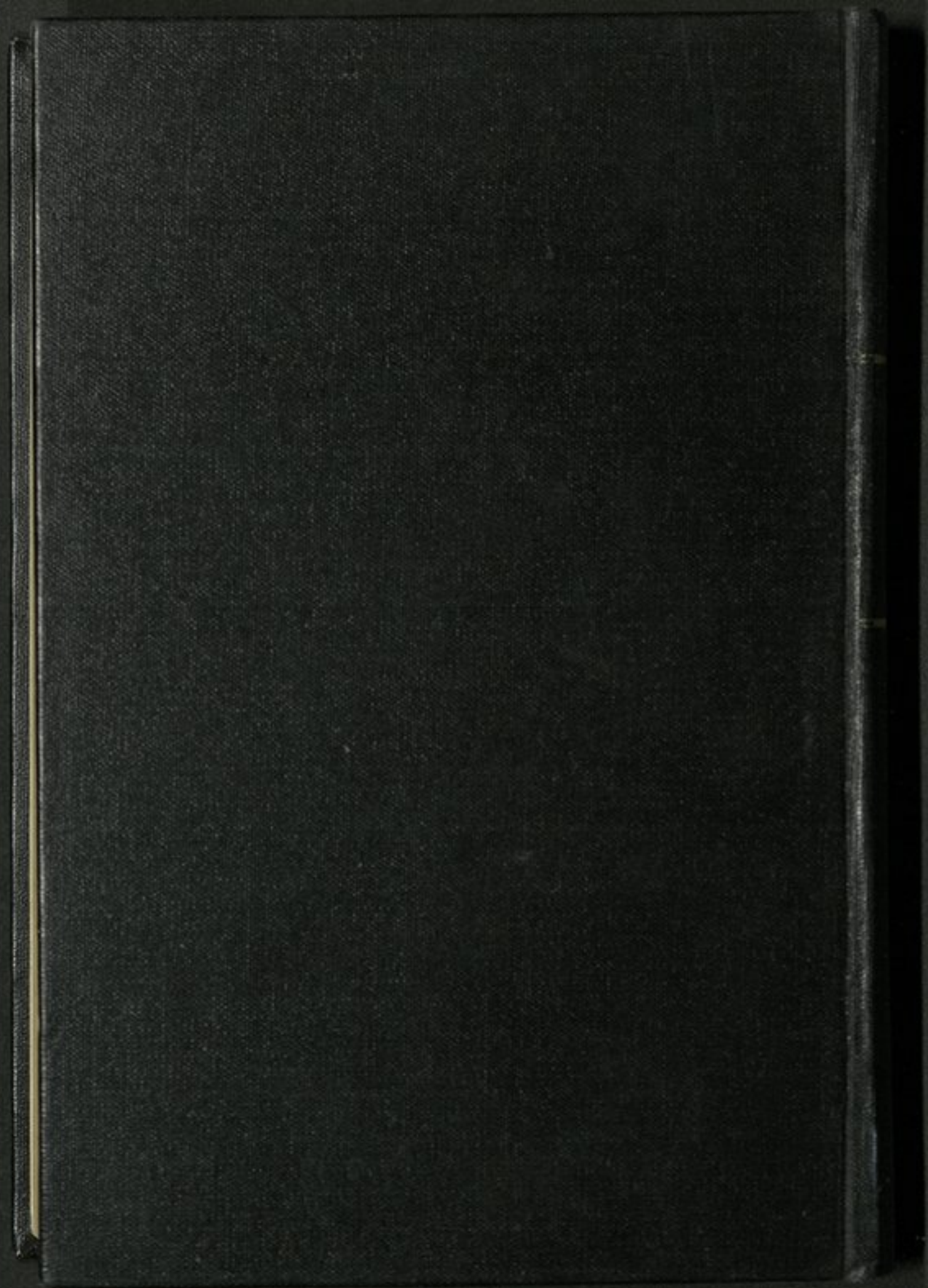
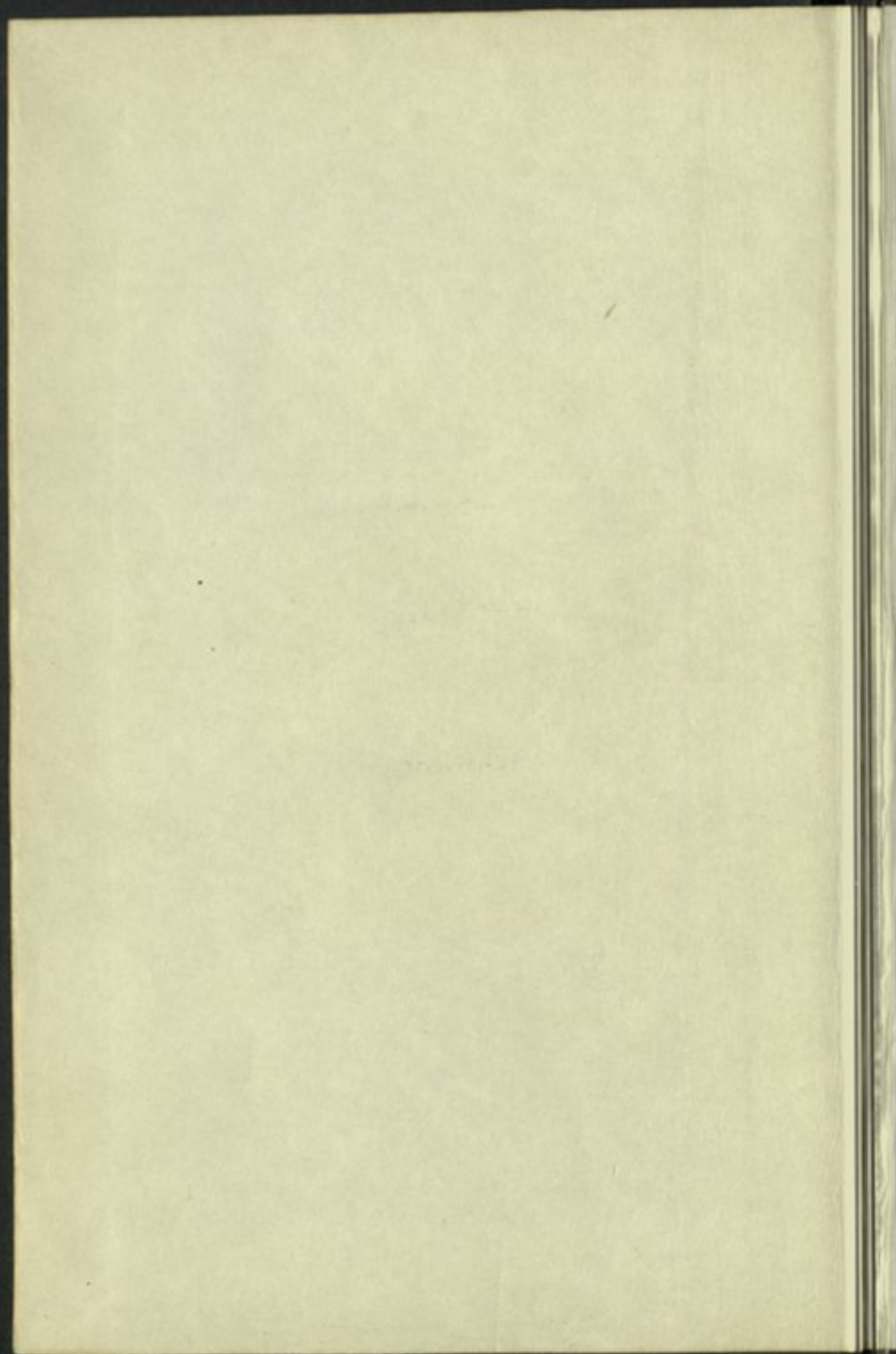


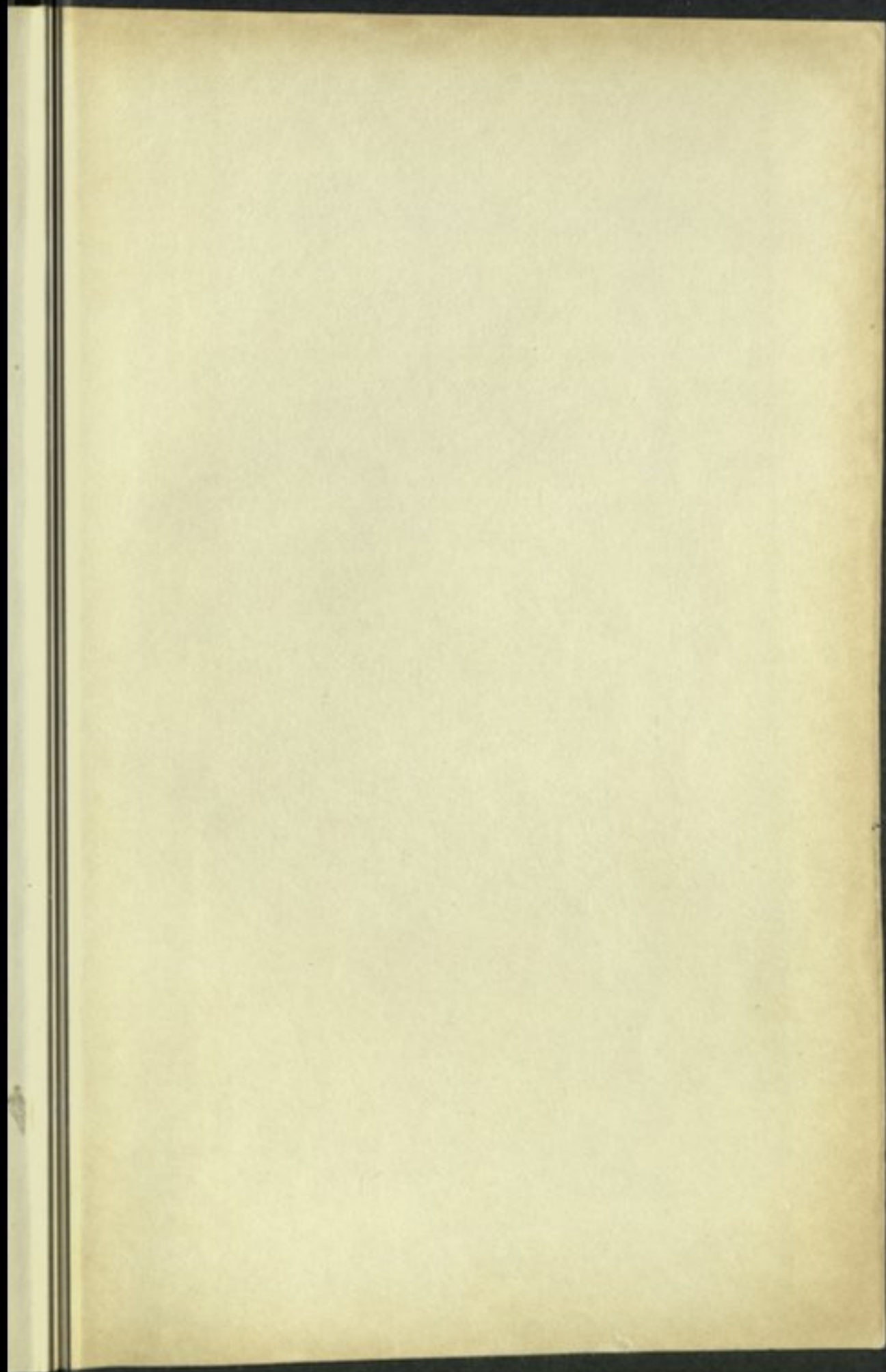


AMERICAN  
UNIVERSITY OF  
BEIRUT

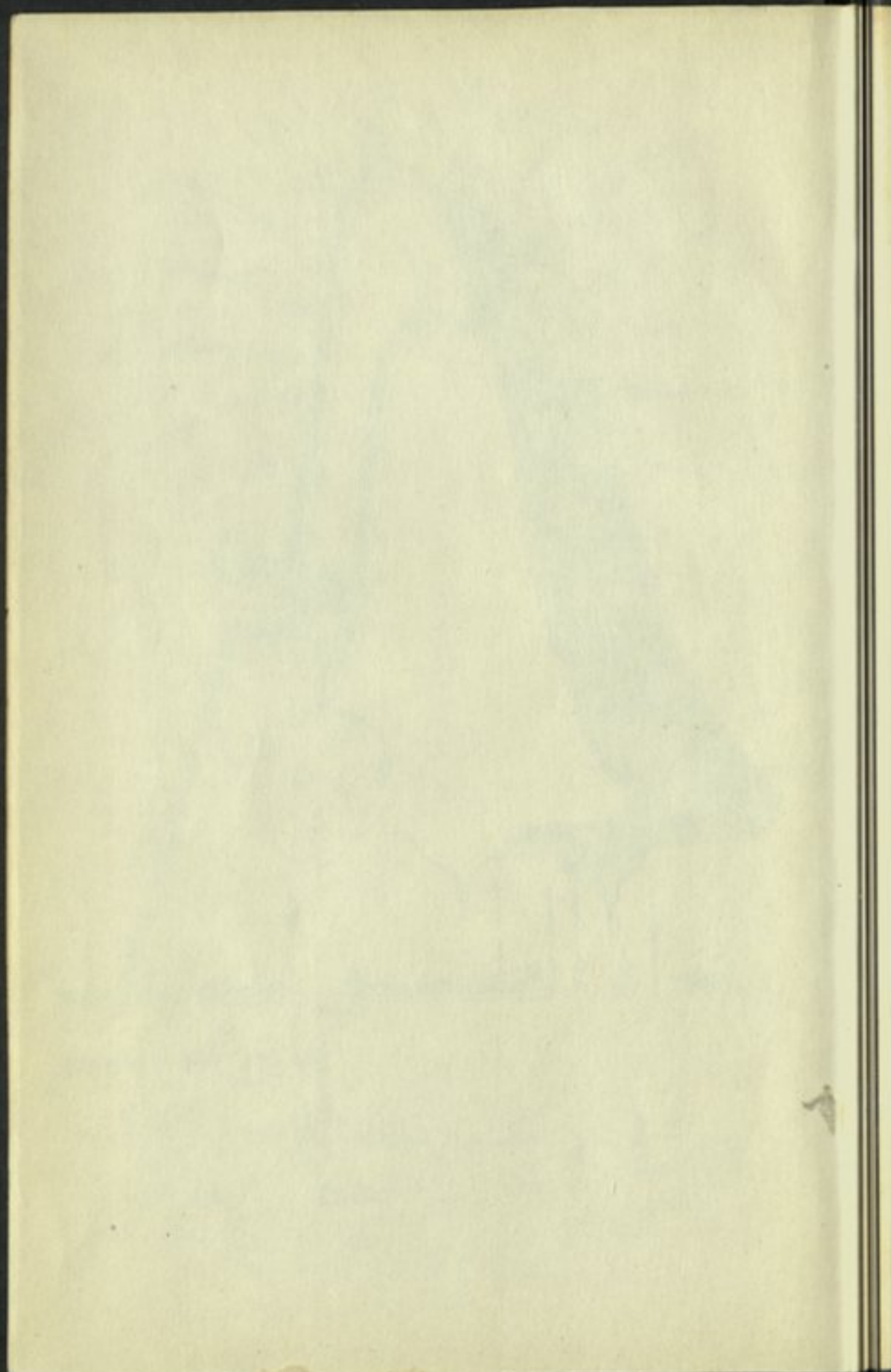












Oct. Sept. 1951

AMERICAN UNIVERSITY  
LIBRARY  
OF LITERATURE

136.7  
IB1A  
C.1



Oct. Sept. 1951

# بناء الطفل فايز اسكندر

دبلوم كلية الآداب  
ومعهد التربية

مكتبة الأنجلو المصرية  
١٦٥ شارع مواد الدين وحيد

الثمان  
٤٠

77578





إلى من طوى عنقى بقلأ من نور ..

أستاذى الدكتور عبد العزيز القوصى ..

أقدم قطرة من نبع الزاهر

## مقدمة

الانسان مجموعة من المتناقضات ، حقاً كما يقول دافيد هيوم ..

وإلا فما رأى القارىء فيمن يتناول مبضعاً حاداً ويمرره على وجه طفله البض وبشرته الرقيقة محدثاً خطوطاً عميقة غائرة ستظل ندوبها باقية على مر السنين ؟ لابد أننا إزاء وحش نضب من نفسه معين الرحمة وخلت مشاعره من أبسط مبادئ الانسانية. ولكنك قد تجلس وسط مجموعة من الزوار في منزل أحد أصدقائك فترى المضيف وهو شاب وسيم لطيف المعشر يؤثر أحد أطفال الضيوف برعايته فيجلسه على فخذه ويربت عليه في حنو ويؤثره بإحدى الألعاب طفله ، كل هذا والآخر ينظر في حزن وألم بالغين ويجذب طرفه بنظرونه ، في مزيج من الاستعطاف والاحتجاج والغضب . ويتسم الوالد وهو ينظر بزهو الى الزوار فهذا في نظره ونظرهم دليل على مدى حب أبنائه له ..

ولئن فهي جرعة من جرعات الغيرة ، يقدمها الوالد الى طفله وهو يتسم !.. أو قد تراه يخفي لعبة أثيرة من أحد الأطفال ، ويضحك الجميع لمحاولات الطفل الساذجة للبحث عنها هنا وهناك ، حتى اذا أعياه البحث انفجر باكياً فيعلق صديقنا بعبارات لطيفة على ما يصاحب هذا الغضب من أعراض تبدو على الوجه والجسم مقارناً إياها بما يتميز به طفله . ولكنه كريم النفس سريع الحساسية ولا يحب أن يرى الطفل يبكي ولذا سرعان ما يعيد اليه ما سبق انتزاعه منه معلقاً على سرعة انتهاء النوبة بشكل لا يقارن بالأعراض العنيفة التي كانت ترسم على الوجه . ان سرعان ما تسكن الاختلاجات الجسدية ويحول احمرار الوجه بل ويتسم الطفل ويجرى ليتابع لعبه . هذه فرصة ذهبية لتحدث عن براءة الطفولة وطهارتها وابتسامها وسط الدموع لمجرد إعطائها ما تطلب ، وهو حديث جميل يقتطع وقتنا من الزيارة على أى حال !..



واذن فهي جرعة أخرى من جرعات « الغضب » يقدمها المضيف « اللبق » الى  
الطفل في كرم وسخاء .. !

وغير هذا وذاك قد تسمعه يقص قصة جذابة عن تمسك طفله به وقد أدرك  
أنه ينوى السفر في المساء . ولكن الوالد يؤكد الطفل أنه لن يفعل مبرهننا على  
ذلك بنومه الى جانبه على الفراش . ويستغرق الطفل في النوم وقد لف ذراعه  
الصغير يحتضن والده في حنان ساذج عميق حتى اذا اطمأن الوالد الى أن صغيره قد  
أخذته سنة من النوم تسلل من جانبه وهو يطبع على جبينه قبلة حانية ، ثم يعجل  
بارتداء ملابسه والخروج حتى لا يفوته موعد القطار .. ! وتنازع القصة لطيفة  
جذابة تتخللها عبارات التأثر لركة مشاعر الطرفين . ولعل أحدا من الحاضرين لا  
يخطر بباله أن يتساءل عن مشاعر الطفل بعد أن يستيقظ في الصباح ، أو أن هذه  
جرعة أخرى من جرعات « الكذب » .. وتنتهي الزيارة ونخرج ونحن نؤمن  
على كياسة صديقنا الشاب وحلو مجلسه ، ولا عجب اذا أحبه أبناؤه حباً جماً فهو  
يخفف عنهم بمداعباته متاعب الحياة ويعرف كيف يريهم أنجع تربية ..

لعمري لو أزيحت عن الطفل حجب الغيب المتكاثفة وقبض له أن يرى حياته  
المقبلة لا اختار أن يمزق جسده بالمبضع وترك في وجهه ندوب عميقة غائرة من أن  
يقدم له المبضع ملفوفاً في منديل ملون ليمزق حياته العقلية ويحبله شخصاً غيوراً  
حقوداً ضاعت ثقته بنفسه لا يثار الآخرين عليه فانطوى على نفسه واعتزل ليدير  
الشراك للآخرين أو ليلعق جراحه الدامية . هو سوداوى المزاج يفسر كل لفظة  
بأنها اهانة ويؤول أى ابتسامة على أنها سخرية .. تغلى دماؤه في ثورة من الحقد  
مكتسحه .. أو يتراجع في استسلام ليتخطاه الآخرون ، ولا عجب فقد آثروا عليه  
غيره وهو طفل صغير ، بينما هم يقصدون المزاج أمام الزوار .. !

ولست الآن بصدد بحث حقن الغيرة والغضب والكذب التي قدمها صديقنا  
الكريم لطفله فسأفرد لكل مكاناً في الصفحات القادمة وانما أردت أن أشير الى  
ما نبديه من تناقض اذ نصعق للتشوه الجسدى ونصفق للتشوه العقلى والنفسى .



ثم ما قولك أيها القارىء فى السيدة التى تظل ترضع طفلها وقد تجاوز عامه الثالث أو حتى الرابع ؟ لابد أنها سيدة جاهلة لا تدرك أبسط المبادئ الصحية ، اذ كيف يقيم أوده هذا الغذاء الهزيل الذى أصبح الآن لا يحمل من صفات اللبن سوى اللون .. بل كيف ينتظر أن يعيش وسط أترابه بينما هو معد هذا الاعداد الكسيع ؟

ولكنك قد ترى سيدة ترضع ، طفلها عقليا وخلقيا حتى يصبح قى فى السادسة عشرة مثلا فما ظنك بها ؟ هناك من منازلنا عدد ليس بقليل ينصب الولدان فى كل نفسيهما لخدمة الطفل خدمة لا تقل عن الرضاعة ، فهو فى سن المراهقة مثله كمن فى العاشرة أو حتى فى الثالثة .. يدللونه بأرق الأسماء ، ويغسلون له رأسه عندما يستيقظ فى الصباح ، ويعدون له الطعام من مزج للأصناف المحببة الى تقطيع لما هو صلب منه ، ويختارون له ملابسه .. ثم يأخذوه الوالد وهو ذاهب الى عمله ليبر به الشارع حتى لا تصدمه المركبات العابرة . وهكذا يختارون له أصدقاءه ، ومواعيد نومه الذى يجب أن يشاركه فيه أحد الوالدين حتى اذا احتاج شيئا أو سهد وجد الى جانبه من يسد حاجاته .

أليس من العجيب أن أحدا منا اذا دخل بيتنا مثل ذاك لا يتساءل « وماذا بعد عدم الانقطاع الاجتماعى هذا ؟ » كيف يمكن أن يقيض لهذا الفتى أن يعيش وسط أترابه الذين اتسعت دائرة تفكيرهم فأصبحوا يكونون مجتمع المدرسة الثانوية القوى المتناسك ، فهم يدينون لمبادئهم بالولاء ويعرفون كيف يتكاتفون لتحقيق هدف معين سواء أكان جمعية كونوها أو كرتها المدرسة أو حتى « أضرابا » منظما يضحى فيه الفرد من أجل الزعيم أو الزعيم من أجل الفرد فى اخلاص منقطع النظير . وهم يستعدون فى كل هذا لمجتمع أكبر هو الوطن فى مجموعه اذا ماتخرجوا ..

كل هذا وصديقنا الذى قيض الله له والدين يحنوان عليه لا يزال « يحبو » فى دائرة المنزل الضيقة ، فهو لا يمكن أن يشارك فى ناد أو يغيب عن المنزل بعد الثامنة ، وهو يرجع اليهم فى كل أمر وينتصح بنصيحهم ولو خالف هذا مجتمع المدرسى



ولم نذهب بعيداً وأمامنا أبسط الحالات ؟ هل تتصور ايها القارىء ان هناك  
من يضمن على طفله بالعذاء أو الكساء ؟ ان الانسان لا يستريح حتى يسد احتياجات  
كلبه أو قطته الصغيرة او حتى اصص النبات التي يحتفظ بها في الشرفة ، فكيف يترك  
طفله وهو قطعة منه جائعاً او عارياً ؟ ولكن الطفل لديه من المبول والحاجات  
النفسية ما يساوى في عنفه واهميته غريزة البحث عن الطعام ، لديه المبول الحركية  
على سبيل المثال . ومع هذا فقد تدخل منزلاً لصديق لك فتجد الطفل هادئاً ساكناً  
تتعلق نظراته بالوالد في رهبة نفسرها نحن بأنها احترام ، لا يلعب الا لماماً فإذا جرى  
او تعلق من الشرفة فسرعان ما تعيده نظرة صارمة الى مجلسه الهادئ الوقور . ثم  
هو قد يستغرق في لعبة حبيبة فيفك شيئاً او يركبه وهو منصرف اليه كلية واذا بالساعة  
تدق الثامنة فيلفت الوالد نظر الطفل الى هذا بنظرة تحمل كثيراً من المعاني ، فيترك  
الطفل لعبته الحبيبة ويذهب الى فراشه . ونخرج معجبين بهذه الطاعة ، الدقيقة والاذان  
المبكر اللذين يبدوان على الطفل مقارنين اياه بطفل الجيران والعفريت ، الذي  
لا ينقطع عن الحركة واللعب مادام مستيقظاً . ان صديقنا هذا هو عنوان التربية  
الحقة . مساكين نحن حقاً .. فانا نشور اذ يسلب أحد حاجات الطفل الجسدية  
ونهنى . من يسلبه ميوله العقلية .. !

والعجيب أننا تكبر هذا الحنان والاهتمام اللذين يقدمهما الوالدان لا بشهما  
ونتمنى لو أن كل طفل وجد هذه الرعاية أو لو ان كل شاب نشأ هكذا كصاحبنا  
« بارا بأبويه » يقضى سهراته دائماً في المنزل ويستشيرهما في كل ما يعن له ويستمد  
قوالب سلوكه منهما . انا نصعق اذا رأينا « الفطام » الجسدى يتأخر للثالثة والرابعة  
ولكننا نصفق اذا رأينا « الفطام » العقلى والخلقى يتأخر للارابعة والعشرين . !

ثم ماذا لو رزق أحدنا طفلاً يحمل مرضاً أو عاهة جسمية .. ضعفاً في البصر ..  
أو ساقاً أقصر من الأخرى الى غير ذلك ؟ هل ننتظر منه أن يبارى غيره من الأطفال  
ويحقق ما يحققونه من نشاط وحركة .. ؟ ان هذا لعين العسف ، ولا اظن ان  
أحدنا اوتى سوء الإدراك لدرجة مقارنة الطفل بغيره من الاصحاء وتعيره بما



أصابه من سوء الحظ . ومع ذلك فقد ترزق طفلاً سليماً متناسق الأعضاء فإذا حان وقت إرساله إلى المدرسة إذا به يتأخر عن أخوانه . ويتملكك الألم والشعور بالعار فتوالي الدروس الخصوصية في المنزل والمدرسة ، وتقارنه بغيره على مسمع من الزوار مشيراً إلى عجزه وقصوره ، ولا يخطر ببالك مطلقاً أن تلمس الناحية العقلية خفيس مثلاً نسبة ذكائه ، والتأخر الدراسي مرتبط إلى حد كبير بتأخر الذكاء ، والآخر بالنسبة للحياة العقلية يقابل عامة جسدية كالحول أو الكساح . أنا سارع التغطية موقف الطفل الكساح فنختار أصدقاءه ونحرم على من حوله مجرد الإشارة إلى عاهته بينما نرسل طفلنا المتوسط الذكاء في حى دراسية شنيعة ليسابق من هو أكبر منا وبالتالى أكبر في العمر العقلي ، فإذا تردد أو ترنح أنحنينا عليه باللائمة ...!

بل ما ظنك بمن يصرخ في وجه طفله إذا مرض ويطلب منه أن يكون دائماً صحيحاً معافى ؟ لسنا نظن أن هناك إنساناً يرح به سوء التفكير لدرجة أن يعتبر السعال أو التهاب الرئوى خطأ لا ينبغي أن يقع فيه الطفل . إن الأمر على العكس فأغلب الظن أن الوالدين سرمان ما يقومان بعرضه على الطبيب ، كل هذا والولد يحط للعناية والتلف .. فالقلق على صحته على أشده .. والرقه والحنويقديمان في اسراف . قارن هذا بالطفل الصحيح الجسم الذى تظهر عليه اعراض مرض نفسى إذا صح هذا التعبير ، فيسبب اية مشكلة تربوية عادية .. يكذب ، وهو لا يعنى سوى ان يباليغ فيما فعل ليجتذب اليه الانتباه .. او يسرق ، وهو لا يعنى سوى ان يضيف الى ممتلكاته شيئاً آخر وفكرة الملكية لم تثبت في ذهنه الصغير بعد .. او يعبت بأعضائه الجفسية وهو سلوك لا يعدو اشتقاقاً للذة ذاتية سيخلفها الطفل وراؤه عندما تنسج مبوله وتتجه للخارج .. أقول قد يسبب الطفل مشكلة تربوية عادية فبالله قل لى لم تصرخ في وجهه و تعاقبه ، وكيف تعتبر الطفل الأول مريضاً وفى حاجة للعناية والاهتمام بينما الآخر « ولد وحش ومش متربى . زى ولاد الشوارع . » أليست الحالة الأخيرة مرضاً يستحق العطف ؟ .



ثم بالله قل لي لم تعتبر نفسك في هذه الحالة الأخيرة الطبيب الوحيد للطفل ،  
 فلا تعرضه كما فعلت في الحالة الأولى على عيادة سيكولوجية لتضمن حسن الارشاد ؟  
 انا اتخذ هذا الموضوع مادة للسخرية ، بل إن بعضنا منا لم يسمع عن العيادات  
 السيكولوجية ، وما دام لنا ايد تمتد فتلطم الطفل ، وحنجرة تدوى وينكمش فزعا ،  
 وافواها تعظ فتطيل الوعظ والارشاد .. فلنتصرف كما نفعل دائما كما توحيه اللحظة  
 دون ما تدبر ، فالوالدان بالطبيعة اقدر الناس على علاج طفلهم بالذات ، بل  
 واسوأ من هذا كله ان الواحد منا لا يفكر في ان من الواجب ان يضيف الى معلوماته  
 في التربية ما دام قد نصب نفسه طبيبا لمشاكل طفله التربوية . وكم نسارع لدحض  
 الآراء الحديثة مشيرين الى ان الجيل الجديد الذي هو نتاج للأفكار الحديثة  
 جيل فاسد يسير من سيء الى اسوأ ، بينما التربية القديمة التي نشأنا عليها خلقت منا —  
 على حد تعبيرنا — «ناس كويسين» ، وزى ما طلعنا احنا يطلعوا ولادنا .. شيطاني ..  
 بس اياك هم يحصلوا يبقوا زينا والا زى ابهاتنا ! ،  
 وفي سبيل تحطيم هذه الغلالة الرقيقة التي تخفي عن اعيننا اهمية الحياة النفسية  
 والعقلية سنخصص هذه الصفحات القادمة ، فرما يفيدنا كثيراً ان نهتم بميول الطفل  
 وما يجرحه وراء الستار قدر اهتمامنا بالناحية الجسدية  
 وأخيراً .. الى حضرات أساتذة معهد التربية وعميده ( سابقا ) حضرة صاحب  
 العزة اسماعيل بك القباني مستشار وزارة المعارف الفنى .. الى استاذي الدكتور  
 عبد العزيز القوصي الذي بموج الكتاب بآرائه ويعكس بعض ضواء عقلية الفذة ..  
 الى حضرات الأطباء الذين نقحوا الجزء الطبي من الكتاب وشاءوا ان تظل  
 اسماؤهم في طي الكتان .. الى كل أب وأم ساهم في الاستفتاءات وتقديم المعلومات ..  
 واخيرا الى ذلك الجندي المجهول .. الطفل .. الذي ينبعث نداؤه الرقيق بين جنبات  
 هذا الكتاب .. يقدم المؤلف على البعد شكره العميق ويرجو للتربية كل توفيق في  
 ظل رعاية حضرة صاحب الجلالة مولانا الفاروق .

# الفصل الأول

ما نفيده من دراسة الطفل في نموه

---

## أهمية مرحلة الطفولة

---

ماذا نعني بالطفولة ؟ قد يرى البعض أنها تتمثل في الطفل الرضيع وتنتهي بالفطام وتعلم المشي والكلام ، وقد يمد بعضنا ذراعه قليلا فيقول أنها تستمر حتى ما قبل دخول المدرسة الابتدائية فالطفل هنا يكون منتظما في روضة الأطفال ومادنا نسميها هذا الاسم أفلا يعني هذا أنها تضم الأطفال ؟ ولكن لا أظن أنا سنقطع في هذا الشوط أكثر من ذلك .

ومع هذا فأن لأرجو أن نتنازل لحظة عن هذه الأسماء التي اخترعناها كالطفل والصبي والغلام والشاب وهكذا ، لتحل محلها الاصطلاحات العلمية المستمدة من علم النفس والتربية ، فهذان يعتبران أن كلمة « طفولة » تعني كل ذلك الوقت الذي يظل فيه الفرد معتمدا على أبيه أو أمه أو من يعوله أيا كان . . الوقت الذي يقضيه وهو غير قادر على الوقوف على قدميه مستقلا بحاجاته دون مساعدة .

وهناك في المجتمعات البدائية والقبائل المتوحشة ينتهي هذا الدور حوالى سن الثالثة أو الرابعة عشر ، حيث تعمل حفلة كبيرة يجتمع فيها فتيان القبيلة المراهقون ، ويستلقون على ظهورهم في دائرة واسعة ، ثم يقوم رجال القبيلة الأشداء بضربهم بالسياط على أجسادهم العارية ضربا موجعا لاهواة فيه حتى تسيل دماؤهم مختلطة بالرمال اللافحة التي يرقدون عليها ، فمن



اجتاز هذا الامتحان القاسى دون أن يتملبل أو يتأوه عدد جلا له كل الحقوق المدنية ، يمكنه أن يتزوج ويصيد . . . ويبنى كوخا له ولزوجه وأطفاله . أما مجتمعنا المتمدين الذى نعيش فيه فتعمل التعقيدات الاقتصادية التى تكتنفه من كل جانب ، وسنو التعليم الطويلة لىكى تطيل مدة الطفولة بهذا المعنى البديد عند الذكر إلى سن العشرين أو حتى إلى الخامسة والعشرين . وتشاء نفس هذه الاعتبارات الاجتماعية والاقتصادية مضافا اليها بعض المتاعب الاخلاقية التى تبدو بين آونة وأخرى ، أن تزيد أزمة الزواج عند الانثى وتتراوح وحدة ، فتظل الفتاة فى كف أبيها وأمها ، وبالتالي فى مرحلة الطفولة بالمعنى الجديد ، حتى سن العشرين . . . والخامسة والعشرين . . . بل والثلاثين

من كل هذا تبدو أهمية الطفولة . ولا يظن القارىء أن طول مدتها عند أفراد أو كائنات يعنى ضعفا أو تراجعاً . بل إن الأمر على العكس تماما . . . هو يعنى تماسكا ورقيا . ويبدو هذا بوضوح لو ارتقينا سلم التطور عند المخلوقات ، فبدأنا بالزواحف وهى أحطها ثم ارتفعنا إلى الثدييات واليهما ينتمى الانسان أرقى الكائنات

فلنبداً بالديدان - كدودة الحرير مثلاً . أشك فى أن لها مدة طفولة بالمعنى الذى شرحناه منذ برهة وجيزة ، ونعنى الاعتماد على الأب والأم فى العناية والحماية . تبيض الفراشة الواحدة ما ينوف على الأربعمائة بيضة يموت منها الكثير ويبقى البعض ليحفظ النوع . وتخرج الدودة وهى لا تعرف لها أبا أو أما ، كما أنها ليست فى حاجة لأيهما ، فهى مجهزة بكل ما تحتاجه حياتها الضيقة المحدودة . . . ، تعرف كيف تأكل وتتخلص من فضلاتها ، وتخلع جلدها ، وتتطور بغرائزها الثابتة الجامدة من دودة لشرنقة لفراشة وهكذا . لنرق قليلا إلى الحمام . لا بد أن هنأمة طفولة أوضح ، وحماية ورعاية من الوالدين أكثر ، العش الدفى . . . والاعتناء بالبيض . . . اطعام الصغار . . . تعليمهم الطيران ، كل هذه مدة طفولة تحتاجها الحمامة الصغيرة لأنها ضعيفة ولسكن سرعان ما ينبت ريشها ويستطيع ، فتترك العش لتبدأ حياتها فى مكان آخر وقد نسيت أمها



هنا مدة طفولة ولا يمكنها أقل من طفولة كائن أرقى كالحصان وهو من  
الحيوانات الشديدة. فأنت ترى الحصان الصغير يرضع من أمه ويجرى ويتوثب  
حولها معتمدا عليها فترة واضحة ، ولكنها أقل من حيوانات أرقى كالقردة التي  
تتميز عن الكائنات التي سبقت الإشارة إليها بعطف وحنان وتدلil للصغار  
يفوق ما نراه في الحصان أو الكلب ، حتى لقد لاحظ بعض الباحثين نوعا  
معينا من القردة تحمل الأم فيه صغيرها على ذراعها ستة أشهر كاملة فلا يفارق  
جسدها لحظة واحدة

نصل بعد هذا إلى قمة السلم فنجد الانسان أرقى المخلوقات اذ يمتاز عن الجميع  
بمدة طفولة قد تصل كما ذكرت الى ما فوق العشرين ولا تقل عن الرابعة عشرة .  
والواقع انه لو ترك الطفل الآدمي وشأنه بعد الولادة لمات فأعضاؤه ضعيفة  
قاصرة عن تأدية ما يطلب منها من أعمال لاستمرار الحياة ، كالبحث عن الطعام  
مثلا . وإذا نكلمنا الرضيع في سلم التطور كلما زاد ضعفه وعدم  
تماسك أجهزته وتكاملها ، وبالتالي كلما كان أحوج الى طفولة أطول يكون  
فيها معتمدا على والديه يتعلم أثناءها مهام حياته المقبلة ، فما ينتظر الطفل البشري  
من المهام عندما يكبر يزيد بنسبة مساحقة على ما ينتظر البودة ، أو الحمامة ،  
أو الحصان أو القرد من أعمال

وهكذا يستطيع السكتكوت الصغير بعد خروجه من البيضة مباشرة أن  
يقف على قدميه ويتوثب ناشراً أجنحته الأمر الذي لا يستطيعه الطفل الآدمي  
قبل اثني عشر شهرا في المتوسط . ثم إن هذا السكتكوت الصغير بعد أربع  
ساعات فقط يمكنه أن يتناول الحبة من الأرض في دقة وإحكام بمنقاره  
بينما الطفل الآدمي في سن أربع شهور اذا رأى بقعة على البساط قد تمتد يده  
في اضطراب للامساك بها كما لو كانت جسما بارزا ، وإذا وضعت أمامه شيئا  
صغيرا لامعا تجده يحاول الامساك به بكلتي يديه ، بينما ما يحتاجه الأمر اصبعان  
أو ثلاث من اليد الواحدة . وذلك لأن الطفل لم يفصل اليد الى اصابع والأصابع



الى عقل ، وقد تمتد يده الى وراء ثم أمام الشيء في محاولات وأخطاء واضحة قبل أن تعثر بالجسم اللامع .

وللمرة الثانية أرجو ألا يتبادر الى أذهانتنا أن هذا ضعفا أو تراجعاً . بالعكس ، لو كنا نولد بعيون تبصر بجلاء وأجهزة تعمل بثبات واحكام لما زدنا على أن نلتقط الطعام بأفواهنا من الأرض ، ولكن هذه المرونة التي تبدو على الأخص في السبابة والابهام ، هذه المرونة التي تحتاج الى سنين وسنين حتى تنضج وتكتمل ، هي السبب في كل هذا الرقي اليدوي والمنشآت الهندسية الرائعة التي تميز عالم البشر المتحضر عن عالم الحيوانات

هلا افكرنا اذن في ذلك الفخر الذي تضفيه علينا كلمة « الطفولة » وطول مدتها ، فهي دليل رقي الجنس البشري وسموه .. هلا نظرنا الى الطفل وأحببناه لا لأنه طفلنا أو طفل لآخ أو أخت ، ولكن لأنه كغيره من الأطفال كنز البشرية وراثتها المجيد ، وهو تاج يكلل رؤوسنا جميعاً بأكاليل المجد والفخر .. ؟ أقوالها والأسف ملء قلبي ، إن معظمنا يرتكب ذلك الخطأ المشين ، فيعتبر الطفولة مرحلة حقيرة تبعث على الخجل ، مرحلة نقص وجهل تعد لمراحل النضوج والكمال التالية ، ولأنني نذكر الطفل عن طريق صدمات قاسية بأنه صغير وأن عليه أن ينتظر حتى يكبر ليعترف بوجوده ويسمح له بالكلام .

كثيراً ما تشغل السيدة في حديث مع زائراتها ، ثم يدخل الطفل كله شوق ولهفة « ماما ! ماما ! » ولكن ماما لديها ما هو أهم ، لديها حديثها مع الضيوف الذي يتناول « الجورجيت » وارتفاع أسعاره ، ولا شك ان اليهود ، هم السبب في كل هذا . ويبدأ الطفل يجذب فستان والدته « ماما ! عارفه العصفورة ؟ ماما ! » كل هذا والسيدة مستمرة في الحديث ، حتى اذا استمر الجذب انتفتت اليه في خشونة « ايه بس مالك ومال عفريته ؟ مش قلت لك خمسين مرة لما اكون باكلم طنط . لما اكون باكلم حد كبير . . ما تبقاش تفتح بقبك ؟ هيه . . عاوز ايه ؟ انطق قوام ، ويفاجأ الطفل بهذا



الموشح اللطيف والوجه المربد ، ويقرر أن يقنع من الغنيمة بالاياب ، فيفر من الحجرة ليشاهد عصفورته وحيدا .

هل نستغرب بعد هذا إذا كان الطفل يردد لنفسه في نبرات حانقة : « يارنى إمتى أكبر ؟ إمتى أكبر أبقي أد طنط ؟ » ، ويتكرر مثل هذا المرقف فى مائة مناسبة ومناسبة كل يوم .. « عاوز أدور الساعة الكبيرة » .. « عاوز استحمى لوحدى » .. « عاوز أكتب بالقلم بتاع بابا » .. وغير هذا كثير وكلها تدل على روح طيبة سنرى بعد قليل كيف نستفيد منها ولكن جوابنا عليها للأسف لا يعدو « لما تكبر تبقى أد بابا » .

وهكذا تمر الطفولة بالنسبة للطفل فى خطوات ثقيلة متباطئة . . تمر الايام وهو يتلعبها فى صعوبة فكل ما يتمناه هو أن يكبر حتى ينال الامتيازات التى يراها ممنوحة للكبار . ثم يكبر صاحبنا حقا واذا بمسئوليات العمل ومتاعبه تتوالى عليه من كل جانب ، وهكذا يضع كل شئ . بين ماض مؤلم وحاضر مؤلم . ويأتى المفكرون فيقولون لنا تعبيرات مثل هذه « يبدأ الواحد منا حياته بصرخة . . وينتهيها بصرخة ، وبين هذه وتلك جهاد متصل . . وعرق متصبب . . ودمع غزير . » أو يقولون « إن عبر آلاف الزهور لايسر الا طرفة عين ، أما وخزة واحدة من أشوا كما فتدوم زنا طويلا .. » ونصفق نحن لهذه الحكمة المنبعثة من أفواههم فهى تصادف هوى فى نفوسنا وتصف حالتنا . ولكن إذا كانت الحياة صرخة فنحن هنا فى مصر نضيف اليها صرخات ، لأننا لا نعرف كيف نبدأها كما يجب . . لأننا لانفهم الطفل ونقدره .

سيدتى دعينى أقول لك يا من تفضلين الكلام عن « الفساتين » وأسعار « الجورجيت » ، على الاستماع للطفل والاعتناء به ولورثة وجيزة . . دعينىؤكد لك أن هذه الحياة التى تحيينها وتهتمين بها كل هذا الاهتمام . هذا الكون الذى يمتد أمام ناظريك حاويا كل ما يدعش ويخطف الابصار ، ما كان يمكن أن يصل الى صورته الحالية ووضعه الحالى الذى يروقك لو لم ينل « الطفل » ،



في الماضي من العناية ما يفوق بمراحل عناية الطيور أو الحيوانات بصغارها . وإنك لتفدين نفسك كثيرا ، وتفدين الانسانية فائدة جليلة لو حدثت طفلك باللغة التي يفهمها .

( ان من حق الطفل أن يعترف بوجوده ، فاذا لم نفعل فسيثبت لنا وجوده عن طريق خفي ملتو . . يقص الشمع ويفسد الجدران بقلمه الرصاص أو بقطعة فحم ، ويعاند كل رغائبنا ، وقد يضحي براحته هو أثناء هذا كله فيتحمل الضرب والالم في سبيل لحظات الزهو التي يحسها اذ وهو مخلوق صغير غير معترف بوجوده عرف كيف يهز البيت كله ويشيره على أثر القائه شيئا نفيسا من البلسكون . . أو افساده آنية جميلة . . أو كتابا يقرأ فيه أبوه . بل وأعرف أطفالا يكذبون ، يذهب الواحد منهم الى امه ويقول « طنط ليلي جت وقعدتها في أودة الصالون ، وتلبس السيدة وتستعد ، ثم تدخل فاذا الغرفة خالية واذا الحكاية كلها تلفيق . . ! ويضرب الطفل «علقة» ساخنة لا يفيق منها الا ليعد حيلة جديدة أكثر اثارة لهؤلاء السكبار وبالتالي أكثر اثباتا لوجوده .

ونشكو نحن من ان « اطفال اليومين دول شقاي وعفارييت ، ولكننا ننسى أننا نحن الذين نجلب على نفسنا كل هذه المتاعب ، لأن علاقتنا بهم ليست علاقة تفاهم وتقدير بل علاقة احتقار واستنكار . فما أحرانا أن نوفر على انفسنا كل هذه المشاكل لو اعترفنا بوجود الطفل وقدرناه بشكل معتدل من اول الامر . لا تجعلوا الطفل يحتقر نفسه ، ولا تقضوا على شخصيته . لا تضق صدوركم بالطفولة ، وطول مدتها ، وجهلها ، فكلها في صالحنا . بل دعوا أطفالكم يشربون كؤوسهم في هدوء حتى النهاية دون أن تصبوا في جوفهم صبا

### أهمية دراسة النمو

يعرض علماء الأجناس للقبائل البدائية منذ فجر الحياة ، ويحدثونا عن



الطفل وكيف يختلف موقفه في القبيلة حسب مدى ما تأخذ به من أساليب الحضارة وليكنهم على ثقة بوجه عام من أن الطفل كان يتبع في نموه هدفاً معيناً هو أن يكون ذا نفع جليل لوالديه كلما اشتد ساعده ولهذا كان الطفل ينمو فينمو لديه الاعتقاد بأنه إذا ما اكتمل فعليه أن يمد والديه بالطعام واللباس والمأوى ، ويحرص على راحتها إذا ألم بهما المرض أو أقعدتهما الشيخوخة ، ويحمل حيانته رخيصة في سبيل الدفاع عن شرف العائلة ويمتلكاتها ، وينحني في خشوع ليقدم الذبائح التي تطلبها الآلهة ، وهكذا يكون باختصار عوناً للعائلة .

وبدلاً من أن يحاول القوم أن يتفهموا الطفل أو يفسحوا له السبيل لينمو حسب طبيعته ومواهبه وميوله عملوا على أن يتكيف كل طفل حسب المستويات التي وضعتها القبيلة لما يجب أن يكون عليه الطفل . فإذا جاءت التربية لتلقى بنصيبها في الميدان كانت عاجزة مبتورة ، تردد المسؤوليات التي تنتظره وقد شارف البلوغ ، وتير له في كثير من التقاليد والخرافات بعض ظلمات العالم الجنسي الذي سيحل عليه ضيقاً بعد أسابيع . ما حلم أحد أن هناك حرية للنمو الفردي المستقل ، أو أن هذا النمو يحمل صبغة معينة قد تحتم على البيئة أن تتكيف نحوه وتقابله من زاوية مخالفة لتلك التي تواجه بها طفلاً آخر . بل أن الأمر على العكس . فالطفل الذي كان يحجم ، عن عمد أو قصور ، عن أن يساير المستويات الاجتماعية للقبيلة كان يعد مصدراً للخزي والعار ، ولا يعد أن يتخلص منه القوم سريعاً ، فيوثقونه بعيداً على أكمة عالية وسط الآجام ، تتجاوب حولها صرخات الوحوش كلما ادلهم الظلام .

وهكذا تسلم الطفل أول لعبة ، تعرضها له الحياة في صورة قوس وعدة سهام .. وخرج في أول نزهة ، مع أبيه ليتعلم كيف يميز في هدأة الليل حفيف الريح من ديبب الأفعى . وما أسرع ما تعلم الطفل حقاً ! تعلم أن يلتقط قطعة من العشب ليضعها على الجرح فيلتئم ، ويتناول أخرى ليعتصرها بين



يديه ويدهن بها طرف السهم المدبب ثم يرسله بعيدا.. بعيدا.. نحو تلك الشجيرات  
التي تهتز بينما الهواء ساكن وادع فقيها سم زعاف يقضى على الفريسة في لحظات  
وجاءت الحضارات القديمة ، حضارات روما وأثينا ، فلم تفسح للطفل  
موضعا لا كثر من قدم. وأصيب الرومان ، بحمى ، الامبراطورية فأرسلوا  
أطفالهم في طراد عنيف ليحققوا مثلهم في « المواطن الصالح » ، وانهايت خطب  
نبلائهم وموظفي حكوماتهم ، كما اعتصر فلاسفة اليونان أذهانهم ليعدوا الطفل  
للمسؤوليات التي ستلقى على كاهله . وحتى البنت ، كأم للمواطنتين في المستقبل ،  
نالت من العسف ما ليس بالقليل ، وسارت في برنامج ثابت محدد الاطراف ،  
فما ينبغي أن يترك مستقبل الجماعة رهنا للظروف والمقادير . . . ! ثم جاءت  
اسبرطة لتضرب ضربتها في عتو وجبروت ، فحتمت على الأم أن تغسل طفلها  
عند ولادته بالنبيذ ، ثم تلقيه عاريا على جبل عال خارج المدينة . وهناك بين  
الأنواء والأعاصير تتسلل الأم الى رضيعها بضع مرات في اليوم لترضعه ،  
فاذا احتملت بغيته ثورة الطبيعة وحدثها طيلة الأسبوع الأول عد ابنا بارأ  
لاسبرطة يمكنه أن ينال شرف الدفاع عن الوطن المقدس ، وان مات فلن  
يأسف أحد لموته ، فخير لاسبرطة الا يعيش بين أبنائها عضو ضعيف متخاذل  
وجاءت المسيحية واكتنف الطفل ظلام لم يخرج منه إلا في الجزء الاخير  
من العصور الوسطى . وهكذا جاء عصر النهضة ليسكون أول مردد لنداء  
الطفل وحنينه للحياة الحقة . فتغير اتجاه الفلاسفة والمعلمين ، وبعد أن كانوا  
يعدون نوعا من التربية يتكيف فيه الطفل حسب المستوى المطلوب جعل  
الطفل نقطة لبدء في التربية ، وبدأوا يدرسونه لتتكيف البيئة والتربية في  
هذه المرة حسب نموه وميوله . وبالتدريج أخذ اتجاه المجتمع نحو الطفل يتحول ،  
وتخلص القوم بصعوبة من تلك الفكرة السخيفة القديمة القائلة بأن الطفل  
ما هو إلا رجل ولكنه صغير ، يملك من القدرات والميول ما يملكه الكبير  
بصورة مبسطة ، وهكذا يمكن أن نطبق عليه في طريقة تعلمه وتصوره نفس  
القوانين التي تسرى على الكبير بصورة وثيدة بطيئة



استطعنا عن طريق دراسة النمو أن ننبد هذه الفكرة جانباً . فلقد أصبح من الثابت الآن أن ادراك الطفل - بعكس الكبير - يتجه أولاً للسكليات ثم بعد هذا للجزئيات ، فهو يدرك « السكلب » أولاً ككل يحوى صفات تظهر بالتدريج لتمييز نوعاً معيناً من السكالب بأنه « بلدى » أو « سلوقى » أو « أرمنى » أو « بول دوج » وهكذا... تماماً كما تتحرك يده كلها للاستسكالك بمكعب صغير ، وبالتدريج يخصص أصابعه للعمل فاذا كبر لم يستخدم لامسك نفس المكعب سوى اصبعين أو ثلاث . وهكذا عرفنا أن الطفل يدرك اسمه مكتوباً ككل قبل أن يفصله الى حروف . وكانت هذه الفكرة أساساً لتغيير كثير من نظم التعليم فى مدارسنا فذهبت ضحيتها مثلاً الطريقة القديمة فى تعليم الطفل القراءة باعطائه الحروف الهجائية أولاً . انا نعطي الآن كلمات وجملأ وأوامر قبل أن نقدم للطفل الحروف الهجائية ، ولو أن آباءنا للأسف لا يزالون يعترضون طريق المدرسة فيبدأون تعليم أطفالهم بداية سيئة



بل لقد أثبتت دراسة النمو أن الطفل يختلف عن البالغ من الناحية الجسدية اختلافاً بيناً . ففضلاً عن الغدة التى تنكمش وتضمحل اذا قارب الطفل مرحلة البلوغ والى نسميها « غدة الطفولة » أو تلك التى تنشط وتظهر افرازاتها عند هذه المرحلة كالغدد التناسلية ، نجد أن المظهر الخارجى نفسه مختلف ، فنسبة أعضاء الطفل لأعضاء الرجل نسبة غريبة حقاً قد تدهش حتى القارىء الحديث كما يبدو من الرسم المصاحب وهو من عمل ك . بوهلر اذ كبرنا ارتفاع الطفل ليساوى طول قامته الرجل فتبع هذا اختلاف حجم الأعضاء . ولسنا الآن بسبيل الافاضة فى هذه الفكرة التى كانت رليدة الماضى ثم حل محلها شعور بالطفل



كمخلوق فرد له تفكيره وله عالمه الذي يجب أن تتكيف التربية لتساير  
فستعرض لها بالتفصيل عند عرض نمو الطفل في مختلف مراحلها

وجاء كومينيوس في القرن السابع عشر لينقل إلى الأجيال القادمة  
نداء الطفل في كتابين جليلين الأثر ، أولهما « مدرسة الطفولة » يتناول فيه تربية  
الطفل في السنين الستة الأولى والثاني « العالم في صور » ، وفيه مادة جذابة  
للطفل محلاة بالصور لتكون أسهل للفهم . وهكذا كان كومينيوس أول من  
أدرك عمليا أن الطفل يدرك الأشياء والأجسام المحسوسة قبل المجردة

وها نحن الآن نحكي ثمار هذه الفكرة الحيوية ، فنغير نمط تدريسنا  
لنواجه هذه الحقيقة . وليت الآباء أيضا يفعلون هذا ليخففوا عن أبنائهم  
الكثير من المتاعب . كنا في أول الأمر نحشو أذهان التلاميذ بالمعلومات  
الجافة المتتابعة ولسكننا اليوم نرى أن من الأفيد أن يتعلم الطفل قراءة الكلمة  
مع النظر إلى الصورة فهذا يثبتها في الذهن . ثم إن الطفل يتعلم الحساب  
اليوم بطريقة محسوسة . وليس من النادر أن نجد في مدارسنا الأولية البرواز  
الحسابي الذي يحمل أسلاك أفقية يتخلل كلا منها عددا من ( الخرز ) يتزايد  
من خرزة واحدة في السلك الأعلى إلى عشرة في السلك الأسفل . وهناك مكان  
يستقر فيه بعض الخرز إذا شاء الطفل استبعاده أو طرحه ، ثم اضافته أي  
« جمعه » . وهناك أيضا هدايا فروبل وأخص بالذكر منها الآن الهدية الثالثة  
حيث يتعلم الطفل قبل السادسة شيئا عن القسمة والضرب بطريق المسكبات  
التي ينقسم كل منها إلى أربعة . وهناك في أمريكا يعتبرون خروج الأطفال  
للحديقة وزيارة بيت البجع مثلاً جزءاً من برنامج دروس الطبيعة ، كما يتبعون طريقة  
البيع والشراء في مقام مقصوف في فناء المدرسة يتبادل فيه الطلبة البيع ، وتنتهي  
الظروف بطبيعة الحال ليستخدماً الأطفال أثناء هذا العمليات الحسابية بطريقة  
محسوسة فتكون أقرب للفهم . فالولد يشتري علبة ( حلوى ) بمبلغ معين ، ثم  
يعدها ويقرر السعر بحيث إذا باع كل عدد بفتة معينة فإن ربحه يصل إلى  
كذا في العلبة



ولئن كانت مدارسنا المصرية لا تزال تعاني من الجمود والتقاليد البالية ما يدفعها للتمسك بالطريقة القديمة من حشول ذهن الطفل بمعلومات عن طريق الكتب لا ترسب في الذهن الا ريشا يفرغها الولد في ورقة الامتحان ، الا انا بدأنا نلاحظ نزوعا الى تحقيق فكرة كومينيوس الى حد ما . فاطفالنا يتعلمون حقائق مبادئ العلوم عن طريق استنبات البقول والحبوب ، وجمع أنواع من الريش ، وتربية أو مراقبة الدواجن بالمدرسة . وهم في الجغرافيا يصبون الاسمنت في فناء المدرسة في نماذج مجسمة لنهر النيل أو لمدينتهم وموقعها بالنسبة لما يحاورها ، أو يشكلون الصلصال على هيئة خرائط طبيعة بارزة في متحف الجغرافيا فتقرب الى أذهانهم العالم الكبير الذي ظللنا نردد عنه الحقائق الجغرافية الجافة ونحن صغار فلم يلتصق منه بأذهاننا الا النزر اليسير .

ومن هنا جاءت طريقة « المشروع » التي أخذت بها معظم المدارس الأمريكية وبعض الأوروبية ، وانفردت بها حتى الان المدارس المصرية النموذجية . يتفق الاطفال على القيام بمشروع معين ، ليكون مثلاً بناء حظيرة للدواجن . يحتاج الاطفال بالطبع الى مادة للبناء ، فيرشدتهم المدرس الى « الورشة » المجاورة وهي ملحقة بالمدرسة . ويحصل الاطفال على قطع كثيرة من الخشب ناعمة ذات ابعاد واطوال متساوية فيفكرون في المكان الذي يبنون فيه الحظيرة . وهنا تنشأ أفكار جميلة حقاً ، فقد يرى أحد الاطفال أن من الافضل الاستفادة من ركن من الفناء حيث هناك فعلا حائطان وعليهم أن يبذوا حائطين ليكمل البناء بدلا من اقامة الحظيرة في وسط الفناء فتحتاج مجهودا اكبر . كما قد يرى طفل آخر ضرورة الاهتمام بان يكون المدخل مواجهاً للشمس . وهنا تنشأ اسئلة كثيرة جذابة يمكن المدرس أن يستفيد منها لاعطاء الطفل المعلومات التي نعطيها نحن في مدارسنا بطريقة جافة . فالتلاميذ يسألون بشوق عن الاتجاهات ، فيعرفون الشرق والغرب والشمال والجنوب ، كما قد يسألون عن أسباب حركة الشمس — كما يظنون — من



ناحية في السماء الى الناحية المقابلة . وقد يخرجون من هذا الى القمر ولم يتغير شكله  
شكله أو السحب التي تعترض طريقه وأسباب تجمعها . . فكرة عن البخر وهذا  
والتكاثف . . والندى والمطر واين يكثف ( وكل هذا داخل في علم الجغرافيا ) هي  
أو قد يتساءلون عن حرارة الشمس ومصدرها وهذا يوصلهم الى دراسة بسيطة الخ  
لمسببات الحرارة . الاحتكاكات والتفاعلات الكيميائية والنار والكهرباء  
فالنار مثلا يمكن أن ندرس فكرة عن تاريخها ومنشئها . . الأقوام الذين  
استخدموها أولا . . ماذا كانوا يلبسون . . كيف تطور تاريخهم فخصعو  
لغيرهم من الشعوب فانتشر استخدام النار . . أي الادوات استخدمت في  
هذه الحروب . . من القواد المبرزون ( يدخل هذا تحت علم التاريخ ) . .  
أو قد يصل بهم بحث الشمس الى فائدة حرارتها في قتل الميكروبات ، وهذه  
فرصة لدراسة تاريخها . . وطريقة زرعها . . وبعض الأمراض التي تسببها  
وكيفية الوقاية منها . . والأمراض التي يتعرض لها معظم الاطفال في سنهم كالحصبة  
والالتهابات الرئوية والسعال الديكي ، وبعض الامصال التي تعطى لمقاومتها  
( يدخل في علم الصحة ) . . أو قد يجمع بعض الاطفال معلومات عن باستور  
الفرنسي ويلقونها في محاضرات تساعد على صقل اسلوبهم اللغوي والاطلاع  
على مؤلفات في لغات مبسطة غير العربية ، وتصور قصة مثيرة جذابة تحض  
على النضال والكفاح في سبيل غرض جليل . . قصة رجل يحقق نفسه بدلا  
خطير ليلم عن خبرة بما ينتاب المريض من أعراض . .

فاذا عدنا بعد هذا الى المشروع الاصلى وبدأ الاطفال يضعون الاساس  
فمن الجائز أن تظهر أسئلة عن أنواع التربة ومدى صلاحيتها وصلاحيتها لاقامة  
مبان معينة أو لنبات محاصيل معينة ، ويتقدم المدرس هنا بنماذج للاراضي  
الجيرية والبركانية والرملية وغيرها وأسباب تكونها بهذا الشكل ( علم طبقات  
الارض ) . فاذا اقاموا البناء فلا بد أن تنشأ مصاعب كالتهوئة ، ولا بد أن  
تفتح في الجدران نوافذ صغيرة ، وفتح النافذة يحتاج الى قياس أطوال  
وارتفاعات ، فاذا اريد أن تتوسط النافذة الجدار فلا بد من قياس عرض



النافذة وليكن ٢٠ سم مثلاً وطرحه من عرض الجدار وليكن ٤٠٠ سم مثلاً ،  
غير بقسمة الناتج ٢٨٠ سم على اثنين فيكون ناتج القسمة ١٩٠ سم ، وبذا نقيس  
هذا العدد الأخير من الطرف الايمن ومثله من الطرف الايسر فالمسافة الباقية  
هي التي يجب أن تزال ليتوسط عرض النافذة الجدار ( يدخل هذا تحت علم  
الحساب ) .

فاذا انتهى العمل من الحظيرة فهناك وسائل عديدة لتجميلها وتزيينها . .  
هناك الطلاء والتلوين ، وفيه دراسة جميلة للألوان ومكوناتها الكيميائية ،  
والمواد التي تزيلها من الاجسام أو الاقشعة كالتربنتينا وغيرها ، وهناك ورق  
المشمع الملون ليلصق على الجدران من الخارج وفيه دراسة جمالية وصقل  
للذوق الفني واختيار للالوان وتنسيقها في زخارف جميلة . وهناك صور  
الدواجن بالرصاص أو فرشاة اللون ، هذا فضلاً عما تثيره الدواجن التي  
تربي في الداخل من هوايات جمع الريش وأسئلة عن البيض وفائدته بالنسبة  
للمواد اللازمة للجسم ، أو مدة فقسه ، وتمييزه للطيور من الحيوانات . .  
وأنواع الاولى ومميزات كل

وهكذا يثير مشروع مثل هذا مئات النقاط الجميلة التي تقود الاطفال من  
ميدان الى آخر برغبة في الكشف والاستطلاع . وتلك هي المعرفة الصحيحة  
القائمة على المحسوس أولاً لا المجرد ، ودافع الطفل للتعلم لا دفعنا نحن له ليتعلم  
ولقد عنيت بالافاضة في نقطة كالمشروع لادعم بذلك فائدة دراسة الطفل  
ونموه وميوله ، وهو ما سنخصص له قدراً من الصفحات القادمة ، فعلى ضوء  
هذه الدراسة نود لو تتغير طرائقنا في التهذيب في المنزل والمدرسة . وكمن  
آبائنا لا يدرك قيمة الدافع أو لا يقيم له كبير وزن . . لا يدرك مثلاً أن  
الطفل وقد عاد من زيارة مسائية يشعر بالتعب وهو سائر في طريق طويل  
قد خلا من المارة ، ولا يبعد أن يطلب من والده أن يحمله فإذا لم يفعل فقد  
يلجأ الى كل طريقة في طوقه حتى لقد يضرب عن السير ويجلس على افريز  
الشارع . . أقول قد لا يدرك آباؤنا أن مثل هذا الطفل المتعب لو وجد لعبة



حبيبة كسلم التسلق أو جذع شجرة ملقى على الأرض ، أو لو مثل مع والد  
لعبة القطار والعربات لتغير سلوكه كلية ودب فيه روح النشاط وانطلق يقفز  
ويجري وهو الذى أضرب منذ لحظة عن المشى . قد لا يدرك الاب ان الطفل  
إذا طلب منه أن ينزل لياقى خطابا فى صندوق البريد فقد يمتنع ، ولكن  
لو دعى ليكتب فى الخطاب بضع كلمات لآخيه مثلا أو لقريب له يشرح فيها  
شيئا عن « نسائه » أو عصفوره الجديد لسارع الطفل لالقاء الخطاب وهو  
يتلهف لوصول الرد ، فالخطاب خطابه الآن ، وأية قوة قد نالها وهو يرسل  
بصوته بعيدا . . بعيدا . . الى بلدة كالاسكندرية مثلا . . وب نفس الطريقة قد  
يطلب طفلك الطعام فإذا عرضت عليه أن يضع « الفوطه » على ملبسه أن  
وامتنع ، فإذا أصررت أضرب عن تناول الطعام . ولكن هذا الطفل بالذات  
قد يخزع كل حجة لتناول الطعام حتى فى غير مواعيده لأشياء إلا لأنه يريد  
أن يضع على ملبسه « الفوطه » التى قصها هو أو ساعه فى قصها وتزيينها بشرائط  
ملون « و غرز » واسعة غير منتظمة بطبيعة الحال ، أو « بخرز » براق فى الجوانب .  
هى مصدر للسرور لأنها « فوطته » هو ، وأى دافع أقوى من هذا . . ؟

وهكذا فليقس القارىء عشرات المواقف التى تعرض فى « روتين » الحياة  
اليومية المنزلية ، ولعله يحسن صنعا لو تساءل فى كل مرة هل هناك دافع للعمل  
من وجهة نظر الطفل أو هو يؤديه وهو راغم ؟

ولقد يعترض البعض على نظرية إيجاد الدافع حيث يقدم الطفل على العمل  
وهو مشوق ، كما يعترض على طريقة « المشروع » التى سبق شرحها لخلوها من الجد  
وبذل الجهد . ان الحياة مليئة بالكفاح والجلاد . . بالمأسى والدموع . . بالعقبات  
والعراقيل . فأى اعداد أعرج ذلك الذى تقوم به التربية إذ تدعو الطفل لكل ما فيه  
لذة وشوق بالنسبة له وتمنع عنه كل ما هو جاف مممل . . لئن كانت مناهجنا  
المدرسية لا تصادف هوى فى نفس الطفل ولا تحقق رغبته فى تعلم المحسوس قبل  
المجرد . ولئن كانت منازلنا تجبر الطفل على اتباع نظام معين فى الطعام أو النوم أو  
مقابلة الغرباء ، وتسكفه فى بعض الأحوال عما يصادف لديه لذة كاللعب ونحن



تيام ، أو النزول للشارع بينما الخادمة مشغولة لا يمكنها أن تصحبه ، فشكراً  
للمنزل والمدرسة والرف شكر ، وكفاهما فخراً أنهما يخرجان أنا شاباً صلب  
العود تعلم كيف يكبح رغباته وعرف كيف يبني وهو محروم من الاستمرار  
في لعبة حبيبة فقد أتى وقت النوم ، هو مجهز للحياة لا يجزع لنوائبها  
وخطوبها

وهي حجة تبدو ثابتة قوية ولكن تدحضها التجربة . قديظن البعض أن  
الأطفال وهم يقومون « بمشروع » الحظيرة السابق عرضه يقضون وقتهم في  
سرور ولهو وعبت ، ولكن الواقع غير هذا . هم يحسون نشوة تسرى في عروقهم  
وعيونهم تلعب ببريق اللهفة والترقب ، ولكن ما أبعد هذا عن اللهو والسرور  
أو النعومة واللين ، وهي العوامل التي نخشاها . يكفي أن تنظر اليهم وهم  
يزاولون عملاً يشعرونهم بالرغبة في اكماله . رأيت طفلاً في المدرسة النموذجية  
لا تتعدى سنه العاشرة كان عليه أن يجمع المعلومات عن عصر محمد علي باشا  
وملابس الجيش والشعب فعلى ضوءها سيمثلون مسرحية بعد أيام  
( وهذا اتجاه من اتجاهات مشروع كان يشغلهم أسبوعين من هذا التاريخ ) ،  
رأيتهم يسهر الى ساعة متأخرة من الليل وأمامه كتب ضخمة ولو أنها سهلة  
يقرأ ويبحث فيها بمتتهى الدقة . ما تئام مرة أو توقف ليمسح العرق المتصبب  
فالرغبة والميل والتلهف كانا أقوى من أن يملكه التعب . قارن هذا بالطفل  
الذي يجلس ليستذكر كتاب « تاريخ مصر في العصور الحديثة » وقل لي بربك  
كم مرة يتأفف ويتضجر وكم مرة يترك كتابه لعذر مصطنع كتناول الطعام  
أو قضاء حاجة ، ثم . . هل حفظ درسه عن محمد علي حقا ؟ بل وأكثر  
من هذا الى متى سيحفظه ؟ سله عنه بعد الامتحان بأسبوع ومن المؤكد  
أن هذا يضجره كل الضجر . ولكن صديقنا طفل النموذجية يشعر  
أن معلوماته جزء من كيانه لأنه اكتسبها بنفسه ثم تركت عن طريق  
عرضها بشكل روائي محسوس ، فضلا عن أنها تثير هوى في نفسه . رأيت  
صديقنا هذا يحرم نفسه كل ما تشتهى ليوفر من مصروفه ما يكفي لدخول



دار الخيالة ليشهد عرض فيلم « غرام وانتقام » ثلاث مرات ليدقق في ملابس جيش محمد علي باشا . قل لي بعد هذا أيها القارئ الكريم هل تظن حقاً أن طفلاً مثل هذا سيثيب ليناً مدلاً يجزع للنوائب فهو غريب عن الجهد والكفاح ؟

انظر الى أطفال « المشروع » وهم ينشرون الخشب أو يثبتونه بالمسامير ، تجرد المناشير تنحرف عن طريقها ، أو المطارق تهوى في غير مواضعها فتصيب أصابع الأطفال . رأيت واحداً منهم يصيب ابهامه بجرح عميق فلم يزد على أن صرخ صرخة خافتة صدرت دون أن يقصد ، ثم ذهب الى المرشد في ثبات وطلب منه بعض « الماركروكروم » وبعد أن ربط الجرح عاد صديقنا الى عمله وفي عينه بريق الانتصار فقد كان على وشك أن ينتهي من عمل « البرواز » الذي ستوضع فيه الصورة .

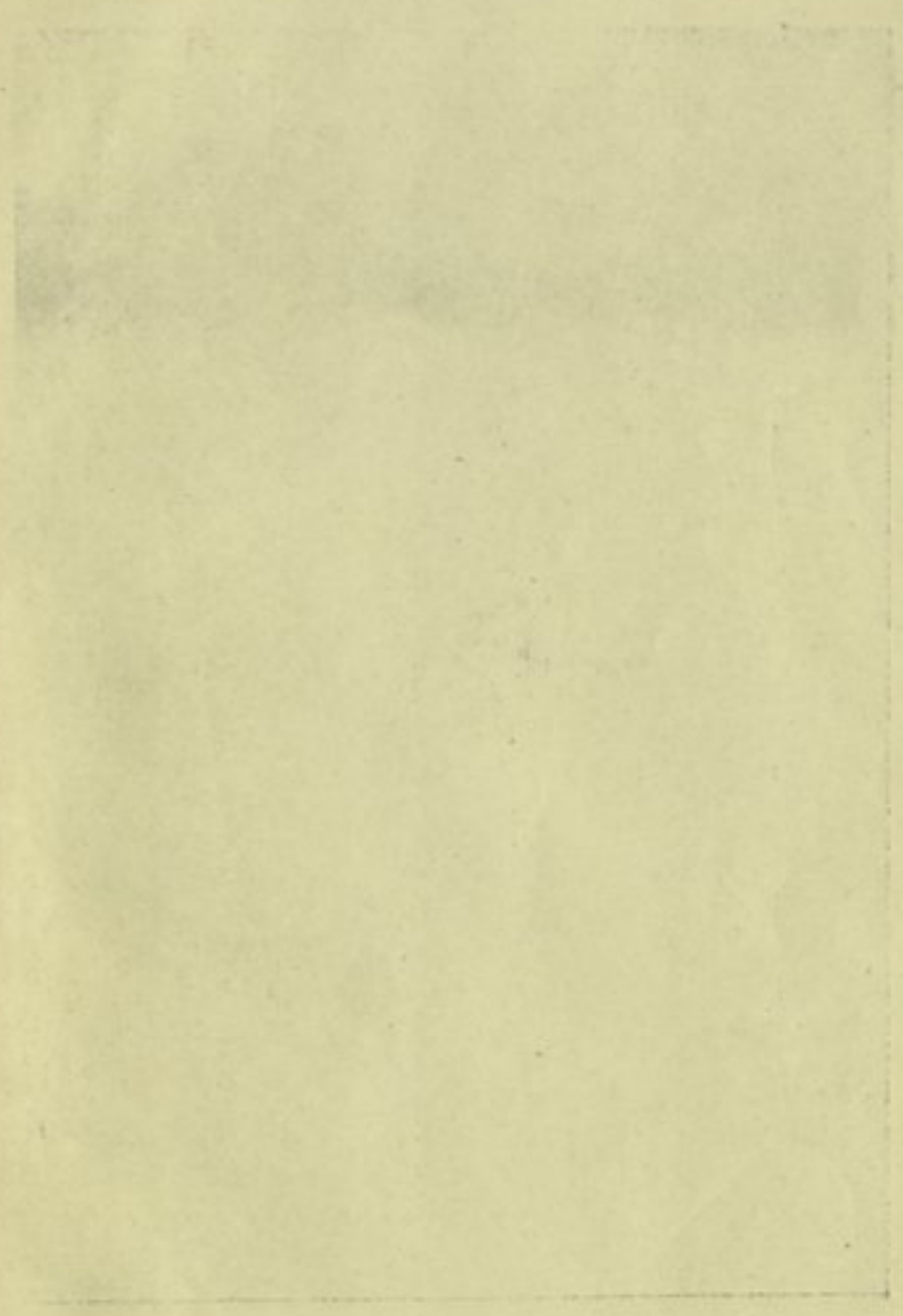
هل هذا طفل مدلل أفسدته التربية الرخوة « الحديثة » ؟ ان الامر على العكس ، فالطفل الذي نخرجه الى الحياة بمناهجنا التي تدفعه للنوم بسخفها وملايتها حتى يزعبه زئير الوالد يدعوه للعمل . . . الطفل الذي ندعوه للنوم وهو لم يتمتع بعد بلعبته الجميلة فقد دقت ساعة النوم « والاوامر مقدسة » . . . هذا الطفل سيثيب وهو يشعر دائماً بالعجز والنقص والخيبة تحت ظل التربية القائم ، بينما طفل مدارسنا الحديثة ومنازلنا الحديثة سيخرج الى الحياة باسم الثغرملياً بالامل والاعتداد بالذات ، فهو يرى ثمار عمله واضحة ملبوسة بارزة على جدران المدرسة أو في حديقة المنزل .

ولا يتسع المقام هنا للافاضة في الدفاع عن هذه الطريقة ، وانما هي نقطة عارضة برزت أثناء تأكيدنا أهمية دراسة ميول الطفل أثناء نموه في مختلف الميادين . والمهم أن كومينيوس أعطانا أساساً حيويًا أذ نادى بأهمية عرض الشيء بصورة محسوسة على الطفل . وكمن من آبائنا يحاول أن ييث الصدق أو الأمانة أو العطف والاحسان أو الابتعاد عن الأذى في نفس الطفل ،



زيارة بيت البجع هي جزء من برنامج دروس الطبيعة ( فكرة كومينبوس )





THE UNIVERSITY OF CHICAGO PRESS

وكلاهما صفات مجردة فيظل يتحدث ويتحدث حتى يتسبب العرق من جبينه ، كل هذا والطفل يكذب ويسرق ويشد ذيل القطة أو شعر اخته . فلنوفر على انفسنا كل هذه المتاعب ، فالصفات الخلقية المجردة لا يمكن ان يفهمها الطفل قبل المراهقة ولكنه يستطيع ان يربطها بمواقف معينة . انا لا نزال نتعثر في طريق طويل ، وخير لنا ان ننظر الى الامريكيين الذين قاربوا نهاية المطاف ، فهم يصحبون اطفالهم كل اسبوع لزيارة المسلاجى والمستشفيات ، وتأكد ياسيدى القارىء ان موقفا واحدا يوزع فيه الطفل الحلوى أو الهدايا على الايتام والمساكين وهو براك تفعل ، يحقق اكثر مما تحققة عشرات المواعظ أو العقوبات التى تقدمها للطفل وأنت جالس فى منزلك . جرب أن تدع طفلك يساعذك فى قيادة ضرير مسكين ليعبر الشارع المزدهم المليء بالمركبات ، أو حمل كلب صغير هرا البرد عظامه الى المنزل حيث ينال الدفء والطعام ، أو رد الجريدة التى نسيها أحدركاب الترام الى قسم الامانات ، وستجد أن موقفا مثل هذا مشفوعا بشرح بسيط مناسب لادراك الطفل هو أفعل فى النفس من عشرات العقوبات التى توقعها اذا كذب الطفل أو سرق أو أضر بأخته الصغيرة ، وهو أبقى أثرا من عشرات المواعظ التى تلقاها عن الصدق واحترام الممتلكات والرحمة فهى الفاظ مجردة لا يدركها .

وجاء القرن الثامن عشر فافتحه جون لوك بحذا الطرق الطبيعية فى تربية الطفل بدلا من اخضاعه كما كان الحال لنظم قاسية ، وتبلورت هذه الصيحة فى ترك الطفل للطبيعة تعلمه وترقيه فى كتاب «اميل» لجان جاك روسو فالطفل يتعلم من سقطاته الفعلية أكثر مما يتعلم من تحذيراتنا ، وفى اعقابه جياء بستانلىزى وهربارت وفروبل . ولقد كان الاخير بحق مؤسس حركة رياض الاطفال ، واستطاع ان يركز مثله فى التربية فى كتابه «تربية الرجل» الذى أسسه على ما جمعه من ملاحظات دقيقة للاطفال الصغار فى المنزل والمدرسة



وخل النصف الأول من القرن التاسع عشر مجددا فقيرا حتى جاء  
تاين بكتابه « نمو الرضيع » فكان بشيرا بنهضة باركة تبعه اليها داروين عرض  
لتاريخ حياة الطفل ، ، ثم ولهم برير ، عقل الطفل ، وقد لعب الدور الأول في  
تنمية دراسة الطفل العلمية . كان برير طبيبا ، وقد أثبتت مقارناته لطفله بما  
كان يدرسه من السكتا كيت وصغار الأرانب والخنازير أن هناك اتفاقا بينها  
وبين الطفل الآدمي في أسلوب النمى ، وخاصة في اكتساب القدرة على الضبط  
العضلى . ولن أطيل الآن في متابعة المرحل التي سار فيها البحث في الطفل  
من دراسة تواريخ الحياة وأخصها ما قام به ستانلى هول ، الى المؤتمرات التي  
قألت الاهتمام بالطفل وأولها الجمعية الأهلية لدراسة الطفل وقد نظمها هول  
وانتشرت الى المقاطعات الأمريكية ثم الى أوروبا ، ثم النشرات والمجلات التي  
صدرت تباعا تحمل صوت الطفل الى كل قرية ومنزل ، فاشترك آلاف الآباء  
والأمهات في الاستفتاءات ، ثم النوادي والجمعيات التي تأسست لتقيم ملاعب  
عامة للأطفال أو ملاجىء ، وتبع هذا تأليف محاكم للاحداث . وفي الوقت  
الذى نال الطفل فيه كل هذا الاهتمام لم يعدم الطفل الشاذ نصيرا ، اذ أقيمت  
العيادات الملحقه بالمدارس وأولاهفى بيفرلى فى مقاطعة ماساتشوتس لضعاف  
العقول سنه ١٨١١ ، وتبعها ويتمر فى بنسلفانيا إذ أسس العيادة السيكولوجية  
الملحقه بالجامعة والىها تقاطر الآباء والأمهات لعرض الأطفال الذين سيديوا  
المشاكل فى المنزل أو المدرسة أو الحياة الاجتماعية حيث كانوا يبالون  
العون والارشاد

ويعتبر القرن العشرين « عصر الطفل » دون منازع وفيه ظهرت تيارات  
أربعة للدراسة . . الأول يختص بذلك التقدم الكبير فى طرق دراسة  
الطفل ، وبدلا من دراسة طفل واحد انتشرت الدراسة على أطفال كثيرين  
فى مجموعات ، أما طريقة تواريخ الحياة القديمة فقد أصبحت فقيرة الى جانب  
الأبحاث التجريبية التي بدأت على يد واطسون . . والثانى يدور حول  
تخصيص الدراسة للطفل ، وبدلا من دراسة الطفل فى مجموعه أصبحنا



تفيض في دراسة نوع معين من النمو كالنمو الحركي أو الانفعالي أو اللغوي أو الاجتماعي وهكذا . . أما التيار الثالث فاتجه بالدراسة الى الاختبارات التي بدأت باختبارات الذكاء لبينييه وسيمون الفرنسيين إذ وضعوا مقياسا مقننا لقياس الذكاء عند الطفل حتى يمكن وضعه بين أقرانه حتى لا يشعر بالتراجع أو التأخر فيزداد عنده الشعور بالنقص والغيرة . وقد راجع هذا المقياس وعدله جودارد وكولمان وتيرمان وبيركس وينتشر وغيرهم من الأمريكيين

وقد استخدمت نتائج الابحاث لوضع برامج مدرسية مناسبة . وبهذه المناسبة نذكر بكل اعجاب أن صاحب العزة اسماعيل القباني بك قد أثبت بتطبيق هذه الاختبارات لقياس الذكاء والأعمار الدراسية أن برنامج التعليم الابتدائي عندنا قبل أن يخفف ويعدل الى الوضع الحالي كان يقتضى من الطفل المتوسط الذكاء خمس سنوات على الأقل ليستوعبه . كما استخدمت هذه المقاييس لوضع الاطفال في فرق تناسب قدراتهم كل المناسبة ، وهى الطريقة التى تتبعها اليوم المدارس المصرية النموذجية اذ يقاس ذكاء الاطفال ثم يوضعون في مجموعات ، فالمجموعة المتوسطة الذكاء من السنة الاولى تعطى برنامجا معيناً مناسباً ، والمجموعة المتفرقة في الذكاء من السنة الاولى يزداد برنامجها قليلاً ويتنوع من حيث التمرينات الحسابية أو تطبيق اللغات أو النظريات المتفرقة فالطفل أقدر على استيعابها ، والمجموعة الضعيفة من السنة الاولى أيضاً تعطى نظريات عامة من البرنامج مع شرح أكثر وأمثلة أخصب وازدياد للطرق المحسوسة في التدريس . وهى طريقة أفضل جداً من أن نحشد الاطفال كلهم — كما نفعل في مدارسنا — في فرقة السنة الاولى مثلاً اعتباراً ثم نعطيهم برنامجاً واحداً . فالمتوسط قد ينهيه أو لا ينهيه ، والذكي يتمه بسرعة وإما أن ينام أو ينصرف للعبث والمشاكسات . . والغبي لا يتمه فيشعر بالنقص والخيبة والفقر



في فصولنا المدرسية يتكدر معظم الطلاب حول المتوسط فيشكل  
المدرس العمل وفق قدراتهم ، وتضيع في هذا فئتان .. الأولى الطلبة الاذكياء  
والموهوبون ، والثانية الطلبة الاغبياء المتراجعون . أما عن النوع الاول  
فانك لتدخل أحد الفصول فتأخذ عينك طالبين أو ثلاثا هم أمثلة لحركة دائمة ...  
هم « يفتلون » ، أزرار طرايش جيرانهم .. ويلونون الصور التي في كتبهم  
فيرسمون للأشخاص شوارب ولحي .. يقصون ويلصقون حتى في كراساتهم  
المدرسية فيستحقون بذلك غضب مدرسيهم ورفاقهم ، وتتوالى العقوبات  
لشل سلوكهم « الاعتدائي المقيت » . ولو سألت عنهم مدرسيهم لقال لك  
« هم كويسين مش بظالين بس لو يخالوا بالهم ! » ومع هذا فلو قست ذكاءهم فقد تجد  
لدى الواحد منهم نسبة قد تقرب مما يملكه عشرات من أعظم العلماء الذين  
يمجدهم العصر الحاضر

وبعد هذا تأتي مصرنا الجميلة .. مصرنا التي تشترك اليوم في صراع ذهني  
تحتاج فيه لحشد كل قطرة من موارد بنائها وأفهامهم .. فتطبق على نجومها  
الزاهرة وجواهرها البراقة نظاما تعليميا جامدا باليا لا يشغل وقتهم أو يستغل  
حيويتهم ، وبعد هذا نعتبرهم مشغلي الانتباه أو على أحسن الفروض « مش  
بظالين .. ! »

ولا تقتصر فائدة مقاييس الذكاء على وضع الأطفال في فرق بل هي تعددهم  
إعدادا مهنيا ، فهناك ما يدل على أن اتجاه هذا الطفل حساني أو ميكانيكي أو  
لغوي ، وهكذا بدلا من أن يجرب الطفل بعد أن يشهد كليات الجامعة كما نفعل  
الآن فيدخل الواحد منا كلية الهندسة مثلا على غير رغبة أو استعداد منه فيقضي  
سنتين أو ثلاثا ثم تركها للتجارة ليكتشف بعد مدة أنه غير قادر على الاستمرار  
فيها ، بدلا من أن يجرب الكليات أصبح الآن في مكنتنا أن ندرب الطفل في  
الطريق الصحيح من أول الأمر .

وأخيرا فنقد جاء الاتجاه الرابع لأبحاث القرن العشرين ليدور حول الطفل  
المتراجع عقليا - وهو نتيجة لأبحاث بينيه - أو الشاذ اجتماعيا . وقد خفف



العمل المدرسي عن الطفل الأول على قدر ما تسمح به قدراته وحاجاته ، أما الثاني فقد وجد في أحوال عديدة عادية ولكن ظروف البيئة المنزلية أو المدرسية جعلت سلوكه ملتويا . وقد جاءت أولى هذه المحاولات في سنة ١٩٢٨ عند ما أسس توم عيادة في بوسطن للأطفال في المرحلة التي تسبق دخولهم المدارس ، وبدلاً من أن ننتظر حتى يصل السلوك الملتوى الى الذروة ويتمكن من الطفل يعالجه توم فيقضى عليه في المهد . وتبعه في هذا المضمار لويس تيرمان وليتا هو لينجورث .

وإذا كنا قد أسهبنا في تتبع حركات البحث ودراسة نمو الطفل حتى يومنا الحاضر فانا نرجو أن نكون بذلك قد اجتذبنا نظر القارىء الى أهمية دراسة النمو التي مستنناولها الآن محاولين أن نضع جداول معينة يستطيع آباؤنا وأمهاتنا أن يقارنوا أطفالهم بها ، مبينين ما يمكن أفضل الطرق التي نكفيها البيئة حتى نقود ذلك النمو الى ذروة السكال ، وجاهدين أن نبسط بعض المواقف التي تنشأ في المنزل أو المدرسة وكيف يمكن التغلب عليها على ضوء تتابع النمو .

والحق انا كثيرا ما نقابل مواقف محرجة حقا ، ولشد ما نود لو عرفنا هل هذا السلوك الذي يسلكه الطفل كالعص أو الغيرة أو الاعتداء ناتج من الخارج أو انه عارض من أعراض النمو يبدأ في كل الأطفال الأصحاء من تلقاء نفسه وينتهي في سن معينة اذا لم نقف في سبيله فاذا كانت الحالة الأولى فيهمنا أن نعرف كيف نعالجه ، واذا كانت الثانية نذرنا بالصبر والتسامح حتى تنتهي هذه المرحلة .

ماذا عن مسألة الكذب مثلا ؟ طفل ينكر عمل شيء أنت تعلم يقينا انه عمله ، فهل « تعاقبه » بقسوة ، أو تحدّثه عن مضار الكذب ؟ ثم . . . لنفترض انك لم تتحدث عن الموضوع اطلاقا فهل سيستمر في الكذب ؟ أو طفل آخر أقل سنا يقص عليك أو على زملائه قصصا ملونة بلون خيالي عن أعمال غريبة قام بها أو عن ممتلكاته في المنزل . هذا الطفل أيضا « يكذب » . . . فهل هو



نفس نوع الكذب الأول؟ وهل نعامله نفس المعاملة؟ .

وبماذا نجيب عند ما نسمع أسئلة مخرجة « منين ببيعجوا العيال الصغيرين؟ » هل من الاصوب أن نتحاشى الاجابة ، أو نلقى بأكاذيب عن « البطن الملى بتفتيح وتثقل تاني ، أو ندلى بجواب بسيط وصريح على قدر الاستطاعة؟ وهل يكفي هذا الجواب البسيط لارضاء الطفل وجعله يكف عن التفكير في هذا الموضوع بعد ذلك؟

قد يحدث أن يعرض الطفل أحيانا في سن الثالثة أو الرابعة زملاؤه أو والدته إما كتعبير ساذج عن الحب والملاطفة ، أو في سورة من الغضب . . ومعظم الامهات عندنا تقلقهن هذه الظاهرة التي قد تكون حجر عثرة في لعبه مع الآخرين . . فما الذي يدعوه للعرض؟ وهل هو عمل شاذ نتيجة خطأ في البيئة علينا أن نصلحه ، أم هو مرحلة طبيعية من مراحل نموه؟ .

أو قد نجد وليدنا الصغير يعيث بأعضائه الجنسية وهو في فراشه ، أو وهو يجلس سارحا أثناء النهار ، فهل التأنيب أو التهديد « بحرق ، العضو أو «قطعه» كفيلان بالاقلاع عن هذه العادة؟ بل ان لنا أن نتساءل كيف نشأت؟ هل هي دائما نتيجة إيجاء من الخارج : . من الخادمة أو من أحد زملائه في اللعب أو قد تحدث من تلقاء نفسه دون أن يكون لها سبب خارجي؟

وغير هذا عشرات الحالات التي يبدى فيها الطفل خوفا شديدا لا نستطيع لاول وهلة أن نميز مصدره ولاكنه يحتم ككابوس ثقيل يحيل حياة الطفل سلسلة من الفزع قد يؤثر على كيانه العصبي وللبرهه المائمه تتصرف ازاءه تصرفا آخرق . فبينما معظم أطفال الاجانب يرحبون بالحمام نجد أطفالنا يخافونه خوفا شديدا . . بل أكثر من هذا غسيل الرأس والوجه بالماء والصابون . . كم يسبب عند أطفالنا من الفزع والنشجات حتى لقد يقيء الطفل ما سبق أن تناوله منذ برهة وجيزة . . ، أو قد يخاف الطفل من الظلام ، أو من الموت ، أو عند ما يطرق الباب طارق ، أو اذا أدير الراديو ، أو من حيوان معين . . بل وأعرف طفلا يخاف من رائحة المطاط خوفا شديدا فاذا لبس « مريلة »



من هذه المسألة صرخ وفزع. هل ننهر طفلنا بحدة اذا أبدى هذا الخوف ، أو  
نسخر من اوهامه التي لا ترتكز على أساس ، أم نتركه للزمن لعله يسدل على  
هذا كله ستاراً من النسيان ؟

ولم نذهب بعيداً وراء ما يبدو بوضوح انه مشاكلك معقدة وامامنا عشرات  
الحالات البسيطة ، ؟ طفل قد اكمل العام الاول مثلاً يجد لذة واضحة في  
القاء الملعقة أو الدمية التي يلعب بها مرة اثر اخرى على الأرض لتلتقطها امه  
أو مربيته وتعيدها اليه . وتتعب هذه الأخيرة قبل أن يتعب هو بكثير فتنتهي  
هذه اللعبة قائلة « بس بقى ما تبقاش ولد وحش » . هل هو « ولد وحش » ،  
حقاً يحتاج الى اصلاح ، ام ان هذه عملية مفيدة من عمليات نموه الجسدى  
والعقلى ؟

والطفل فى سن الرابعة قد يترك ليلعب فى الحديقة فيتسلىق السور الحديدى  
ممزقاً ثيابه معفراً وجهه وركبتيه ، أو يترك صنابير الماء مفتوحة فيغرق  
الاحواض هل تؤنبه لأنه فعل هذا على أساس ان هذه الأعمال تدل على  
عناد واستهتار بالنظافة والسلوك الممذّب ، أو أن هذا دافع طبيعى للنمو نحو  
التوازن واكتساب المهارات والتميز بين الأجسام . هذه الصفات التى لا يمكن  
ان تستقيم حياة الطفل عند ما يكبر بدونها ؟ وعلى العكس من هذا قد يكون  
طفلك ذاميل غريب للاحتفاظ بيديه وملابسه نظيفة بحيث اذا اعطى قطعة  
من الصلصال ليعمل منها نماذج لا يريد ان يمسك بها « عشان بتوسخ ايدى » !  
هل انت ياسيدتى محقة فى سرورك بهذا واعتبارك له عنواناً على النمو الصحيح ؟  
ولنا أن نتساءل كم مرة يحدث أن تجلس طفلتك وعمرها عشرون شهراً  
مثلاً الى المائدة فتصر على ان تتناول طعامها بمفردها بالرغم من أنها لا  
تستطيع ذلك دون ان يتساقط معظمه على ملابسها . . فاذا حاولت أو  
حاولت المربية أن تطعمها أو على الاقل أن تمسك بيدها أثناء تقرب الملعقة



بكيت واصرت على عدم الأكل ؟ هل أنت محقة في أن تصني هذا التصرف بأنه « عناد » ؟ وهل على الطفلة أن تطيع في سهولة ونعومة ريثما نقوم نحن باطعامها ؟ ثم اننا نريد أن نعرف الشهر أو الأسبوع الذي يستطيع فيه الطفل العادي أن يأكل أو يخلع ملابسه بمفرده ، بل وأهم من هذا متى يسيطر الطفل على تلك الأعمال اليومية المتكررة كجهازه الاخراجي مثلاً فلا يتبول في فراشه أو ملابسه ، وهل يمكننا أن نعيته ؟ .

وقس على هذا عشرات ومئات الحالات .. حتى القصة التي تجلس لتقصها على طفلك للنسلية لا يجب أن تلقى اعتباراً ، فللقصص الخيالية سن معين وللدينية والخلقية موقف مخالف وهكذا . لو عرفت الأم ماذا تتوقع أن يؤديه طفلها في سن معينة من أعمال .. متى يأكل بنفسه .. يستحم بمفرده .. يلبس حذاه ويزرر سترته .. يلعب بالمسكبات أو الرمل أو « الميكانو » أو يلقي المكرة .. فإنها تستطيع أن تتجنب أولاً افساد الطفل بمعاملته كحديث السن قليل المدارك فتشعره بالنقص وتعوق تقدمه .. وثانياً افساده اذ تطالبه بتحقيق أكثر مما يستطيع وبذا تجعل منه طفلاً قلقاً سريعاً للغضب أو الشعور بالخيبة .

وبعد فلقد يبدو من هذه المعايير التي سنخرج بها من دراسة النمو انا قد رزقنا بطفل موهوب فما أسعدنا اذن ، وما أفيد أن ندرك هذه الحقيقة حتى لا « نجذبه الى الخلف » كما نفعل كثيراً في منازلنا ، وكم من كواكب براقية تاللات ثم انطفأت لأن المحيطين بالطفل ظنوا أن هذه العجلة في التفكير نتيجة العصبية وعدم الاستقرار . وكم نمنع الطفل عن ان يسبق أقرانه في التفكير فنتمنع عن الاجابة على اسئلته قائلين « لما تكبر تبقى تعرف » ، أو « كفاية اسئلة ما تبقاش لكاك .. ! » انا لا اقول ان الاسئلة في اى وقت تدل على الذكاء ولكننا نستطيع ان ندرك ان كانت تدل او لا تدل حسب مقارنه طفلنا بالمعايير .

اما اذا رزقنا بطفل مترجع قليلاً ففائدة المعايير لا تقل اثرأ . قد يكون



التراجع مؤقتاً أو لسبب عارض فكلما أسرعنا لاكتشافه وعرضه على اخصائي كلما كان احتمال عودة الطفل إلى المستوى الطبيعي أكبر . وكم من آباء وأمهات تأكل قلوبهم الحسرة وتأنيب الضمير لأنهم لم يلجأوا للعلاج مبكرين ! أما إذا اكتشفنا أن هذا الخمول يعود إلى ظروف لا يمكن تعديلها فيمكننا على الأقل أن لا نلقى على أطفالنا اعباء لا يطيقونها ثم نسخر منهم ظانين أننا بذلك نحفزهم للعمل مع أننا نشعرهم بالنقص والخيبة فيشربون وقد ملأهم التردد والحجل وتوقع تقدم الآخرين عليهم ، وهذا يزيد من أثر الثقل الذي ألقته على كواهلهم الطبيعة .

### طرق دراسة النمو : هناك طريقتان للدراسة :

١ - قياس مجموعات كبيرة : قد نلجأ إلى دراسة مجموعات كبيرة متفرقة من الأطفال في مراحل مختلفة من العمر لاستخراج معايير للنمو في كل عمر وقد استخدمت هذه الخطة بتوسع كبير لدراسة النمو الجسماني كالطول والوزن ودراسة الذكاء ( العامل العام ) وهي طريقة سهلة نسبياً ولا تتطلب مدة طويلة لاستكمال الدراسة ، كما هو الحال لو أعدنا دراسة مجموعة واحدة سنة بعد سنة حتى نصل للنضوج .

ويبدو قصور هذه الطريقة في عدم استطاعتنا استحضار مجموعات متشابهة تصلح معها المقارنة ، وبمعنى آخر عينات من السكان تمثل المجموع تمثيلاً صحيحاً من أعمار متفاوتة فلو سألنا أنفسنا هل الأطفال الذين ندرسهم الآن واخترناهم كنموذج لمجموعة الخمس سنوات على سبيل المثال تشبه تماماً تلك التي انتخبناها لتمثيل الست سنوات بحيث أن المقاييس التي حصلنا عليها من اختبار هذه الأخيرة ستكون مشابهة لتلك التي سنحصل عليها لو طبقنا المقاييس على المجموعة السابقة بعد سنة ؟ وبتوضيح أكثر هل مجموعة الخمس سنوات ستظهر لو قيست سنة بعد سنة نفس النمو الجسماني والعقلي واللغوي والحركي و . . . الذي



نجده في عدد من المجموعات المختلفة في اعمار مختلفة واتخذنا منها معايير لهذه الأعمار . ؟ أقول لو تساءلنا هذه الاستئلة لما وجدنا جوابا شافيا فهي لم توضع موضع الاختبار العلى الواسع المدى بحيث يرفع من قدر هذه الطريقة أو يرفضها ، وهكذا فإن مدى نجاحها لا يزال موضعاً للنقد .

فاذا كان ولا بد من استخدامها فيجب أن يراعى اختيار مجموعات ضخمة العدد جدا ومختارة اختيارا واسعا المدى لكل عمر ، وعلى العموم فلا يمكن أن نقنع بأقل من عدة آلاف من الاطفال لكل مجموعة ، ويجب ألا تختار العينة من طبقة واحدة أو قطر واحد ، بل من أمة أو جنس بأكمله .  
٢ - إعادة الاختبارات : هنا تتكرر المقاييس على نفس الافراد يوما

بعد يوم ، أو شهرا بعد شهر ، أو سنة بعد سنة ، وهي طريقة أطول وأكثر إجهادا من الطريقة المستعرضة السابقة . ولكن لاننا نقيس نمو نفس الافراد لا أفراد مختلفين في كل مرحلة لنا أن نطمئن الى أنها تعطينا صورة أكثر صحة عن نمو الطفل العادى .

وقد استخدم تيرمان وغيره هذه الطريقة لقياس الذكاء وملاحظة التغيرات التى تطرأ على ذكاء الطفل من سنة لأخرى ، بل لقد استخدمها بشكل مبسط فى دراسته لآلف ولد وبنت من الموهوبين والموهوبات (١) ، فتتبع النمو الجسمانى والعقلى والاجتماعى من الرياض حتى الجامعة ، وفى بعض الأحوال امتد بالدراسة بعد استقرار هؤلاء فى ميادين العمل .

وبنفس الطريقة استطاع جيزل فى عيادة ييل السيكولوجية أن يعيد اختبار ١٠٠ طفل من شهر الى شهر ، وخرج من هذا بمعايير للنمو والسلوك

---

(١) راجع Terman, L. M. et al. Genetic studies of genius. vol 1: Mental and physical traits of a thousand gifted children.



في أعمار مختلفة سنشير إليها تباعا في هذا المؤلف ، وتبعته شيرلى (١)، في السنة التالية بدراسة ٢٥ طفلا أسبوعيا طيلة سنتين جاهدة بذلك أن تتعرف مراحل النمو وما اذا كان لصفات معينة صفة الثبات والترقى ، وقد خرجت من مقارنتها بنتائجها مع بوهلر وييرنسيد وجيزل وجونز بان الضبط الحركى عند الأطفال الصغار يسير حسب خطة معينة تتكون من خمس مراحل واضحة يبدأ فيها الضبط والاتساق فى العينين ثم منطقة الرأس والرقبة ثم الجذع واخيرا الاطراف حيث تأتى السيقان متأخرة فتعين الطفل على الزحف والحبو والوقوف ثم المشى . وسنتناول هذا بشئ من التفصيل فى فصل عن النمو الحركى

## أنواع التغيرات المصاحبة للنمو

يمكننا ان نقسم التغيرات أقساما أربعة :

١ - التغيرات فى الحجم : هذا النوع يبدو فى أوضح صورته فى النمو

الجسمانى ، ولو أن من الممكن ملاحظته فى النمو العقلى لو تابعنا تطبيق اختبارات الذكاء . ومن الواضح أن كل سنة تضيف الى الطفل تغيرات فى الطول ، والوزن ، ومحيط الصدر وهكذا ، كما تضيف الى الاعضاء والاجهزة الداخلية كالقلب ، والرئتين ، والمعدة ، ويبدو هذا النمو العقلى فى ازدياد محصول الطفل اللغوى ، والقدرة على التدليل أو المناقشة ، والتذكر ، والادراك ، والابتكار .

---

(١) راجع Shirley, M. M. The first two years vol- 1, p. 66



٢ — التغيرات في نسب الاعضاء : ليس الطفل « مصغر رجل » كما

كان يظن ، بل إن جسمه يحوى من النسب ما يختلف تماما عن جسم البالغ ولقد سبق تعزيز هذه الحقيقة بالرسم . وهاتين نرفق هنا جدولا صغيرا (١) يبين التغيرات التي تتاب نسب الاعضاء أثناء سنى النمو :

| العضو              | نسبة التغير            | العضو                        | نسبة التغير      |
|--------------------|------------------------|------------------------------|------------------|
| ارتفاع الرأس       | يتضاعف                 | وزن القلب                    | يزداد ١٣ مثلا    |
| ارتفاع القامة      | يزداد ثلاثة امثال ونصف | وزن الرئتين                  | » ٢٠ »           |
| طول الاطراف العليا | يزداد ٤ امثال          | نسبة وزن العظم والشحم والجلد | لا تتغير         |
| وزن المخ           | يزداد ٤ امثال          | نسبة وزن الجهاز العصبي       | تتناقص الى الثمن |
| طول الاطراف السفلى | يزداد ٥ امثال          | نسبة وزن العضلات             | تضاعف            |

ولست التغيرات في النسب قاصرة على النواحي الجسمانية ، بل هي تبدو أيضا في النمو العقلي . ولناخذ على سبيل المثال التغيرات في القدرة على التخيل والتغيرات في الميول ، فالتخيل في الطفولة المبكرة هو من القوة والحياة بحيث يسيطر على قوى أخرى كثيرة وبالتدريج كلما اقترب الفرد

(١) راجع

Hollingworth, H. L. Mental growth and decline p- 10



من الاكتمال تراجع عنصر الوهم الى نوع منطقي من التخيل مقيد الى حد كبير بقيود الحقيقة بحيث يصلح للتصميم والعمل الانشائي . أما الميول فينتابها التغير شأنها في ذلك شأن التخيل . فالطفل في أول أمره تتركز ميوله في جسده ، فهو يلعب بيديه وذراعيه ، ويمص اصبعه ، ويرفع كل شيء الى فمه حتى الشهر الثامن ، ثم يخرج من هذه المرحلة قليلا الى الاهتمام بذاته ، فهو يلعب وحيدا ولا يشرك أحدا معه ولو فعل فإنه يقوم بدور مسيطر فينال نصيب الأسد ولذا لا يستقيم اللعب إلا مع الكبار الذين يعطونه ما يريد في الوقت الذي يطلبه ويتناولون منه ما يشاء هو أن يعطيهم ، ويستمر هذا حتى سن الثانية . وبالتدريج ينتقل هذا الاهتمام الى الأطفال الآخرين دون ما تفرقة بين الأولاد والبنات وهي مرحلة رياض الأطفال حتى اذا بدأ عهد المدرسة الابتدائية أصبح الطفل لا يطبق إلا المجموعة التي ينضم إليها وهي من نفس الجنس . وأخيرا تحل مرحلة البلوغ وتتركز الميول في الجنس الآخر ، والملابس الانيقة ، والمجتمع الكبير بأدابه وعاداته وقوالب سلوكه .

وقد كانت هذه الفكرة القديمة .. أن الطفل مصغر رجل .. سببا في متاعب كثيرة للطفل الى عهد قريب ، بل وربما الى وقتنا الحاضر . فلا تزال ملابس الطفل تفصل على نمط ملابس الكبار ، ولا زال المستوى الخلق والأدب يطبقان عليه في كثير من العسف . فهو في أول أمره إذ يعبت بأعضائه الجنسية — تماما كما يضع اصبعه في فمه فهو استطلاع واشتقاق للذة حسية بريئة تتركز في الجسد ثم يتركها الطفل إذ تنتشر ميوله للخارج — ثور وغضب لان هذا في عرفنا نحن الكبار « عيب وقباحه .. » كما نشط في استعمال تعبيرات « مرسى ، و « من فضلك » اشتطاطا يبعث في الطفل الغضب من ناحيتهما ، ونحن نظن أنه اذا أهملهما كان — كالسكير — « قليل الذوق » ، كما نصر على تقييد حركته ولعبه في مناسبات كثيرة كوجود الضيوف فهذا في نظرنا التزام لجانب « الهدوء والوقار »

وكم من آباءنا يحشو ذهن الطفل بأفكار خلقية ودينية تناسب تفكير الكبير يدخلها الطفل من أذن ويخرجها من الاخرى فهي لا تعنى بالنسبة له أي



شيء . ومنذ عهد قصير سمعت حوارا عجيبا بين والد وطفله الذي رسب للمرة الثانية في السنة الثانية الابتدائية ، فالوالد يحاول اقناع الطفل بالاستذكار في الاجازة الصيفية لأنه إذا لم يجتز الامتحان فسوف لا يكون في استطاعته اكمال الدراسة وأخرى به أن يبحث عن صناعة يقضى فيها حياته .. ! أهم أن يدفع الطفل للاستذكار ونحن نلوح له بنزهة جميلة بعد يوم أو يومين ، أو بمشاهدة عرض فيلم يشواق اليه — ولو أن المكافآت لا يجب أن تكون سبيلنا الاوحد في التربية كما سنبين بعد — أما أن ننتظر أن يدرك الطفل فائدة المدارس وما تمنحه من شهادات تضع الانسان في مستوى اجتماعي أرقى من الصانع .. مع العلم بأنه يقدر الصانع أكثر من أى عمل آخر فيؤله حتى هذه اللحظة بدوية أتجه اتجاهها حسيا كما سبق أن ذكرنا .. أما أن ننتظر منه أن يدرك هذا فأمر شديد الغرابة .

ما زال آباؤنا يقيسون الطفل بمقاييس الكبار ، ناسين مثلا أن قوة التخيل التي لدى الطفل ، وقدر أينا كيف أنها تنقص وتنحدر كلما اكتمل الفرد تدفع الطفل دون أن يقصد لما نسميه « الكذب » ، وما هو في الحق سوى طغيان للخيال على الحقيقة ، والطفل لخبراته القليلة ومعلوماته البسيطة عن العالم وحقائقه ينتقل بين الميدانين في طلاقة وهو لا يكاد يفرق هذا عن ذاك . وقد سمعت يوما من طفلة صغيرة حكاية طويلة مسلية — ولو أنها غير محبوكة بطبيعة الحال — عن أنها كانت سائرة الى جانب والدتها في الطريق ، وهناك في شارع معين رأت عصفورا جميلا ملونا ظل يدور في الفضاء ويقرب منها ثم أدلى لها بأحد جناحيه وكأنه يدعوها للتعلق به ففعلت . وظلت نصف رحلة جميلة في السماء بين الشمس والقمر والنجوم ، ثم ذكرت طرفاعن الله وكيف يمتلىء حجره باللعب والدمى . ولما سألتها أن كانت والدتها في هذه الآونة وهل لم تفتقد لها أجابت بعد تفكير بسيط أنها كانت مشغولة بشراء حذاء لونه .. . وانطلقت تقص قصة أخرى بعيدة بعد سابقتها عن الحقيقة ..



كثيرا ما نسارع الى مجابهة طفلة مثل هذه بأنها كاذبة ، ولا عجب ، هو فيه  
حد طلع القمر والنجوم ؟ ، أو هو ربنا يلعب بالعرايس ؟ ، وهكذا ندفع  
الطفلة البريئة للتفكير في معنى الكذب وهي لم تقصده اطلاقا .

من العسف أن نقيس الطفل بمقاييسنا نحن الكبار فنعتبر هذا كذبا  
يستحق العقوبة لمجرد بعده عن الحقيقة ، ولست بهذا أزعم أن كل بعد عن  
الحقيقة علينا أن نتسامح بشأنه ، فهناك أنواع من الكذب في مرحلة متأخرة حين  
يتناقص عنصر الوهم والخيال ويحل محله نوع من الإدراك للحقائق المادية لا  
يمكن أن تعتبر كذبا بريئا ، وهذا هو ما عنت الإشارة اليه عند إثارة بعض  
الأسئلة منذ قليل . . فلقد تناولت فيها طفلا في مرحلة متأخرة ينكر عمل شيء  
نحن نعلم يقينا أنه عمله وهو كذب من نوع معين . وآخر أحدث سنا يروي  
قصصا خيالية عن أعمال قام بها أو تمتلكات في المنزل هو لا يمتلكها فعلا وهو  
سيطرة للوهم على الحقيقة .

وبنفس الطريقة قد يكون تلون حياة الطفل في أول عهده باللون الخيالي وقلة  
إدراكه لعالم الحقيقة سببا في أنواع من المخاوف تبدو لنا سخيفة لا أساس لها  
فادراكنا المنطقي مخالف لإدراكه . فالطفل في الظلام يرى على الحائط الجانبي  
الذي يواجهه النور خيال شخص يقف في الغرفة المجاورة وليكنه لا يدرك العلاقة .  
ويجزع الصغير لاعتقاده أن مخلوقا يسير على الحائط ، وهو مخلوق مفزع اذ  
ليس لأطواله ونسب جسمه ما يراه في الكبار الذين حوله ، فارتفاعه يكاد  
يشغل ارتفاع الحائط . وسرعان ما يطفئ الوهم على الحقيقة ويحتاز الطفل ميدانا  
آخر في سهولة فيعتقد اعتقادا جازما بأن شيئا غريبا موجود فعلا في الغرفة ،  
وليس من النادر أن يربطه بالعفريت ، اذا كانت الخادمة قد أخافته به يوما .  
ويهب الطفل صارخا فنسارع اليه ، فاذا علمنا أنه رأى شخصا يسير على الحائط  
أخذنا نسخر ونسفه رأيه ، وبدلا من أن نحاول علاج هذا الخوف بتمثيل منظر  
مثل هذا أمامه ومساعدته على التثبت من عبث ظنونه ، قد ننتهره ونعاقبه اذ يتكرر  
تأكيده لما رأى فأوهامه مضحكة سخيفة لا أصل لها ، ونحن في قرنا هذا



نقيسه بمقاييسنا نحن الكبار . . أما آن لنا أن نطلق هذه النظرية البالية القائلة  
بأن الطفل مصغر رجل ؟

٣ - اختفاء بعض الأعراض القديمة : أهم الأعراض الجسمانية التي تختفي  
بالتدريج كلها نما الطفل الغدة التيموسية ، وتسمى غالبا غدة الطفولة ، وموضعها  
في الصدر ، والغدة الصنوبرية في أسفل المخ ، والافعال المنعكسة الداروينية  
كانقباض أصابع الوليد الصغير على الجسم الذي تقربه منه ، وشعر الطفولة الذي  
يغطي الجبهة أو الجسم ، وبمجموعة الأسنان الأولى . وهذا أثر من آثار الطبيعة  
فالأشياء التي فقدت نفعها تنكمش وتختفي . أما الأعراض العقلية فمنها ما يتنى  
كالمناغة وطرائق الطفل الأولى في محاولة الكلام ، ونزعات الطفولة للعمل قبل  
التفكير والحذر ، وقوة الحواس على الأخص حاستي الذوق والشم الواضحتين  
جدا في الرضيع .

ولكن بعض هذه العادات والاتجاهات العقلية للاستنف يتعطل اختفاؤه  
أو قد لا تختفي مطلقا فيظل الكبير يحتفظ في حياته بسلسلة من العادات أو الأعمال  
هي مما يميز الطفل وكان يجب أن تنتهي في مرحلة مبكرة من النمو . فالحرص  
ووزن الأمور قبل العمل هي من اتجاهات الكبار ولكن بعضا منها يفقدها . والميول  
الحسية التي رأيناها في الطفل تتمركز في الجسد ثم تتجه للخارج كلما اتسعت ميول  
الطفل حتى اذا كبر انجذبت الى هوايات وميول عملية نافعة في المجتمع ، وهذا الميول  
الجسدية قد يحتفظ بها الكثير من الكبار كما يحدث في قضم الاظافر ( يشبه  
مص الاصابع ) والعادة السرية ، أو العناق والضم والتقبيل والالتصاق الجسدي  
كدليل الود والمحبة وما هي الا مظاهر من الطفولة واستمرار للذة من  
الجسد لا يزال موجودا يعطل تقدم الفرد . ولسوء الحظ نجد كثيرا من الآباء  
والأمهات يتشبثون بتثبيت العلاقة بينهم وبين أطفالهم فلا يتركونهم للاتصال  
بزملائهم في مرحلة المدارس الابتدائية والثانوية أو بالنوادي والخروج  
للرحلات ، وهم لا يدرون أنهم بذلك يقفون حجر عثرة في طريق تقدمهم  
للمجتمع الكبير وانتشار ميولهم للخارج واختفاء هذه العادات والاتجاهات



العقلية التي تربطهم بالسلطة المنزلية والتي لا يجب أن تعيش إلا في الطفولة المبكرة.

٤ - اكتساب أعراض جديدة : بعضها يأتي عن طريق التعلم ولكن معظمها يتم كنتيجة لتكامل أو تفتح صفات منكشمة منذ الطفولة . ومن الأعراض الجسمية الأسنان الثابتة والمميزات الجنسية التي تبدو في الشهور الأولى للبلوغ كتضخم الصوت وخشونة الجلد ونمو الشعر حول الأعضاء التناسلية وتحت الإبطين وعلى الشفة العليا وظهور إفرازات الخصيتين عند الذكر ، تقابلها العادة الشهرية عند الأنثى وعمق الصوت ونمو الشعر عدا الشفة العليا والذقن وازدياد الشحم خصوصاً على الأرداف أما الأعراض الذهنية فأهمها ازدياد الاستطلاع وخاصة عن العالم الجنسي ، والدافع الجنسي ، والمعرفة ، والمستويات الخلقية ، والاعتقادات الدينية

ويهمنا أن نؤكد هنا أن النمر الجسدي والعقلي يتداخلان إلى حد كبير ، ولعل هذا هو ما عنياء عندما عرضنا في أول هذا المؤلف بعض الأخطاء التي تقع فيها إذ نحقق مطالب الطفل الجسدية وتنغاضى عن الميول والمطالب العقلية . فالتغيرات الفسيولوجية تصحبها تغيرات في الميول والسلوك . ولو اتخذنا على سبيل المثال نمو الأسنان عند الطفل لوجدنا أنها تحمل معها سلوكاً واضحاً نحو السيطرة والاعتداء بمجرد تجربة هذا السلاح الجديد بعض حيلة الثدي دون أن يقصد وقد يستمر هذا السلوك بعض الوقت لشعور الطفل بآثره في البيئة . ثم إن ازدياد الطول فجأة عند المراهقة يعطى الطفل شعوراً بالآهمية ويحركه للاعتداد بنفسه ومقاومة سلطة البالغين . وقبل أن يصل الطفل إلى المستوى الاجتماعي والاقتصادي اللذين يمكنانه من أن يقف على قدم المساواة مع غيره تأتي التغيرات الجسمية المبكرة حول الثالثة عشرة والنصف فتسوق الطفل إلى الشعور بأنه لم يعد مطالباً بالنظر باحترام إلى الكبار كما كان يفعل بالأمس ، بل هو يطالب كل الامتيازات التي تمنح للبالغين



وفي أثناء مرحلة المراهقة يتضخم الصوت فجأة وقد يتقطع في الوسط مما يدعو الكبار لالتخاذ المراهق هدفاً لسخرية خفيفة مما يدعو في معظم الأحيان للتردد والخجل والانزواء بعيداً عن الآخرين ، خصوصاً وأنه ما عاد يستطيع ان يشترك في الحفلات والاجتماعات التي كان ينظمها زملاؤه فصوته لم يعد يصلح للغناء أو الإنشاد . هذا فضلاً عن الصراع العقلي العنيف الذي تأتي به المراهقة إذ يطالبه الكبار بنفس الاحترام والخضوع بينما هو يرى أنه قد أصبح في موقف مساو لهم ، ثم إذ تندفق في جسده حيوية جنسية هائلة وهو لا يستطيع إشباعها بالطريق المشروع فهو لا يستطيع أن يتزوج كما يفعل زميله المتوحش في القبائل البدائية إذ لا يزال أمامه برنامج ثقافي طويل . وهنا يقف المجتمع المعقد والمدنية البراقة المثيرة للغريزة الجنسية شوكة في جنبه تحيل سلوكه قلقاً غير مستقر بين نوبات غضب وتصرف بكيانه ونوبات يأس واستسلام وتفكير في الانتحار

وتتأثر المراهقة بتغيرات عقلية وسلوكية من هذا النوع تقريباً تصحب التغيرات الجسدية ، فالعادة الشهرية في أول أمرها إذا لم تكن الفتاة مجهزة لها بهدوء وقليلات منا من هن مجهزة حقاً - تسبب لها ذعراً وقلقاً شديدين ، والنمو المطرد في الاطراف يفقدها كثيراً من اتوازن والضبط الحركي فتبدو وهي سائرة أمام الضيوف والجلل ، الصغير بأعضائه غير المتناسقة . يضاف الى هذا خشونة الجلد والتهابات وظهور البثور الصغيرة وكثرة العرق ، وكلها ظواهر عضوية مصاحبة للمراهقة إذ تزداد نسبة الشحم ، وكلما تدفع الفتاة للخجل والارتباك فتزعج للوحدة والاعزال والمرحان ، وأحلام اليقظة التي بتخللها التفكير في التنسك والرهينة

واذن فلننظر الى النمو كوحدة متكاملة ، ولنذكر أن النمو الجسدي تصحبه تغيرات عقلية ، انفعالية ، واجتماعية ، يبدو أثرها في السلوك . ولنهتم بهذه الأخيرة كي نفعل بالنمو الجسماني ، فن العيب ان تتسامع مع نمو المراهق الجسدي ونهيء له السبيل بالطعام والنزهات والاصطياف ثم نتجاهل التغيرات العقلية والاجتماعية التي تصاحبه أو نكبتها



أسباب النمو : كما يحتاج النبات الى عاملين هامين ليصل الى ذروة نموه .. عامل طبيعي يتمثل في تربة خصبة صالحة لنموه ، وعامل مكتسب هو الفلاح الذى يكده ويكده ليوفر له أحسن الظروف الملائمة .. هكذا يتسبب نمو الطفل عن عاملين .. عامل كامن ، وآخر مكتسب تأتى به البيئة :

١ - النضوج : فى أعمار معينة خلال مراحل النمو تتفتح صفات ومميزات خاصة كانت موجودة فى الطفل فى صورة مغلفة ، فالأحبال الصوتية لا تنهى لترديد بعض المقاطع التى يسمعها الطفل قبل الربع الثالث من السن الأولى ، والروح الاجتماعية لا تبدأ فى الظهور قبل الثانية أو الثالثة ، فالصغير يرى الأطفال الكبار يلعبون بشكل منظم Cooperative behaviour ويشكلون أدوار بعضهم البعض فى سلوك متتابع كتمثيل عائلة وزوار ، ولكنه يقف موقف المتفرج onlooker beh أو موقف من لا يهتم الأمر unoccupied beh ، بل قد ينتزع ما بأيدي بعض هؤلاء الأطفال من أدوات اللعب فى أنانية غريبة . ولكنه عامل النضوج لم يتفتح بعد ، ومن العبث أن تعلم الطفل أن يتعاون مع غيره فى هذه السن المبكرة ومما يميز ظواهر الصفة التى تتفتح عن طريق النضوج سرعة غريبة لا تقارن بتأثير عامل التمرن أو التعلم وهو العامل الثانى فى النمو ، فهذا الأخير يأتى بتحسين بطى . جدا

فالتغيرات التى تصحب المراهقة فى حالة الذكر .. ظهور الشعر على الوجه وخشونة الصوت وانخفاضه فى النبرة .. تحدث كلها فى بحر شهور قليلة وتبدو كما لو أن الإنسان يستطيع أن يلمس تطوراً من يوم لآخر . وبينما تحدث هذه التغيرات الفسيولوجية اذ بتغيرات الميول تسير فى موازاتها فى قفزات مفاجئة . فإليك لى الصبي الذى كان طيلة المرحلة الابتدائية لا يطيق أن يلعب مع البنت أو يراها وهى تلعب مع زميلاتها اذ سرعان ما يفسد هو وزملاؤه هذه الألعاب ، هذا الصبي تراه قد انقلب فجأة فى مرحلة البلوغ متعطشاً للاجتماع بالفتيات متعطشاً بثير العجب

٢ - التعلم : يعتمد النمو جزئياً على التدريب ونشاط الطفل نفسه . فتكيف الأحبال الصوتية وعضلات النطق وأعصاب الاستقبال والارسال بحيث تسمح



بالكلام لا يكفي للوصول بالنمو اللغوي الى المتوسط ، بل ان الحصول اللغوي ليتأثر الى حد ليس بقليل بعامل البيئة ؛ فالطفل الذي شاء سوء حفظه أن يوجد في منزل ناعم مدلل .. وأبوين يسارعان لاجابة مطالبه حتى قبل أن يشير بيده .. ينضج جهازه الصوتي في سن مقارب للولد المتوسط ، ولكنه يتراجع لغويا لأنه لا يتمرن على الكلام فهو لا يجد له حاجة ما دام كل شيء معدا في متناول يده والتعلم نوعان .. نوع ارتجالي يعتمد على تكرار الطفل للعمل من تلقاء نفسه بحيث ينتهي بمضى الوقت الى تحسن في سلوكه .. ونوع منظم يعتمد على الاختيار والتوجيه ووضع هدف واضح ، والاخير هو الذي تقوم به منازلنا ومدارسنا الحديثة حيث تلتزم فرصة نضوج نوع معين من الصفات كالقدرات الحركية أو اللغوية أو الخنقية أو الموسيقية لتبدأ التدريب والتوجيه في الطريق الصحيح ، كما نقوم به في الجارب التي تهدف الى تدريب الذاكرة أو التصور أو الاحساس ويخطئ من يظن أن مجال النضوج ينتهي بانتهاء الحمل وولادة الطفل ، أو ان التعلم كالمقصود على المدة التي تعقب الولادة ، فبعض التعلم يحدث والصغير بعد في البطن ، كما ان بعض الصفات تتفتح أثناء مراحل النمو المتعاقبة . وبمنا أن نشير الى تداخل العاملين الى حد بعيد ، فالنضوج هو المادة الخام التي يهذبها التعلم ، وبدونها يصبح هذا الاخير عبثا ، كما أن مدى صلاحيتها تقرر الى حد بعيد اثر التعلم وما سيقدّر له من نجاح

## دراسة أثر كل من العاملين

١ — طريقة العزل : تستخدم هذه الطريقة في حالة الحيوانات على نطاق واسع ، اذ يحتفظ بالصغير في منزل عن الابوين أو الكبار من الفصيلة بوجه عام اذ يرى هل تتأثر صفات معينة للسلوك تميز هذه الفصيلة بعدم تمهيد الفرصة للاتصال بالغير والتعلم . فإذا أردنا أن نطبق هذه الطريقة على الانسان فانا نسير على ارض زلقة .. فالاباء يحزنون لتعرض اطفالهم لتجارب يصطنع فيها نظام صارخ كهذا يحتفظ فيه بالطفل وحيدا مدة قد تصل الى سنة أو أكثر حسب ما تقتضيه التجربة .



والمجتمع لا يبرر من الناحية الدينية على الأقل النتائج العلمية التي قد تصل إليها الأبحاث ، وهل من العدل أن نتلاعب ، بالبيئة فتؤثر على فرصة الطفل لحياة مقبلة ومدى ما يستتفها من خصب وتقدم ؟

ومع هذا فقد استطاع دنيس في سنة ١٩٣٨ أن يستخدم هذه الطريقة في دراسة طفلتين توأمتين منذ نهاية الشهر الأول حتى الرابع عشر وكان يهدف بذلك إلى معرفة تأثير نقص عامل التدريب على ثلاث من حركات الضبط العضلي . . . الاقتراب من الجسم للمساك به ، والجلوس ، والوقوف .

وللتقليل من عامل التدريب على الاقتراب احتفظ المجرّب بأيدي العالمتين تحت أغطية الفراش أو مفرش المائدة ، ولم تعط لهما لعب حتى قاربتا نهاية الشهر الحادى عشر . واتبعت نفس الطريقة لتقييد حركات الجلوس أو الوقوف بالاحتفاظ بالطفلتين مستلقيتين على الظهر في فراشيهما .

إلى أى حد إذن يعمل عامل النضوج ؟ لقد قورنت نتائج هذه الدراسة بالمعايير التي جمعها دنيس عن الاطفال فى بيئات وظروف عادية ، والتي خرجت بها شيرلى من دراستها للاطفال الخمس والعشرين . ووجد أن التأخر فى حالة التوأمين عن المتوسط قليل جدا يكاد يكون غير ملحوظ خلال الأشهر التسعة الأولى . ولكن بعد هذا ظهرت آثار التقييد فى تراجع واضح سرعان ما عاد الى نصابه فى مدى قصير عندما تبيأت الفرصة للطفلتين للتمرن على أداء الحركات الثلاث .

وقد خرج دنيس من هذا بان الاقتراب والجلوس والوقوف لا تنمو أو تتحسن بدون توفير بعض الفرصة للتعلم ، واذن فهى لا ترجع الى النضوج اولا واخيرا . ولكن فى نفس الوقت اذا لاحظنا ان التدريب قد أتى بنتائج سريعة قدرنا ان النضوج هو الذى هيا الاساس للتعلم وجعل نجاحه بارزا ملحوظا .



ب- طريقه التوائم المتشابهة. استعملها اولاجيزل وتومسون سنة ١٩٢٨<sup>(١)</sup>، فقد ارفع  
الحظ في طريقهما توأمتين شقراوتين توفيت امهما وهى ايطالية فاقضى الامر  
نقلهما الى معهد لرعاية الاطفال وهما فى نهاية الشهر الاول  
والمهم لن التشابه بينهما كان عجيبا فقد نتجتا من زيجوت واحد . ولم يكن  
من السهل تفرقة واحدة منهما عن الاخرى لا فى المظهر الخارجى ولا فى تصرفاتهما  
أو حياتهما العقلية . ويرى القارىء هنا صورة فوتوغرافية للطفلتين فى الاسبوع  
الثامن والثلاثين وهما تقربان من بلية قطرها ٨ ملليمتر

وتابعت أبحاث العالمين وفى  
كل اسبوع تكتشف نواحي  
جديدة تتشابه فيها الطفلتان حتى  
اذا وصلتا الى سن تسعة اشهر خطر  
الى بال جيزل وتومسون أن  
يستخدماهما لدراسة أثر النضوج  
والتعلم ، بتدريب احدهما فى  
ناحية معينة والاحتفاظ بالآخرى  
ساكنة ، بحيث اذا قارنا بينهما  
بعد مدة معينة فكأننا نقارن الانسان بنفسه لو لم يتناوله عامل  
التدرب .



كان حسن التوفيق هنا رائعا حقا ، فهما حاول العلماء استحضار مجموعتين  
متشابهتين على أساس اختبارات الذكاء والقدرات اللغوية والميكانيكية الى غير  
ذلك فلا يمكن ان يتأكد وامن التشابه الى درجة اليقين ولا بد أن تتدخل

---

(١) راجع A. Gesell ,H. Thompson. Learning and Maturat'ion in

Identical Infant Twins. monograph From Child Behaviour and  
Develepment. Kounin and Wright Chap 13



عوامل لنحويل مجرى النتائج اما في حالة التوأمتين د ، ج ، (١) فيمكننا ان نضمن الى هذا التشابه الذى عززته الاختبارات المستمرة على الطول والوزن ومحيط الاعضاء والحساسية الجلدية ، بل ولقد حققتنا بامصال متشابهة في فاعليتها وتعرضنا لامراض عديدة منها مرض شديد الوطاة كاد يقضى عليهما ومن عجب أنهما أظهرتا نفس الاعراض والاحتقانات مما يدل على أن التشابه عميق تمتد جذوره لتتناول الحياة الداخلية كلها .

وقد خصص للطفلة د ، مدة طويلة للتدريب ، اذ استمرت ستة اسابيع يوميا منذ الاسبوع السادس والاربعين حتى الثانى والخمسين ، وفيها تمرنت على صعود السلم والتقاط المكعبات واستكشافها باليد أو تقريبا من الفم . وظلت د ج ، ساكنة لا تتمرن طيلة هذه المدة ثم بدأت تتدرب على صعود السلم بعد انتهاء زميلتها أى منذ الاسبوع الثالث والخمسين مدة اسبوعين .

اما معالجة المكعب فقد تركت فيه الطفلة د ج ، دون أى تدريب ، ولكن طريقة سلوك كل منهما عند نهاية المدة كانت متشابهة الى حد كبير ، كما اتضح من الاشرطة السنائية التى أخذت ثم عرضت عرضا بطيئا فاتضح منها أن طريقة الجلوس وميل الجذع ومد الابدى ومدى تخصص عمل الابهام . مقابلا للاصابع الاربعة كلها واحدة تقريبا . ولو شئنا التحديد اقلنا انه من بين ٦١٢ قصفا من اقسام السلوك الملاحظ ، وجد أن ٥١٣ متشابهة تماما ، والباقي يبرز اختلافات لا يعتد بها .

وهكذا وجد جيزل وتومسون بعد المقارنه حقيقة مذهشة ، هى أن الطفلة ج بدأت تصعد السلم في الاسبوع الثانى والخمسين دون مساعدة ، مع العلم بانها لم تتدرب مطلقا ؛ فضلا عن أن زميلتها قضت اسبوعين في مبدأ تدريبها وهى هاجرة عن الصعود بمفردها يضاف الى هذا أن الاولى وصلت في اسبوع ونصف الى منتهى ما وصلت اليه زميلتها من نجاح .



وقد ذاع صيت هاتين التوأمتين فلجاستراير الى محت الجانب اللغوى مستفيدا منهما ، وكان هذا ابتداء من الاسبوع قرابع والثمانين أى وهما على عتبة اكتساب اللغة ، فهياً للطفلة د ت ، برنامجاً للتدرب على الكلام من بدء الاسبوع الآنف الذكر الى نهاية الثانى والثمانين ، ولم تبدأ زميلتها د ج ، الا فى الاسبوع التالى واستمرت أربعة أسابيع فقط

وقد وجد أن فرق النضوج فى مصلحة الطفلة د ج ، كان له اثر واضح ، فلقد اتسع حصولها اللغوى بعد تدريب متأخر وزاد بمقدار ٧ كلمات عن زميلتها بعد مدة مساوية من التدريب . . ولو أن هذه الاخيرة كان نطقها أوضح ، وأغلب الظن أن هذا راجع الى حصولها على مدة أطول من التدريب على ترديد الكلمات .

وكان من نصيب هاتين التوأمتين أيضاً أن تعملوا مع هيلجارد لدراسة تأثير التدريب على الاختبارات العددية واسماء الاثاث والاجسام ، والاختبارات الحركية المعقدة كاللقاء الحلقات على العمى والسير على عوارض رفيعة من الخشب . وقد تعطل تدريب الطفلة د ج ، ثلاثة اشهر فلم يبدأ هذا التأخر قد أثر على إنتاجها فى هذه النواحي ، بل ان قليلاً من التدريب كان كافياً فى مرحلة متأخرة لتلحق بالآخرى وتتفوق عليها بعض التفوق الذى يتناسب وازدياد السن . فلما أعيدت التجارب بعد ثلاثة اشهر ثم ستة وجد أن الانتاج واحد .

وقد استطاعت السيدة ماك جرو سنة ١٩٣٥ أن تستعين بالتوأمتين جيمى وجونى (١) لدراسة اثر التدريب على الضبط الحركى ، فوجدت أن جيمى الذى عزل فى فراشه أثناء تدريب زميله لم يتراجع فى حركات الحبو والزحف والجلوس والوقوف ، ولكن تأخر فى حركات القفز من عوارض خشبية والزحلق ، وتنظيم وضع العلب أو الصناديق للوصول الى لعبة عالية ، والسباحة ، وركوب دراجة ذات عجلات ثلاث . وقد خرجت ماك جرو من هذا بان الوظائف التى تمس تراث

---

(١) نال جيمى وجونى من الاعتراضات ما ليس بالقليل ، وخاصة من نيومان على أساس أنهما لم ينشأ من وبضة واحدة .



الجنس كله ، أى النوع الأول phylogenetie ، لا اثر للتدرب فيها ، بعكس الحركات والوظائف الفردية ontogenetic

وعلى العموم فاذا كانت طريقة التوائم هذه تعطينا معلومات علمية صحيحة من حيث ضمان التشابه ، فهناك من العقبات العملية ما يبدى قصور هذه الطريقة إذ لا يمكن الاحتفاظ بأحد التوأمن ساكننا لا يتدرب أكثر من سنى الطفولة المبكرة ، وهنا تقف هذه الطريقة عاجزة عن أن تمتد بالدراسة إلى أكثر من حركات أو وظائف تميز الاطفال الصغار (١)

ج . طريقة المجموعات المتشابهة : هى تطبيق للطريقة السابقة على نطاق

واسع ، استخدمها هيلجارد سنة ١٩٢٢ فى مجموعتين من أطفال مدارس الحضانة متشابهتين فى العمر الزمنى ، والعقلى ، والجنسى ، والقدرات المبدئية على الصعود والقص وتثبيت الازرار . وقد تدربت احدى المجموعات ١٢ اسبوعا واقتصرت الثانية على التدريب ٤ أيام تدربا واسيع المدى فى الاربعة الايام الاخيرة من الاسبوع الثانى عشر . وقد وجد ان هذه المدة كافية للوصول بها الى مستوى الجماعة الاولى . وإذن فهناك عوامل أخرى غير التدريب المخصص لكل عمالية ، هناك عامل النضوج والتمرين العام على وظائف مترابطة فهى تغطى فى فاعليتها على طول الزمن الاول

وبنفس الطريقة درس هيكس أثر التدريب المخصص على إصابة أهداف متحركة ، وتبعه جيرزلد على اطفال بين سن الثانية والحادية عشر متخذوا القدرات الحركية والعقلية والموسيقية أساساً ، ومنها خرجنا بانه إذا كان هناك فرق فى مصلحة الاطفال الذين دربوا من أول الامر فهو فرق طفيف ومؤقت .

(١) يقول جيرزلد وتومسون إنهما ظلا على اتصال بالتوأمتين للبحث والتجريب ١٤ سنة ، وانكأ نشك فى إمكانها الاحتفاظ باحدهما بعيدة عن الاتصال الاجتماعى أو غيره من ميادين التجريب طيلة هذه المدة . !



د . الدراسة المتتابة للمجموعات الكبيرة : لو أخذنا مجموعة كبيرة العدد من الأطفال من بيئات مختلفة ، خضعوا فيها لأنواع متعددة من التعلم يبرز فيها أثر ثقافة الوالدين أو غناهما في أحد الاولاد والعكس في آخر ، ثم اتضح من قياس هذه المجموعة على فترات متتابة أن أسلوب الترقى في السلوك الحركى او اللغوى أو الاجتماعى متشابه فى أساسه ، حتى لو اختلف قليلا فى التفاصيل ، فلنا أن نقول ان مثل هذه الأنواع من السلوك غير مكتسبة وإنما هى نتيجة تفتح صفات مغلفة .

وقد سبق أن اشرنا الى دراسة شيرلى خمسة وعشرين طفلا خلال السنتين الاوليين تابعت فيهما الملاحظات والاختبارات ، وقد خرجت منها بان هناك مناحى معينة من السلوك تظهر فى نظام يكاد يكون محدد ومتشابهة للكل ، حتى فى حالة الأطفال الاذكياء أو المتراجعين عقليا ، فهم وإن اختلفوا فى الزمن الا انهم يريدون أن يخطوا باقدامهم فى محاولات بادئة للشئ ومعتدين على السكبار أو الاثا قبل أن يسيطروا على حركات الوقوف بمفردهم فى وسط الغرفة ، كما أن صعود السلم يسبق القدرة على هبوطه .

نتائج الابحاث : واضح من العرض السريع للابحاث المشار اليها آنفاً أن مدى نجاح التعلم والتدريب يعتمد على النضوج ولعل هذا يرينا انا فى حاجة لقائمة تتابع عليها الاعمار التقريبية التى عندها تتوقع ظهور نواحي السلوك المتعددة ، وهكذا يمكننا أن نبدأ التدريب فى الوقت المناسب وبالتتابع الذى تسير فيه الوظائف .

فاذا اضمنا الى هذا ما خرجنا به من أن الوظائف المشتركة بالنسبة للجنس الأدمى كالزحف والحبو والجلوس والوقوف والمشي ( تجربة ماك جرو ) لا تتأثر بالتدريب المخصص لكل حركة ، بل ان قعها والوقوف فى سبيلها لا يأتيان الا بمعدل طفيف لا يحس ، فاذا تمهأت الفرصة للطفل لتركازها من تلقاء نفسه نحسن سلوكه وغطى النقص كاه ، بينما فى حالة الوظائف الخاصة



لكل فرد كالقفز من ارتفاعات معينة ، والتزحلق ، والسباحة ، والتوازن ، نحن في حاجة لتدريب منظم يأتي بأحسن نتائج لو تكامل اتساق الحركات الأساسية ، اذا تذكرنا كل هذه الحقائق عرفنا مدى تداخل عاملي النضوج والتعلم ، وهدي أهميتهما من وجهة التربية .

نحن في حاجة اذن لمعرفة العمر الذي عنده نبدأ التدريب ، وفي أى اتجاه نسير به . فاذا بدأ هذا الاخير والطفل لم يكتمل بعد في هذه الناحية فهو مجهود ضائع من ناحيتنا ، فضلا عن أثر الاجهاد غير المثمر على الطفل . وكما من اطفالنا يصابون بالارق والعصبية والتشنج وتقاصات الوجه وارتعاش العضلات نتيجة لتلك الحى الشنيعة التى نسوقهم فى تيارها فنندفعهم لاتقار حركات الامساك بالفنجال أو الملعقة أو تقطيع الطعام بالشوكة والسكين .. أو ارتداء الملابس وتثبيت الاضرار حتى الخلفية منها .. كل هذا واعصاب العين وعضلات الاصابع الدقيقة لم تنضج بعد لتعين الطفل على النجاح .. بل وكما نرى لدى هذا وذاك لكى يقبل طفله فى رياض الاطفال أو المرحلة الابتدائية قبل السن المعينة بشهور ، فهذا فى نظرة كسب كبير .. وهكذا ندفع الطفل لتدريب معظمه ضائع فى حركات النطق والهجاء ، والكتابة الدقيقة على سطور رفيعة والاستدكار .

واذا كانت بوادر النجاح تدفع الواحد منا لمضاعفة العمل فان شبح الفشل قد ينتهى بسلوك من العناد والتحفز من جانب الصغير ، وكلها عناصر مقاومة للتعلم . فلنذكر انا فى حاجة لدراسة النمو ، فهو يرينا الى جانب ما نخرج به من الحقائق أن العضلات الكبيرة كالسكف والذراع تنضج قبل الاعضاء الدقيقة كالمعصم والاصابع ، فمن العبث أن تعطى طفلك قلبا رفيعا وتدعوه لتقليد ما تسكتب فوق سطور كراسة منتظمة قبل أن ينال الفرصة الكاملة للتخطيط بقطعة من الطباشير فوق سبورة أو لوح كبير ، ثم ينتقل منه الى الطباشير الملون على كراسة « الباستل » ، ومن العبث أن تعلمى طفلك الحياطة بالابرة والفتلة قبل أن تنهى لها الفرصة لنظم « خرز » وأوسع فى اشرطة ملونة تعملها اسورة أو عقدا .



## الفصل الثاني

### حقائق عن النمو

يبدأ الطفل حياته خلية مكرو سكوبية دقيقة ، ثم اذا به يصل بعد ٢٨٠ يوماً تقريباً الى مخلوق يزن ٨ أرطال وطوله ٢٠ بوصة على وجه التقريب . ومن المؤكد أن النمو هنا سريع جداً ، فإذا عرفنا أن الطفل ساعة الميلاد عبارة عن ثلاثة اعشار ما سيكون عليه في الثامنة عشرة تقريباً فكأنه يقطع في تسعة أشهر داخل البطن ثلث المسافة تقريباً الى مرحلة الاكتمال

هذه السرعة في النمو تستمر خلال السنوات الثلاث الأولى إذا استثنينا الأسبوعين الأولين اللذين يعقبان الميلاد ، إذ تحدث حركة ركود ناتجة من صعوبة تعود الطفل وتكيفه للبيئة الجديدة . ويكفى أن يقارن الأب طفله في نهاية هذه السنوات الثلاثة الأولى بحالته ساعة الميلاد .. ، انك لتكاد تراه وهو ينمو من أسبوع لأسبوع .. ! ويصاحب هذا نمو سريع في الناحية العقلية .. ، هناك بناء لمحصل لغوى .. واستخدام للتخيل الى أقصى حد .. وتكوين لميول جديدة تتصل بالعالم الخارجى .. وسلوك اجتماعى يغير ذلك الذى كان يميز العابه حتى الثانية اذ كان يلعب وحيداً أو يهتم بما معه

وتتناقص سرعة النمو قليلاً بين الثالثة والسادسة ، فإذا ما قارب الطفل هذه السن الاخيرة أبطأ نموه كثيراً طيلة المرحلة الابتدائية وهنا تنصرف حيوية الاطفال المخترنة الى صقل حركاتهم وعضلاتهم الدقيقة فتجد فناء المدرسة الابتدائية يمزج بالصبيان وهم في حركة دائمة .. يتبارون فى الجرى والتسلق والقفز .. ويتنافسون فى الاتزان فيقفرون على قدم واحدة ... يطيطرون الطائرات من الورق أو يلعبون البلى .. ، حتى اذا بدا فجر المراهقة تنابع النمو فى حمى عجيبة طيلة سنوات ثلاث تقع تقريباً ما بين الثالثة عشرة والسادسة عشرة مع



سبق قليل في حالة الإناث ، فيضيع الاتزان الحركي الذي تعب الصبي في تركيزه في المرحلة السابقة ، وتنصرف الحيوية كلها الى النمو السريع ، فترى غلمان المدرسة الثانوية في سنيها الاولى يتحركون في الفناء في خمول وتكاسل . تجددهم فرادى أو على أحسن الفروض أزواجاً ، فإن الواحد منهم ليخشى أن يتحدث لثلاث يصدر صوته أجش مضطرب النبيرة

وبعد هذا يبطئ النمو في السنتين أو الثلاث التالية حيث يقترب الفرد من مستوى النضوج فيعود الفتى الى ميدان اللعب مرحاً نشيطاً . والى المجتمع فيتماسك مع زملائه في حبة متينة . . ، هو يغرق في الالعب العنيفة كالملاكمة والمصارعة وحمل الاثقال والعب القوى ففيها يجد منفذاً لذلك الدافع الجنسي الذي يتخلل كيانه ، أو الالعب الجمعية التي تخضع لشروط وقيود منها مكان اللعب وملابسه وقوانين اللعبة ففيها يجد فرصة للتجمع وبذل الجهد في سبيل هدف مشترك

وسنحاول أن نسوق للقارىء هنا بضع حقائق تميز النمو على اساسها قد تبين عدة نقاط توجه طريق التربية :

أولها - أن النمو يتبع نمطاً معيناً : فكل مرحلة نتيجة لسابقتها ، وهي في نفس الوقت مقدمة لما يأتى بعدها . وعلى العموم نجد أن الضبط الحركي والتحسين في أجهزة الجسم يسدآن أولاً في الرأس ثم يتقدمان الى الاجزاء الابدع فالابدع فالحساسية الجلدية مثلاً تبدأ في الجزء الاعلى من الجسم على العموم قبل أن تظهر في الاسفل . ويلاحظ هذا لو وخزت الطفل بعد ست ساعات من الولادة بدبوس في صدغه ثم في الارداف ، واخيراً في السطح الجانبي للقدمين

ويلاحظ هذا التابع في الوظائف الحركية أيضاً . فإذا استلقى الطفل على بطنه ففي إمكانه أن يرفع رأسه بعضلات رقبته قبل ان يرفع صدره بذراعيه وععضلات الجذع ، أو قبل أن يجلس . كما يمكنه أن يتحكم في عضلات الجذع



قبل الذراعين والساقين ، وعضلات هذين الآخرين قبل اليدين والقدمين .  
وحتى الموهوبون وضعاف العقول يسировون في هذا النمط ولو في سن مخالف  
للطفل المتوسط

ثانياً — يسير النمو من العام الى الخاص : يبدو هذا في أول الامر في  
تأثرات الطفل العضلية . فالطفل الحديث الولادة يلوح بذراعه كله في حركات  
عشوائية قبل أن يحرك الساعد أو اليد ليتناول شيئاً . وهو يرفس بساقه قبل  
أن يحدث التناسق العضلي الذي يمكنه من الزحف أو الحبو أو المشي . والطفل  
يرى الاشياء الكبيرة قبل الصغيرة ، لان حركات عينيه لم تنسق بعد بحيث  
يمكنه أن يركزهما على الاجسام الدقيقة

وبنفس الطريقة يمكننا أن نلاحظ أن الطفل وهو يمد يده ليمسك بجسم  
معين وهو مستلق على الظهر فان الامر لا يقتصر على استعماله كلتي يديه بل  
هو يحرك ساقه وجسمه كله في مجهود عام ، فاذا تكاملت للطفل ستة أشهر  
استطاع أن يقتصر على استخدام اليدين ، وبعد هذا بثلاثة أشهر يمكنه ان  
يقنع بيد واحدة

وهو اذ يتعلم عملاً جديداً كارتداء ملابس ينشط جسمه كله في حركات  
معظمها طائش ، وبالتدريج يقتصر النشاط على اليدين . ثم هو اذ يتكلم يصدر  
أصوات عامة قبل ان يخصصها الى مقاطع ، تماماً كما يبني الطفل محموله اللغوي  
فيبدأ بتعلم كلمات عامة ، فهو يستعمل مثلاً لفظة لعبة ، لجميع اللعب التي تعرض  
عليه قبل أن يفرق الدمية عن الحصان أو الشخشينة وهكذا

وهو في تكوينه للأفكار يميز أولاً بين الاحياء والجماد ، ثم يميز من النوع  
الأول الادميين والحيوانات ، وبعد هذا يتعرف أنواعاً من الادميين كالجنس  
الابيض والاسود والاحمر والاصفر .. وأخيراً فهو من كل منها يميز شعوباً  
وأعراقاً معينة



وحتى في السلوك الانفعالي يتأثر الطفل ازاء الاجسام الغريبة أو الاصوات  
الحادة بانفعال عام للخوف هو واحد في كل الحالات يصحبه انقباض الاصابع  
وتوقف التنفس برهة وجيزة يتبعها تنفس سريع ، وإغماض العينين في حركة  
مباغثة . وبعد مدة يبدأ خوفه في التخصص وتبدو فيه أنواع مختلفة من السلوك  
حسب اختلاف المواقف ، فهو في احداها ينزوى ويدفن رأسه في حجر امه ،  
وفي أخرى يصرخ ، وفي ثالثة يهرب ، واذا كبر فقد يغمى عليه ازاء موقف  
مرعب ، وهكذا

ثالثا - النمو عملية مستمرة لا تنقطع : إذا كنا سنستخدم عند عرضنا  
لنمو أسماء لمراحل كمرحلة العصابات ، أو الطفولة المبكرة ، أو المراهقة ،  
فليس معنى هذا أن هناك أوقات محددة تتميز بنوع معين من النمو يختفى في  
مرحلة أخرى ليفصح المجال لغيره

ولقد يظن البعض أن ظهور مجموعة الأسنان الأولى خلال السنين المبكرة  
من حياة الطفل يوحي بأنها قد نمت فجأة ، ولكن الواقع أن الأسنان تنمو  
في الشهر الخامس عند الجنين في البطن ، ولو انها لا تخترق اللثة إلا بعد مرور  
خمسة أشهر بعد الولادة . ثم ان الكلام لا يأتي بين يوم وليلة بل هو يتطور  
بالتدريج من الصرخات والاصوات المتتافرة التي يصدرها الطفل منذ أول  
عده بالحياة . إن سرعة النمو تختف من مرحلة لاخرى كما بينا في أول هذا  
الفصل ولكن ليس هناك انقطاع

وقد تفيدنا هذه الحقيقة إذ نذكر آباءنا الذين يتهاونون في معالجة بعض  
مسائل أو موضوعات يستوضحها الطفل على اساس أنه لم ينضج بعد ليفهمها .  
وكم من الآباء والأمهات عندنا لا يجيبون الطفل عند ما يسأل أسئلة جنسية  
مثل : أنا جيت أزاى ، أو : ليه الديك واقف على الفرخة يا ماما ؟ ، اعتقاداً  
منهم بأن العالم الجنسي مغلق بالنسبة للطفل ما دام لم يصل للبلوغ . بل وكم  
من الآباء والأمهات يتورطون في علاقات جنسية في غرف يشاركون فيها

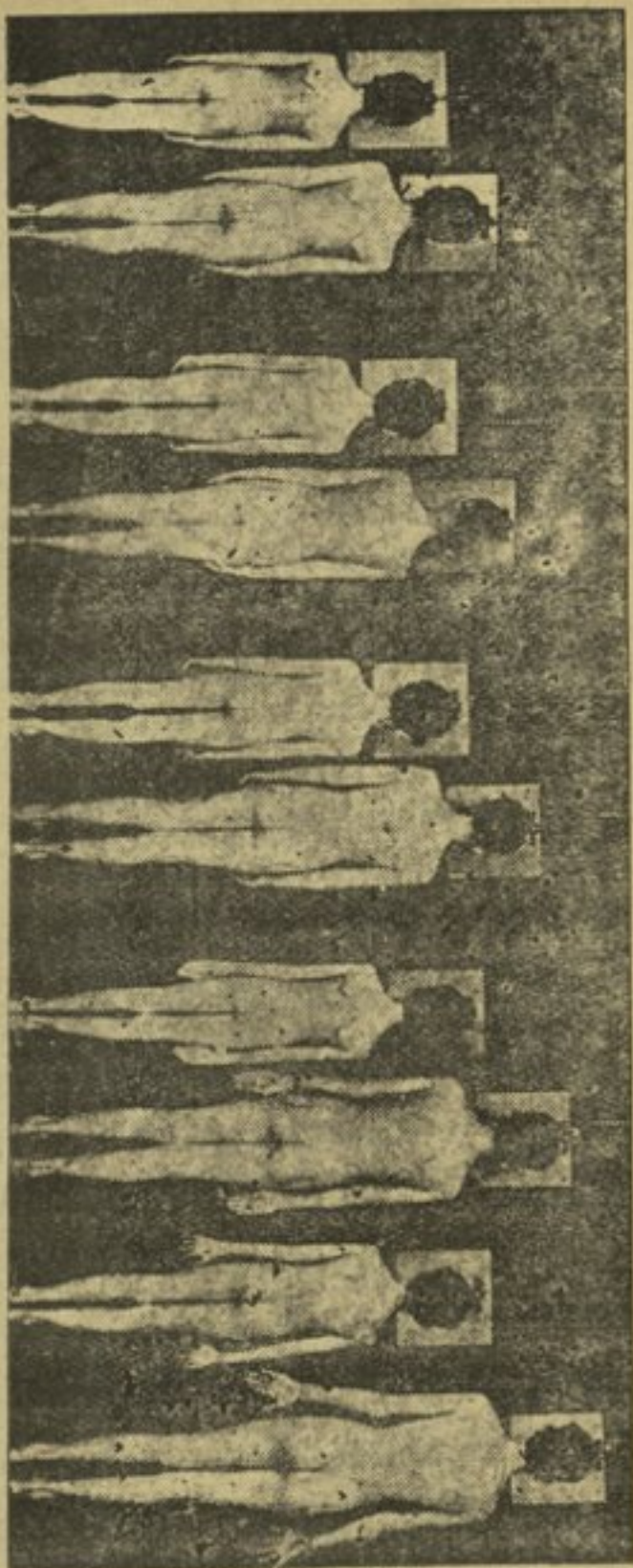


أطفالهم الصغار ، اعتقاداً منهم بأن النمو الجنسي لم يبدأ بعد  
ربما كان من المفيد أن نؤكد لهذا العدد الكبير أن النمو الجنسي  
كغيره من مرافق النمو لا يظهر فجأة في مرحلة المراهقة كشبح ينتصب من  
الظلام . . . ، وتسكفي ملاحظة بسيطة للطفل لتثبت اننا أنه منذ السنة الأولى  
كثيراً ما يصحب التصاقه بأمه أثناء الطعام واحتضانها أو احتضان أبيه له في  
مناسبات متعددة انتصاب العضو التناسلي . وسواء أكان هذا تفكيراً  
جنسياً أو لم يكن فسرعان ما يتساءل الطفل عن العالم الجنسي تماشياً كما  
يستطلع أى ميدان آخر .

رابعاً : ثبات الفروق الفردية في سرعة النمو : كانت الفكرة الشائعة الى  
عهد قريب أن الطفل الذى يبدأ حياته أقل من المتوسط في الناحية الجسمية  
أو الذى يبدر عند دخوله المدارس متراجعاً عقلياً قد يلحق باخوانه في  
مرحلة مقبلة ، فلقد تاق المراهقة بتغيرات واستطالة سريعة تصل بالغلام  
الضئيل الجسم الى مستوى اشقائه أو زملائه العاديين  
ولدينا من الأدلة العلية في الوقت الحاضر ما يجعلنا ندحض هذه الفكرة  
فاذا لم يكن تراجع الطفل الجسماني أو العقلي نتيجة عامل عارض كخلل في  
افراز الغدد ، أو نقص في التغذية والظروف الصحية ، أو تسرب السموم  
الى الدم نتيجة لامراض اللوز أو الزوائد الانفية ، فاعلم الظن (١) انه  
سيحتفظ بسرعة نموه فاذا كان الصبي قبل المراهقة نامياً ونشطاً فهناك احتمال  
كبير ان يخرج منها فتى طويل القامة بادي القوة والعكس صحيح  
وقد أجرى بولدوين سنة ١٩٢٢ أبحاثه على عدد من الاولاد والبنات  
بين السادسة والثانية عشر فوجد ان معامل الارتباط في حالة الطول في هذه

(١) قد يكون لدى القارىء أمثلة مناقضه ، ونحن لا ننفي وقوع بعض  
الحالات الفردية ، فلقد يضم مستشفى الأمراض العقلية من كان في حداته  
في طليعة زملائه





الصبي النامي قبل المراهقة يخرج منها بادی القوة ، والمكس صحيح



الاعمار يصل الى ٨٢٥ و. زائدوناقص ٣٦ للاولاد و ٨٠٧ و. زائدوناقص  
٢٧ و. بالنسبة للبنات . وقد جاء تيرمان بعد هذا بأربع سنوات يبحث القيم  
على الأطفال الموهوبين وتبعه جيزل في هذا المضمار بعد سنتين فأثبتا بما لا يدع مجالاً  
للسك أن العلماء والمخترعين العباقرة كانوا طيلة الطفولة أعلى من المتوسط بكثير.  
وبنفس الطريقة وجدنا أن المعتوهين لم يلقوا بزملائهم منذ كانوا أصغاراً بل  
ان ما حدث على العكس من هذا هو أن مر السنين لم يزد تراجعهم العقلي  
إلا حدة وظهوراً وبرى القارىء في الصفحة السابقة تطبيقاً لهذه الحقيقة عند  
الضئال قبل المراهقة والنامين

إن هذه الحقيقة تقوى من قبضتنا نحن المربين على الطفل الى حد كبير !..  
فاذا كان للسنوات القليلة الاولى من حياة الطفل كل هذا الاثر على الحياة المقبلة  
كلها - الى جانب عامل الوراثة بطبيعة الحال - فأى دور ذلك الذى تلعبه  
التربية وهى تفسح له السبيل للحياة الحقة منذ اول عهده بها ، واية أهمية  
نعلقها على الابوين وهما يضطلعان بأسمى دور من ادوار حياة وليدهما الصغير  
فهما اللذان ينقلان اليه صفاتهما المتوارثة عند التلقيح ، ثم يرعيانه وهو بمد  
نقطة دقيقة فى عالم مضطرب حتى يخرج الى نور الحياة !..

كم منا يعالج هذه المرحلة المبكرة بحرص واعتناء...، هنيئاً لمصرنا العزيزة  
ذلك الجيش الضخم من الشبان والفتيات الذين يسكنون « الجيل الحديث »  
ويخرجون الى الحياة وقد امتلأت أذهانهم بأفكار عصرية جلبتها المدينة عن  
ضرورة تحديد النسل ومواجهة الصعوبات الاقتصادية ، وهكذا لا يكاد  
الزوجان الشابان يستقران فى حياة منزلية حتى يوجها همها الى تجنب إنجاب  
الأطفال ، فاذا لاحت بوادر الحمل سارعا الى استشارة كبار الاطباء ، واخشى  
أن أقول عجائز العائلة والمجربين ، وتوالى الاقتراحات ومنها أشعة إكس  
والراديوم من ناحية ، والوصفات البلدية كالنبيذ الساخن من ناحية أخرى ،  
ولكن الجنين يستمر فى النمو مع كل هذا فتستقر السيدة للاعتناء به ولكن  
بعد فوات الوقت !..



ان معلوماتنا العلمية عن تشوه الجنين الأدمى قليلة ، فلا يمكن أن نخضع جنين الانسان لظروف وتغيرات كيميائية لنلاحظ النتائج كما نفعل في حالة الحيوانات حيث يمكن بسهولة انتاج مخلوقات ذات رؤوس عديدة أو عين متحورة باستخدام مؤثرات كيميائية ككلورور المغنسيوم أو الاشعة فوق البنفسجية أو تقليل الاوكسيجين وقد تقسم هذه التشوهات في الانسان الى نوعين : داخلية intrinsic وخارجية extrinsic ... فالاولى ترجع للوراثة أو الخلل يصيب واحدة أو أكثر من الغدد . فالوراثة قد تسبب وجود اصابع إضافية في اليدين أو القدمين ، بينما ارتباك افراز الغدد قد تكون نتيجة ضخامة الطفل وطول العظام لدرجة مروعة ، أو ضآله حجمه الى حد غير عادي ، وأسوأ الضرر هو ما تحدثه الغدتان الدرقية والنخامية .

أما الأسباب الخارجية فنتيجة اضطراب في المشيمة لقلة الفيتامينات أو المواد المعدنية أو السموم في دم الأم ، كما قد يسببه انقباض الرحم وتهيجه نتيجة محاولتنا لقتل الجنين وهذا هو ما نحن بصدد الان .

ولكن اذا كانت معلوماتنا العلمية من هذه الناحية قليلة كما قلنا ، فنحن على ثقة من أن خطر حدوث التشوه الجسدى أو العقلى للجنين هو على أشده في الاسابيع المبكرة حيث لا يزال مرناً ليناً وهكذا تأتى محاولتنا المبكرة للقضاء على الحمل في هذا الوقت العصيب فتعمل عملها في دقة وإخلاص ! .. إن سجلات مستشفياتنا حافلة في السنين الاخيره بما يصحب الولادة من مآس .. ولقد كثرت حالات الاجهاض والتشوهات بالرغم من ازدياد العناية الطبية ، والفضل في ذلك راجع بحمد الله الى ما تجلبه المدينة ومجتمعنا الحديث من أفكار وتعقيدات اقتصادية ، فضلاً عما تأخذ به فتياتنا اليوم من أحذية عالية واحزمة وكورسيهات .. مما يسىء الى الاجهزة التناسلية والحوض أيما اساءة .

ويظهر أثر كل هذا على الطفل . وكم من منازل نالت من الثقافة والمدنية القدر الوفير ترزق اليوم «بمخلوقات» مترجمة تراجعاً واضحاً قد يكون دائماً



للاسف نتيجة لضعف أو خلل في الخلايا الذكورية أو البويضة كآثر من آثار الأمراض السرية ، أو المشروبات السكحولية ، أو إدمان التدخين . . أو قد يكون كما قلنا نتيجة لمحاولات لقتل الجنين أو تشويه أجهزه الأم . يستقر الزوجان بعد هذا للعناية بالطفل ، وقد تراودهما آمال عديدة عن امكان لحاقه بأشقائه أو زملائه ، ولسكننا نود لو نؤكد لهم على ضرورة الادلة العلمية وواصل اليه تيرمان عن الموهوبين وميد عن ضعاف العقول أن الحالات الدائمة لن تزيد إلا حدة والهوة اتساعا بمرور الزمن .

خامسا - الاعضاء المختلفة لانتمو بسرعة واحدة : هي نتيجة للفكرة التي

سبق عرضها من ان الطفل ليس «مصغر رجل» . فبعض الاعضاء كالمخ يصل تقريبا الى الحجم الكامل من سن سنتين الى ثمانية ، ولو أنه يتغير بعد هذا في التلافيف واللحاء ومكوناته الداخلية . بينما الاقدام والايدي والانف تصل الى اقصى نموها في اوائل مرحلة المراهقة ، كما أن هذه المرحلة هي موعد النمو السريع للقلب والرئتين والجهاز الهضمي والاجزاء الظاهرة للجهاز التناسلي ووضح من هذا القدرة على التخيل ، فهي تنمو بسرعة كبيرة في الطفولة وتبدو كما لو أنها تصل للذروة في الصبا ثم تعود الى التحدد والانكماش ، وحتى في الذاكرة نجد ان الذاكرة للأجسام المحسوسة والحقائق تنمو اسرع من الذاكرة للأشياء المجردة والمادة النظرية ، أما الذكاء العام فيستمر في النمو ليصل للذروة حول السادسة عشرة .

سادسا يمكن في معظم الحالات التنبؤ بمستقبل الطفل : هذه الفكرة وليدة

النقطة الرابعة ، فاذا كانت سرعة النمو ثابتة لكل طفل فإننا نستطيع في سن مبكر ان نحدد بالتقريب المدى الذي سيصل اليه الطفل عند اكتمال نضوجه ولسنا في حاجة للافاضة في فائدة هذا في وضع نوع معين من التربية للطفل ومساعدته للتدرب على نوع من العمل هو أصلح له من غيره كما يعتمد الغربيون كثيراً على هذه الحقيقة عند اختيارهم الأطفال للتبني



وقد وجد جيزل أنه في ٨٠ في المائة من الحالات كان التقدير النهائي بعد الملاحظات والابحاث لنمو الطفل يتمشى مع الرأى الاول . ولم يشذ من بين ٢٢ حالة وضعها جيزل من أول الامر على انها حالات ضعف عقلى سوى واحدة وقد عزز هذه الحقيقة تيرمان حيث درس حالة عطاء الرجال والنساء الذين عاشوا منذ سنة ١٤٥٠ ، سنة ١٨٥٠ ، فوجد أنهم كانوا متفوقين كثيراً في الطفولة

سابعاً - معظم صفات ومظاهر النمو مترابطة : كان المظنون الى عهد قريب ان التمويض ، قانون يسرى على الاطفال في نموهم ، فالطفل المتراجع في ناحية كالنمو العقلى مثلاً هناك احتمال كبير ان يعوض هذا بأن يكون ذا صحة جيدة أو قدرة ممتازة على الاشتراك الاجتماعى ، أو احدى القدرات الخاصة كالإيكانيكية أو الفنية . ولكن الامر على العكس ، فضعاف العقول ينحون نحو ضآلة الحجم ، والمعتريهين أو المأفونون هم أعضال الناس جسداً . وبنفس الطريقة وجد ان الذكاء المرتفع يتمشى مع النضوج الجنسى المبكر ، ولو ان هناك عوامل مناخية وجنسية واقتصادية يجب ان ندخلها فى حسابنا

ثامناً - كل مرحلة نمو تتميز بصفات خاصة : اذا كان النمو عملية مستمرة

كما أشرنا فان هناك صفات تبرز فى اعمار معينة لتغطى عليها غيرها فى اوقات أخرى فالنمو الجسمانى فى حالة الجنين ، والطفل فى سنه المبكرة حتى الثالثة ، والمراهقة ، يلعب دوراً أهم بكثير مما يصاحبه من المميزات حتى ليلون عدة صفات عفاية

وبنفس الطريقة نجد الترقى الاجتماعى يميز الطفل من الثالثة حتى الثانية عشرة ، وعدم التضبط العضلى يميز المراهقة .. بينما مرحلة البلوغ تتميز بحب الظهور واصطناع الحركات الصارخة كالصفير والقهقهة والملابس ذات الالوان الباقة

تاسعاً - لكل مرحلة مظاهر سلوكية غير مستحبة تنتهى بانتهائها :

كثيراً ما يحدث أن الآباء لجهلهم يمثل هذه المظاهر غير المستحبة التى يتوقع حدوثها فى سن معينة بألمون أشد الألم ويشعرون أن حياة الطفل ستتخطم



تماماً فيحاولون ما في وسعهم للتغلب عليها ، وهكذا يزداد تعقد السلوك وشدوده . ومن أمثلة هذا « الكذب الخيالي » الذي أشرنا اليه في حالة الطفلة التي تقص قصصاً خيالية ، أو الخوف من الظلام . . . هذه مراحل تنتهي من تلقاء نفسها كلما قلت سيطرة الخيال على الطفل وكلما ازداد عرفانه بالحقيقة .

وكثيراً ما نرى الطفل العادي من سن خمسة الى سبعة يغرق في القذارة ، وكأنما يقول « لم أتعب وأهتم بالاستحمام أو غسل يدي مادمت سأنسخ بسرعة » . وبينما يقلق هذا الاتجاه أمه قلقاً كبيراً نجد ان الطفل من تلقاء نفسه يتأرجح الى نهاية الطرف الآخر فيصبح مهتماً بمظهره الخارجي ، أنيقاً الى أبعد حدود الاناقة ، يختار لون ملابسه وربطة رقبته بمنتهى الدقة والعناية حتى لقد يتعطل عمله المدرسي فتقلق الأم ثانية لئلا يصبح « عايق زى البنات » . . . ! ولكن ينبغي ألا نخشى شيئاً ما دمنا لا نتدخل لقمع السلوك في كل حالة ، فستستمر هذه المرحلة في سني المراهقة لتترك الفتى شاباً عادياً متزناً .

### العوامل المؤثرة على النمو

لا يغربن عن بال القارىء ان هذه المعايير التي سنضعها في الفصول القادمة ليست ثابتة محددة الأركان ، ويهمننا ان تحتفظ بمرونتها ، فلا بد ان يتاح السبيل للنمو الفردي ، فضلاً عن ان النمو يخضع لعدة مؤثرات قد تجعل طفلك يخالف قليلاً ما سنعرضه ، وأول هذه المؤثرات :

الذكاء : فالطفل الذي يحظى بذكاء أعلى من المتوسط يتميز بنمو سريع بينما الطفل المتأخر في الذكاء بطيء أيضاً في النمو وينطبق هذا أيضاً على سن النضوج الجنسي ، فالموهوبون ينضجون عاماً أو اثنين قبل المتوسط والمعتوهون قد لا ينضجون مطلقاً . وقد درست عمليات المشي والكلام عند اطفال كثيرين وقارنها تيرمان بالمجموعة المنتخبة لاطفاله العباقرة فخرجنا من هذا بالرسم



البياني الآتي، حيث يعرض (١) متوسط وزن الاولاد عند الولادة بأرباع الارطال (٢) متوسط وزن البنات (٣) النسبة المئوية لمن رضع من الأم ثمانية أشهر فأكثر (٤) سن بدء المشي بأنصاف الاشهر (٥) سن بدء السكلام (٦) النسبة المئوية للاولاد في سن ١٢ سنة ظهرت لديهم علامات البلوغ (٧) النسبة المئوية للبنات قبل سن ١٢ سنة ظهرت لديهم العادة الشهرية .



ثانياً: التغذية : لا نزاع في أن هذه العامل ، وعلى الاخص في السنين المبكرة من الحياة ، مهم كل الاهمية لتوفير نمو الطفل في الطريق الصحيح . ولعل كمية الطعام المتناولة ليس لها من الاثر الملمكوناته من المواد الغذائية وعلى الاخص الفيتامينات

وإن ما نراه من حالات تسوس الاسنان وتشوهاها ، ولين العظام لدى الأطفال ، والامراض الجلدية ، وعشرات الاضطرابات المشابهة ، تعود مباشرة الى نظام التغذية الخاطئ . أثناء الطفولة المبكرة أو في الوقت الذي كان فيه الجنين في البطن .

ويكفي ان نقارن أطفال الطبقات الغنية بزملائهم ممن نشأوا في بيئات بسودها الفقر فيؤثر هذا على الطعام لتعزز بذلك أثر عامل التغذية في النمو ، بل إن لنا أن نقول انها تؤثر ضمناً على الذكاء فنقص أنواع معينة من الفيتامينات



قد يسبب البله، ولنا في ذلك الرسم البياني الذي سقناه منذ قليل دليل على ارتباط  
الذكاء بمدة الرضاعة من الأم إذ أن هناك نسبة مئوية عالية جدا بين العباقة واستمرت  
رضاعتهم فممازاة أشهر على الأقل، وفي هذا رد مفهم على سيداتنا المودرن، اللاتي  
يحرصن على تدهين من التهدل فيفطمن الطفل بعد شهر من الولادة على الأكثر  
اعتماداً على امتلاء السوق بالمستحضرات الطبية التي تقارب لبن الأم الى حد كبير  
وتسد حاجة الطفل للغذاء الكامل !

ثالثاً - الجنس : هر من العوامل المؤثرة على النمو ايضا. فهناك اختلافات  
جوهريّة بين الاولاد والبنات في سرعة النمو. وبينما يبدأ البنون حياتهم بحجم  
أكبر قليلا من البنات كما يتضح من الرسم البياني السابق الا أن الاخيرات  
ينمون بسرعة أكبر قرب مرحلة النضوج عن الجنس الآخر .

وفي المتوسط نجد البنات يسبقن البنين بسنة نحو النضوج الجنسي ، وهن  
في هذا الوقت أكبر حجما من الاولاد . ويبدو هذا بوضوح في المرحلة التي  
تسبق البلوغ ، من عشرة الى اثني عشرة سنة . وبنفس الطريقة نجد أن النمو العقلي  
كما نصل اليه عن طريق اختباراتنا العقلية يبرز بعض الاختلاف في السرعة  
في مصلحة الاناث ، فهن ينضجن عقليا ويصلن الى النهاية قبل الاولاد بقليل  
وانك لتجد اثبتت في الرابعة عشرة أفدر على مجابهة الحياة ومسئولية الحياة  
الزوجية التي قد تنهيا لها من الولد في هذه السن

رابعاً - الغدد الصماء : من المعلوم أن الكلسيوم هو المادة التي تفرزها  
الغدد فوق الدرقية الموجودة في الحنجرة ، فاذا حدث خلل في هذه الغدد تأثر  
نمو العظام وتنج عنه زيادة اجهاد العضلات .

ثم ان اليود الذي تفرزه الغدد الدرقية الموجودة أيضا في الحنجرة قد  
يعطل النمو الجسمي والعقلي اذا اختل افرازه وكثيرا ما يكون خلل الغدد  
الدرقية هو السبب في تلك السحنة المشوهة التي نراها في الشخص الابله ،

Cretinism



أما الغدة النخامية وتوجد بين سقف الخلق والمخ فيما يسمى «السرج التركي»  
وباللاتينية Sella turcica فتقسم قسمين.. الامامي يؤثر على نمو العظام والغدد  
التناسلية والخلفى على الدورة الدموية وقد يتسبب عن اضطرابها المنغولية  
mongolism وهى نوع من التأخر العقلى يتميز بمظاهر على الوجه تشبه  
التتار أو سكان منغوليا ، وعلى الأخص العيون المنحرفة .

فاذا نشطت الغدة التيموسية ، وموضعها فى الصدر ، أو الصنوبرية ، فى  
أسفل المخ ، نشاطا يفوق الحد المناسب نتج عن هذا تعطل النمو فيحتفظ الطفل  
بميزات الطفولة ومظاهرها فى جسده وعقله مدة طويلة .

واذا قل افراز الغدد التناسلية تأخر ميعاد المراهقة ، بنما نشاطها الزائد  
يسبب المراهقة المبكرة ؛ وهى حالة شاذة يكون فيها الطفل ناضجا جنسيا حتى  
بين الثالثة والرابعة . وقد لاحظ جيزل أن هذه الحالة تنتج تأثيرا مشتا  
للنمو كلية فيحدث ارتباك فى القدرات العقلية .

خامسا - الاصابات والامراض : نغنى بالاولى تلك التى يتعرض لها  
وعلى الأخص التى تصيب الرأس . اما الأمراض فاحظرها تلك التى تصيب  
العقل فى سن مبكر وتترك أثرا جسديا أو عقليا ، وعلى الأخص مرض  
التيفويد حيث تتعرض فى معظم الاحوال لخطر العجلة فى ارسال الطفل للمدرسة  
قبل أن يستعيد صحته تماما .

وهناك غير هذا التوكسينات التى تنجم فى الدم نتيجة للأمراض أو  
الادوية السكرولية أو « البنج » ، والسميات الناشئة عن التهاب اللوز أو وجود  
زوائد أنفية . فاذا لم تسكن هذه الحالات واضحة شديدة التوتر فان تأثيرها  
ينصب فى الغالب على النمو الجسمانى .

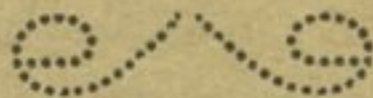
سادسا - المناخ والاجناس : اظهرت الفروق فى النمو بين الاجناس أن  
اطفال شعوب البحر الابيض المتوسط اسرع فى نموهم الجسمانى من اطفال  
شعوب أوروبا الشمالية . كما وجد أن اطفال قبائل النجرو والشعوب الهندية  
ابطأ نموا من الاجناس البيضاء والصفراء .



سابعاً - موقف الطفل في الأسرة : هذا العامل يتخذ تأثيره من ظروف البيئة أكثر من الظروف الطبيعية . وانا لنجد الطفل الثاني والثالث والرابع في العائلة ينمون في العادة أسرع من الطفل الأول لا لاختلاف ظاهر في الناحية العقلية بل لأن الأطفال الأصغر يزداد لديهم احتمال تقليد اخوتهم واخواتهم الاكبر سناً والاتصال بهم فتزداد الفرصة للحركة والتجريب .

أما الطفل الأصغر في العائلة ، وخاصة اذا كان يصغر آخر شقيق قبله بسنوات عديدة فينحو نحو البطء في النمو لأن الاحتمال كبير في أن يجد معاملة ممتازة فيها كثير من البذل من ناحية السلطة المنزلية ، وهكذا لا يجد في البيئة الرخوة ما يدفعه لتمرين أو استخدام قدراته الفطرية

ويقال بشكل عام ان الطفل الوحيد في العائلة ينمو في الناحية العقلية أسرع من زملائه العديدين في العائلات المتعددة الأطفال ، وليكنه ابطأ منهم في النمو الحركي . ويبدو أن تفسير هذا هو أن سرعة النمو العقلي ترجع الى اتصال الطفل المستمر بالكبار مما يستثير قواه العقلية ، بينما التراجع في النمو الحركي قد يرجع الى نقص في الدافع للحركة ينتج من انه لا يحتاج لعمل شيء فهو يجد كل مطالبه معدة بواسطة أبويه .





## الفصل الثالث

### الطفل الحديث الولادة

تمتد هذه المرحلة علياً الى ما يقرب من أسبوعين بعد الميلاد . وهي فترة تعادل وتوازن يمر أثناءها الوليد في محنة شديدة اذ يخرج من بيئة هادئة ثابتة نسبياً الى عالم صاخب مليء بالمؤثرات المتنافرة ، فتقع على حواسه مختلف الالوان والاصوات والضغط والتغيرات الحرارية ، فضلاً عما يناسب أجهزة الداخلية من تسكيف بمجرد انقطاع الحبل السرى ، اذ ينتقل الوليد من مخلوق طفيل يعتمد تماماً على الام في الغذاء والتنفس والاخراج ، الى شخص مستقل يتناول الطعام فيمضغه ويمثله ، وتردد رثاه في شهيقة وزفير منتظمين بمجرد صرخة الميلاد ، ويعمل جهازه الاخراجي فيسبب له سرورا واضحا يبدو في الاسترخاء واللذة والمناغاة القانعة الراضية التي تصحب نزول الفضلات

وسنقدم لهذه الرحلة بوضع حقائق عن الجنين ربما هم قراؤنا وقارئتنا الامامها . يبدأ تكون الجنين منذ تلقيح البويضة الأنثية بواسطة الخلية الذكورية الى ساعة الميلاد ، وهي فترة تمتد الى ما ينوف عن تسعة أشهر ميلادية ، أو ٢٨٠ يوماً

وقد ظل الانسان قروناً عديدة يردد سؤاليين هامين عن هذه الفترة :  
الاول ... هل يمكن التنبؤ بما سيكون عليه للطفل عند ولادته ... ، أهو ذكر أو انثى ؟

والثاني ... هل يقدر الاب والام أن يتحكما في الجنين ... فيجعلاه منه ذكراً أو انثى ؟  
وكم من الخزعبلات تدخلت لتملا أذهان العامة في كل شعب بأفكار



مضحكة عن مائتين المشكلتين ١٠٠ فعند العامة من الالمان خرافة عجيبة تقول  
انك اذا بللت حبة من الشعير وأخرى من القمح في بول السيدة الحامل ثم  
زرعتهما ففي الامكان التنبؤ بالجنين بملاحظة أيهما ينمو أولا . فالشعير علامة  
على البنت ، والقمح على أن المولود ذكر .

وقد تدخل العلم ليحيب عن السؤال الاول بعدة طرق أكثر دقة ..  
منها اولا قياس نبضات القلب .. فاذا كان النبض ١٢٥ أو أقل في الدقيقة دل  
هذا على أن الجنين ذكر ، وان كان ١٤٤ أو أكثر حكمنا بأن المخلوق انثى  
وهناك طريقة أخرى هي استخدام أشعة اكس . وهي تعتمد على معرفتنا  
لحقائق تختص بتصلب الغضاريف ، فهي في البنت أسرع . ولكن كلتي  
الطريقتين لا تستطيع ان تقطع برأى أخير في هذه المسألة المعقدة اذ أن الفروق  
الفردية بين مخلوق وآخر تقلل من رجاحة الحكم

أما السؤال الثاني فهو أعمق وابعد خطراً ، بل لنقل انه يطوى الاول  
بين جنباته فلو تحقق لتفرع منه الآخر في سر وغمومة . ومع هذا فإننا نستطيع  
ان نقطع فيه بتفسير علمي ، على الرغم من عشرات النظريات التي نشأت من  
قديم الزمن وحاولت أن تحله .. فبعضها يؤكد أن تلقيح البويضة بمجرد  
العادة الشهرية ينتهي بتكون الانثى .. والبعض الآخر يقول ان الطعام الذي  
تتناوله الحامل له كل الاثر في نوع الجنين ، فإذا اكثرت السيدة من أكل  
السكر كان المولود أنثى .

وقد وجد هذا الرأي الاخير سنداً قوياً في تقرير قدمه أحد الاطباء الالمان  
يؤكد فيه أن درجة الحموضة أو القلوية Ph. value للافرازات الموجودة  
بالمهبل قد تؤثر على الجنين . ومن المعلوم أن المهبل لدى المرأة يحتوي في كل  
لحظة كمية من الافرازات تعلق بجوانبه ، ففي وقت ما قد تسود الدرجة القلوية  
هذه الافرازات فإذا حدث التلقيح نتج مولود ذكر ، أما الحموضة فيسبب عنها  
تكون الانثى

الى هنا يتوقف التقرير ، فلم يشر الطبيب مثلاً الى امكان التحكم في درجة



حموضة أو قلوية هذه الافرازات ، ولكنه ينتهى بإشارة توحى بأن انواعاً معينة من الطام قد تؤثر على هذه الدرجة . فليس من الغريب اذن أن نرى العامة كما قلنا يؤمنون بأن الاكثار من أكل السكر مثلاً يؤدي الى انتاج جنس معين بل ولعل هذه النظرية الطبية تلقى ضوءاً على خرافة الاستحمام بالدم وهي واسعة الانتشار لدى العامة من المصريين ، ومن المعلوم ان الدم قلوى .

وهناك غير هذا من يزعم أن للشهر الذى يحدث فيه التلقيح أثر كبير . والعجيب أن هنا أيضاً أساساً طبياً الى حد ما وهو « نظرية المبيضين » . فمن المعلوم أن المبيضين لدى المرأة يتبادلان افراز البويضة . ففي شهر معين ينشط أحد المبيضين ثم يستريح في الشهر التالى ريثما يقوم الآخر بالعمل وهكذا . ولكن النظرية تؤكد . بعد هذا أن أحد المبيضين ينتج جنساً معيناً والثانى مسئول عن الجنس الآخر . بمعنى انه اذا حدث التلقيح في الوقت الذى ينشط فيه المبيض الايمن مثلاً كان المولود ذكراً ، واذا جاء في الشهر التالى كان أنثى .

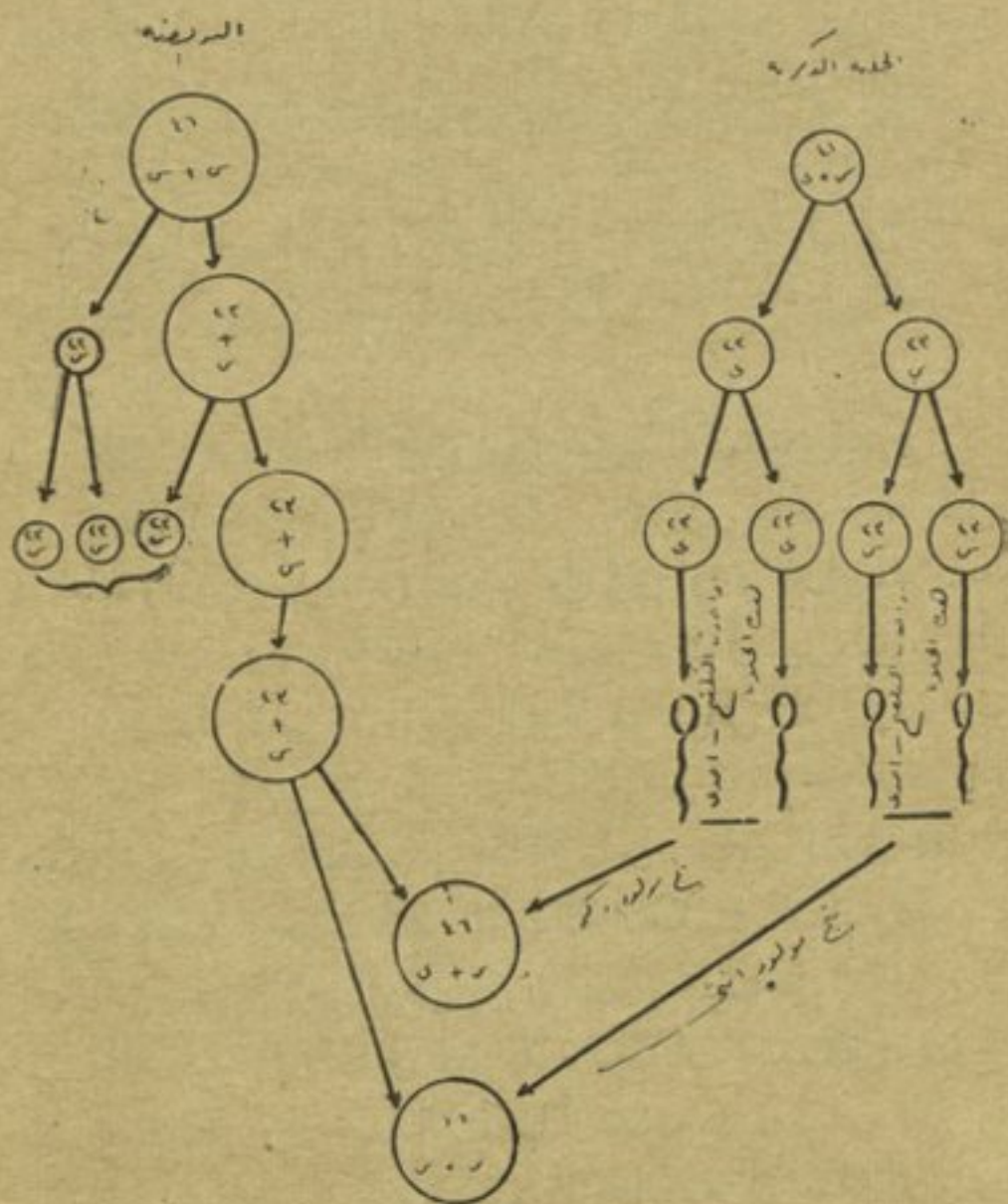
كيف نعرف اذن ما اذا كان المبيض النشط الآن مبيض الذكور لا الاناث حتى نضمن نتيجة التلقيح ؟ بحساب الاشهر بالتبادل . لناخذ حالة الطفل الاخير في العائلة وليكن ذكراً . في أى شهر ولد ؟ في اواخر فبراير مثلاً . علينا أن نحسب للخلف ٢٨٠ يوماً فنجد أن التلقيح حدث في شهر مايو . لنا أن نقول اذن انه في هذا الشهر كان المبيض النشط هو مبيض الذكور . وبعد هذا يسهل حساب الاشهر التى يعود فيها هذا المبيض للعمل حتى الوقت الحاضر . فيمكن ترتيب شهر التلقيح على هذا الاساس . ونحن نسوق للقارىء هذه النظرية كاحدى وجهات النظر الى مشكلة التحكم في النسل وسيجد انها اذا نجحت في بعض الاحوال فان يكون النجاح حليفها على الدوام .

ولقد عينا بالافاضة في بعض هذه النظريات لنقدم القراء للتفسير العلمى الصحيح والنظرية الوحيدة التى يمكنها أن تقف على قدميها . ونعنى بها نظرية السكر وموسومات . والسكر وموسوم يطلق على كل من الوحدات السكرية وسكوية



الدقيقة الموجودة في خلايا الكائن . وقد دلت الابحاث على أن كل فصيلة من المخلوقات تتكاثر عن طريق التلقيح فيها أحد الجنسين يحوى كروموسوما واحداً مخالفاً لكل ما في خليته أو في خلية الجنس الآخر . وقد وجد أن الخلية الذكورية في الانسان هي التي تحوى هذا الكروموسوم المخالف . وسنتناول هذا الأمر في شيء من الايضاح .

إن البويضة كما يرى الى يسار الرسم المصاحب ، تحوى ٤٨ كروموسوماً كلها متشابهة تتجمع في ٢٤ زوجاً ، وسنسمى كل وحدة منها س . أما الخلية





الذكورية ففيها هي الاخرى ٤٨ كروموسوما (٤٧ منها س ، وواحد آخر مخالف سنسميه ي ) يتجمع ٢٣ منها في ازواج ويبقى بعد هذا زوج آخر غير متناسق واحد منه س والاخرى .

بعد هذا تنقسم البويضة مرتين وتنتهي الى واحدة ناضجة بها ٢٤ كروموسوم س ، وقد قسمناها لسهولة مقارنتها بالخلية الذكورية الى ٢٣ كروموسوم س + كروموسوم س . أما الخلية الذكورية فتقسم في المرة الاولى الى خليتين فينفصل كل كروموسوم عن زميله وبذا يصبح في كل ٢٣ كروموسوم س ، أما الزوج الاخير غير المتناسق فينفصل واحد منه س الى إحدى الخليتين والاخرى يستقر في الخلية الاخرى . ويحدث الانقسام الثاني فتصل الخلايا الذكورية الى اربعة اثنتان منها كالبويضة تماما واثنتان مخالفتان في كل منهما كروموسوم ي ، وواضح انهما تحملان الصفات الذكورية

هنا تقف البويضة لتلقح بواسطة واحدة من الخلايا المواجهة ، وتبعاً النتيجة هذا التلقيح يتحدد جنس المولود . فاذا سبقت إحدى الخلايا الحاملة كروموسوم ي غيرها ( الى يمين الرسم ) كان المولود ذكراً ، واذا كتب السبق لاحداها الحاملة للمكروموسومات س كان المولود أنثى .

أما لمن يكتب الفوز في هذا السباق وهو بيت القصيد فصدقة محض . ومن المعلوم أن الحيوانات المنوية يحوى كل منها ذبلاً شعرياً تضرب به ذات اليمين وذات اليسار فتندفع خلال السائل المنوى داخل المهبل ثم الى الرحم واخيراً الى بوق فالوب حيث تنتظر البويضة الناضجة الفائزة منها . وفي هذا الطريق الطويل تتدافع أعداد هائلة من الحيوانات المنوية ويدخل عامل الصدفة الى حد كبير . هذا هو موقف العلم من مشكلة التحكم في النسل حتى وقتنا الحاضر وهذه هي نهاية ما وصلنا اليه في تفسير هذه المشكلة التي دوخت الانسان منذ فجر الحياة .. أو لنقل انها قرابة النهاية فلقد جاءت الايام الاخيرة يبحث يعتبر ضربة مفاجئة لو صحت لقلبت كثيراً من الاوضاع !

ذلك انه امكن كما يزعم طبيبان من علماء الالمان تحليل الحيوانات المنوية الى



عنصرها ، وباستخدام نظرية القوة الطاردة المركزية أمكن فصل الخلايا الحاماة للصفات الأثنية ( كلها من ) عن تلك التي تحوى الصفات الذكورية ( بها كروموسوم ي ) ، وإعالة كل نوع منها منفصلا عن الآخر ، ثم تلقيح الانثى بنوع معين منها دون الآخر وبذا يمكن التحكم فى جنس المولود . . . ١٠٠

وبقدر ما فى هذه النظرية من البريق نسرقها للقارىء بمنتهى الحذر ، فليس نجاحها فى ستين أو سبعين فى المائة من الحالات يعتبر نجاحا ذا مغزى ، اذ أن الانسان بطبيعته يجزع لادخال عنصر الصناعة فى عمالية تتصل باعمق جذور الحياة البشرية كلها ، فضلا عن أن النجاح لا يقتصر على انتاج جنس معين من الاطفال بل علينا أن نتأكد أن عنصر التحليل والصناعة لم يؤثر على الطفل كخلق له كيانه وشخصيته وهى نقطة ليس فى مكنتنا أن نأطع فيها برأى حاسم قبل مرور سنين عدة .

وستتناول الآن العوامل التى قد تؤثر على نمو الجنين .. وأولها :

الطعام : اذ من الواضح أن هذا النمو سريع جدا خلال مدة الحمل ، من خلية مكروسكوبية دقيقة الى مخلوق قد يصل طوله الى ٢٠ بوصة . ثم إن هذا النمو يزداد جدا قرب نهاية الحمل أى منذ الشهر الخامس ، واذن فمن المهم جدا أن تختار الام طعامها لتحقيق حاجات الجنين .

ومن المعلوم أن السيدة فى الحالة العادية تحتاج الى ٢١٦٠ سعرا حراريا فى اليوم ترتفع الى ما يقرب من ٣٠٠٠ أثناء الحمل ، وذلك تبعا لوجود الجنين . وليس المهم كمية الغذاء وانما الاتواع التى يحتوىها والتى سنقسمها الى :

١ — مواد غذائية ٢ — مواد معدنية ٣ — فيتامينات

١ — المواد الغذائية : يمكن أن نقول بوجه عام إن على السيدة الحامل

أن تتجنب الاكثار من من الطعام فى كل وجه بل لتسكثر من الوجبات وتخفف من الكمية فى كل مرة . أما التوابل والمواد الحريفة اللاذعة ، ومثلها المشروبات السكحولية والقهوة والشاي المركز ، فيجب تجنبها . واللبن من أنفع المواد الغذائية فى هذه الفترة ، ولعل لتراو ربعا يوميا كمية مناسبة . أما



اللحم فيجب أن يتناول مرة واحدة يومياً ، والسكبد مرة أسبوعياً على الأقل  
والسمك البحري لأنه غني باليود .

بعد هذا يمكننا ان نقسم المواد الغذائية حسب ترتيب أهميتها الى :

١ - مواد نشوية : يحتاجها الجنين لامداده بالقوة والحياة . وتحتاج  
السيدة الحامل من النشويات الى ما بين ٥٥ ، ٥٠ في المائة من القيمة الحرارية  
التي يحتويها طعامها ( حوالى ١٦٥٠ سعراً حرارياً ) أى ما ينتج من تعاطى مازنته  
٥٣٢ جم تقريباً من النشويات (١) وأهم مصادرها الخبز ( يحوى القمح  
والذرة ٧٣ في المائة من وزنها نشويات ) والعسل الأبيض ٨٠ في المائة  
والمرببات والفواكه ومن اغناها البلح ٧٥ في المائة ثم العنب والبرتقال والارز  
ونشعير ٧٩ في المائة والمكرونة ٧٤ في المائة والبطاطس ١٩ في المائة والبطاطا  
٢٠ في المائة وبعض البقول كالقول والبقول الجافة ٦٠ - ٦٢ في المائة وأهم المصادر  
الحيوانية اللبن ٣٩ في المائة والسكبد ٤ في المائة

ب - مواد دهنية : وهى مهمة لتكوين الانسجة الشحمية للجنين ، كما  
تمده بالوقود وتعطيه كمية احتياطية من الشحم . ويجب ان تكون ما بين  
٣٥ ، ٣٠ في المائة من القيمة الحرارية لطعام الحامل ، أى حوالى ٩٠٠ سعراً  
حرارياً يومياً تنتج من تعاطى ١٠٠ جم على وجه التقريب . ويمكن الحصول  
عليها بسخاء من لحم الضأن الدسم ٧٦ - ٨٠ في المائة والقشدة ٣٥ في المائة  
والجبن الدوبل كريم ٣٢ في المائة وهناك غير هذا البيض ١١ في المائة واللبن  
٣٩ في المائة . أما اذا لجأنا الى الاصل النباتى فاننا نجد لها في الزيتون ١٠٠ في المائة  
والبنق واللوز ٦٤ في المائة والشكولاته ٥٣ في المائة والزيتون ١٣ في المائة

(١) من المعلوم طبيياً أن كل ١ جم نشويات تعطى ٣١ سعراً ، ١ جم  
دهنيات تعطى ٩٠٣ سعراً ، ١ جم بروتينات تعطى ٤١ سعراً



ولكننا نفضل الدهون الحيوانية لان النباتية تسبب بعض التغيرات في الدم والبول

ج - بروتينات : وهي ضرورية لبناء وتعويض أنسجة الجنين ويجب أن تكون ١٥ في المائة من القيمة الحرارية أى ٤٥٠ سعرا تهيئها للام ١٠٩ جم تقريباً ويجب ان يأتى ٩٠ في المائة على الاقل منها من أصل حيوانى كاللحوم وخاصة السكبد والكلى ١٨ - ٢١ في المائة ، والطيور ٢٢ في المائة والسماك ١٨ في المائة والبيض ١٢ في المائة ، وهناك غير هذا اللبن والجنين بنسب قليلة ٣-٧ في المائة ويأتى الباقي من المصادر النباتية كالبقول والحبوب كالبسلة والعدس والفاصوليا والفول ٢٠-٢٤ في المائة

٢ - المواد المعدنية : أهمها الكلسيوم والمطلوب منه يومياً حوالى ١٥ جم على الاقل . وتزداد الحاجة إليه كلما تقدم الحمل حيث يبدأ تصاب الغضاريف عند الجنين . ولو نقصت كميته فقد يصاب الطفل باين العظام . وأهم مصادره الجنين ٩ جم ( فى كل كيلو جرام ) واللبن ١٢ جم والبيض ٦ جم والتين ٢ جم والعسل الاسود ١٨ جم

ويليه الفوسفور ، وتحتاج الحامل الى ٢ جم يومياً ، ويوجد فى البيض ٤ جم والجنين ٦ جم والبسلة والفول الجاف والعدس ٤ جم ويأتى بعد هذا الحديد ، والكمية اللازمة منه ١٥ ملليجراماً يومياً . ويمكن ان نحصل عايه من السكبد والكلى ١٢ ملليجرام ( فى كل ١٠٠ جم ) والعسل الاسود ٣٩ جم والبيض ٧ والفول والعدس والبسلة ٦ - ١٠ ملليجراماً والسبانخ ٤ جم وقد توخينا فى كل حالة ذكر القدر الذى يحويه كل صنف من الطعام من المواد اللازمة حتى يمكن القارىء ان يكون صورة تقريبية لجدول كامل لطعام السيدة الحامل .

٣ - فيتامينات : إذا كانت الفيتامينات كلها مهمة فانا لنشير بنوع خاص الى ضرورة توفر فيتامين E ، لمنع وفاة الجنين فى داخل الرحم خصوصاً فى الاشهر الاولى حيث يحتمل ان يمتص الجسم البويضة الملحقة أو الجنين الصغير . كما



يجب أن تحصل الحامل أياً على فيتامين K لأن نقصه قد يسبب نزيفاً للام أو للاجنين نفسه .

ويوجد الأول في الحبوب ولا سيما القمح ثم في الخس . ويوجد بكمية أقل في الزبد واللبن واللحم وصفار البيض . أما الثاني فمن أهم مصادره الخضراوات (السلطات) والتفاح والمكرونب والسبانخ وقشر البرتقال . أما التغذية عند الطفل فتبدأ بعد ١٢ ساعة من الولادة . وقد ثبت أن أحسن غذاء للطفل هو لبن الأم لاسيما أمه . ولما كنا نغني الأم من إرضاع طفلها في واحدة من هذه الحالات :

(١) إصابتها بمرض السكر (٢) السل (٣) هبوط في القلب (٤) أمراض معدية (٥) إذا كانت الحلمات غير ظاهرة

واللبن في اليومين الأولين خفيف يسميه العامة «السرسوب» Clostrum وهذا إجراء تهيئ الطبيعة الرحيمة لأعداد أمعاء الطفل لهضم اللبن نفسه وهو أسهل هضمًا .

ونقص كمية الماء في اللبن الخفيف يجب إعطاء قليل من الماء المحلى بالسكر بعد رضاعة «السرسوب» مباشرة

وفي اليوم الثالث يبدأ اللبن في النزول ، وهنا يجب وضع الطفل للثدي كل ثلاث ساعات ابتداء من السادسة صباحاً إلى التاسعة مساءً . أما فترة الليل فيعطى الطفل فيها كراوية أو ينسون بالملعقة لا البرازة لئلا يرفض أن يتعاطى الثدي فيما بعد وكمقدمة للقطام كما سنشير في حينه .

وعلى الطفل أن يتبادل الرضاعة في كل الثديين في كل وجبة بحيث يصعب من الثدي الأيمن مثلاً ١٠ دقائق ومثلها من الأيسر . فإذا جاء موعد الوجبة التالية بعد ساعات ثلاث فليبدأ الطفل من الثدي الذي انتهى به . وغنى عن البيان أن نظام الرضاعة مهم جداً ، ولقد يتطلب الأمر إيقاظ الطفل من نومه عند حلول موعد الوجبة ، ولما كنا سرعان ما نجد الطفل يالف هذه المواعيد فيستيقظ من تلقاء نفسه .



ومن المتبع بعد انتهاء الوجبة أن نرفع الطفل قليلا في وضع الجلوس كي يتجشأ ، لأن وجود الهواء في معدة الصغير قد يسبب بعض المغص .  
غذاء الطفل في السنة الاولى : يحتاج الطفل من الغذاء الى :

$\frac{1}{6}$  وزنه طيلة الشهور الثلاثة الاولى

$\frac{1}{5}$  وزنه حتى نهاية الشهور الستة الاولى

ثم  $\frac{1}{4}$  وزنه في النصف الاخير من السنة الاولى

فاذا اكتملت للطفل شهور ثلاث فيجب ألا يعيش على اللبن وحده ، بل يمكن أن يعطى ملعقة شوربة من عصير البرتقال أو الليمون السكرى أو الطماطم كما يعطى مركبات تمنع خطر لين العظام خصوصا وقد بدأ الآن يمارس حركات الاستدارة ومحاولة الجلوس مع المساعدة . ومن أفضل المقويات هنا محلول فيتامين D في زيت الزيتون ثلاث مرات يوميا مدة شهرين ، أو هاليفرول أو نادولا .

وتزداد حاجة الطفل لطعام أكثر صلابة بحلول الشهر السابع وهنا يعطى بدلا من احدى الوجبات ٢٠٠ جم مهلبية تقدم بالملعقة وفي الشهرين التاليين يستعاض عن وجبة أخرى بشوربة خضار فهذه تساعد حركة الامعاء اذ تمد الجسم بمادة السليولوز .

فاذا انتهى الشهر التاسع احتاج الطفل للحديد ، وهو موجود في اللوبيا والفاصوليا الخضراء والكوسة والجزر ، ولكن نحذر من تقديم أشياء صلبة لمعدة الطفل ، بل يجب تصفية هذه الأطعمة وتقديمها له مهموكة . ولنعطيها أولا بالسكر ثم نبدله بالملح .

واواقع أن الطفل في هذه السن قد تكون له من الاسنان ما يساعده على بدء المضغ وافراز اللعاب ، وهنا يمكنه في الشهر الحادى عشر أن يتناول نصف موزة بعد وجبة شوربة الخضار ، فكانه في هذا السن يتناول خمس وجبات ، ثلاث منها لبن الام ، وواحدة شوربة خضار ، والاخيرة مهلبية .



فإذا قاربت السنة الأولى الانتهاء اقتصر الأمر على وجبة واحدة من لبن الأم والباقي من الخارج ، وهكذا يستطيع الطفل أن يتناول خضراوات مهموكة ( بوريه ) أو شوربة خضار ووجبتين مهلبية بين الواحدة والأخرى ٤ ساعات . كما يمكنه أن يتناول البيض مرتين أو ثلاثا في الأسبوع ، مربوبا أو مسلوقا

وهكذا يتهيأ الطفل للفطام في نهاية السنة الأولى فيمنع لبن الأم بتاتا لأنه يخف بعد هذه الفترة وتنقص فيه كمية الغذاء ويتعرض الطفل لو استمرت الرضاعة للأنيميا والضعف العام

وبالنسبة يستعاض عن اللبن والمهلبية بالأطعمة المهموكة علاوة على الخضراوات السابق ذكرها كالفاول المدمس والكبد ولحم الكتا كيت بعد فرمه . فاذا وصل الطفل للشهر الرابع عشر والخامس عشر أمكن اعطاؤه بطاطس أو مكرونة مسلوقتين

الحالة الصحية للام : تكلمنا عن غذاء الأم أثناء عرضنا لغذاء الطفل ، والواقع أن الطفل لكي ينمو نموا صحيا يحتاج من أمه لا كثر من الغذاء أثناء وجوده في البطن .. يحتاج الى استعداد منظم يتناول مراق الحياه وهو ما تسميه عليا antenatal care ويقتضى العناية :

١ - بالتدوين : اذ يجب الاهتمام بهما خصوصا عند السيدة بالمكر بسبب حساسية الحلمات وعدم تعودها على حركات الرضاعة . فاذا قارب الجنين سبعة اشهر يجب على الحامل أن تعددهما بالتدليك بفرشة ناعمة أولا ثم تزداد في الخشونة مع استعمال ( كولد كريم ) أو لانولين ، وهو دهن مأخوذ من الخراف يمتص في الجلد بسرعة

ب - الامعاء : فالامساك كثير الحدوث أثناء الحمل ، ولذا يجب تجنبه باستعمال خضراوات طازجة وكمية كافية من السوائل بين الوجبات وتدليك خفيف على البطن ( في اتجاه القولونات ) ، وقد يكون من المفيد تناول كوب



من الماء دافئ في الصباح . فاذا لم يكف هذا تستعمل المسهلات الخفيفة  
كالبارافين ، واثعرقسوس . أما المسهلات القوية المفعول فايمنع عنها بتاتا  
خصوصا السنامكي والملح الانجليزى

ج - الرياضة . وأحسنها المشى لمدة ساعتين في الهواء الطلق والحدائق  
وليسكن لا يجب أن تصل المسألة للدرجة الاجهاد ، كما أن الرياضة العنيفة  
كالرقص والتنس والقفز يجب تجنبها . فاذا لم يكن تحقيق هذا متيسرا يكتفى  
بالتدليك على البطن من الجزء الايمن لأعلى ، ثم بالعرض ناحية اليسار وأخيرا  
لأسفل

د - الاتصال الجنسي : يجب أن يمنع تماما أو يخدمه على قدر الاستطاعة  
ولا سيما في الشهرين الاخيرين حيث يحتمل وصول الميكروبات الى الرحم  
واذا كان الطيب يتردد في الجنس باصبعه بقفاز معقم ليتأكد من موضع  
الجنين فان من الخطر المكبير تعريض الجنين لما يصاحب العملية الجنسية من  
دخول مواد غريبة .

وبعد فهناك من الاحتياطات ما يجب توفره فضلا عما سبق ، فالنوم مثلا لا  
بد أن تصيب الام منه عشر ساعات على الاقل ، منها ساعتان وقت الظهيرة  
في غرفة حسنة التهوية . ولتجنب الاستحمام الماء الساخن والبارد لشلا  
يحدث انقباض في الرحم . والملابس يجب ألا تكون ضيقة ، ويستعمل  
حزام البطن اذا كان هذا الاخير متديلا

ثانيا : الامراض : واهمها بدون شك الزهري الذى يسبب في أحواله  
كثيرة الاجهاض .. ووفاة الطفل اثناء الولادة . وضعف القوى العقلية ..  
والعمى والصمم . وليس من النادر أن تصل الى الجنين العدوى بالمرض قبل أو  
أثناء الولادة

وبلى هذا في الاهمية السيلا و كثيرا ما يصيب عيني الجنين أثناء مروره  
خلال المهبل فيتسبب العمى . ولهذا نجد معظم الحكومات تسن قوانين



تنص على استخدام محلول مطهر يقطر في عيني الوليد ، وهو يتكون عادة من نقطة من محلول نترات الفضة بنسبة واحد الى مائة

وهناك غير الامراض السرية الخال في افرازات الغدد عند الام ، كالغدة الدرقية . وأثرها أوضح كليا بدأ الخال والجنين صغير . وقد ينتج عنه توقف نمو العظام والغضاريف ، ما عدا عظم الجمجمة ، كما يبرز البطن ويتدلى ، ويخشخوشن الجلد ، ويغزر الشعر . أما الفوى العقلية فتراجع كثيرا عن المتوسط فاذا كانت الاصابة خطيرة أصيب الجنين بنوع من البله

تأتى بعد هذا الامراض الطويلة المدى التى تنخر في جسم الام كالسل والسكر وغيرهما . وهذه تؤثر على الجنين أثر قلة الغذاء أو عدم صلاحيته أما السموم أو التوكسينات التى توجد في دم الام والناجمة من عناصر الرصاص والفوسفور التى تجلبها صناعات أو هوايات قد تقوم بها الام كالطلاء والفخار والطباعة ، والبكتريا التى تجلبها بعض الامراض ، فتؤثر تأثيرا ضارا على الجنين ، فسموم الرصاص تسبب على سبيل المثال الاجهاض . . أو تشوه الجنين . . أو اصابته بالصمم أو البكم .

واخيرا فمما يؤثر على جنين الحيوان استعمال أشعة اكس أو الراديو ، إذ أنهما يسببان تغيرات ضارة ، كما يؤثران على الاجيال القادمة . والواقع أن معلوماتنا عن جنين الانسان في هذه الناحية قليلة جدا اللهم الا أن الحمل قد ينتهى باستخدام أشعة اكس

ثالثا : الكحول : وهو يكتسب في كل يوم أهمية متزايدة نظرا لاعتبارات اجتماعية تصاحب المدنية الحديثة فضلا عن ان أثره لا ينتقل من الام فحسب بل ان الخلية الذكورية قد تضعف قبل أن تلقح البويضة نتيجة تعاطى الاب المشروبات الكحولية ، وهكذا قد تضع الام مولودا ضعيف القوى العقلية أو مصابا بعدم استقرار الجهاز العصبي .

وقد حاولت آرليت سنة ١٩١١ أن تجرب تأثير الكحول على الحيوانات في تجربة طريفة اتخذت فيها الفيران أساسا فسقتها الكحول مع الطعام أو



الشراب ، واتبعت هذا مع الذكور والاناث مدداً تتراوح بين ستة عشر يوماً وستة أشهر ، فوجدت تراجعا ملحوظا في سرعة النمو بمقارنتها بالفيران السليمة . كما لاحظت ان هذا التأثير يمتد الى الجيل الثالث والرابع للفيران المصابة ، هذا فضلا عن حدوث حالات عديدة للعقم المؤقت أو المستديم عند اناث الفيران حسب جرعة الكحول ، وتنع هذا ازدياد حالات وفاة الجنين أثناء ولادته أو عدم اكتماله .

ولم تجر مثل هذه التجارب على الانسان طبعا ، ولكن من الواضح أنه مادام الجنين يستمد غذاءه من دم الأم فمن الواضح ان استمرار تسرب مواد كيميائية في الدم يلقي عبئا على اجهزة الام الفسيولوجية لتحاول أن تتكيف وينتقل هذا المبعء طبعا الى اجهزة الجنين فإذا ما زادت هذه المواد بحيث لم يعد في مقدرة الاجهزة تحقيق هذا التكيف ظهرت علامات الخطر ، كالعصبية والارق . . . واختلال ضربات القلب ، بل لقد لوحظ أن شرب الام كميات متوسطة من الكحول يظهر بعضه القليل في افراز اللبن

يشبه الكحول في اثره الضار الدخان من أي نوع ، فهو يحوى النيكوتين وهو مخدر قوى . فاذا تخلل الرئتين سبب اعطرا بافى ضعف الدم وأخل بالقلب وهكذا تقل مناعة الجسم العامة لأمراض المعدية وخاصة في القم والخنجره وقد وجد أنه في الحيوانات كالبقرة والقطط يقلل كمية افراز اللبن ، ولو أنا لانستطيع الآن أن نحدد بالدقة أثره على الام الآدمية أو الوليد

رابعاً - ترتيب الطفل في الأسرة : اذا كان المجتمع يضع قانون الارث

الذي يعطى الطفل الاول في الترتيب مميزات حمل اللقب وأخرى تختص بأملاك العائلة ، فلنا ان نتساءل هل للطفل الاول فرص أكبر ليكون أذكى ممن يتبعه من الاشقاء والشقيقات ؟ . وكان الطريق الواضح بالنسبة للابحاث في هذه الحالة هو جمع أكبر عدد من قياسات الذكاء للأطفال الاول ومن أعقبهم ومقارنتها . ونستطيع ان نقول بناء على هذه الابحاث التي شملت ٢١٩ زوجا من الاطفال (الاول والثاني في كل عائلة) في حالة تجربة ويليس ، ثم ٥٩٢٨ زوجا



في حالة شتيكل، إن قانون الارث الذي سبق عرضه لا بد قد وضع ليحقق نواحي أخرى غير الذكاء، فلقد اتضح أن الطفل الاول في العادة أقل ذكاء من الثاني (٩٣٥٠ مقابل ٩٩١٤) بل وقد وجد شتيكل أن متوسط الذكاء يتزايد كلما انتقلنا من الطفل الاول الى الثاني حتى الثامن. <sup>بعض الذكاء واهله نياهموني</sup> أما العبقريّة، وهي حالة خاصة لا تقارن بما قلناه في الفقرة السابقة، فهي على العكس من هذا نسكن في الطفل الاول في معظم الاحياز، كما يبدو من دراسة رجال العلم العظام على يد كاتل.

خامسا. عمر الوالدين ساعة الحمل: ونحن هنا ايضا كما في النقطة السابقة

لا نستطيع أن نتمد على دراسات علمية دقيقة... وكل ما لدينا مجموعة ابحاث قام بها شتيكل وتيرمان لربط عمر الوالدين بنسبة ذكاء الطفل. ومنها نخرج بأن الوالدين الاكبر سنا يحضيان بأطفال أذكى من الوالدين الاصغر في العمر. ولسكن هذه النتيجة قد تعود الى المستوى الاجتماعي لا الى العمر. فالطبقات الاجتماعية العالية — حيث نجد ذكاء الاطفال أعلى من المتوسط — تميل الى تأخير الزواج لان اعداد الرجل أو المرأة اعداداً صحيحاً لأعمالهم المعقدة يستغرق مدة طويلة.

وقد وضع تيرمان نتيجة لبحث الاطفال المتفوقين متوسط العمر بالنسبة للآباء ٣٣ ١/٢ سنة وللأمهات ٢٩ سنة. ثم تناول اليس بعد هذا حالة الاطفال العبقرة، فوجد أن ٢٩٩ من عظماء الناس كان سن آبائهم ساعة ولادتهم يقرب من متوسط ٣٦ سنة، وللأمهات ٣٠ سنة.

وخرج اليس من ذلك الى دراسة مدى اختلاف الوالدين في السن وأثره على الطفل. واستنتج من هذه الدراسة أن متوسط الفرق بين عمر الاب والام كان ٧ سنوات تقريبا في حالة الاطفال الذين شبوا موهوبين... ورأى شتيكل أن الرقم أقل من هذا بقليل. ونحن وان كنا لا نستطيع أن نبسط الفكرة العامة بتحديد على قاطع نظراً لقلة المعلومات الا انه يمكننا أن نقول



ان الفرق الكبير بين سن الأب والام ليس في مصلحة الطفل من حيث الذكاء .

سادسا . حالة الام الانفعالية اثناء الحمل : وهو عامل لعبت التقاليد والآراء الشخصية والخرافات فيه دورا ليس بقليل فاعطته لونا فيه كثير من الخيال . فاذا مرت مدة الحمل هادئة سعيدة بالنسبة للام عد هذا في نظر الكثيرين علامة على أن الطفل سيكون مرحا بشوشاً طليقا من قيود الخوف أو الوحدة أو الانطواء . وعلى العكس من هذا اعتمدت هذه التقاليد على روايات عن أشكال من الفزع من القطط السوداء أو اللصوص أو اهتمام غير عادى بأنواع معينة من الطعام كانت الام تفرق فيها أثناء الحمل . . . واتخذت هذه أسبابا لظهور علامات في الجنين عند ولادته (الوحم) أو تشوهات في الجسم أو وجود حالة مزاجية معينة عند الطفل كانت تلون نفسية الام الحامل .

وكل ما نستطيع أن نقوله في هذا الصدد ان معلوماتنا العلمية قليلة جداً . فاذا كانت الحالة الانفعالية للام يمكن حقا أن تنتقل للجنين فلن يكون هذا الا بطريق تغيرات افرازات الغدد في جسم الام .

ولسكن بالرغم من الأثر الكبير الذي تركه التقاليد في اذهان الكثيرين فانا نميل الى رفض هذه الأفكار القائلة بحدوث تشوهات أو علامات في الجنين نتيجة للخوف أو القلق أو الرغبة في ما كولات معينة أثناء الحمل ، اعتماداً على ما لدينا اليوم من معلومات طبية عن العلاقة بين جسم الجنين وجسم الام . فاذا كانت حالات القلق والخوف والحزن والاضطرابات العصبية والاغراق في انواع خاصة من الطعام حالات عارضة للام أثناء مدة الحمل فقط . وليست مستديمة قبل التلقيح . . أى اذا استبعدنا انتقال هذه الصفات الى الجنين في البويضة الاثنية بطريق الوراثة فانا نستبعد انتقالها كلية اعتماداً على حقائق ثلاثة : الأولى هي ما نعرفه نتيجة لدراسة الاجنة من أن التشوهات



تحدث عادة بعد مرور الشهرين الأولين من التلقيح عند ما يكون الجنين قد بدأ يتشكل وأصبح احتمال تشوّهه قليل . . فلم لا تحدث هذه التشوهات من أول لحظة مع وجود الحالة النفسية المضطربة للام . . ؟ لا بد أن هناك سببا آخر لتلك العلامات التي ترى على الجلد . والحقيقة الثانية هي ما نراه من حدوث نفس أنواع الشذوذ الجسدى والعلامات في معظم الحيوانات . . ، وحيث أن جهازها العصبى منحط فلا توجد في الأم أفكار أو حالات انفعالية يعتد بها . والحقيقة الأخيرة هي انه ليس هناك اتصال مباشر بين الأم والجنين وبالتالي لا يمكن أن يكون للحالة العقلية والانفعالية والعصبية تأثير مباشر على الجنين . . اللهم الا ما سبق ان قلناه من احتمال سريان بعض افرازات الغدد في دم الأم . وحتى هنا لا نجزم بانتقال الأثر للجنين

سابعاً - الشهر الذى تتم فيه الولادة : وقد لعبت فيه التقاليد دورا كبيرا هو الآخر . . فمن قائل ان العملية الجنسية يجب ألا تتم في زمن «الحسومات» والا تتج مخلوق مشوه جسدياً وعقلياً . . الى رجال الفلك والتنجيم الذين يؤكدون حقائق يرونها عن النجوم والكواكب والابراج التى تتمشى شهور السنة معها . . كما يتدخل رأى الشخصى والتحيز الى حد كبير . . ، ونحن نترك للقارىء أن يقرر ما يشاء فى هذه الناحية بعد ان نعرض امامه حقيقة واحدة تختص بالذكاء ، وقد نتجت من دراسات بلونسكى وبينتنر ( ٢٥١٦٦ حالة لرجال عظام ) وبيترسون ( ٢٥٠٠٠ حالة ) ، وهى ان انساب الشهور فى السنة واقربها ارتباطا بالذكاء هي أواخر الربيع وأوائل الصيف وعلى العموم فالنسبة فى النصف الاولى أعلى منها فى النصف الثانى من السنة .

الوليد الصغير : سبقت الإشارة الى صعوبة تكيف الطفل من البيئة التى تضمه فى البطن الى العالم الخارجى المضطرب الصاخب . وهكذا ينقص فى الوزن خلال بضعة الأيام الاولى ، فاذا قارب الاسبوع الاول الانتهاء اكتمل تكيف الطفل فيبدأ فى تعويض ما نقصه فى الوزن ، وينتهى من هذا



في العادة بانتهاء الاسبوع الثاني حين تلتئم السرة .  
طرق الدراسة : فد يظن القارى ان الاهتمام الذى يصحب انضمام مولود

جديد الى الاسرة ، رهو اهتمام قد يصل ببعض المنازل الى ايقاف معظم الجهد والعناية على ذلك العضو الصغير ، قد اناح للباحث النفساني قدرا كبيرا من المعلومات يلقي من الضوء على حياة الطفل في هذه المرحلة مالا يتها لغيرها كلما كبر الطفل واستقل بحاجاته .

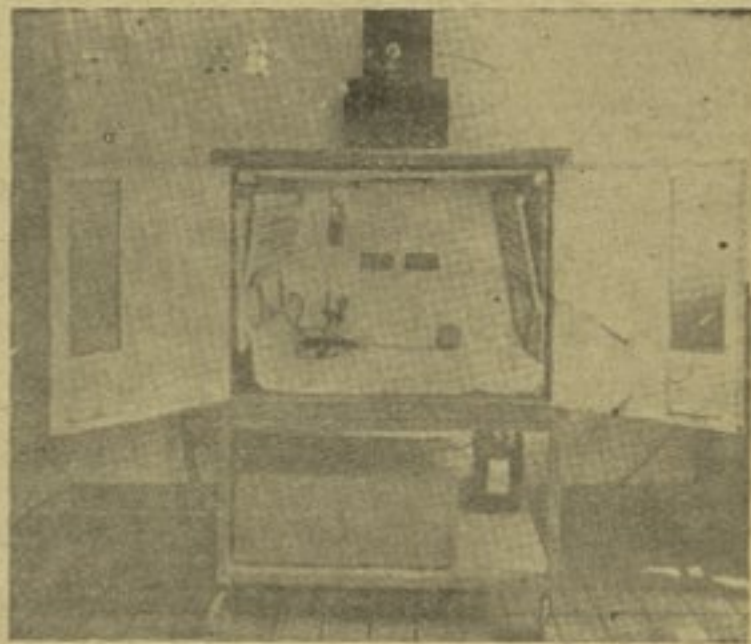
ولكن الامر على العكس للأسف .. فالاهتمام العاطفى يصل حقا الى الذروة .. ولكنه يتدخل لعرقلة سبيل الدراسة العلمية المنظمة . وما زال الآباء والاطباء يحزعون لتعريض الاطفال امديثى الولادة لتجارب تختص بالحواس خشية ان تؤثر الالوان البراقة والمتابعة ، أو الاصوات الحادة العنيفة ، أو التغيرات الحرارية والضغط والوخز ، على الطفل وهو بعد في المهد .. كما أنهم لا يسمحون باجراء تجارب تدور حول الانفعالات على اعتبار أن التخويف ، أو منع الطفل من الحركة لاستثارة الغضب ، أو استثارة المناطق الجنسية أو الشبقية *erogenous* من جسمه ، قد تضر با طفل .

وهكذا ظلت الدراسة حتى أواخر القرن الماضي قاصرة على ملاحظات عرضية قام بها كل باحث على طفله أو طفل لأحد أقاربه ، على نمط ما قام به برير « عقل الطفل » .. وكان محور الدراسة فى الغالب الحواس والافعال المنعكسة الشرطية . ولكن اعتماد هذه الابحاث على مذكرات الآباء والأقارب وتدخل عنصر التحيز الى حد كبير بحيث كان الباحث يرفع من قدر طفله واستعداداته وينسب إليه أكثر مما يملك فعلا ، كل هذا قلل من الدقة العلمية . ثم جلاء القرن العشرين بنزعة مفيدة حقا .. تلك هى اعناد معظم الامهات الغربيات - ولقد بدأنا نلاحظ هذا فى مصر أخيرا - على المستشفيات فى الولادة .. كما كثرت ملاحجى الايتام واللقطاء والجمعيات الخيرية ، فتهيا للباحث النفساني مجال واسع لدراسة مجموعات كبيرة من الاطفال بدأت فى المانيا على أيدي كوسمول وجنزم و كرونز . ثم جاءت أمريكا لتقوم بنصبيها سنة ١٩١٠ فدرس



يترسون وريني ١٠٠٠ طفل حديث الولادة واهتما بالحواس . الى أن جاء  
واطسون رجل البحث والتجريب سنة ١٩٢٥ فعمل في مستشفى جرون هوبكنز  
لدراسة دوافع الطفل الصغير البادئة والنمو الانفعالي .

واخيرا وقد بدأت الاجهزة العلمية الحساسة تتدفق لنجدة الباحث وتوسيع  
أفقهم خلال ربع القرن الأخير ، مما نسوق له مثالا وسط هذه السطور ، أمكن  
استمرار الدراسة طيلة الاربع والعشرين ساعة كل يوم وتسجيل النتائج من  
دقيقة لأخرى مع تغيير الظروف البيئية أو تثبيتها حسب المراد . وهكذا درس  
هتزر وبيلر وتيودور هارت ٩٩ طفلا طيلة شهر في إحدى معاهد فينا وأعقبهم  
برات وأعوانه في جامعة أروهايو سنة ١٩٣٠ فوضعوا الاطفال في غرف اختبارية  
كتلك التي يراها القارى . هنا وهي مجهزة بضوء من الداخل ، كما أن جدرانها  
لا تسمح بأبصال الاصوات الخارجية ، ويمكن تثبيت درجة الحرارة والرطوبة .



فضلا عن ان الارضية سريعة الحساسية تهتز لاقبل حركة فتسجيل المقاييس  
مدى الذبذبات على شريط من الورق يمر تحتها في سرعة منتظمة . وقد كان  
لهذا الجهاز الفضل في نجاح نجارب إروين على نشاط الطفل الحركي طيلة



الايام العشرة الاولى وسنعرض لهذه التجارب تفصيلا بعد ان نسوق للقارىء بعض نتائج الابحاث فى الناحية الجسمانية

متوسط الوزن عند الولادة ٧ر٥ رطلا ، ومتوسط الطول ١٩ر٥ بوصة ويتراوح بين ١٧ ، ٢١ بوصة . أما العينان فيبدأن فى شئ من الاتفاق بين الاطفال جميعا بلون رمادى يميل للزرقة ، ولكنه يتغير بالتدريج الى اللون المستديم ومع انهما كاملتا الحجم تقريبا بالنسبة الكبير الا أن حركتهما غير مستقرة ، وتدوران كما لو انهما لا تحملان أى معنى ، فضلا عن انهما غير مرتبطتين ، فبينما احدهما تتجه فى ناحية اذ بالآخرى قد تتجه ناحية مخالفة ولكنهما ترتبطان قرب نهاية الشهر الأول ، ولو ان الخوف قد يسبب اضطرابهما فتنتقلان من عقابلهما حتى قرب نهاية السنة الاولى . ولا تنشط غدد الدموع حتى هذه اللحظة ، ولذا لا تصحب الصراخ أية دموع . فاذا اتجهنا للرقبة وجدنا انها قصيرة ، والجلد الذى يغطيها يتمضن فى ثنيات عميقة ، فى حين أن الرأس يغطيه فى الغالب شعر ناعم كثير .

وقدرة الوليد على التحكم فى عضلاته بسيطة جدا ، وعلى الاخص عضلات الساقين والرقبة بالنسبة للذراعين واليدين . وهذه العضلات صغيرة لينة ، تماما كالعظام التى تتركب فى معظمها من الغضاريف ، ولذا فهي لينة مرنة . وبنفس الطريقة نجد عضلات الالست والمثانة مرتخية ، وعلى العموم نجد المظهر العام للطفل الصغير يوحى بالضعف والاستسلام ، ولا يشذ عن هذه النغمة سوى وتر واحد ينقبض فى عنف ، ونعنى به أصابع اليد اذ تشبث بما يقترب منها فى شئ من الاصرار .

أما اللحم فهو متماسك ، والجلد لين ذو لون وردى تعلوه فى الغالب بشور خفيفة رقيقة وخاصة فى منطقة الرأس . وقد يحدث أن يغطي الجسم بشعر ناعم أملس ، معظمه على الظهر ، ولكنه سرعان ما يختفى .

الوظائف الفسيولوجية : بمجرد نزول الطفل واستقلاله كمخلوق تبدأ العمليات الفسيولوجية الثلاثة كما قلنا .. التنفس والتغذية والاخراج .. فى ضوء



مخالف ، فمرحلة الميلاد تحدث تمداً في الرئتين فيبدأ التنفس الطبيعي . . وإذا جاع الطفل أو اذا مسسنا شفثيه تحدث حركات المص المنعكسة . وفي خلال بضع ساعات من الولادة يتخلص الطفل من الفضلات ، وهكذا لا يمر وقت طويل حتى تثبت هذه الوظائف الثلاثة .

والواقع أن معظم هذه الوظائف العديدة يختلف في الطفل عنه في الكبير فالدم يحوى عدداً أقل من السكريات الحمراء وعدداً أكبر من البيضاء ، مما يجعل مناعة الوليد ضد الامراض فقيرة جداً . وتراوح سرعة النبض ما بين ١٣٠ ، ١٣٥ في الدقيقة ، ولكنها تتناقص الى ١١٨ بعد مرور عدة أيام مقابل ٧٠ للبالغ . فالقلب في أول الامر صغير بالنسبة للشرايين والاوردة ، ولذا يتحتم عليه أن ينقبض ويرتخى بسرعة أكبر ليحتفظ بضغط الدم مناسباً . كما أن سرعة التنفس تبلغ ضعف سرعتها عند البالغ ، فهي تتراوح بين ٤٠ ، ٤٥ في الدقيقة . أما حرارة الجسم الطبيعية فهي أعلى ، وتراوح بين ٩٨،٩٩ درجة فهرنهايت .

النوم : تتراوح مدته بين ١٥ ، ٢٠ ساعة في اليوم ، تقل الى ١٢ ساعة أو أقل قليلاً في سن سنة ، مقابل ٨ ساعات أو أقل عند البالغ .

ويظل الطفل مستيقظاً عادة في الساعتين الأوليين من حياته ، وقد يكون هذا ناتجاً عن العناية الطبية التي توجه اليه . وبعد هذا ينام الطفل مدداً تقطعها فترات قصيرة من الاستيقاظ تحدث كل ساعتين في المتوسط . وترى شارلوت بيلر أن أطول مدة لاحظناها للنوم المتصل في الايام الأولى كانت ٢٢٠ دقيقة تزداد كلما تقدم الطفل في العمر حتى تصل في نهاية الشهر الثاني الى خمس أو ست ساعات لا يقطعها شيء اذا كانت البيئه مناسبة . وعلى العموم تزداد فترات الاستيقاظ أثناء النهار وتقل ليلاً

فاذا شعر الصغير بالجوع أو أى مصدر داخلي للقلق استيقظ . أما



المؤثرات الخارجية التي قد توقظه فتقتصر في الغالب على اختلاف درجات الحرارة والاصوات العالية الحادة . والواقع أن الطفل الحديث الولادة يخف نوما ممن يكبره سنا ، فهو وان كان مريعا للنعاس الا انه سريع أيضا للاستيقاظ . ولعلنا لسنا في حاجة لتذكير الآباء والأمهات بعد هذا بضرورة الاحتفاظ بالهدوء واستقرار الظروف الحرارية والضوئية في بيئة الطفل فلها اثر واضح . فانصفاق الابواب في عنف... وصراخ الاطفال قريبا من فراش الوليد .. وابواق السيارات الحادة وتتابع الاضواء وغير ذلك تؤثر كلها على الطفل ونفسيته بتكرار استثارته لليقظة والخوف

ولو لاحظت اوضاع النوم عند طفلك لوجدت أنه في اللحظة التي يسيطر عليه النوم يهتز جسمه ويتقلص بعض الشيء ، فاذا بدأ يستيقظ دفع رأسه للخلف ومد ذراعيه وجسده فاذا وضعته بحيث يستلقي على بطنه فانه يتخذ وضعا مشابها لذلك الذي كان فيه وهو في البطن ، ويتغير هذا الوضع بالتدريج عند انتهاء الشهر الاول نتيجة لمرونة العضلات وازدياد التحكم فيها وتزداد حركات الطفل اثناء النوم بتزايد العمر خلال الاسبوعين الاولين كما هو الحال في فترات اليقظة . وكثيرا ما يحدث أن يتسم أثناء النوم الجهاز الصوتي : يبدأ عمله بصرخة الميلاد ، وقد كثرت التأويلات بشأنها

فمن قائل انها صرخة الانين والاسى اذ يحس الطفل بالكارثة التي حلت به ساعة الولادة... ( رأى كمانت ) الى آخره يؤكد أنها نتيجة احساس الطفل بخوف وهلع شديدين لنزوله الى بيئة جديدة تنظر اليه من عل فتملأه شعورا بالنقص ، ( أدلر ) . ولسكن الواقع أن تفسيرها فسيولوجي صرف ، فلها فائدتان .. امداد الدم بالاكسجين اللازم . . ومساعدة الرئتين على التمدد وهكذا يصبح التنفس ممكنا

وتختلف صرخة الميلاد في ارتفاع النبرة وشدها من طفل لآخر حسب سهولة الولادة أو عسرها ، وما يعقب ذلك من حالة الطفل الصحية... فهي عميقة حادة في الطفل الذي يندفع من الرحم في سهولة .. بينما في الأطفال



الضعاف المنهكين من تعب الام وعملها المستمر أثناء الحمل أو لنزولهم بعد ليلة ساهرة مريرة قاست فيها الام آلام الوضع ، تخرج الصرخة واهية قصيرة متقطعة . وقد لوحظ في حالات الولادة السابقة لأوانها .. أو الاطفال الذين يعانون سوء التغذية والضعف العام .. ان الشهيق يصحبه أنين خافت

ويمكن أن يلاحظ الآباء اختلاف حدة الصراخ منذ اليوم الاول حسب نوع المؤثر . ففي حالة تضايق الطفل بوجه عام كما لو أحس البلل تخرج الصرخات متعائلة في الحدة .. بينما في حالة الألم نتيجة لاضطراب هضمي مثلا ترتفع الصرخة الواحدة في الحدة عن بدايتها فإذا أحس الطفل الغضب لعائق وضع في سبيل حركاته كثقل الاغطية أو الملابس استطالت الصرخة قليلا .. وتوقف التنفس برهة مما يدعو لاحمرار الوجه .. وتستمر الشهقات المتقطعة عادة بعد انتهاء نوبة الغضب بقليل .

والطفل وهو بعد في اسبوعيه الاولين تحركه ظروف البيئة المباشرة والحالة الفسيولوجية للصراخ ، وهو في هذا يختلف كثيرا عن البالغ أو حتى عن رفيقه الأكبر سناً ، وهناك أسباب ثلاث تدفع الوليد للصراخ .. الجوع .. والألم الناتج من المؤثرات المؤذية كحمله أو خلع ملابسه بعنف ، أو خلال عملية الختان أو الجروح والاحتقانات من أى نوع .. وأخيرا التعب أو قلة مجال الحركة والتمرين .

ويندر أن تصدر الصرخات دون أن تصاحبها حركات الجسم العامة كالرفس ، ومد الذراعين والساقين ، وضم قبضتي اليدين وفتحهما في عنف ، وإداره الجذع والرأس من جنب لجنب . ويلاحظ في الغضب أن الرفس أقوى منه في أية حالة انفعالية أخرى ، والقدمين تندفعان سويا بدلا من واحدة في أثر الأخرى .

ويرى إروين في هذه الحركة العامة التي تصحب الصراخ عند الوليد أولى بوادر السلوك الاجتماعي حيث قد يصبح نشاط الطفل هذا علامة على أنه



يتطلب من الام العناية والاهتمام ، وإذن فهو مظهر من مظاهر اللغة .  
وفي تجربة طريفة لبيلاتون سنة ١٩١٧ حاولت أن تدرس أثر صراخ  
طفل على ست من زملائه يرقدون في نفس الغرفة ، وتراوح أعمارهم بين يوم  
واحد وأربعة عشر يوماً على أمل التأكد مما إذا كان الصغار عرضة للايحاء  
أو التقليد أو أنهم يتفاهمون مع بعضهم البعض بلغة لا ندركها ، ولكن لم  
يظهر على الاطفال الستة تأثير واضح نتيجة للصراخ الذي يسمعون ، وتكرر  
هذا عندما وضع طفلان احدهما يصرخ في فراش واحد فلفظ ظل الآخر  
سا كنأ حتى وهو مستيقظ . واذن فليس هناك دليل على وجود اتصال  
اجتماعي بين الصغار في هذا السن المبكر .

وهناك غير الصرخات ، بل وأهم منها الاصوات الاندفاعية . وهي تشبه  
الى حد ما التنفس المسموع ونسميها أصوات « الكركرة » . وهي تحدث  
دون قصد من الطفل وإنما تنسب من مرور الهواء على الحنجرة أثناء انقباض  
الاحبال الصوتية . ويخطئ البعض إذ يقل من شأنها لانخفاض نبرتها بالنسبة  
للصرخات التي تثير اهتماما أكبر ، ولكننا لو تتبعنا النمو اللغوي للطفل كما  
سنفعل في فصل قادم لرأينا أن الصرخات يقل استعمالها بالتدريج كلما  
نما الطفل بينما تقرأ الاصوات الاندفاعية وتعدل فتصبح خلال النصف  
الآخر من السنة الاولى مصدرا هاما من مصادر اللغة والسرور بالنسبة للطفل  
وتحوى معظم الحروف والاصوات التي نستخدمها في حديثنا ، وهنا نسميها  
« المناغاة » ، وهي في الحق أساس اللغة .

ومن الاصوات الاندفاعية الأخيرة العطس والفواق ( لزغطة ) والتثاؤب ،  
والاولان من الأفعال المنعكسة . ويحدث العطس خلال الساعات القليلة  
الاولى من الحياة ، وفي بعض الأحيان قد يسبق صرخة الميلاد نفسها .  
والواقع أن الطفل الصحيح الجسم يعطس بضع مرات في اليوم لينظف أنفه  
من المواد الغريبة . ويحدث التثاؤب مبكرا أيضا . وقد لوحظ بعد ثوان من  
الولادة بعكس الفواق الذي قد يتأخر حتى نهاية الاسبوع الاول .

لاست  
في تع  
ثم ج  
من ب  
العشر  
حركا

وقبح  
والعب

التنفس

منفصل

يومد

راحة

و

الردف

سركار

و

العطس

الحشر

(١)

st test

2



النشاط الحركي : لو حاولنا أن نسجل بأنظارنا كل حركة يقوم بها الصغير لاستحال الامر فالحركات مريية متعددة تنتاب الجسم كله أو بعض أعضائه في تعاقب تخطئه العين . ولذا فكر جيلمر في الاستعانة بالاشربة السينمائية ثم جاء اروين ليستخدم الغرف الاختبارية التي سبق نشر مثال منها ، وهي مأخوذة من برات ونلسون وسن ، في تشريحه القيم <sup>(١)</sup> على أطفال أربعة طيلة الايام العشرة الاولى ، وفيه قسم الحركات الى عدد كبير نختصره لسهولة العرض الى حركات الرأس .. والجذع .. والذراعين .. والساقين .. ثم الاصوات ومن حركات الرأس الحركة الجانبية الى اليمين واليسار ودفعه للخلف .. وفتح الفم وغلقه .. وزم الشفتين ولعقهما .. وفتح العينين واغماضهما .. والمبوس واخراج اللسان .

أما الجذع فيدور في محاولات التقلب .. وينثني ثم يمتد .. وحركات التنفس السريع .. والارتعاش .. والحركات العنيفة كما لو اجفل الطفل تنتقل بمد هذا للذراعين ، والحركة هنا قد تتناول الذراع كله دائراً حول مفصل الكتف ناحية محور الجسم أو للخارج .. أو حول السكوع في ثني وممد .. والتلويح .. ثم حركات الابدى والاصابع التي تنقبض على ما يلامس راحة اليد .

وبنفس الطريقة نجد حركات السيقان تتضمن الساق كلها دائرة حول الورك للداخل أو الخارج .. ثم ثني الساق عند الركبة ومدها .. وأخير حركات الاقدام والاصابع التي تنتشر كمروحة عند استئارة باطن القدمين . وتتضمن الاصوات الصراخ .. والسعال .. والتنهد والتنفس المسموع والعطس .. وأصوات الشفتين من فتح وغلق ومصر .. والتأوب .. والحرجة .. والفواق .

The amount and nature of activities of newborn infants (١) under constant external stimulating conditions during the first ten days of life , Genet. Psychol. Monogr 1930 , 3 No.1, Pp.92



هذه بعض الحركات التي يمكن أن يقوم بها الوليد حاولنا ان نبسطه للقارىء ، ويهمننا أن نؤكد تداخلها الى حد كبير فاذا أجفل الطفل أو تنفس بسرعة ، نتيجة لحزف أو قلق ، صاحبت الجذع حركات الاطراف فضلا عن أن السعال مثلا ليس صوتا فحسب بل هو حركة أيضا .

ويحاول إروين أن يضع الحركات كلها تحت قسمين أساسيين :

أ - الحركات العامة

ب - الحركات المخصصة

وهو يعنى بالاولى تلك التي تتناول الجسم كله في مجهود عام مشترك فيه الاطراف كما يشترك الرأس والجهاز الصوتي ، وهي مهوشة مضطربة مبالغ فيه فالعطس وان كان من النوع الثاني إلا أنه مصحوب عند الوليد بحركة أعضاء الجسم مجتمعة ، ولذا يفقد الطفل عند العطس من الحيوية ما يزيد عن البالغ مرتين ونصفا إذا قارنا الطاقة المنصرفة رطلا برطل ، ولعل هذا أحد أسباب ازدياد مدة النوم عند الصغير عنها في الكبير فالجهود المنصرفة أكبر نسبيا مما يسبب التعب .

أما القسم الثاني فيتميز بالانساق والانسجام ، ويدور فيه عنصر الاقتصاد والتحكم ، إذ تتحدد الحركات في داخل دائرة أضيق وتتناول عضواً أو مجموعة أعضاء متجاورة .

ويخطئ من يظن أن القسمين متضادان ، فالحركات العامة قد تتجمع من حركات متسقة تمشي خلالها أعضاء الجسم ، وهنا يرد إروين على جيلس ودينيس اللذين اعترضوا على هذا التقسيم .

أ - الحركات العامة : تكون الجزء الأكبر من حركات الطفل ،

فالجهاز العصبي حتى هذه اللحظة - وعلى الاخص المناطق اللحائية - لا يزال حديث التكوين ، ولقد أثبت مينكوسكى هذه الحقيقة بدرامته للاجنة فبعض الاحبال العصبية عند الوليد الصغير تظل غير ناضجة .. ، وهكذا لا تستطيع الرسالة العصبية القادمة من إحدى أعضاء الحس أن تنقل بسهولة



خلال النخاع والجهاز العصبي الى عضو الحركة ، بل يحدث إشعاع يتناول قدراً أكبر من الأعضاء سرعان ما ينتقل الى الجسم كله ، ولو أنه أوضح في العضو الذي تعرض للتأثر ، ويبدو هذا التسلسل بوضوح طريف في اشرطة دلمان المتحركة.

تردها بالنسبة للأعضاء : درس جيتوود وفيس دور كل عضو بالنسبة

للحركات في مجموعها وخرجها بان الجذع هو أكثر الأعضاء حركة ، يليه الساقان ثم الذراعان ، وبعدها الاصوات ، واخيراً الرأس .

ويتفق إروين معها إذ يضع هذا الجدول

| العمر<br>بالأقدام | الرأس | الجزع | الذراعان | الساقان | الاصوات |
|-------------------|-------|-------|----------|---------|---------|
| ١                 | ٣     | ٢٠    | ٢٣       | ٤٤      | ١٥      |
| ٢                 | ٤     | ٢٩    | ٢١       | ٣٩      | ١٦      |
| ٣                 | ٣     | ٢١    | ٢٤       | ٣٦      | ١٤      |
| ٤                 | ٥     | ٢٥    | ١٣       | ١٨      | ١٣      |
| ٥                 | ٥     | ٢٢    | ٢٠       | ٢٧      | ١٣      |
| ٦                 | ٤     | ٢٥    | ١٢       | ٢٠      | ١٢      |
| ٧                 | ٣     | ٢١    | ١٤       | ١٧      | ١٣      |
| ٨                 | ٥     | ٢٦    | ١٣       | ٢٤      | ١٧      |
| ٩                 | ٥     | ٢٧    | ١٤       | ١٥      | ١٣      |
| ١٠                | ٤     | ١٨    | ١٤       | ٢٠      | ١٧      |
| المتوسط           | ٤     | ٢٤    | ١٧       | ٢٦      | ١٤      |



فاذا نظرنا الى هذا الجدول وجدنا أنه يبدو فضلا عن الحقيقة السابقة أن حركات الرأس والجذع والجهاز الصوقي تتزايد، بمكسر الذراعين والساقين اللذين تتناقض حركاتهما خلال الايام العشرة تناقص ملحوظا، مما دعا إروين الى القول ان السيطرة تنتقل من الاطراف الى محور الجسم الرئيسي، وهذا يتمشى مع ما ذكرناه (ص ٤٥) من أن الضبط الحركي يبدأ بالرأس ثم الجذع وأخيراً ينتهي بالاطراف وأهل كل هذا يقودها الى القول بأن للطفل إذ يتقدم في العمر يبدأ جهازه العصبي في الثبات والاستقرار والتركز تحت قيادة المخ واللحاء.

وقد ركز ستين واروين أبحاثهما بعد هذا على الذراعين والساقين فوجدوا اختلافا محسوسا بين نسبة حركات الذراع الايمن والايسر في مصلحة الاول والعكس في حالة السيقان إذ تتحرك الساق اليسرى أكثر من اليمنى.

اثر الحالة الجسمانية: عمل إروين رسما بيانياً للحركات كما تتتابع خلال

اربع وعشرين ساعة مع ثبات المؤثرات الخارجية فأتضح منه أن أكثر الحركات تقع بين الساعة العاشرة مساءً والسادسة صباحاً. فاذا تذكرنا أن أطفال إروين كانوا يرضعون ٦ مرات يوميا. الواحدة مساءً ثم الرابعة والسابعة والعاشرة ثم تنقطع الوجبات لتبدأ في السادسة صباحاً ثم العاشرة. اذا تذكرنا هذا شاركنا إروين القول ان من أكبر مسببات الحركة العامة لدى الطفل اذا ثبتت الظروف الخارجية الجوع (١) إذ تكاد الحركات تضرب

---

(١) في تجرية طريفة لدراسة أثر الجوع على نشاط الطفل جعل ريتشاردز الاطفال يتلعون بالونات من المطاط الرقيق تنفخ اذ تستقر في المعدة، ويتصل بكل منها جهاز حساس يسجل الذبذبات التي تتتابع عليها نتيجة لانقباضات المعدة على أثر الجوع. وقد خرج من هذه الدراسة بأن الجوع ليس هو السبب في الحركة العامة بل ان كليهما نتيجة لحالة تمثيلية أو امتصاصية موجودة في الخلايا أثناء الجوع وربما كان سببها قلة السكر في الدم.



رقا قياسيا في الانخفاض بعد السادسة صباحا بقليل أى بمجرد إعطاء الوجبة بعد أن كانت قد وصلت قبلها الى نهاية الارتفاع .

ولكن المسألة لا تقتصر على الجوع ، بل ان المؤثرات الداخلية لها أيضا حسابها كعمليات الاخراج وتصحبها نسبة كبيرة من الاصوات .. والاضطرابات الهضمية .. والالم أو النعب الجسماني .. والبلل .. ووقت اليقظة بوجه عام أكثر حركة من النوم ( معدل  $\frac{1}{4}$  حركة في الدقيقة مقابل  $\frac{1}{8}$  ) .

وواضح من التجارب أن الحركات العامة تبدأ قليلة في اليوم الاول ، وتتابع في ارتفاع خفيف مطرد حتى اليوم الرابع ، ثم ترتفع فجأة فتصل لنهايتها عند اليوم السابع ، ومن عجب أنها تخفت قليلا بعد هذا خلال اليومين التاليين وتحاول أن تستعيد ما فقدته خلال اليوم العاشر مما حدا باروين الى القول ان استقلال الطفل عن الام واعتماده على جهازه الهضمي يصحبه ازدياد الحركات العامة . ولكننا نعود فنؤكد أن هذا الازدياد يستمر الى حين ، تعود بعده هذه الحركات الى الانكماش لتفسح الميدان لزميلتها المخصصة بنمو المخ واللحاء .

أثر الظروف الخارجية : تمت التجارب السابقة مع ثبات المؤثرات الخارجية ، ولقد حاول فيس أن يدرس أثر هذه الأخيرة وخرج بان تغير الاضواء يؤثر على الطفل أكثر مما يؤثر الضوء نفسه ، ولو أن هذا الأخير مما يضابق الطفل إذا كان ضعيفا جدا أو شديد البريق . كذا تتمشى زيادة الحركة مع حدة الصوت وارتفاع النبرة أو طول مدة تردده .

ومما يعوق الحركة عند الصغير الملابس والأغطية ، فإذا أزيلت زادت الحركة وزاد الصراخ . ولكن لا يبدو أن الطفل يتأثر بتغير الحرارة ما بين ٧٤ ، ٨٨ درجة ، أو الرطوبة ما بين ٢٢ ، ٩٠ في المائة .



ب الحركات المخصصة : يرى اربوين أنها لاتعدو ثلاثة : حركة المص  
المتسقة حيث تعمل الاعضاء المطلوبة فقط في اقتصاد يتنافى مع الحركات  
العامة التي سبق ذكرها .. ووضع النوم الذي يميز الاطفال الصغار حيث  
يستدير الرأس في هدوء ناحية اليمين أو اليسار ، ويمتد العضدان متقابلين  
من الكتف ، بينما ينتصب الساعدان عند زاوية قائمة فيوازبان جانبي الرأس  
وتدثني الساقان قليلا عند الركبة .. أما الحركة الثالثة فهي حركة الساقين  
المنظمة المنتظمة واحدة في أثر الأخرى كما أنما الطفل يخطو خطوات توقيعية.  
واسكننا نرى أن تمتد بالبحث الى أكثر من هذا فنقسم الحركات المخصصة  
الى قسمين : الافعال المنعكسة .. والردود العامة ، والتفرقة هنا تعتمد على  
الدرجة لا النوع .

وقد تعددت دراسات الافعال المنعكسة مما ملا جملة الباحث بقدر كبير  
منها .. ولعل اسرعها للظهور ما هو ضروري لاستمرار الحياة كبتلك التي  
تختص بالجهاز الهضمي .. وضيق حدة العين أو اتساعها لتحديد كمية الضوء  
الداخل للشبكية .. وهذه موجودة في الجنين قبل الولادة بشهور .  
وهناك ما يبدأ بمجرد الولادة كضربات القلب .. والتنفس .. والعطس . أما  
الافعال المنعكسة الأخرى فتتأخر ساعات أو أياما بعد الولادة ، ومنها عناق  
مورو ( ويحدث عند طرق ارضية فراش الوليد الصغير طريقة سادة فيلقى  
بنزاعيه في حركة دائرية تشبه العناق ) .. وحركة بايينسكي ( انتشار اصابع  
القدمين كالمروحة عند استئارة باطن القدمين ) .. وتقبض اصابع اليد عند  
ملامسة جسم لراحتها .

أما الردود العامة فتضمن مناطق أكبر من الجسم ، واسكنها تشبه المنعكسة  
في أنها موجودة عند الميلاد أو بعده بقليل ومنها ثبات العين على الضوء ،  
وتشاهد هذه الحركة خلال اليوم الأول ولو أن حركات العين التلقائية  
كفتحها واغماضها ودورانها في محجريها ما تحدث بقليل جدا من الترابط .. ،



وادرار الدمع ، وهو وان كان موجودا في العين عند الولادة الا أن أول مظهر  
تترطب فيه العينان يبدو بين اليوم الثالث عشر والسادس عشر .. وهناك  
الحركات المنساجة لتناول الطعام كالمص والبلع .. وحركات اللسان والصدغ  
والشفيتين .. ثم مص الاصابع وقد لوحظ أحيانا بعد عشرين دقيقة من الولادة ،  
ثم التثاؤب ويمكن استثارته بلمس الشفتين أو الذقن .. والحركات المنخمة  
للحم وتحدث في الغالب أثناء النوم اذ يفتح الطفل فمه ويخلقه في حركات  
منتظمة .. وكثيرا ما يخرج لسانه ما يقرب من نصف بوصة .. ثم العبوس  
الخفيف .. ورفع الرأس وإدارته خصر صا لو استلقى على بطنه .. ومحاولة  
التقلب بتأوى الجائع والرفس بالساقين ، ولو ان المحاولة لا تنجح في نقل  
الطفل من الظهر للجانب .. ، وأخيرا فأنت لو حاولت أن تجلس الطفل بعد  
أيام من الولادة لأظهر مقاومة قليلة لحركة السقوط المتوقعة للامام .. ولو  
أحاولت إيقافه حاملا إياه تحت الإبطين لبدأت حركات القدمين كما لو كان  
يرقص ، ولو استلقى على بطنه وأعطى حازا يرفس برجليه ازاءه لتحرك  
على الفراش ما يقرب من بوصة

انفعالات الوليد : يبدو من تجارب واطسون أن للصغير انفعالات

ثلاث : الخوف ، والغضب ، والحب .

ويمكن استثارة الخوف بسهولة باحداث صوت ثاقب حاد ، أو عند  
فقد السند ، كما لو تركت ذراعيك يهويان سريعا وأنت تحمل الطفل ، أو  
جذبت الوسادة التي ينام عليها بعنف . ويبدو الخوف واضحا في حركات  
الطفل فهو يجفل ، ويتنفس بسرعة ، ويغمض عينيه فجأة ويقبض يديه  
ويستثار الغضب لو عرقلت حركات الجسم منذ الولادة . فاذا أمسكت  
أنفه بأصبعك ، أو رأسه بحيث تمنعه من تحريكه ، أو ساقيه أو ذراعيه لاحظت  
تصلب الجسم ، ووقف التنفس لحظة ، والحركات الدفاعية العنيفة ،  
وينفتح الفم دون صدور صراخ مما ينتج عنه احمرار الوجه ثم زرقة قليلا  
وبعد هذا يصرخ الطفل احتجاجا .



أما عاطفة الحب فيمكن استثارتها بأن تؤرجح الطفل باطف من جنب  
الجنب وتربت عليه ، وتمسح بيدك جلده بلطف .. ، وأسهل من هذا  
استثارة المناطق الجنسية في الطفل كالحلمات والشفيتين والاعضاء التناسلية  
وهنا نجد الطفل يبتسم ، ويصدر أصوات « كركرة » ، ويلوح بذراعيه وساقيه  
وكل هذا يدل على حالة انفعالية سارة .

وقد قبل تحليل واطسون برضاء في أول الامر .. ولكن بمجرد أن جاء  
شيرمان بعد هذا بسنوات أربع ليختبر مدى صحة هذا التحليل فجمع جانباً  
من أكتفا الملاحظين وأحدث مؤثراً معيناً - كفقد السند - دون أن  
يروه ، ثم تركهم ليستنتجوا من سلوك الطفل نوع المؤثر فرجد تضارباً  
ملاحظاً .. نقول بمجرد أن حدث هذا توالى الاعتراضات على أيدي تيلاور  
وبرات واروين ثم هنت وكلاارك ، حتى لقد ذهب بعضهم إلى القول إن  
سلوك الصغير لا يعدو أن يكون نشاطاً عاماً .

ولكننا نستطيع أن نقول بهدوء ان الصفة المميزة للتكوين الانفعالي  
للطفل الصغير جداً هي الكلية Wholeheartedness أو غياب كل ما يمكن  
أن يسمى تدرجاً لرد الفعل ازاء تغير المؤثر في الدرجة والحدة ، ومن هنا  
كانت حدة الانفعال الناتج وحدوثه بطريقة مبالغه تقف في طريق ربطه  
بالمؤثر وخاصة اذا كان قصير المدى منخفضاً في الدرجة وعلى العموم فسرعان  
ما يخرج الصغير من هذه المرحلة « المائعة » خلال سنى الطفولة ليتحكم في  
حياته العقلية تحت نظام ثابت متدرج .

حساسية الوليد : قد تكون الطريقة المثلى لدراسة الاحساس هي التأمل  
الباطني ، ولكن لأننا نعالج الآن مرحلة سابقة لتعلم الكلام نعتمد في تأويلنا  
للأحاسيس على الحركات التي تنشأ « عادة » من عضو الحس المتأثر .. واذا  
كانت الغرف الاختبارية التي سبقت الإشارة إليها تعين الباحث على تسجيل  
أدق حركات الطفل أثناء مرور هبة من الهواء العادي لنقارنها بحركاته  
ازاء أخرى بنفس الشدة من الهواء الحاوي لرائحة معينة كالخل والزيت وغاز



الأمونيا (كتجربة لحاسة الشم) فلنذكر أن الباحث لا يجرؤ على استخدام مؤثر قوى لثلا يؤذى أعضاء الحس المرهفة .. ثم هو اذ يهدىء من المؤثر قد يتدخل احتمال أن تكون الحركة الناشئة حركة تلقائية لاردا على المؤثر الخارجى المستخدم

فاذا بدأنا بحاسة البصر وجدنا أن الشبكية عند الصغير أرق والمنطقة التى تحتلها أصغر منها فى حالة البالغ . ويتدرج الفعل المنعكس الذى يوسع أو يضيق حدقة العين حسب شدة الضوء فى التحسن حتى يتكامل بعد ثلاثين ساعة من الولادة ، كما تتتابع الحركات الدفاعية لدى اقتراب مؤثر من العين كادارة الرأس واسدال الجفون والصراخ

ويستطيع الطفل فى خلال عدة ساعات أن يتبع مؤقتا جسمًا متحركًا ببطء ثم يعيد العينين أو احدهما الى الوضع الطبيعى ، كما تنمو القدرة خلال الايام العشرة الاولى كما يرى بيزلى على تحريك العينين فى كل اتجاه ، رأسى وأفقى ودائرى ، ولو أنه لا يزال أمامه بعض الوقت للتثبيت من هذه الحركات تلقائيا

ونجد فى الغالب أن الضوء يسبب للطفل علامات قلق ومضايقة. كذا حاول الباحثون معرفة اثر اللون على الوليد بالدراسة التشريحية للعين من الداخل اذ تتأثر بالالوان ، وقد خالف سميث بما استخدمه من أجهزة دقيقة سنة ١٩٣٦ ما ذهب اليه برير فى القرن التاسع عشر وكانسترينى سنة ١٩١٣ من أن الطفل لا يعدو التفرقة بين الضوء والظلام ، وقال إن الطفل بعد سبع أو تسعة أيام من الولادة يمكن أن يميز بعض الالوان من درجة واحدة ، ولعل اوضح مسح الالوان بالنسبة له الازرق ويليه الاخضر ، ومن عجب أن الاحمر ياتى فى النهاية .. ، كما أن البنات يتأثرن بالالوان بشكل اوضح ، بحيث يبدو أن البنين لديهم عمى لوني جزئى ، وهم لا يرون الاحمر مطلقا

أما حساسية السمع فقد اختلف فى بدء ظهورها الباحثون ، فقد قال بعضهم انها واضحة بعد ١٠ دقائق من الولادة وقال آخرون ان الطفل يظل



أصم بضعة أيام بعد الوضع . والسبب في هذا التناقض هو أن الاذن الوسطى تكون في معظم الاحوال مسدودة بالسائل الذي كان يضم الطفل وهو جنين ولا يحف هذا السائل بسرعة . ولكن في المتوسط نجد حاسة السمع تظهر بعد مرور اليومين الاولين . ويعزز هذه الحقيقة بريان في تجاربه سنة ١٩٣٠ مستعملا جرسا يدويا يصدر ٥١٢ ذبذبة في الثانية .

ويلاحظ أن الطفل يتأثر بأصوات الاشياء كالشخشيخة أو طرق طبق صيني بملعقة أو تمزيق الورق أكثر مما يتأثر بأصوات الانسان حتى لو كان هناك مناقشة عالية في نفس الغرفة ، فتميز صوت الانسان لا يسيطر على غيره قبل الاسبوع الرابع .

وحاسة الذوق أقوى من السابقتين وأوضح ظهورا ، اذ وجد برات ونلسون ومن أن الاطفال يستجيبون في نهاية اليوم الاول الى ٨٦ في المائة من المؤثرات الذوقية التي استعمل منها السكر والملح والكيين والماء وحامض السيتريك في صورة حركات ايجابية كالمص للحلو وأخرى سلبية للمر أو اللاذع كادارة الرأس من جانب لآخر ، ودفع الوجه لأعلا ، والصراخ ، ورفع الساقين والذراعين .

وتشبه هذه الحاسة الاخيرة وربما تفوقها حاسة الشم ، ويمكن ملاحظتها خلال الساعة الاولى من الولادة . فلو قربت من الطفل رائحة نفاذة كالبتترول أو الخل أو النوشادر أو روح البرتقال أو لبن الام لاحظت في المضايقة تقلصات في الوجه والرفس والصراخ . . . وحركات المص اذا كان مرتاحا . بل وقد لوحظ أن الروائح النفاذة تستثير هذه الحركات عند الطفل أثناء النوم ، كما يدير الوليد رأسه بعيدا عن الثدي اذا تشبع برائحة البترول .

وأخيرا فحساسية الجلد للبرس والضغط والتغيرات الحرارية والالام موجودة ساعة الولادة أو بعدها بقليل في كل عضو من الجسم ، ولو انها تختلف حسب شدتها ، فالاعشية المخاطية للشفتين أكثر حساسية من الجذع والاردا ف والساعد .



كذا يتأثر الطفل بالحرارة أو البرودة ، فقد لاحظت بلانتون ارتعاشا واضحا في طفل في مدى ١٥ دقيقة من الولادة ، ولم يتوقف الا عندما قرب الطفل من زجاجات الماء الساخن . والواقع أن الطفل يستجيب للبرودة أكثر مما يستجيب للحرارة . . ، كما يلاحظ رفضه للبن أو أى سائل اذا كان أبرد أو أسخن من الحرارة المعقولة .

وأضعف من هذا الاحساس بالالم خصوصاً في اليومين الاول والثاني من الولادة . وأكثر الاعضاء حساسية باطن القدمين ، والشفيتين ، والجفون ، والجزء الداخلى من الانف ، وجلد الجبهة . وعلى العموم فالاستجابة للالم تظهر في الجزء العلوى أسرع من السفلى ، فلقد أثبت شيرمان وفلورى ان الطفل بعد خمس ساعات من الولادة يستجيب اذا وخز مرات متعاقبة في الصدغ بينما لا يتأثر مهما وخزته في الساق . فاذا تكاملت للطفل ٤١ ساعة تكفى وخزة واحدة في الوجه ليستجيب بينما لا يحدث هذا بالنسبة للساق قبل ٧٦ ساعة .

والواقع أن عملية الختان بدون بنج خلال الاسبوعين الاولين لا تؤلم الطفل بدرجة ملحوظة .

أما الحساسية العضوية للجوع أو العطش مثلاً فن الصعب أن نتأكد من وجودها في هذا الوقت المبكر وأن كانت تجربة ريتشاردز التي سبق ذكرها حيث ابتلع الاطفال البالونات تعطينا فكرة عن انقباضات المعدة وسببها الا انا لا نستطيع أن نجزم بما اذا كان صراخ الطفل وحركته العامة نتيجة شعور عام بالمضايقة أو أن هذه المضايقة تختص فقط بالجوع أو العطش ، وكل ما نستطيع أن نقوله اعتماداً على التجربة الأنفة الذكر مضافاً اليها أبحاث كارلسون وجينز برج سنة ١٩١٥ إن فترات الجوع تحدث كل ١٠ أو ١٥ دقيقة تنتهى كل منها بتقلص شديد للعضلات .

والآن وقد عرضنا صورة موجزة عن حواس الطفل الحديث الولادة أى شعور ذلك الذى يملكه اذ ينزل الى ذلك العالم الغريب المليء بالمؤثرات؟



لقد ظل هذا السؤال يراود الانسان سنين عديدة واعتمد معظم الباحثين فيه على  
ناحية تصويرية شخصية ، ولعل أكثر التعبيرات شيوعا ما قاله و . جيمس من  
أن « الطفل الصغير وقد ترامت اليه السهام من كل مكان .. العيين والاذنين  
والأنف والجلد في لحظة واحدة .. يشعر بالعالم كخلية نحل كبيرة تدوى وتتر  
في اضطراب يملك عليه مشاعره .. »

ويرى شتيرن أن الطفل الصغير ولو أنه « مجموعة من الأفعال المنعكسة ،  
الأن لديه « أولى بوادر الشعور عند الولادة في مزيج من عناصر  
الحس والانفعال .. »

أما كوفكا فهو في تعبيره فنان مرهف الحس فالوليد يجابه للعالم من زاوية  
مخالفة لنا نحن الكبار .. « تماما كما تنساب ألحان نغم رائع فتسمو بواحد منا الى  
سما الخيال .. بينما لا يرى فيها الآخر سوى صوات تردد ، فقد خلت نفسه من  
معاني الجمال .. »





## الفصل الرابع

### النمو الجسماني

في مؤلف كمذا يهتم بنفسية الطفل قد يبدو من الغريب أن نفرد مكانا للاناحية الجسمية ولكن الخط الفاصل بين الجسم والعقل هو خط رقيق لا يمتثل مجرد التحليل . ويكفي جانب من الخمر أو المخدرات من أى نوع التحليل أكثر الناس اتزاناً وعقلاً وهدوءاً أضحوكة أمام الجميع .

ومن الواضح أن الحالة الانفعالية للطفل بين ستة أشهر وسنتين ونصف يمكن أن نعيدها جزئياً إلى تأثير ظهور الاسنان ، فكل سنة يصحبها اضطراب جسماني ولو بسيط ، مما يجعل الطفل معرضاً للقلق العام وعدم الاستقرار . فضلاً عن ظهور نزعات العض والاعتداء . كما أن اللعب في كل عمر - وهو ظاهرة عقلية - يعتمد على مدى النمو الجسماني للطفل اعتماده على الحالة العقلية . فحجم الجسم ، وقوة العضلات ، وكمية الشحم المخزنة ، تحدد إلى مدى بعيد التقدر الذي يسمح للطفل بالاشتراك مع رفاقه في اللعب . ويتبع هذا قوالب معينة من السلوك . . فهو إما مترجع خامل مستسلم للعزلة واليأس . . . وإما منطلق مرح ميوله اجتماعية . . ، أو مسيطر متزهم يقود الآخرين في لعبه . بل إن الذكاء يعتمد مباشرة على حجم وتركيب المخ وهي اعتبارات جسمانية .

يضاف إلى هذا أن الحالة العقلية تتغير حسب موقف الطفل الجسماني من المحيطين به . . فهو في وقت ما خجول منزوي في حضرة البالغين ، وبعد ساعة واحدة متوثب يميل إلى الاعتداء مع من هم أصغر منه حجماً . ولقد سبق أن عرضنا للتغيرات الجسمية التي تجلبها المراهقة وأثرها على الغلام في أحجامه وعن احترام والديه ؛ فهو يظن أنه يقف معهم على قدم المساواة ، كما أشرنا إلى تأثير الغدد المصابة في القلق العام ، وخاصة افرازات الغدة الدرقية التي قد تنصل بالطفل إلى مرحلة البله .



بل ان العاهات الجسمية كالصمم أو العمى أو ضعف القلب تمنع الطفل من الاشتراك في النشاط الاجتماعي مع رفاقه فيتكون لديه سلوك متراجع فينزع للوحدة وتتلون نظراته للعالم بلون سوداوى متشائم . . فضلا عن اتجاه الاطفال الصحاح الاجسام نحو المريض فهم يتجنبونه . . أو يسخرون منه . أو يعطفون عليه . وكل موقف من هؤلاء يكيف كثير اواقفه تجاه نفسه . وبنفس الطريقة اذا تأخر حلول المراهقة ، خصوصا في حالة البنين الذين يبدون صغارا بمقارنتهم بزملائهم في نفس السن الذين نموا نموا سريعا يؤثر كثيرا على شعور الطفل بالنقص والعجز والغيرة مما يشكل سلوكه اما بالوحدة والخنوع واليأس ، أو التشرذم والاجرام . ومما يجعلنا محقين في القول ان « الطفل يسلك تبعا لعمره الجسماني »

أما أثر العقل على الجسم فواضح في التنويم المغناطيسى والايحاء . وقدما جىء بأحد المجرمين الخطرين كان محكوما عليه بالاعدام وأرثقت يده خلف ظهره ، وقيل له ان الحكم سينفذ فيه ببطء إذ سيقطع أحد شرايينه فيسيل منسه الدم حتى يموت . ورأى الرجل الجلاد وهو يعد الموضع كما رأى دلوا يوضع خلف ظهره لتجمع فيه الدماء ، ثم أحس بالموضع يعمل في ذراعه وسرى شيء دافى يتدفق من بين أصابعه الى الدلو . ومن عجب أنه مات بعد دقائق . . مع العلم بأن الجرح كان سطحيا بينما ركبت أنبوبة بتخللها ماء دافى فوق ذراعه فظن المسكين أنها دماؤه !

وليس بخاف ما يصاحب الانتباه - وهو عملية عقلية - من مظاهر جسمانية . فالمنخرج في دار الخيالة أو على خشبة لمسرح قديصل بالنظارة إلى موقف هو مفتاح القصة كلها ، فالمجرم صاحب الجرائم الغامضة يقترب الآن من خلف البطل فينعكس ظله على الجدار ؛ وهو ظل ضخم كثيب يلتف في عباءة واسعة ثم يرتفع في يده خنجر ليهوى به في عتو وجبروت . . وهنا تجسد السكون مخيا على النظارة ، فلاحس ولا حركة ؛ بل قد حبست نسبة كبيرة منهم أنفاسها ؛ وانفتحت عيونهم لانطراف ، وأرهفوا آذانهم لالتقاط أكثر الاصوات خفوتا



بل وقد يحدث في ملعب كرة القدم أن تتابع أعين النظارة أحد اللاعبين المبرزين وهو يتخلص من خصومه واحدا بعد الآخر حتى اذا انفرد بالمرمى وتهيا للضربة الحاسمة تحركت ساقك دون وعي منك كأنما أنت تقذف بالكرة ومنذ أن أجرى كانون تجربته الشهيرة على الجهاز الهضمي للقط في الحالة العادية ثم وهو تحت تأثير الخوف .. فصور بالأشعة عملية الهضم وهي تتابع بشكل عادي ، ثم أحضر كلبا شرسا بعث الخوف عند القط فلاحظ توقف الجهاز الهضمي كلية .. منذ أن حدث هذا وعرف ما للخوف - وهو انفعال نفساني - من مصاحبات جسمانية كتفرغ المثانة ، وإفراز الأدرالين ، وهروب الدم من الرأس وتجمعه في الأطراف .. لم يعد هناك شك في أثر العقل على الجسم .

وما من شك في أن الخوف يتدخل في جميع الامراض الجسمانية ولو بدرجات متفاوتة ، وقد يكون الهدوء ورباطة الجأش نقطتي التحول في المرض فيصارعه الشخص حتى ينجو منه ، بينما فرصة زميله المضطرب التائر الأعصاب السوداوى المزاج ، ضئيلة جدا للحياة . ولقد يحتاج الأمر في حالات النزيف الشديد مثلا حقن المصاب بمخدر خفيف لأن استمرار يقظته واضطرابه يزيدان النزيف حدة واندفاعا ، ويستنفدان ما تبقى له من حيوية متضائلة .

ولعل مرضا كالسعال الديكى يهيم لنا مثالا من أبرز الامثلة ، فالحالة المزاجية تلعب فيه دورا هاما . فاذا أصيب طفلان في منزل واحد بالمرض - أى اذا افترضنا جدلا أن كمية العدوى متقاربة - فان الطفل ذا المزاج الهادى المستقر ينتابه في اليوم الواحد عدد من النوبات أقل بكثير من زميله العصبي المتهيج .. كما انها تستغرق في الطفل الأول وقتا أقل .. ومن هنا تراه يسبق الآخر نحو الشفاء .



وحتى العامة يربطون الحزن الشديد — وهي حالة نفسية — بعدد من الامراض كالسكر ، وانسداد الشريان ، والشلل ، النقطة ، وأقرب من هذا كله اتصال الخوف الشديد بالاغماء وهبوط القلب أو توقفه . وقد طالعنا الانباء أخيرا بسقوط طائرة هولندية على مدرسة ، وكانت أم الطيار تراقب ابنها في اعجاب وهو يخلق فئات عندما رآته يهوى وتنحطم طائرته

ليس من الغريب اذن أن نفردها فصلا عن النمو الجسماني ، وليتذكر الآباء أن الامراض الجسمية قد تؤثر على الحالة النفسية كما تتأثر بها . ولقد يكون من الاوفق أن يهتموا بالناحيتين في علاج ظاهرة جسمانية . ولقد تجد بعض مشاهير الاطباء يرفضون العلاج النفسي على أساس أنه ترهات ولا يمكنك لو رافبتهم لو جدتهم نفسانيين مهرة بالفطرة ودون قصد منهم موجات النمو : لا يسير النمو بسرعة واحدة بل تعترضه فترات مد

وجزر . ولقد سبق أن بينا ص ٤٤ و ٤٥ أن الجنين عند اكتمال نموه يقطع ثلث المسافة الى النضوج ، ثم يتنافس نموه في الاسبوع الاول ليستعيد ما فقدته عند نهاية الثاني . وبعد هذا يسرع في النمو خلال السنوات الثلاثة الاولى ويبطئ قليلا حتى السادسة ثم يزداد البطء الى بدء المراهقة وهنا ينطلق في سرعة كبيرة طيلة البلوغ حتى يصل لنهاية النضوج .

كما بينا اختلاف سرعة نمو كل عضو عن الآخر ، وعلى العموم فقانون النمو يضع للجزء الاعلى من الجسم الاسبقية في النمو والنضوج عن الجزء الاسفل ولا يقتصر الامر على تموجات النمو بشكل عام ، بل ان كل سنة تتخللها فترات من التمدد والانحسار ، فلقد وجد أن أصلح الشهور للنمو في الطول هي من ابريل لمنتصف أغسطس ، بينما الزيادة في الوزن تقع ما بين شهر يوليو لمنتصف ديسمبر .

الطول : يبدأ الطفل بمتوسط ١٩ - ٢٠ بوصة ، وينمو سريعا في السنتين الاوليين ، فهو في نهاية الشهر الرابع يصل الى ٢٢ أو ٢٣ بوصة ، وفي نهاية



الثامن ٢٥ - ٢٧ بوصة ، فاذا ما تكامل عمره سنة أصبح ٢٧ - ٢٩ بوصة .  
ويستمر هذا النمو خلال السنة الثانية فيصبح في نهايتها ٣٢ - ٣٣ بوصة ويقل  
الطول بعد هذا بين الثالثة والسادسة بمعدل ٣ ونصف بوصة سنويا فيصبح  
في نهاية هذه المرحلة ضعف طوله عند الولادة ، أى ٤٠ بوصة . ويزداد  
البطء أيضا في النمو حتى ما قبل المراهقة ، بمعدل ٢ ونصف بوصة في السنة  
فيصبح الغلام ٥٥ بوصة في سن الثانية عشرة .

فاذا حلت المراهقة . ما بين ١١ و ١٥ في البنت و ١٢ و ١٦ في الولد  
نلاحظ سرعة كبيرة في الطول تعقبها فترة ركود و بطء حتى الثامنة عشرة أو العشرين  
حين يكتمل الفرد . ففي سن الرابعة عشرة يصل متوسط طول المراهق ٦٠  
بوصة ، وفي السادسة عشرة ٦٥ بوصة . ثم يكتمل نمو الشباب ببوصتين  
اضافيتين عند سن الثامنة عشرة أو العشرين ، أما متوسط طول الفتاة النهائي  
فهو ٦٤ بوصة .

فاذا قارنا طفلا وطفلة منذ الولادة وجدنا أن الولد أطول من البنت  
حتى الحادية عشرة ، وهنا يتزايد طول البنت ليحرق بها الولد عند الخامسة  
عشرة ، ثم يخلفها وراه بعد هذا الى غير عودة . وهناك كما بينا علاقة وثيقة  
بين الطول قبل المراهقة وبعدها .

وهناك عدد من العوامل يؤثر في هذه المقاييس بطبيعة الحال ، منها عوامل  
الوراثة .. والشعب الذى ينتمى اليه الفرد . فشعوب أوروبا الشمالية أطول في  
المتوسط من جنوبها أو من زنوج أواسط افريقيا .. وهناك أيضا الطبقة  
الاجتماعية والاقتصادية فأطفال مدارس الاشراف والارردات في إنجلترا  
أطول من مدارس الطبقات المتوسطة . فضلا عن أثر الطعام والتغذية خصر صا  
في السنوات المبكرة من الحياة . بل وترى هولينجورث أن الطول يتأثر  
بالذكاء ... ، وهى بهذا تعزز تجربة تيرمان المشار اليها في مناسبة سابقة ، فالاطفال  
الاذكى هم في الغالب أطول .



الوزن : يزن الطفل ساعة الولادة ٦-٨ أرطال . ويقل الوزن عادة في الاسبوع الأول ثم يعوض الطفل هذا النقص قرب نهاية الاسبوع الثاني ويزيد الوزن حتى يصل للضعف في نهاية الشهر الرابع ، أى ١٤ رطلا ، ويتراوح بين ١٦ ١٩ في الشهر الثامن . فاذا اكتملت السنة الأولى فانه يزن ٢١ رطلا على الأقل .

وتأتى بعد هذا السنة الثانية والثالثة بمتوسط زيادة ٣ - ٥ أرطال سنوياً واذن فالطفل العادى فى سن سنتين يزن ٢٥ رطلا ، وفى سن الثالثة ٢٩ - ٣٠ رطلا فاذا قارنا الاطفال الذين يتغذون صناعياً بغيرهم وجدناهم أقل وزناً خلال الشهور الثمانية الأولى .

وفى نهاية السنة السادسة يجب أن يصل الطفل الى خمس أمثال وزنه عند الولادة أى ٣٥ - ٤٠ رطلا . فاذا أوشك الفرد على المراهقة زادت نسبة الوزن زيادة كبيرة ، ففي البنت تبدأ هذه الزيادة حول العاشرة وتصل الى ذروتها فى سن الثانية عشرة فيصل متوسط الزيادة الى ١٤ رطلا سنوياً . أما الولد فتتأخر لديه هذه المرحلة لتبدأ حول الثانية عشرة وتصل الى ذروتها فى الرابعة عشرة بمعدل ١٥ رطلا سنوياً . ويصل وزن الفتى فى الرابعة عشرة ١٥٠ رطلا وفى السادسة عشرة ١٦٧ ويغلب أن تأتى الزيادة فى الوزن خلال السنين الاخيرة للبلوغ من ازدياد النمو العضلى .

والبنون فى الغالب أثقل من البنات فى كل المراحل ما عدا الفترة الواقعة بين الحادية عشرة والرابعة عشرة . وترى هولينجورث هنا ايضا أن الذكاء الاعلى من المتوسط يصحبه ثقل فى الوزن نتيجة لازدياد الطول ونمو الجسم بشكل عام .

فاذا خرجنا من دراسة الجسم كله الى أعضاء مخصوصة فانا نلاحظ أن هذه الاعضاء لا تنمو كلها بنسبة واحدة ، فبعضها يتضاعف ، والآخر يكبر أربع أمثال وهكذا . ولا يمكن لا يصل الفرد الى سن السابعة عشرة أو بعدها بقايل حتى تكون أعضاء الجسم المختلفة قد وصلت الى النضوج :



الرأس : ونسبة نموه أقل من غيره ، فالطفل يولد ورأسه حوالى ٢٢ فى المائة من طول جسمه ، أى ما يزيد قليلا عن ٤ بوصات وهى نسبة لو استمرت لساكن ارتفاع رأس الانسان منا ١٥ بوصة فكأنه غول نحيف ، بينما هو فى الواقع ٨ بوصات .

يتضاعف اذن حجم الرأس ، ولكن هذه الزيادة لا تتناول الاجزاء العليا منه بقدر السفلى كالانف والعارضين والشفتين والفك . فمحيط الرأس من أعلا فى سن السادسة يصل الى ٩٠ فى المائة من الحجم الطبيعى .. أما ملامح الوجه ففى أول أمرها صغيرة جدا . ويرى القارىء رسماً توضيحياً من عمل كول يبين هذه الحقيقة بمقارنة رأس طفلة فى السادسة وفتاة فى السابعة عشرة فى وضع جانبي



ملامح الوجه : واذن فالرأس ينمو ببطء بينما يسارع الوجه للنمو بعد نمو الاسنان وتبديلها بالاسنان الدائمة ، وتحدث الحالة الاخيرة فى فجر المراهقة فتتفادح الجبهة ، وتمتلئ الشفتان ، ويصبح الوجه يضاوياً بدلاً من وجه الطفولة الغض المستدير .



ولعل الأنف هو أبعد الأعضاء عن الاحتفاظ بالتناسب مع الوجه . فهو في السنوات الأولى صغير ومفلطح على الوجه ، ثم ينتصب بالتدريج كما تصابت الغضاريف ويكبر - حجمه ويتحدد في الشكل . وهر يصل في العادة الى الحجم الطبيعي مبكرا في سن ١٣ أو ١٤ ويفزر الشعر بداخله خصوصا عند البنين ، فيصبح شكل المراهق عجيبا حقا .. اذ أن التناسب ليس محفوظا في هذا السن المبكر . والكثير من المراهقين ينساب بقلق كبير اذ يظن أن وجهه سيحتفظ بهذا الطابع الغريب الذي يبرز فيه الأنف ، أو يظن أن الأنف سيستمر باستمرار استطالة الجسم أو بنسبة نمو بقية الوجه .

أ الجزع : نظرا لتكبير الرأس وصغر حجم الساقين عند الولادة يصعب أن يحتفظ الطفل بالانزان المطلوب ، ويزداد هذا الانزان - كما نرى كلما طال الجزع وتصلب .. ، ويحدث هذا بسرعة في السنين الأولى فيتضاعف طوله ومحيطه حتى السادسة عنه عند الولادة ، وتقل هذه النسبة الى ٥٠ في المائة حتى المراهقة .

ويتفلطح البطن بعد السادسة بعد أن كان مقوسا ومتديا .. ويزداد عرض الكتفين مما ينتهي باتخاذ جسم الطفل شكلا مثلثا يخالف كثيرا جسم الطفل الصغير .

وعند المراهقة يطول الصدر ويزداد عمق القفص الصدري ، ويصل الى اقصى نمرة ما بين ١٢ ، ١٤ في البنات ، ثم ١٤ ، ١٧ في البنين وفي هذه المرحلة تبرز الاختلافات بين الجنسين بشكل حاد فيكتسي صدر الشاب القوى بالعضلات بينما يبرز الثديان عند الأنثى كما يتغير شكل عظام الحوض فيزداد القوس اتساعا بحلول المراهقة مما يضيف الى حجم الأرداف فضلا عن اكتنازها بطبقة من الشحم .

الأطراف : يولد الطفل بساقين قصيرتين ويدين وقدمين صغيرتين ، بعكس الذراعين فهما طويلان نسبيا .

ويرى الطبيعويون أن هذا التابع ليس مجرد مصادفة ، بل انه ليشتمل مع



حاجات الطفل في مراحل النمو . فالطفل الحديث الولادة لا يستطيع أن يهضم من الأطعمة سوى اللبن أو بعض السوائل .. كما أن حاستي البصر والسمع لا تزالان بعيدتين عن النضوج فلا يمكن أن تعينه على أداء مطالبه بنفسه ، بل هو يعتمد تماما على ذراعي أمه للحماية والدفع ، وعلى صدرها للغذاء . واذن فهو لا يحتاج إلا أكثر من ذراعين يتعاق بهما وفهم يمتص الطعام السائل .. وهو ما زودته الطبيعة في سخاء . أما الساقان فهو في غير حاجة لهما — بعكس اليكتكوت الذي يسمى بنفسه للغذاء بمجرد الفقس ومن هنا يحظى بساقين طويلتين — ولذا تبدآن قصيرتين وتظلان مشنيتين بعض الوقت في وضع يشبه كثيرا ذلك الذي يميزهما في البطن .

وتمشي مع المظهر الخارجي اختلافات أخرى في الناحية الفسيولوجية فالعظام في أول أمرها لينة . ثم يأتي امتداد الساقين التدريجي لا مع استمرار تصلب العظام فحسب وبذا يمكنهما أن تحتلأ ثقل الجسم ، بل أيضا مع نمو حواس البصر والسمع واللمس التي يحتاجها الصغير في هذا الوقت إذ يستكشف العالم الصغير الذي يحيط به . ومع كسب القوة العضلية والانتزان الضروريان للوقوف والخطو قرب نهاية السنة الأولى .

ومن عجب أن مدة الطفل تمشي هي الأخرى مع هذه المطالب إذ تزداد قدرتها على هضم الأطعمة المتماسكة ( البورية ) فتتمده بمصدر حيوي من مصادر النشاط يحتاجه للحركات الطليقة التي بدأ الآن يمارسها .

ومهما كان الأمر فإن الذراعين ينموان حقا خلال السنتين الأولين أسرع من الساقين ( من ٦٠ — ٧٥ في المائة مقابل ٤٠ في المائة في الأخيرة ) . . . . . ولكن السرعة تتحد بعد هذا حتى الثامنة فيزداد كل بمقدار نصف طوله عند الثانية .. وينقلب الموقف بعد هذا فيبطيء نمو الذراعين جدا في الطول حتى يتكامل عند السادسة عشرة أو الثامنة عشر وينحصر نموهما في الشكل ، إذ يختلفان عن شكلهما الأسطواني في سن الثامنة فيكتنزان بالعضلات وتبدو الفروق الجنسية بين الولد والبنت في الذراعين خلال البلوغ بازدياد القوة



العضاية عند الذ كر .

أما الساقان فيستمران في النمو بعد الثامنة بشكل ملحوظ فيصلان عند المراهقة الى أربع أضعاف طولهما عند الولادة ، ثم الى خمسة أضعاف هذا الطول عند النضوج .

أما اليدان والقدمان فتبدآن كما أشرنا صغيرتين . ولا يمكن أن تكونا ذات فائدة للطفل قرب نهاية السنة الاولى الا اذا زادت في الحجم والقوة ، وهذا هو ما يحدث في السنتين الاوليين اذ يتتابهما نمو سريع يبطىء حتى فجر المراهقة وهنا ينطلقان من عقاملهما كما فعل الانف فيصلا في مدى قصير - حوالى الرابعة عشرة - الى حجمهما الطبيعي ، وهذه السرعة الكبيرة في النمو أخيرا تسبب قلقا كبيرا للمراقق والمراهقة كما رأينا في حالة الانف .. ، فالكثير من البنات يلبسن أحذية ضيقة جدا على أمل منع القدمين من ازدياد النمو ، وهذا هو السبب في أمراض القدمين وتشوهمهما في الكبر . أما اليدان فهما مصدر اعطراب راجل كبيرين للفتى ، وكثيرا ما يحاول أن يضعهما خلف ظهره أو في جيب بذطلونه ليخفيهما .

الاسنان : للطفل مجموعتان منهما : الاسنان المؤقتة .. والاسنان المستديمة

فالمجموعة الاولى تتكون من ٢٠ سنا ، بينما الثانية ٣٢ . وتمتاز الأخيرة بسكبر حجمها ومئاتها وصلابتها .

ونمو الاسنان مستمر داخل الفك من الشهر الخامس للجنين حتى ظهور أضراس العقل بين العام الواحد والعشرين والخامس والعشرين من العمر وبصحب ظهور الاسنان المؤقتة ألم وتعب عامان يسببان فقد الشهية والقلق والعصبية وسرعة التهيج .. بينما ظهور الاسنان الدائمة لا يحدث أى ألم .

ويظهر السن الاول في الشهر الثالث في الاطفال المبكرين ، كما قد يتأخر ظهوره حتى السادس عشر في الضعاف ، ولكن



السن المتوسط هو الشهر السادس الى الثامن . ويمكننا أن زفق  
بهذا جدولاً (١) للتوضيح :

| الفك الاسفل    |               | الفك الاعلى    |               |
|----------------|---------------|----------------|---------------|
| نوع السن       | العمر بالاشهر | نوع السن       | العمر بالاشهر |
| القواطع الوسطى | ٨ - ٦         | القواطع الوسطى | ٨ - ١٢        |
| الجانبية       | ١٠ - ١٤       | الجانبية       | ٨ - ١٢        |
| الانياب        | ١٨ - ٢٢       | الانياب        | كالفك الاسفل  |
| الضرس الاول    | ١٢ - ١٦       | الضرس الاول    | تماما         |
| الضرس الثانى   | ٢٤ - ٣٢       | الضرس الثانى   |               |

وفي العادة نلاحظ أن الأسنان في الفك الاسفل تشق طريقها قبل زميلاتها في الفك الاعلى ، ويتوقف الزمن على صحة الطفل ، وتغذيته ، والحالة الاجتماعية ، والشعب الذى ينتمى اليه . كما وجد أن البنات يسبقن البنين قليلا وتبدأ الأسنان الدائمة فى التكون داخل اللثة بعد ظهور الاسنان المؤقتة ما عدا اضراس العقل الأربعة ونجد فى المتوسط أن الطفل فى سن ٦ سنوات له سن واحد أو اثنان دائمان ... وفى سن ٨ سنوات ١٠ أو ١١ سنساً ، وفى سن ١٠ سنوات ١٤ أو ١٦ ... وفى الثانية عشرة ٢٧ أو ٢٨ ... وتبقى بعد هذا اضراس العقل وهى أربعة . وتظهر فيما بين الثامنة عشرة والخامسة والعشرين وفيما يلى جدول مقارب لاحد الفسكين ، والآخر يشبه تماماً .

j. Anderson and F. Goodenough. Your child year by year.  
Parents' Magazine 1930



| نوع السن        | العمر بالسنوات | نوع السن | العمر بالسنوات               |
|-----------------|----------------|----------|------------------------------|
| الثاني (شعبتين) | ٩ - ١٢         | ٧ - ٨    | القواطع الوسطى               |
| الاول (٣ شعب)   | ٦              | ٧ - ٨    | القواطع الجانبية             |
| الثاني (٣ شعب)  | ١٢ - ١٥        | ١٢ - ١٤  | الأنياب                      |
| ضرس العقل       | ١٧ - ٢٥        | ٩ - ١٢   | الضرس الاول<br>( ذو شعبتين ) |

العضلات . ترجع الزيادة في الوزن في مراحل النمو الى نمو نوعين من الانسجة : الشحمية .. والعضلية . وتسيطر الاولى على المبدان حتى الثانية عشرة ثم تزوى لتفسح الطريق للثانية خلال سنى المراهقة والبلوغ . وتبدو هذه الحقيقة من مقارنة نسبة وزن العضلات الى وزن الجسم ، فهي ٢٣ر٤ في المائة عند الولادة ، ثم ٢٧ر٢ في المائة في الثامنة ، وفي الخامسة عشرة ٢٢ر٦ ثم في السادسة عشرة ٤٤ر٢

والواقع أن النمو العضلي بعد المراهقة هو احدى المميزات الجنسية المشتقة . وهنا يزداد محيط الساعد ، والعضد ، و«سمانة» الساق والارداق ، كما يكتنز الظهر والكتفان بالعضلات . ويكفي للتدليل على مدى ثقل العضلات أن نشير الى أنها تتسكون عند الولادة من ٧٢ في المائة ماء ، ٢٨ في المائة مادة صلبة ، فاذا بها تصبح عند النضوج ٦٦ في المائة ماء ، ٣٤ في المائة من المادة الصلبة . ولقد أثبتت الاختبارات أن القوة العضلية خلال البلوغ تتزايد زيادة هائلة ، وخاصة قبضة اليد .

ولسكن هذه السرعة الكبيرة في نمو العضلات تسبب عدم الاتزان والضبط المعروفين في حركات المراهق . اذ تطول العضلات بأسرع مما تطول العظام . وتستمر هذه الفترة عدة سنوات ريثما يحدث التوازن المطلوب ، وتصحبها مرحلة اضطراب وسرعة انفعال وخجل ، يخفيها المراهق بحركات لا إرادية كالعبث بربطة عنقه أو أزرار سترته . فاذا عادت له القدرة على



الضبط العضلي هدأ وزالت هذه العصبية .

الجهاز العصبي : ينمو بسرعة قبل الولادة فيزداد عدد وحجم الخلايا العصبية ، ثم يحتفظ بهذه السرعة خلال السنوات الثلاثة أو الاربعة الاولى حيث ينصرف النمو الى الخلايا غير الناضجة ساعة الولادة . ويطلق النمو بعد هذا كثيرا .

المخ : يزن ساعة الولادة ٣٥٠ جم مقابل ١٢٦٠ - ١٤٠٠ جم عند البالغ واذن فهو يصل الى ربع وزنه عند الولادة ، ثم نصف وزنه بعد ٩ أشهر ثم ثلاثة أرباعه في نهاية السنة الثانية . وأربع أخماسه في سن ٤ سنوات . ويبطئ النمو بعد هذا نسبيا حتى يصل الى ٩٠ في المائة من وزنه الطبيعي عند السادسة وليكن من الخطأ أن تقتصر على تسجيل النمو في الحجم ، فإذا كان ضئيلا جدا في المراهقة والبلوغ الا أن التغيرات الداخلية في الخلايا اللحائية والتلافيف وبناء المادة السنجابية تفوق كثيرا في أهميتها ما سبقها من النمو .

الجهاز التنفسي : يحيط الصدر عند الولادة أصغر من الرأس مما يدل على صغر الرئتين ، ويزداد يحيط الصدر حتى يالحق بالرأس عند سن سنتين ، ثم يسبقه كثيرا فتصل النسبة في الخامسة عشرة الى ٣ : ٢ ، وعند النضوج ٥ : ٣ ويبدأ نمو الرئتين بشكل واضح بمجرد حلول المراهقة يصبح ازدياد محسوس في طول النفس مما يجعل مسابقات الجري الطويل المدى ممكنة وناجحة قرب نهاية المرحلة الثانويه .

الدورة الدموية : القلب عند الولادة أعلى في الصدر منه في البالغ وأكثر ميلا للوضع الافقي . كما انه أثقل وأكبر بالنسبة لوزن الجسم منه في أي وقت آخر .

وفي مرحلة الطفولة نجده صغيرا بالنسبة لاتساع الشرايين والاورده ، مما يحتم عليه أن ينقبض ويرتخى ١٢٠ - ١٤٠ مره في الدقيقة .. وما يسبب انخفاض ضغط الدم في هذه المرحلة .



ولكن النسبة تنقلب في المراهقة ، وتزداد الاوعية الدموية في الطول  
والاتساع زيادة بسيطة.. كما تصبح جدرانها اكثر متانة وصلابة، وهكذا تصبح  
النسبة بين اتساع القلب والاوردة ١:٥ ، أى أن القلب يدفع الدم خلال فتحة تصل  
الى اتساعه، ومن هذا يرى القارىء الخطر الذى يتعرض له الانسان من ارتفاع  
ضغط الدم أثناء هذه التغيرات في جهاز الدورة الدموية. ومن المؤسف ان  
المراهق في هذه الفترة ينغمس في تمارين رياضية عنيفة مما يسبب لعدد كبير  
من الفتيان الصغار الاغماء ، والدوار ، والصداع ، وإجهاد القلب ، وتضخمه  
وامراض صماماته .

الجهاز الهضمي : تهمنا منه المعدة وهى في اول أمرها أنبوبية الشكل، تتقاطع  
مع الجسم ، وترتفع قدرتها البسيطة على قبول الطعام من أوقية واحدة عند  
الولادة الى اوقيتين ونصف بعد اسبوعين ، ثم ثلاث أوقيت في نهاية الشهر  
الاول . وواقع أن وضعها الافقى يجعلها تتفرغ بسرعة ، وخاصة لو نام الطفل  
على جنبه الايمن . . وتستمر هذه الصفة طيلة سن الطفولة ، وبعد هذا يتغير  
شكلها الى شكل الحقيبة كما تشاهد في الكبار وتقل سرعة تفرغها .

ثم تأتى مرحلة المراهقة فتصبح معها سرعة كبيرة في النمو الجسماني ،  
يضاف إليه النشاط العضلى الكبير مما يتطلب كمية هائلة من الطعام ليتوافر  
للجسم الوقود اللازم للنمو وتعويض الانسجة ، وهذا هو السبب فيما نشاهده  
من شهور المراهق الدائم بالجوع في كل ساعة من ساعات النهار ، والواقع أن  
الفتى بن الثالثة عشرة والسادسة عشرة يستنفد ٥٠٠٠ سعرا حراريا في اليوم  
وهو يعوض هذا كله بالطعام يقبل عليه في نهم ، وهو يميل على الاختصاص للحلوى  
ولسكنه مع هذا يظل نحيفا ، فالطعام يستنفد ليتحول الى طاقة ضرورية لمتابعة  
النمو والالعاب العنيفة ، فاذا لوحظ أن الغلام في المراهقة قد اكتنز جسمه الجلده  
وترهل فأغلب الظن أن هناك خللا طرأ على إحدى الغدد .

الجهاز التناسلى : ينشط في مرحلة البلوغ ، وهى كلمة عامة تتضمن في  
الحقيقة مرحلتين ، احدهما المراهقة ، وباللاتينية pubertas ومعناها ينجب .  
والص



أي أنها مرحلة انتقال من الحياة اللاجنسية إلى الحياة الجنسية حيث يصبح الفرد قادراً على مزاولة الوظائف الجنسية .. والثانية البلوغ adolescence وهي أطول كثيراً وتمتد حتى يكتمل النضوج الجنسي .

وتتميز المراهقة بظهور تغيرات جسمانية واضحة تصحبها حالة انفعالية متوترة يشوبها القلق والشك ، والثورة والخوف . ويختلف موعد بدئها اختلافاً بيننا .. ولكنه يتراوح بين ١٣ ، ١٧ ، ومتوسط ١٣ ر ٥ للبنات ، ١٤ ر ٥ للبنين . وهناك عوامل تتدخل في هذه الأعمار نخص بالذكر منها الذكاء ( تجارب لوتز سنة ١٩٢٤ وتيرماز سنة ١٩١٥ ) ثم المستوى الاجتماعي والاقتصادي ، فضلاً عن أن الطفل النامي في صغره أسرع من رفيقه الضئيل إلى النضوج الجنسي . وتمتد مرحلة الانتقال هذه ما بين نصف سنة وسنة كاملة للبنين ، أما البنات فقد يحتاجن إلى مدة أقل لينتقلن إلى الحياة الجنسية

ولعل أولى المظاهر التي تميز البلوغ سرعة غريبة في الطول والوزن في مدة قصيرة بحيث تقصر الملابس . وعلى العموم تختلف الأدلة باختلاف الجنس . فعند الذكر ينمو الشعر الخشن حول الأعضاء التناسلية .. وتحت الإبطين .. وفوق أشفة العليا .. وأخف منه على العارضين .. وتنخفض نبرة الصوت فيصبح أجش تتخلله فترات يفقد فيها المراهق قدرته على ضبط النبرة فيقطع نغمة ويحب أن تسكون هذه المميزات موجودة في الغلام ما بين ١٤ ر ٥ ، ١٥ سنة ويمكن تحديدها في البنت بشكل أدق لظهور أولى أعراض العادة الشهرية . ويحدث هذا في المتوسط ما بين ١٣ سنة وستة أشهر إلى ١٣ سنة وتسعة أشهر ، يضاف إلى هذا تضخم الثديين وظهور كميات من الشحم تحت الجلد وخاصة حول الردين وأخيراً ظهور الشعر تحت الإبطين .

وتحدث التغيرات الفسيولوجية نتيجة لنشاط الغدد الجنسية التي كانت في حالة خمول أو التي كان يعوقها حتى هذه اللحظة الغدة التيموسية في الصدر الصنوبرية في أسفل المخ . وتعمل الغدة النخامية لاستثارة الغدد الجنسية هذه بدورها تفرز هرمونات في الدم فيسرع النمو في الجسم كله



والواقع أن أهم التغيرات الجنسية في المراهقة تنحصر في :

١ - نمو الاعضاء التناسلية . ب . المميزات الجنسية المشتقة .

١ - تنمو الاعضاء ببطء كبير في الطفولة ، فضلا عن أنها بعيدة عن النضوج من ناحية عملها ، فإذا حلت المراهقة تسارعت في النمو والنضوج ، كما أن الاختلافات بين الذكر والانثى تزداد وضوحا وحدة ، فهي في البنت تتمثل في ازدياد حجم الاجزاء الخارجية الظاهرة ، والمبيضين ، والرحم ، ونضوج الافرازات التي تكون البويضة الانثوية ، وبظهور العادة الشهرية تدخل البنت في مرحلة المراهقة .

أما في الذكر فيصحب بدء المراهقة نمو سريع في الاعضاء الجنسية الظاهرة ، كما تنشط الخصيتان ويصبح في مكنتهما إفراز الحيوانات المنوية ويحدث بين فترات متتابعه ان تفرزا بعض السائل المنوي أثناء النوم فإذا لم يحذر الولد من هذه التغيرات المتوقعة فقد تصدمه كحالات مخيفه يتسكون على أثرها شعور بالحجل وميل للدراة والانزواء وتكتسب تصرفاته نوهام من السرية . ب - يضاف الى كل هذا بعض التغيرات المتعلقة بالغدد التناسلية بطريق غير مباشر ، وأهمها في الذكر نمو الشعر كما بينا ، وخشونة الجلد ، وازدياد القوة العضلية ، وتغير نبرة الصوت ، أما في البنت فيختلف شعر الوجه في خفته ونعومته فوق الشفة العليا والذقن . وظهور الشحم على الجسم ، ونمو الثديين ، وخشونة الجلد ، وكبر الحوض .

ولعل أهم الظواهر هنا تغير الصوت ، وحالة الجلد . فالأحبال الصوتية للولد يتضاءف طولها في هذه المرحلة ثم في البلوغ فينخفض الصوت وتتراخي شدته ، فإذا أضفنا الى هذا ازدياد حجم الحلق وبروز تفاحة آدم عن العنق نتيجة لتمدد الجهاز الصوتي وجدنا أن الصوت يخرج عن ارادة المراهق في أحوال كثيرة فإذا به يندفع دون سابق انذار مبجوحا أو أجش . أما في البنت فالتغيرات الصوتية غير واضحة وضوحها في الولد . بل ان صوت الفتاة على العكس يصبح غنيا بمثلنا يضيف كثيرا لفتنتها .



ويمتد هذا التغير في الصوت الى ما يقرب من سنتين ، تتخللها مواقف  
محرجة كثيرة تنتج من أن المراهق لا يمكنه أن يضمن الصوت الذي سيصدر  
عنه عندما يتحدث ، ولذا يقلل من الكلام ما أمكن . فهو في المدرسة يفضل  
أن يتظاهر بأنه لا يحفظ المحفوظات على أن يكون سخريه بين اخوانه ..  
ويتبع هذا بطبيعة الحال شعور من الخجل والميل للاعتزال ، وترداد أحلام  
اليقظة .

ويكاد ينافس ظاهرة الصوت في أهميتها من الناحية النفسية والسلوكية  
خشونة الجلد في هذه المراهقة نتيجة لاتساع المسام . فاذا أضفنا الى هذا التغيرات  
في افرازات الغدد .. وازدياد الشحم والمواد الدهنية .. ورغبة المراهق في اشباع  
نهمه المستمر بما كولات معظمها حريف لاذع ؛ وما يتبع هذا من اضطرابات  
الهضم ، وان هذا يبرر الا التهابات الجلدية التي تنشأ .. والثبور .. والنمش .  
والحسنت ، أو الرؤوس السوداء . وهذه الاضطرابات الجلدية تسبب  
للفتى والفتاة عذابا شديدا . وكثيرا ما تلجأ المراهقة الى كل وسيلة للتجميل  
تقع في متناول يدها لتخلص من هذه الحالة التي هي لحسن الحظ مؤقتة . كما  
أن العرق الغزير مشكلة لا تقل عن هذه أهمية ، فيسارع الشباب لشراء أنواع  
كثيرة من الصابون والعطور للتغلب على رائحة العرق .

والسؤال القارىء قد ألم بالنتائج النفسية التي تصحب هذه التغيرات  
الفسيولوجية فقد حاولنا أن نشير اليها في كل مناسبة . فهذا النمو السريع والنضوج  
الجسماني يزيدان اعتقاد الفتى بأهميته فيتوقع بين يوم وليلة امتيازات يراها  
للكبار ، فهو يود لو تحرر من هذا الخضوع المقيت للبالغين .. يدخل ويخرج  
وبسهر في الخارج دون تدخل الآخرين .. يتألم من ارتداء البنطلون والشورت ،  
وكل ما يشعره بحياته الماضية .. كما يميل للتدخين والمشروبات الكحولية كوسيلة  
لاثبات رجولته .

ويصحب العادة الشهرية الاولى قلق شديد لدى البنت قد يصل الى دعر



حاد ما لم يكن السبيل ممهدا من قبل لتقبل هذه التغيرات . ويحدث هذا القلق أيضا للمراهق لدى نزول السائل المنوى أثناء النوم . ولعل أخوف ما يخافه الفتى الصغير لخبرته القليلة أنه اذا تكررت هذه الافرازات فسيشب غير متكامل الرجولة .

ولا يقتصر القلق على هذه المواقف فحسب ، بل ان عدم الاتزان الذى يشعر به المراهق نتيجة لضعف الضبط المحركى يشعره بالخجل وسط الآخرين . فقدمه ترتطم بالمناضد وتكاد تقلب ما عليها من أكواب ، بل وقد يهترئ فى قدمه الاخرى فيثير كثيراً من التعليقات . يضاف إلى كل هذا كبر حجم اليدين والقدمين والانف وقد انطلقت من عقاليها فى فترة وجيزة . . وظهور البثور على الوجه . . واضطراب نغمة الصوت . . وأخيرا نمو الشارب وهر فى العادة هدف لسخرية خفيفه من جانب الكبار . . مما يضيف الى حالة القلق والاضطراب الموجودة لديه فعلا

وليس من النادر أن تظهر هنا تغيرات مزاجيه قد تدوم وقد تختفى خصوصا فى حالة الشبان والفتيات العصبيين ومن أمثلة هذه التغيرات نوع من اليأس اذ يصبح الفرد سوداوى المزاج . قلقا . يعتقد أن العالم كله ضده . وكثيرا ما يقوده هذا إلى تهديدات بالهرب من المنزل أو الانتحار . ولسكن قليلا منها يتحقق بحمد الله . كما يلاحظ عند الفتيات شعور بالعزلة والوحدة وميل الى «الرهبنه» والمعيشة فى الاديره والتنسك . ولا يصح بطبيعة الحال أن ينقاد الآباء لهذه النزوات مهما كان لها من مبررات فهذه كلها حالات عارضه تنتهى فى البنت بظهور العاده الشهرية فتعود الى الحياه الاجتماعيه .

والآن وقد عرضنا أسلوب النمو الجسماني وبعض حقائق فى هذه العجالة نود لو نؤكد للوالدين وكل من يتاول الطفل فى سنى النمو خطورة الامراض التى تصيب الطفل . . لا لأنها تعطل النمو الجسماني فحسب . . بل لأنها تقف فى سبيل تكون الشخصية المتسقة السليمة فتشوبها بشوائب مكدره وهو ما سيظل



كأبوساً ينغص حياة الفرد الى نهايتها . ليس المرض في العادة هو المسئول عن اضطراب الشخصية وإنما ما يصاحب المرض من عطف وحنان بالغين فيتعطل استقلال الطفل وشعوره بالمسئولية . فإذا طال المرض فلن يقتصر الامر على « فساد » الطفل لهذه المعاملة المتمايزة .. واتخاذ المرض على الدوام سلاحاً ياجأ اليه للابتعاد عن كل ما يتطلب كفاحاً أو بذلاً للجهد .. بل انه سيجد من الصعب أن يعود الى رفاقه القدماء الذين خالطهم ولاعجبهم فقد تعلوا كثيراً من مقتضيات الاجتماعية خلال هذه الحقبة التي قضاهها في الفراش ، وهكذا يروونه غريباً عنهم فلا يقبلونه في ألعابهم .. وسرعان ما ينقلب المسكين الى ركن غرفته وحيداً يأكل الحقد على المجتمع قلبه

وبنفس الطريقة .. اذا لم نستطع أن نعامل مرحلة كالمراهقة والبلوغ بحكمة وحذر ، فنذكر ماخالطها من تحد وثورة وتهيج ولذا نعالج بعض هذه النوبات في تسامح وهدوء .. اذا لم نهد للفتى الصغير سبيل تكوين ميول اجتماعية ورياضية مفيدة تخرج به الى الخارج في رحلات ومباريات وحفلات يخالط فيها من الرفاق من نراه قدوة صالحة .. اذا لم نهيه للعالم الجنسي في هدوء وماسيتاب جسده من تغيرات ونفسية من ميول .. اذا لم نواجه رغبته الحادة للقراءة أثناء مرحلة الاعتزال التي تسبق المراهقة بكتب ترضى حنينه لتلمس البطل والمثل العليا ، خصوصاً وهو هنا تعمق نظراته الفاسفية الى الدين والتقاليد فتهدم السكون كانه لتعيد بناءه من جديد .. أقول اذا لم نستطع أن نفعل هذا وغيره مما سنعرضه تفصيلاً في فصل عن النمو الجنسي ، فلا يجب أن ندهش إذا تغلغل جنور الاضطراب في حياة أطفالنا كلها . وكما منهم يترك التعليم في منتصف الطريق لا يثنيه عن هذا توسل أو وعيد .. بل وكما منهم ينقلب ما جرد لا يابه لأديان واوضاع بعد أن كان يغرق في التدين والبر والنقاء .. !



ولقد يرى القارىء المفكر اذا خلا لنفسه قليلا أن معظم هذه الحركات  
الثورية التى تصمم جبين مصرنا العزيزة بوصفات قاتمة .. الحركات التى يرفع  
علمها فتيان مدارسنا الثانوية فيتخذون من الجبال مستودعات للقنابل وهم فى  
مبعدة الصبا ونضرة العمر .. الحركات التى تطيح برؤوس رجالاتنا كما أطاحت  
بالتعليم فى فيض من الاضرابات والمظاهرات .. أقول قد يرى القارىء فى كل  
هذا غير ما نطالعنا به القضايا والصحف من أسباب سياسية ووطنية وانما هى  
موجة عاتية دافقة تزخر فى قلوب غلماننا فتحيلهم كتلة من السخط والتحدى  
والعناد .. وهى شعلة تؤججها مدينتنا الحديثة ، من أشرطة سينمائية برافة منمقة  
تضفى على حياتهم الواقعة بالمقارنة لونا قاتما كئيبا .. وقصص وصور مبذلة  
تثير الدوافع الجنسية فى لبيب مكتمل فما أخرجنا الى تفهم الحياة النفسية الى  
جانب أسس الصحة الجسمانية حتى تسكون منازلنا مهدنة للقلق لا باعثة عليه .. !



انق  
مدى  
عض  
الع  
الا  
وال  
على  
م  
عن  
بص  
فى  
فى  
وه  
أيد  
مجم  
انها



# أخصاص النخامس

## النمو الحركى

من المعلوم أن عددا كبيرا من عضلات الجسم منظم في أزواج . فإذا انقبضت واحدة تراخت تلك المقابلة لها . واذن فالضبط الحركى يعتمد على مدى توافق وانزان هاتين الحركتين المتقابلتين لكل عضلة . فإذا انقبضت عضلتا العضد في الذراع تصلب العضو ، وإذا ارتختا سويا نتج عن ذلك تهدل العضو وعدم الحركة .

ويقضى الطفل السنوات الخمسة الأولى في صقل المهارات الحركية الأساسية التى ستفيد فى حياته .. كتناول الطعام بنفسه وارتداء ملابسه والمشي والجري وهكذا . وتأتى بعد هذا مجموعة حركات معقدة كالكتابة والعزف على البيان والتزحلق والسباحة الى غير ذلك . وكلما سارع الطفل لاكتساب هذه المهارات الحركية كان هذا أفضل ، فالطفل أكثر مرونة من الكبير فضلا عن أن رغبته فى التعلم تدفعه للتمرن مدة طويلة على نوع معين من العمل حتى يصير له طائعا ، بينما البالغ قد يسارع الى نفسه القلق ونفاد الصبر اذا لم يتعلم فى زمن وجيز ، أو قد تحول بعض الاعتبارات الاجتماعية دون محاولته البدء فى عمل كركوب الدراجة مثلا فهو يخجل مما قد يثيره هذا فى نفوس من حوله وهى اعتبارات غريبة عن نفس الصغير .

طرق الدراسة : بدأ تسجيل الملاحظات اليومية بطريقة غير دقيقة على أيدي الباحثين فيما نسميه طريقة «تواريخ الحياة» ، موجهة الى أفراد أو مجموعات من أبنائهم أو أقاربهم الصغار . ولكن وجد فى معظم الاحوال انها ملاحظات مبالغ فيها كما لا تتميز بالتحديد العلمى القاطع . ثم بدأت المعلومات تتوالى عن طريق مقاييس الذكاء والقدرات العقلية



التي تعتمد في السنوات الاولى على قياس الضبط الحركي . وتبع هذا الطرق التجريبية لدراسة مجموعات كبيرة في ظروف متغيرة حسب قصد المختبر وعززتها الاشرطة السينمائية والاجهزة الحساسة .

وقد اتجهت الدراسة الاخيرة ناحيتين : معيارية تهدف الى تحديد العمر المتوسط الذي تتم فيه مختلف مظاهر النمو الحركي للاطفال .. وتحليلية تهتم بسميزات هذا النمو وما يتتابع على كل حركة على حدة حتى تنضج . ومن أئمة الدراسة الاولى جيزل وشيرلى ، وهناك من يجمع بين الطريقتين أمثال بيرنسيدي وإيمز .

أسلوب الضبط الحركي : سبق القول ان الضبط الحركي يبدأ بالرأس ثم الجزء العلوى من الجذع والذراعين واليدين .. ثم ينتقل بعد ذلك الى الاجزاء السفلى فينتهى الى الساقين والقدمين . بل ان الطفل فى البطن يبدأ تكون رأسه قبل أن تبرز الساقان الى الوجود . ولا يسرى هذا فقط على الجسم كله بل أيضا على كل عضو على حدة ، فالذراع مثلا يبدأ الضبط فيه بالعضد ثم الساعد وأخيرا اليدين والاصابع اذ يتأخر الضبط الحركي كلما ابتعدنا عن الرأس والمحور الرئيسى للجسم .

ولعل طريقة حمل الطفل تهيء لنا دليلا واضحا . فالطفل عند الولادة أو بعدها بقليل يلقى برأسه على كتف أو صدر الشخص الذى يحمله . فاذا أبعدناه قليلا عن الجسم تدلى رأسه لأسفل . ويمكن لا يمضى سوى وقت قصير حتى تنهيا للطفل السيطرة على عضلات الرأس والرقبة فلا يحتاج الا لاسناده عند مؤخر العنق .. وبعدها عند الكتفين .. وأخيرا عند الابطالين .. وقد ذهبت شيرلى الى القول بوجود مراحل خمسة تنتهى بوقوف الطفل ومشيه دون مساعدة : فالاولى تبدأ فى الاسبوع الثالث وتنتهى فى منتصف التاسع عشر وفيها يتمكن الطفل بمعونة الام تحت الاضلاع السفلى من أن يجلس مع ضبط كامل للرأس والرقبة .. وتستمر الثانية حتى الاسبوع التاسع



والعشرين فيتمكن الطفل من الجلوس متزنا قراءة ؟ دقيقة والوقوف اذا  
تسند له الام عند الجنين . وفي الثالثة يزحف الطفل على الفراش أماما وخلفا  
ثم تأتي المرحلة الرابعة منذ منتصف الاسبوع الثامن والثلاثين فيمشي الطفل  
اذا اقتدناه بيده قبل أن يتعلم الوقوف وحده باتزان وهو ما يحدث في المرحلة  
الاخيرة التي تبدأ بالاسبوع السادس والخمسين .

وعلى أي حال فان سرعة الترقى الحركي لا تتأني من طريقة نضوج الجهاز  
العصبي والعظام والعضلات وتغير نسب أعضاء الجسم فحسب ، بل يجب  
أن ندخل في حسابنا أيضا الفرص التي تعرض للطفل لتعلم كيفية استعمال كل  
مجموعة من العضلات مترابطة ليصل بها الى نتيجة مشمرة ، ويفيدنا في هذا  
معرفة العمر الذي ينتظر أن يصل اليه الطفل العادي ليقوم بعمل معين .  
وسنسير في الصفحات القادمة حسب قانون الضبط الحركي فنعرض لما ينتاب  
الأعضاء من مرونة وتوافق بادئين بالرأس ثم الجذع يليهما الذراعان واليدان  
وأخيرا الساقان :

الرأس : ان ضبط العضلات التي تدخل في حركات العينين والابتسام  
والضحك ورفع الرأس يرتقى بسرعة كبيرة لو راعينا مدى تعقد السلوك الذي  
يتضمنه كل مرفق من المواقف السابقة . فتوافقات العينين التي تبدأ فقيرة  
جدا في الساعات الاولى من حياة الطفل تتحسن بسرعة كبيرة فلا ينتهي الشهر  
الرابع حتى يكون الطفل قادرا على اتيان أصعب الحركات الثلاثة للعين ونعني  
بها الحركة الافقية والرأسية والدائرية . وقد وجدت جونز أن الحركة الاولى  
قد توجد في سن ٣٣ يوما ولا ينبغي ان تتأخر عن ٩٠ والثانية بين ٥١ و ١١٠  
والثالثة ٥١ و ١٣٠

أما حركة اغماض العينين وهي فعل منعكس فيجهز الطفل بها منذ الولادة  
ويمكن احداثها بلمس الوجه قريبا من العينين أو مس د الرموش ، بخفة .. أو  
ركن العين .. أو تمرير تيار هوائي خفيف عليهما . وتصبح هذه الحركة ارادية



بعد قليل يقوم بها الطفل كلما أحس شيئا يقترب من عينيه . ويبدأ حدوثها في اليوم السادس والاربعين ولا يجب أن يتأخر عن اليوم المائة والرابع والعشرين تنتقل بعد هذا للابتسام وهو في اول امره ايضا فعل منعكس لا دخل للارادة فيه . ويمكن استثارته باستخدام مؤثر لمسي او حركي على جوانب الفم ويبدو قرب نهاية الاسبوع الاول . أما الابتسام الارادي او الاجتماعي ، حيث يبتسم الطفل ردا على ابتسامة شخص آخر او صوت يحدثه فتضع له جونز حدا أدنى ٢٩ يوما ويمكن يوجد في الاطفال كلهم في نهاية الشهر الثالث فلا يجب ان يتأخر عن هذا .

أما عضلات العنق والرقبة التي تمكن الطفل من رفع الرأس فتقوى بسرعة بحيث لا ينتهى الشهر الاول حتى يستطيع الطفل ان يحتفظ بالرأس افقيا في مستوى الجسم لو حملته في وضع افقي ممسكا اياه تحت الصدر والبطن . وفي سن شهرين يمكنه ان يعلو برأسه عن مستوى الخط الافقي بحيث يعمل معه زاوية ٣٠ . فاذا اجلس الطفل على حرك مع اسناده قليلا من الجذع فهو يستطيع في الغالب ان يرفع رأسه منتصبا دون مساعدة في سن أربع شهور فاذا تأخر عن سن ستة أشهر عد الطفل متراجعا

الجزع : أهم حركاته في أول الامر ، القلب ، وهو ليس موجودا ساعة الولادة ولكن الطفل بعد مضي شهرين يمكنه أن ينقلب من الجنب الى الظهر وفي سن ٤ أشهر من الظهر الى الجنب وفي سن ٦ يعمل دورة كاملة من النوم على البطن الى الجنب الى الظهر ثم الى الجنب الآخر وأخيرا يعود للوضع الاصلى : وليس من الضروري أن يتم الطفل كل هذا كحركة واحدة متصلة بل يمكن أن تتخللها فترات راحة .

وتبدأ حركة القلب عادة بدوران الرأس ، يتبعها الكدمات ثم الاردا ف ، وبمدها يركل الطفل الوسادة بقدمه فيدور .

الجلوس : اذا عنيينا بالجلوس أن ينقلب الطفل من وضع الرقاد الى



الجلوس وحيداً ودون مساعدة فهذا يتأخر عن مجرد إجلال الطفل ثم تركه  
ليسند نفسه ، فالحركة الأولى تتضمن ضبط ونمو عضلات الظهر الثقيلة .  
فاذا تدرجنا مع الطفل في مراحل توازنه نحو الجلوس وحيداً وجدنا أنه في  
سن ثلاثة شهور ونصف يمكنه أن يطبعنا في ثني نصفه الأعلى في وضع الجلوس  
إذا أمسكنا به وأسندناه . وهنا نجد الرأس منتصباً تماماً خلال الأسبوع الأخير  
من الشهر الرابع فلا يحتاج الطفل الى معونة الا تحت الاضلاع السفلى .  
وفي النصف الأخير من الشهر الخامس يمكن الأم أن تخفف من إمساك  
طفلها كثيراً . وبعد اثني عشر يوماً نجده يبذل جهداً للجلوس فلا يكاد ينتهي  
الشهر السادس حتى تمد الأم له ذراعها أو ترفع نصفه الأعلى على الوسادة  
قليلاً فيجذب نفسه الى وضع الجلوس . وهو هنا يمكنه أن يجلس وحده  
ثلاثين ثانية أو أكثر فاذا وصل الى سبع أشهر ونصف فلا يخشى عليه  
شيئاً في جلوسه فقد توافقت حركاته تماماً .

ولكن كل هذا لا يزال مقدمة للجلوس وحده وهي عملية تنقسم الى  
ثلاثة اقسام كما يرى في الرسم



فالطفل يدور بجسمه من وضع الاستلقاء ويثبت أصابع إحدى قدميه  
في الأرض بينما يرفع جسمه بذراعيه الى وضع الحبو على أربع وأخيراً  
يدفع جسمه ليستقر جالساً . وهو يستطيع أن يقوم بالحركتين الأولىين  
حركة الاستدارة والاعتماد على اليدين في رفع الجزء الأعلى في سن سبعة  
أشهر . . . . . واسكن الحركة الأخيرة ليست من السهولة بحيث تتبعها بسرعة



وتتغير طريقة الجلوس بازدياد العمر بطبيعة الحال فتختصر منها بعض الحركات بحلول السنة الثانية والثالثة اذ يكف الطامل عن ادارة محور الجسم كله بل يترك أحد الردين ملاصقا للفرش أو الارض ويجلس متحاملا بذراعه على هذا الجانب . فاذا وصل الى الرابعة والخامسة أصبح في امكانه القيام بحركة الجلوس المصقولة للكبير اذ يثنى النصف الاعلى في اتران تسنده الذراعان على الجانبين .

الذراعان واليدان : يتحرك الذراعان منذ الولادة حركات عشوائية

عديدة ثم تتحدد هذه الحركات بالتدريج . وهي تحدث أيضا أثناء النوم كما تنقبض الأصابع وترتخي دون ما سبب ظاهر . ويمكن أ كثر الحركات شيوعا هي تلك التي يتجه بها الطفل عشوائيا نحو الفم ، تبعا للوضع الذي كان عليه في البطن . ويحدث عاجلا أو آجلا أن يلمس الطفل باصابعه شففيه فيستمد لذة حسية تدعو لتكرار الحركة فاذا كانت البيئة ملتوية وانخذت اجراءات خاطئة فلا يعد أن تنسكون لدى الطفل عادة مص الاصابع أو الإبهام . ولأهمية هذه المسألة وشيوعها وقلق معظم الآباء والأمهات لحدوثها سأخرج قليلا عن منطق العرض لأناولها ببعض العلاج :

مص الاصابع : الحق أن هذه المشكلة يصاحبها من القلق ما لا تستحق

في أول أمرها ، ولعل هذا هو ما يجعلها تضخم فتحقق ظنون المتشائمين . ولعل أسوأ الضرر الذي نحدثه ما دمنا نضع لهذه الحركة في مجتمعنا الغريب مستويات ضارة مخزية أن يلجأ الطفل الذي تكرر منعه وعقابه وتهديده الى مدارتها أو التستر عليها سواء بتخبيته يده باليد الأخرى أو بالانزواء بعيدا عن العيون وبذا يحفر هذا لديه سلوكا بعيدا عن الصراحة والمواجهة قد يمتد الى ميادين أخرى فيصبغها بصبغة ماثورية .

وقبل أن نسمح لانفسنا بان نشقى الطفل في محاولاته لمنعه من مص أصابعه علينا أن نتأكد من مضارها اذا وجدت ثم من مضار الطرق التي تتبعها



القمعها . ومن الطبيعي أن الطفل اذا كان يمص إصبعه بعنف طيلة الوقت أو ينام وإبهامه يضغط سقف حلقه طرل الليل فقد ياتهب الإبهام أو ينكمش في الحجم ، أو قد يتأثر شكل الفم أو سقف الحلق ولكن مثل هذه الحالات نادر حدوثه جدا ولا يمكن أن تربط هذا الإضرار بطفل يمص إبهامه كعملية يقوم بها الرضيع في الشهر الاول كما اثبتنا كجزء من اكتساب المهارة والضبط الحركي للذراع واليد والاصبع أو كاستطلاع لأعضاء جسمه كما لا يمكن أن نخشى وقوع هذا الإضرار لطفل أكبر قليلا يمص إصبعه بين حين وآخر وخاصة عندما يسلي نفسه قبل النوم أو بعد الاستيقاظ مباشرة اذ يكون وحيدا . فاذا حدثت هذه الإضرار الشائعة لطفل ما فاغلب الظن أن الطفل لم يتحقق لديه الفرصة لاشباع حاجاته من الرضاعة بطريقة صحيحة أو أن هناك خطأ ما في جو التغذية أو الفطام بوجه عام

أما اذا كان الطفل يمص إصبعه قبل النوم مباشرة ، أو حتى لمدة قصيرة عندما يستيقظ ، فليس هناك احتمال أن تنتهي هذه الظاهرة بضرر جسماني سواء للاصبع أو للفم . اننا ننحو جميعا نحو الشعور بالقلق ازاءها أكثر مما يجب لان معظم الاطفال الذين ينالون من ظروف التغذية والنوم ما يشبعهم سرعان ما يتركونها بمجرد أن تتسع دائرة ميولهم العامة الى الألعاب والرفاق ويكفون عن استمداد اللذة الحسية من الجسد .

فاذا لاحظنا حدوث هذه الظاهرة في الايام الاولى للولادة فمن الممكن منع رسوبها كمادة بوضع ذراعي الطفل في لفائفه بطريقة تجعل من الصعب أن يرفع يده الى فيه الا اذا كان مصرا . ولكن علينا أن نتذكر أن الطفل اذا كان مصرا حقا .. بمعنى انه اذا كانت هذه الرغبة لهذا النوع من الاشباع ملحّة .. فالشعور بالغضب المستمر الذي نستثيره في الطفل بربط ذراعيه سيكون أكثر ضررا من العملية نفسها . ولعل هذا هو ما يغفله أولئك القائلون بمنع هذه العادة ولو بالطرق العنيفة . هم ينسون أن الطفل ليس



آلة تتحرك حسب ارادتنا . انا نستطيع أن نمنع الطفل من أن يضع ابهامه في فمه . ولكن هذا قد يحدث في أحوال كثيرة على حساب مجهود عصبي مستمر ونوبات من الغضب المكبوت تمتد حتى تلون حياته العقلية بأكملها .  
فاذا أردنا أن نعالج الطفل حول منتصف السنة الاولى فلا بد أن نأكد أنه ينال حاجته تماماً من الثدي أو الزجاجة (البزازة)، وأنه ليس محروماً من تلك الرغبة المشروعة في اللعب بالثدي الذي يوفر له اللذة قبل أن ينام . فاذا كان الطفل أكبر سناً فمن المفيد جداً أن يعطى بديلاً لهذه اللذة في صورة قطعة صغيرة من الحلوى النظيفة عن طريق الغلي مثلاً تعطى له وهو في الفراش فهذا سيساعده في أن يستغنى عن الابهام .

فاذا تم هذا فعلينا أن نوجه اهتمامنا الى « فطام » الطفل من هذا الميل للابهام في أوقات اليقظة لا طرق المنع السلبية كالعقوبات والتخويف والتعيير وتلويث الاصابع بالمواد اللاذعة بل بالاكثر من صحبته في اللعب وتوجيه ميوله لنا وللخارج . فطفل كهذا الذي نحن بصددده يجب ألا يترك وحيداً في سريره وهو مستيقظ نفس المدة التي يتضيها طفل آخر لا يجد ميلاً في ابهامه .  
يمكننا أن نتحدث اليه مدداً أطول اذا كان صغيراً ، ونساهم في ذلك السرور الذي يحسه اذ يشاهد الشجر أو المنزل أو المركبات العابرة أو وهو يناغي ويدفع قدميه في حجر حامله أو يلتقط شيئاً من على الوسادة ، فاذا كبر قليلاً فعلينا أن نستمر في تشجيع هذه الميول بحيث تشغل كفى يديه في عمل مسل مفيد كتركيب القوالب أو نظم « الخرز » الوسع الكبير في أشرطة ملونة أو مساعدة والدته في الاعمال المنزلية البسيطة كناولتها بعض الاثاث الخفيف أو ادارة يدما كينة الحياكة ، وكلها تشعر الطفل بالزهو واعتماد الآخرين عليه فيقبل عليها طائناً مسروراً . ويبقى بعد هذا تسهيل أمر النوم حتى لا يظل الطفل في فراشه مستيقظاً مدة وذلك بالاكثر من الرياضة واللعب ومعالجة اللوزوزوائد الانف إن وجدت اذ هي تسبب الارق .  
الى هنا نجد مشكلة « مص الاصابع » بسيطة غير معقدة ، وبعض الاطفال



لا يمارسها سوى فترة قصيرة جداً أو ربما لا يمارسها على الإطلاق ولا يمكنها قد تظهر فجأة قرب نهاية السنة الأولى أو في الطفولة المبكرة . وهناك موطن الخطر حقاً . فهي لا تعنى هنا اكتساباً لمهارة حركية بادرخال الأصبع في الفم دون خطأ فقد فات ميعاد هذه المهارات وأضحى الذراع والأصبع متراطين تماماً . كما أنها لا تعنى استمداداً للذة جسدية بسيطة قبل النوم أو بعده مباشرة والا لقام بها الطفل قبل الآن ، ولكن ظهورها هكذا فجأة والطفل كبير يعنى قلقاً انفعالياً عاماً ويتضمن سلوكاً انسحابياً ضاراً وهذا هو ما نحب أن نوجه إليه نظر آبائنا بكل حذر .

فالطفل إذا شعر بالخوف والقلق وضاع عنصر الأمن والاستقرار من حياته نتيجة لاهتزاز مستوى المعيشة وفقدان الحب والعطف فأمامه أحسد طريقين .. إما طريق معتدٍ جرمي انتقامي يتمثل في الغضب والتخريب والسرقة والكذب .. وإما طريق استسلامي انسحابي متراجع ويتمثل في الوحدة والتجهم والكآبة ومص الأصابع والعادة السرية والاغراق في الخيال . فمص الأصابع إذن قد يكون أحد أسبابه أن تغيض من حياة الطفل عناصر الحب والثقة بالنفس .

ومن السهل جداً أن تهتز حياة الطفل الانفعالية كلها لدى حدوث عملية كالقطام مثلاً تعاملها سيداتنا المصريات للأسف بمنتهى عدم الاكتراث ناسيات أنها تتغلغل في جذور الحياة العقلية كلها للطفل .

فالرضاعة في أول الأمر بالنسبة للطفل لا تعنى مجرد اشباع الجوع ، فالطفل ليس مجرد جهاز هضمي كما يظن البعض ، ولكنه مخلوق حي له احساساته وله عواطفه . وهذه الاحساسات السارة أو المؤلمة تتصل بالجسد اتصالاً وثيقاً في المراحل الأولى ، فالرضاعة إذن بما تهيبه للطفل من التصاق بصدر الأم وهجوع بين ذراعيها الرقيقين وتلاعب بالثدي بعد أن يطفىء جوعه الشديد هي عملية حية عميقة المعنى . ويبدو هذا من انتصاب العضو التناسلي للطفل الصغير اثناء



الرضاعة . واذن فالرضاعة تشبع أحاسيس أخرى غير الجوع فالطفل لا يأكل بقمه فحسب بل « يحب » أيضا بقمه .

وهو في هذه المرحلة المبكرة لا يستطيع أن يرى في الام شيئا سوى انها « صدر وذراعا » . فيؤله لم تخرج عن الجسد بعد بحيث يكتشف فيها صوتا جميلا يهدئه اذا بكى أو يقص له قصة . فاذا منعت الثدي عن الطفل في هذه المرحلة فانت لم تمنعه الطعام - فالطعام سيأتيه عن طريق البزازة أو الفنجال والمعلقة - ولكنك منعت « الحب » والحنان وكل عاطفة سامية رفيعة كان يحسها فالأكل بالبزازة عملية جافة باردة .

فاذا جاء الفطام في هذه المرحلة المبكرة أصبح صدمة انفعالية عنيفة تنهوى معها حياة الطفل العقلية كلها . وهنينا لمصرنا العزيزة هذا الجيش المتزايد من الجيل النسائي الجديد .. سيدات يحرسن على ثديهن من التهدل والارتخاء فيفطمن أطفالهن بعد شهرين أو ثلاث من الولادة . وهنينا لنا هذا الجيش الضخم من الخادومات اللاتي تلجأ اليهن ربات بيوتنا في كل صغيرة وكبيرة تختص بالطفل . ولعل من « الصغائر » اطعام الطفل عن طريق « البزازة » فأية خادمة تقصر عن أن تقوم بهذا ؟ وماذا يريد الطفل أكثر من أن يملأ « معدته بطعام صرفنا في شرائه وتحضيره وتنقيته وتصفيته من المال والوقت الشيء الكثير ؟ !

عملية الطعام بهذا الشكل الاخير عملية باردة مقيتة مملّة . فلا ينبغي أن نستغرب بعد هذا اذا استولى على الطفل اليأس والوجوم وضاعت ثقته بنفسه تماما، وهو لا يجد مرجعا بعد هذا الا جسده يشق منه اللذة فيمص ابهامه أو يعبث بأعضائه الجنسية ؛ وكلما أمعنا في انتهاره وتهديده وعقابه كلما ازداد لديه الشعور بالآسى وقسوة البيئة والحياة ، والاحساس بنقصه وتراجعهم ، فاحترق السلوك الانسحابي طريقا عمقا وكأنا ندور بحمقنا في حلقة مفرغة ! .. فاذا تنبعت طفلا مثل هذا عند نضوجه وجدته رجلا ضعيف الشخصية الى حد يبعث على الآسى . هو كتموم لا يستطيع أن يصادق أحدا أو يروح بشيء .



لمخلوق فهو لا يتصور أن العالم يمكن أن يحوى عنصرا واحدا نبيلًا كالصدقة أو الأمانة أو الحنان فلقد نصبت بيثته من كل هذا وهو صغير . وكما لجأ الى مص أصابعه وهو صغير ليستمد من جسده بعض ما يعوضه مرارة الحقيقة والعالم الخارجى نجده وهو كبير يفرق فى التدخين أو العادة السرية بل والخمر أيضا . . . . . عليه بذلك ينسى همومه وأشجانه . . هو يرهب المجالس والمجتمعات ويشعر بالضيق والخرج كلما وجد نفسه فى أحدها أو وجه إليه أحدهم تعليقا طريفا على ملا من الآخرين ، اذ هو يعتبر الابتساماة أو التلطف سخرية لاذعة فهو لم يعتد فى حياته الانفعالية وهو رضيع صغير سوى الضغط والحرمان متى تقلع سيداتنا عن اعتبار عملية كالقطام وغيره شيئا عارضا مؤقتا تهرفن فيه حسب وحى اللحظة أو هوى الساعة . . . . . وب نفس الطريقة قد يستثير السلوك الانسجاني كص الأصابع اهتزاز الامن لدى الطفل لا فى عملية القطام فحسب بل فى مراحل الطفولة المبكرة عن طريق العقوبات القاسية وأساليب التخويف والارهاب أو المنع والكبت . . . . . وقد حبانا الله بملايين الآباء فى مصرنا الجميلة يصرخون وبلاطمون كأنما هم فى حومة قتال لمجرد أن الطفل ظل ينقر بمعلقة على لوح من الصفيح فأفاق راحتهم . . . . . بينما هو الحقيقة يستكشف العالم المادى المحيط به عن طريق اللامب فهو قد جرب تأثير الملعقة على الخشب والبلاط فما بال هذه المادة الجديدة تصدر هذا الصوت الحاد الغريب . وبمعنى آخر هو يضيف الى معلوماته .

علينا أن نصلح البيئة اذا أردنا أن نعالج مشكلة « مص الأصابع » فى هذه الحالة . فلتسكن علاقتنا بالطفل علاقة مربين ومرشدين . . . . . علاقة تفاهم وتقدير . . . . . لا منع وحرمان وتحقير . ولا ينبغي أن تخلو حياة الطفل من الحنان والحب . ولنحاول منذ أول عهد الطفل بالحياة أن نضيف الى ثقته بنفسه ويتم هذا عن طريق عدم تكليفه باداء ما لا يستطيع أو ما يوقفه موقف الاحراج . وكثير من الآباء « يصدرون » الطفل اذا صح هذا التعبير لمواقف



لا يريدون أن يتدخلوا هم فيها الا عند النهاية جسم آمنهم للقبض أو ضنا بكرامتهم كما لو أرسلوا الطفل الى صاحب المنزل المشاكس ليطلب ايصالا عن مبلغ لا يريد أن يتسلمه أو يكفه عن عمل معين يقصد به اثاره السكان .. كما ينبغي أن نختار أصدقاءه فلا نقحمه بين من هم أقوى منه جسدا وعقلا .. وأخيرا علينا أن ندفعه لالعب محسوسة كناء أشكال من القوالب أو الابراج أو تلوين أو تزيين لعبة يملكها .. وهكذا يحسن به قد عمل شيئا محسوسا واضحا يشير اليه في فخر .

أما الفطام فيجب أن يتدرج ، ويتعلم الطفل منذ الاسابيع الاولى أن يشرب جرعات الماء من المعلقة أو الفنجال ، وبذا تصبح هذه العملية جزء من الانتباه المصحوب بالحب موجه اليه ، والاحساسات التي تستثيرها لذينة سارة ، ويجب أن يأتي التغير من الثدي للبرازة ثم المعلقة تدريجيا بحيث يتهيأ للطفل الوقت الكافي ليعتاده ، واحسن وقت للفطام هو الربع الاخير من السنة الاولى ، اذ يكون الطفل قد تلذذ بذلك الاسابيع المعقول لرغباته نحو الثدي ، واصبح نموه العقلي والاجتماعي الآن يسمح له بأن يفهم علامات أخرى لعطف أمه ، وهكذا يرى أن هذا العطف لم يقل بالرغم من ان الثدي قد اختفى توافق حركات العينين واليدين : الآن وقد انتهينا من عرض هذه المشكلة نعود الى الضبط الحركي وحركات اليدين والاصابع . ولقد يظن القارىء أن الطفل يولد مجهزا بهذه القدرة على الامساك بالشئ منذ أول عهده بالحياة ، فأصابعه تتقبض في عنف على إصبع البالغ أو أى جسم رفيع . ولكن مثل هذه الحركة فعل منعكس يزول بعد مدة . وتبقى بعد هذا مسألة الاقتراب من شئ والامساك به قصداً أو التقاطه ، وهذه لا يمكن أن تتم الا اذا اعتبر الطفل الابهام وحدة منفصلة عن الاصابع الأربعة الأخرى فيضعه في اتجاه معاكس وبذا يتحقق القبض . ويحدث هذا بين الشهر الثالث والرابع ، أما في التقاط الأشياء فلا يظهر قبل الشهرين الثامن والتاسع .



ويحتاج الطفل لكي يمسك بشيء معلق أو ملقى أمامه الى توافق بين حركات العين واليد بحيث توجه الاولى حركات الثانية. وقد وجد واطسون في أبحاثه أن الطفل حتى اليوم المائة والثاني والعشرين يقبض ببسطه واضطراب ويده كلها دون تخصيص الابهام ، وفي سن ١٧١ يوما تترافق الحركات ببعض الشيء ويبدأ الطفل تفضيل اليد اليمنى .

أما تقريب الجسم من الفم فيبدأ في الشهر الرابع ، ولا بد أن يقوم به الطفل المتوسط في سن ستة أشهر . وهانحن نسوق للقارئ بكل دقة تجارب هالفرسون <sup>(١)</sup> حيث حلل بعرضه للاشرطة السينمائية المراحل التي يسير فيها الاقتراب من الجسم ثم الامساك به والتقاطه مع تسجيل العمر في كل حالة :

الاقتراب: لوحظ في التجارب التي أجريت أن الاطفال بعد الاسبوع السادس عشر يعملون محاولات لامساك المكعب الموضوع على المنضدة على بعد ست بوصات ونصف ولكن القليل منهم من يفلح في هذا قبل الاسبوع الرابع والعشرين . ويمكننا أن نميز في حركة الاقتراب مراحل ثلاث :

- أ - الحركة الجانبية ، حيث تندفع اليد للخارج جانباً ثم للداخل نحو الخط الاوسط للمنضدة حيث يوضع المكعب دون أن تقترب منه .
- ب - الحركة الدائرية ، حيث تتحرك اليد للجانب ثم للامام عائدة نحو المكعب وهكذا تمثل في طريقها قوساً .
- ج - واخيراً الاقتراب المباشر ، حيث تمتد اليد الى الهدف في أقصر

(١) Halverson H. M. An experimental study of prehension in infants by means of systematic cinema records: Genet. Psych. Monog: 10, 107 - 286



الطرق وهي حركة الاطفال السكبار .  
وأكثر هذه الحركات شيوعا الدائرية ويبدو من الجدول المصاحب  
أنها هي السائدة في الاطفال الأقل من ست وثلاثين اسبوعا ، وترك  
المجال للحركة المباشرة قرب نهاية السنة الاولى .

| العمر بالاسبوع |    |    |    |    |    |    |    | نوع الحركة      |
|----------------|----|----|----|----|----|----|----|-----------------|
| ٥٢             | ٤٠ | ٣٦ | ٣٢ | ٢٨ | ٢٤ | ٢٠ | ١٦ |                 |
| ٠              | ٠  | ١  | ٠  | ١  | ٣  | ١٣ | ١٣ | الحركة الجانبية |
| ٧              | ١٠ | ١٢ | ٢٢ | ١٨ | ٢٢ | ١٧ | ١١ | الدائرية        |
| ١٩             | ١٥ | ١٥ | ٢  | ٨  | ٣  | ٥  | ١  | المباشرة        |

والواقع أن لهذه الحركات ارتباطا مباشرا بنضوج العضلات ومرونة  
المفاصل ، فقبل الاسبوع الثامن والعشرين يتحرك الذراع كله بتصلب  
من موضع اتصاله بالسكتف ، ولكن بعد هذا يبدأ السكتف كله في  
الدوران كما يعمل مفصل السكوع في بعض الحشونة بحيث اذالقى الطفل  
بذراعه جانبا أمكن لليد اثناء العودة أن تندفع للامام فتصبح الحركة دائرية  
ونحن هنا نرى الطفل يتعدى المكعب ثم يجذبه بسبابة ناحيته قبل أن  
يقبض عليه .

فاذا زادت هذه الحركات نعومة صاحبها حركة الجذع ابتداء من  
الاسبوع الرابع والعشرين وهي حركة تصل الى ذروتها عند السادس  
والثلاثين فتمكن الطفل من أن يميل للامام ويستدير بجذعه ليعطى اليد  
مجالا أوسع وأقصر فتوجه الى المكعب مباشرة وتنتهي بذلك الحركة  
الدائرية .





قبل ان نشقى الطفل في محاولاته لمنعه من  
مص أصابعه ... ص ١٢٠



ثلا  
فق  
الثا  
وأ  
ار  
كل

ف

ين  
ال  
حر  
وال  
حر



فاذا اخذنا منظرا جانبيا ليد الطفل أثناء الحركة وجدنا أيضا اشكالا  
ثلاث الانزلاق sliding والانقضاض looping واخيرا الانسياب planing  
ففي الحركة الاولى تنزلق اليد ملاصقة لسطح المائدة ثم تأتي الحركة  
الثانية اذ ترتفع اليد عاليا ، أماما أو جانبا ، ثم تهبط بحدة متخذة شكل قوس  
وأخيرا تأتي الحركة الأخيرة المصقولة اذ تتحرك اليد المبسوطة محلقة على  
ارتفاع قليل نحو الهدف . وفيما يلي يرى القارىء جدولاً يحدد مدى شيوع  
كل من هذه الحركات مع بيان العمر :

| نوع الحركة | العمر بالاسابيع |    |    |    |    |    |    |
|------------|-----------------|----|----|----|----|----|----|
|            | ١٦              | ٢٠ | ٢٤ | ٢٨ | ٣٢ | ٣٦ | ٤٠ |
| الانزلاق   | ٩               | ١٣ | ١٥ | ١٢ | ١١ | ١  | ٣  |
| الانقضاض   | ٠               | ٣  | ٨  | ٩  | ١٩ | ٠  | ٠  |
| الانسياب   | ٠               | ١  | ٩  | ٩  | ١٠ | ٢٨ | ٢٢ |

وواضح أن المظهرين الاولين يتمشيان مع الحركتين الجانبية والدائرية  
بينما حركة الانسياب تصحب الاقتراب المباشر ، وهي موجودة في جميع  
الأطفال منذ الأسبوع الثاني والخمسين . ولسنا نغنى بذلك التحديد أن كل  
حركة تحدث على حده بل قد تكون الحركة الواحدة مزيجاً من الانزلاق  
والانقضاض ، كما لو هبطت يد الطفل قبل المسكع اذ قد يعقب هذا  
حركة انزلاقية براحة اليد على سطح المائدة يتبعها انقضاض آخر وهكذا .



ولا يبدو من الجذع والرسغ فائدة واضحة قبل الأسبوع السادس والعشرين ، وهنا يتقدمان بسرعة حتى الأسبوع الأربعين . وتقتصر حركة الجذع أولاً على الميل للامام فيساعد الطفل على الاقتراب من الجسم ، ولكنه بعد مدة يمكنه أن يدور على محوره مما ييسح لأحد الكتفين الدوران كاملاً بحيث يسبق الآخر . فاذا وصل الطفل الى الأسبوع الثاني والخمسين وصلت حركات الجذع الى حدها الأقصى من المرونة والضببط أما عن الرسغ ، فقد دلت الابحاث على أن الساعد واليد عند الطفل الصغير يتحركان في خط مستقيم . فاذا مد الطفل يده للاقتراب من جسم ما فإن اليد تمتد ثم تنخفض بحيث تلتصق معظم راحتها المكعب ، وتقتصر حركة الرسغ على الحركة الباطنية أى للأسفل نحو المكعب volar flexion . فاذا انتهى النصف الأول من السنة الأولى استطاع الرسغ أن يتحرك جانباً نحو الإصبع الأصغر من اليد ulnar flexion بحيث أن الخط الواصل بين الكوع والرسغ والذي كان يمر بالإصبع الأوسط ، يمر الآن بين السبابة والابهام ، وهذا التغير في وضع الرسغ . . هذا التغير الذي يتمشى مع وضع الابهام وحده مقابلاً للأصابع ، ينقل السبابة والابهام الى وضع ممتاز لا يتنبأ لغيرهما فيكتفى الطفل بهما لالتقاط المكعب

القبض : اتضح من العرض البطيء للاشرطة السينمائية أن هناك عشرة أنواع من القبض تتتابع حسب نمو الطفل حتى يصل الى اوضع الاخير الذي يمتاز به البالغ . ولسهولة العرض سنختصرها الى ثلاثة في الوقت الحاضر :

١ - استقرار راحة اليد على المكعب ب - وضع الابهام جانباً مع التصاق راحة اليد ح - القبض باطراف الاصابع .

يتم في الحركة الاولى تقبض الاصابع بشدة على المكعب وتضغطه الى مؤخر راحة اليد مع الاحتفاظ بالابهام موازياً للاصابع الاربعة الاخرى . وتكاد اليد هنا تخفى المكعب تماماً بحيث يصبح استكشاف الجسم أو معالجته



وتحريكه محدوداً جداً لأن الطفل لا يراه .

وفي الحركة الثانية ينتقل المكعب الى جانب اليد (نحو الابهام) ، ويبدأ هذا الاخير في القيام بعمل مخصص . وفي المرحلة الاخيرة يصل الابهام في وضعه الى الكمال فيسمح للطفل بأن يزن المكعب بين اطراف الاصابع والابهام . وهنا نرى معظم سطوح المكعب ظاهرة فيمكن الطفل ان يتابع ما يريد من حركات كوضع الجسم داخل شيء أو خارجه أو في فيه أو قد يتحسس به بيده الاخرى وهكذا .

والحركة الاولى تسيطر على الباقية حتى الاسبوع الرابع والعشرين ثم تفسح السبيل للثانية بين الثامن والعشرين والثاني والثلاثين ، وهنا تبدأ الثالثة في الظهور لتسيطر ابتداء من الاسبوع السادس والثلاثين .  
وهنا نحن نرفق بهذه النتائج رسماً تخطيطياً يبين المراحل التي تسير فيها عملية القبض ، ويبدو في اعلاه المكعب حيث يقبض الطفل براحة اليد في الاسبوع العشرين والرابع والعشرين ، ثم يأتي الشكل الثالث ليبين تخصص عمل الابهام في الاسبوع الثاني والثلاثين ، أما الاشكال الاخيرة ٣٦ ، ٤٨ ، ٥٦ ، فتبين القبض المصقول باطراف الاصابع ، وهنا يتمكن الرسغ من اضافة حركة





أخرى فترفع اليد الى أعلى نحو ظاهرها distal flexion  
ويلاحظ أن سرعة التحسن في القبض على الاجسام المعروضة تختلف باختلاف احجامها واشكالها . فالفتنجال هو دائما مشكلة بالنسبة للطفل ، والاطفال جميعا في كل الأعمار يستخدمون عادة كل الاصابع في الامساك به . ومن الطريف أن نلاحظ أن الكرة والبليه الصغيرة أكثر الاجسام تعقيدا فالباية تحتاج الى تسكيف دقيق للاصابع ولا يمكن أن يصل أى طفل الى هذا قبل الاسبوع الثامن والعشرين ، ويبدأ الطفل في محاولاته الاولى بدفع راحة يده منبسطة فوق الجسم الصغير وتقبض الاصابع محاولة الامساك به ولكنه في الغالب ينزلق من بينها فيعيد الطفل الكرة حتى يثبت الجسم بين اطراف الاصابع وأعلى راحة اليد وبالتدريج تخصص الاصابع حتى يكتمل الطفل بالاهام والسبابة .

استكشاف الجسم ومعالجته : يختلف الاطفال كثيرا في طرق تحريكهم للاجسام الصغيرة بعد التقاطها . ولكنهم يتفقون في خطة الترقى لهذه الحركات . فاذا اخذنا تجارب هالفرسون في هذه الناحية خرجنا بأن الطفل يتحسس المكعب بأصابعه في اول الامر . ثم هو يضرب به المائدة ، وبعد هذا تتحسن حركانه فيتركه من يده عامداً ، واخيرا ينقله الى يده الاخرى . ويلاحظ من هذه الدراسة أن ازدياد عدد الحركات وتنوعها من حيث النشاط الاستكشافى يصحب التحسن في الادراك ومرونة الاعضاء ، ففي الاسبوع الثامن والعشرين حيث يبدأ الاستكشاف الصحيح تبدأ ايضا حركة الرسغ الجانبية فيبرز الاهام والسبابة والوسطى في مقابلة الجسم ، كما تبدأ حركة دوران عظمى العضد فيدير الطفل المكعب في يده ليتفحصه . وكما نمت حساسية الاصابع وقارب الطفل حركة القبض الثالثة باطرافها تسكيف ضغط قبضة الطفل على الجسم حسب وزنه وشكله وأبعاده الخارجية ، وإنا لنرى هذا النجاح يتمشى مع نضوج أعصاب البصر وتقدير المسافات والابعاد والحجوم ، وهكذا يمكن الطفل أن يترك المكعب على المائدة من يده عامداً



مدلأ من أن يسقطه في مرحلة مبكرة إذ تنفجر الاصابع فجأة .  
تناول الطعام : متى يستطيع الطفل أن يتحكم في يده ورسغيه ليأكل

بنفسه ؟ لقد تعددت الابحاث في هذا الميدان حتى نستطيع الآن أن نرؤى غايل القارىء الى حذما . فالطفل في نهاية الشهر الثامن يستطيع أن يمسك « بالبرازة » اذا وضعت في فمه ورضع . وفي الشهر التاسع يمكنه أن يدخلها ويخرجها من فمه متى أراد . فاذا ما اكتملت له سنة أمسكته أن يشرب من فنجال وياكل بملعقة ، ولو أنه لا يستطيع أن يستعملهما بنفسه بنجاح بطبيعة الحال . وتأق السنة الثانية فيحاول الطفل جناهدا أن يأكل وحده . ويحدث كئيرا أن يتساقط بعضه على ملابسه في أول الأمر ، كما يستعمل كلتي يديه للامساك بالفنجال والشرب . ولكن بالتدريج والتمرين تتحسن حركاته فيتخلل عن احدى اليدين .

فاذا انتهت السنة الثانية تعلم الطفل أن يستخدم الشوكة أيضا بالاضافة للمعلقة ، ولكنه غير قادر على تقطيع طعامه واعداده للإكل . وبالتدريج خلال السنة الثالثة يمكنه أن ينشر المربي أو الزبد على الخبز وبعد هذا يحاول أن يقطع اللحم بالسكين ، ولكنها محاولات فاشلة في معظمها لأن حركة القطع معقدة جدا ولا تتم قبل الخامسة . ويلاحظ أنه في كل هذه الحركات لتعلم الأكل منفردا يجب أن يركز الطفل اهتمامه كله في العمل الذي أمامه اذا اردنا أن نصل الى نتائج مثمرة ، أما أن يتخلل عمالية الطعام الكثير من التوتر وابداء الملاحظات والضحك وبعض السخرية فيسكلها تعطل ضبط الحركات . ويضع جيزل هذا المقياس <sup>(١)</sup> الخاص باستخدام الفنجال والملعقة نسوقه للقياس لعله يجد فيه بعض الفائدة :



استعمال الفنجال دون مساعدة :

١٥ شهراً - يمسك الطفل الفنجال بأصابعه متباعدة ، لا من الاذن . يحدث كثيراً أن يميل الفنجال لمرونة الرسغ فيسقط معظم ما يحتويه .  
رقابة مستمرة

١٨ شهراً - يرفع الفنجال الى الفم ويشرب جيداً . يعيد الفنجال الفارغ الى امه فاذا لم تسرع لاخذه فكثيراً ما يسقط منه .

٢١ شهراً - يعالج الفنجال جيداً .. الرفع ، والشرب ، والاعادة الى المائدة .

٢٤ شهراً - يمسك كوباً صغيراً بيد واحدة ويشرب .

٣٦ شهراً - يصب الماء أو اللبن من اناء صغير في الفنجال بكثير من الدقة .

استعمال الملعقة دون مساعدة :

١٥ شهراً - يمسك بالملعقة ويدفعها في الصفحة . ولكنه لا يملأها الا بقدر قليل ،

ثم هو اذ يقرب الملعقة من فيه ففي الغالب يقلبها قبل دخولها الفم

١٨ شهراً - يملأ الملعقة جيداً . ولكنه لا يزال يجد صعوبة في اقبال الطعام

لفمه ، وكثيراً ما يقلب الملعقة على جانبها في الفم .

٢٤ شهراً - يضع الملعقة في الفم دون ميل ولا يقلبها بل يرفعها قليلاً من طرفها

الذي يمسك به . لا يسقط منه الا القليل .

٣٦ شهراً - يستطيع أن يمسك الملعقة مسكاً صحيحاً ، أى بالأصابع من أسفل

بحيث يكون باطن اليد المنقبضة لأعلى .

ارتداء الملابس : يقرب من تناول الطعام كثيراً في الاهمية . وخلع

الملابس يسبق ارتداءها السهولة ، فمن السهل أن يخلع الطفل جوربه وحذاءه

من أن يلبسهما . ويقع الوقت المفضل لنمو الضبط الحركي نحو الارتداء والخلع

ما بين سنة ونصف وثلاث سنين ونصف . ويختلف مدى الصعوبة حسب

الملابس ، فالجوارب أسهل في ارتدائها من الأحذية ، وارتداء الرداء

أسهل من تثبيته بالازرار ، وفك الازرار أسهل من تثبيتها .



وقد وجد أن الطفل من سن سنتين شغوف بمحاولة فك الازرار وربطها ، وهو يستطيع أن يزرر سترته اذا كانت الازرار في الامام أو الجنب ابتداء من سن سنتين وخلال السنة الثالثة ، ويتحكم في الحركة تماماً في الخامسة . ويلاحظ أنه أثناء تعلم الطفل تثبيت أو فك الازرار يجب أن يرى الزر أو العروة أو الخية ، فاذا كان الزر عالياً عند العنق أو على الكتف أو في الظهر بحيث لا يراه فهو لا يستطيع أن يثبته ، ولكن معظم الاطفال اذا استعانوا بمرآة يمكنهم أن يفعلوا هذا خلال السنة الرابعة . فاذا وصل الطفل في النمو الى حد تأدية هذه الحركات أو توماتيكياً دون أن ينظر للزر فيمكنه أن يستغنى عن المرآة ، حوالي سن السادسة .

تفضيل احدى اليدين : لا يبدو خلال الشهور المبكرة من الحياة أن الطفل يفضل اليد اليمنى أو اليسرى . وتبدأ أول مظاهر هذا التخصص قرب منتصف السنة الأولى لتحدد وتثبت في الشهر التاسع . وقد تعددت الآراء في تفسير سبب هذا التفضيل ، فمن قائل انها مسألة فطرية تولد مع الطفل ، الى مؤكد انها نتيجة للمران والاعتبارات الاجتماعية كما يرى واطسون ، فالطفل منذ صغره اذا مد يده اليسرى للبصافة نهيناه ودعونا له البسط الأخرى . والرأي الأول هو الشائع ، وهو يؤكد أن تدخلنا نحن الكبار لتحويل مجرى الحركة الفطري تنتج عنه متاعب عصبية ، تبدو على الأخص في اللثغة والتهتة وأخطاء النطق .

وهناك من يرى أن الجزء الايسر من المخ نفسه ( أمام وفوق المخيخ ) يعمل تشريحياً بشكل أدق وأوفق من الايمن ولذا يحدد تفضيل الناحية اليمنى عند معظمنا . وهناك أيضاً من يتخذ وضع الجنين في البطن دليلاً على تأكيد أهمية اليد اليمنى وعلا قدرها .

وبعد فلقد يكون تفضيل جانب على الآخر اجراء لا ارادياً نقوم به في مناسبات عديدة لتسهيل العمل ، كما لو أرهفت احدى أذنيك لسماع صوت



منخفض ، أو نظرت بركن عينك عند التفكير ، كما أنك لو وقفت على إحدى قدميك لارتفعت هامتك عما لو استخدمتهما سويا .

وقد درس ولمان قدرة الطفل على القاء أو التقاط الكرات وخرج بهذه المقاييس (١) للاعمار في حالة كرة محيطها ٩ ونصف بوصة وأخرى ١٦ ونصف بوصة .

| نوع الحركة                                 | محيط $9\frac{1}{2}$ بوصة | محيط $16\frac{1}{2}$ بوصة |
|--------------------------------------------|--------------------------|---------------------------|
| القاء الكرة الى بعد ٤ - ٥ أقدام            | ٣٠ شهرا                  | ٣٠ شهرا                   |
| القاء الكرة الى بعد ٨ - ٩ أقدام            | ٤٤                       | ٥٣                        |
| القاء الكرة الى بعد ١٢ - ١٣ قدما           | ٥٧                       | ٧٢                        |
| التقاطها ، الذراعان ممدودان ،<br>نجاح قليل | ٢٧                       | ٣٤                        |
| د بنجاح الكوعان بلاصقان الجسم              | ٥٥                       | ٥١                        |

الساقان والقدمان : يظن الكثيرون أن الطفل يتعلم المشي بسرعة أو يصل اليه بشكل فجائي ، ولكن الحقيقة أن المشي تتغلغل جذوره حتى وقت الميلاد وربما والطفل جنين ، حيث لوحظت حركات الرفس والدفع من الساقين بطريقة منممة أى بالتبديل . وهكذا يستغرق الطفل مدة ربثا تنسق عضلات السيقان والجذع ، وبعد هذا يكتسب الطفل الاتزان .

وتبدأ حركات الزحف خلال الشهور الاربعة الاولى . فاذا استلقى الطفل على بطنه أو على ظهره فهو يرفس وينفض جسمه ازام حرف الفراش فيتحرك بضع بوصات في نهاية الاسبوعين الاولين . فاذا رفعته تحت الابطاين في

(١) ببعض التصرف Wellman B. Motor achievement of preschool children. Childhood Ed., 1937, 31, 311 — 319.



وضع رأسى بحيث تلمس ساقاه الارض فهو يقفز ويطفر ، وفي مرحلة متأخرة يثبت قدميه في الارض بقوة ويخطو .

ولكن أولى المحارلات في سبيل الحركة المنظمة هي التدحرج ، اذ يستعين الطفل بحركات ساقيه وذراعيه - ولو انها حركات خشنة جدا غير مصقولة - ويعقب هذا في العادة نوع من الحركة في وضع الجلوس اذ يستخدم الطفل احدى رجليه ليدفع بها جسمه بينما الاخرى مثنية تحته لحفظ التوازن ، كما يستخدم الذراعين واليدين لمساعدة حركات الساق للدفع . وهذا النوع من الحركة يتجه في الغالب للخلف لا للامام . ويبدأ بشكل بسيط جدا في الشهر الرابع اذ يبدأ الطفل في ثني جسمه بالمساعدة في وضع الجلوس ويصل الى ذروته في الشهر السادس فيشيع في معظم الاطفال .

وتأتى المرحلة التالية وهي مرحلة الزحف وفيها تجدد الجسم مستلقيا على الأرض والبطن متصل بها ولسكن الرأس والسكتفين مرفوعان على السكوعين ويندفع الجسم بحركات الجذب من الذراعين والدفع من الساقين . والطفل هنا يشبه السباح بعض الشيء ، وخاصة في حركات القدمين اللتين تقتربان من الجسم ثم تندفعان للخلف فجأة كالضفدع . وتشيع هذه الحركة بين الشهر السابع والتاسع .

فاذا وصل الطفل الى سن تسعة أشهر فيمكنه أن يحبو ولو أن بعض الاطفال المبكرين يختصرون كل هذه المراحل . وفي الحبو يرتفع الجذع موازيا للارض ويتحرك الايدى والارجل حركات متعارضة في أول الامر ولسكن بالتمرين يكتمل التوافق ويحرك الطفل عضوا واحدا في كل مره . فاذا وصلت قوة الطفل حدا كافيا رفع ركبتيه عن الارض وتصلب ساقاه ومشى على أربع كالحیوانات ، ويتم هذا ما بين الشهر العاشر وأوائل الثاني عشر

الوقوف : ليس من الضروري أن يسير الطفل في المراحل السابقة حتى يقف . بل ان وقوف الطفل مستندا الى شيء أو بمعونة آخرين يتداخل في



المراحل السابقة ، تماماً كما رأينا الجلوس بمساعدة الام يحدث مبكراً . وهكذا يستطيع الطفل أن يقف معتمداً على قطعة من الاثاث لمدة دقيقة في سن عشرة أشهر . أما ان يقف بثبات بشيء ليجتذب نفسه الى وضع الوقوف فعمل صعب في الحقيقة لان الارجل كثيرا ما تنزلق تحت ثقل الطفل ، ولكنه يتحقق في الطفل المتوسط قرب نهاية الشهر الحادى عشر ، ومع هذا فلا يزال أمامه شهر على الاقل ليكتسب القدرة على الوقوف بدون أى مساعدة .

ويحمل الوقوف طابعا خاصا بالنسبة للاطفال في أول الامر ، فالارجل متباعدة لحفظ الطفل توازنه ، والاصابع المكبيرة متجهة للخارج ، والرأس والجزء الاعلى من الجسم مائلان للامام . فاذا سقط فهو في الغالب يسقط للخلف المشى : اذا اكتسب الطفل بعض الثقة في قدرته على الوقوف متمكنا أو متشبثا بأحد فأغلب الظن انه يبدأ بخطوة الاولى بكل حذر ، وهو يفعل هذا قبل أن يكتسب القدرة على الوقوف وحده ، أى في سن عشرة أشهر ونصف .

ويسير كثير من الباحثين على سنة مضاعفة العمر الذى عنده يجلس الطفل بمفرده للتنبؤ بالسن الذى يتخلى فيه الطفل عن كل مساعدة ليسير وحده .. أو يضربون سن الجبوتى  $1\frac{1}{2}$  . وهو يقع في المتوسط حول الشهر الرابع عشر ؛ فلا يصل الطفل الى منتصف السنة الثانية حتى يسير وقد اترنت حركاته كالكبير .

وفى حالة تعلم المشى نجد الرأس مرفوعا بتصلب ليرى الطفل فى أى اتجاه يسير ، كما يبدو الجسم متخشبا والحركة مقصورة على الساقين فقط والقدمين بينما الذراعان ممدودان للجانبين كأنما الطفل أحد اللاعبين الذين يسرون على الحبل . وتتجه القدمان للخارج وتحرك الساقان مشدودتين حركات منغمة واحدة فى أثر الاخرى ولا ينظر الطفل إلى مواضع قدميه ، وهذا يؤدي به كثير للسقوط ، فضلا عن انه يرفع ساقه فى كل خطاؤه عن الارض



أكثر مما يجب ولذا يفقد توازنه .

أوضاع القدمين : تابعت الدراسات التفصيلية في هذه الناحية ممرزة

بالأجهزة والصور المتحركة على أيدي بير نسيد وشيرلى وماك جرو وإيمز . وقد جاء فيرودت باحذية بها ثقب دقيقة من أسفل يسيل منها الحبر كلما ضغط الطفل قدمه فتترك أثارا . وجعل بيرنسيد أطفاله يسرون على قماش من الموسلين المشبع بالحبر ثم ينتقلون منه الى شرائط من الورق . كما دهنت شيرلى أقدام أطفالها بزيت الزيتون ، وبعد أن ساروا على ورق أبيض ألقت عليه مسحوقا أسود مما يتجمع على زجاجة المصباح فظهرت مواضع الأقدام بوضوح . أما ماك جرو فسجلت صوراً متحركة لأرجل الأطفال من تحت الزجاج الذي يسرون عليه .

وقد وجد أن الطفل في مرحلة مبكرة — قبل الشهر السادس — يحاول أن يخطو إذا حملناه في وضع رأسي ، وهنا تقصر الخطوة ، حوالى ٥ سم بين الأصبعين الكبيرين ، ويضغط الطفل قدمه بعنف على الأرض معتمداً على المشاط والأصابع فقط ، فإذا بدأ الطفل المشي معتمداً على الأثاث أو ممسكا بيدي شخص كبير اتسعت الخطوة كثيراً وانفرجت الأرجل للخارج وضغط الطفل قدمه كلها على الأرض . وهو هنا لا يحرك قدما إلا إذا استوثق من ثبات الأخرى .

وبالتدريج تتحسن الخطوات وتقل الزاوية بين القدمين حتى تصبحا متوازيتين تقريبا ، وهنا يسير الطفل وحده فيضع كعبه على الأرض ثم ينتقل الضغط بسرعة للمشط في الوقت الذي يستقر فيه الكعب الآخر كما هو الحال عند الشخص منا .

ويرى القارىء هنا جدولا يتضمن بعض المعايير من وضع بيلي<sup>(١)</sup> تتناول الحركات المشتقة من المشي والتوازن مع بيان العمر بالاشهر .



| العمر | نوع الحركة                  |
|-------|-----------------------------|
| ١٦ر٥  | يمشي جانبا                  |
| ١٦ر٩  | يمشي للخلف                  |
| ٢٠    | يقف على القدم اليمنى بمعونة |
| ٢٠    | اليسرى                      |
| ٢٠ر٣  | يصعد السلم مع المساعدة      |
| ٢٠ر٥  | يهبط السلم                  |
| ٢٤ر٣  | يصعد وحده دون تغيير للقدم   |
| ٢٤ر٥  | يهبط وحده دون تغيير للقدم   |
| ٢٩ر٢  | يقف على القدم اليسرى وحده   |
| ٢٩ر٣  | اليمين وحده                 |
| ٣٠ر١  | يسير على اطراف أصابعه       |
| ٣١ر٣  | يسير على خط مرسوم           |
| ٣٥ر٥  | يصعد السلم مغبرا القدم      |
| ٣٧ر١  | يقفز من ارتفاع ٣٠ سم        |
| ٣٧ر٢  | يقفز طويلا مسافة ١٠ - ٣٥ سم |
| ٤٨ر٤  | ٦٠ - ٨٥ سم                  |

وتحدث تغيرات كثيرة في طريقة المشي بطبيعة الحال ، وقد تمر عدة سنين قبل أن يكون الطفل مشية خاصة يتميز بها ، فضلا عن أن ثقل الجسم . . وحالة الحذاء من جهة الضيق أو الاتساع . . وخوف الطفل من أن يخطو خطوات واسعة لئلا يسقط كما حدث في مناسبات سابقة . . كل هذا يجعله يخالف كثيرا زميلا آخر في نفس السن كما أن له أثرا كبيرا في تكوين طابع خاص للشئ .

وهانحن نلخص للقارىء ما سبق عرضه للنمو الحركى في كل ميدان على حدة في هذه المعايير التى يضعها جيزل وييلى

نهاية الشهر الاول : ١ - يرفع رأسه بين حين وآخر اذا أسند الى الكتف

٢ - يقوم ببعض حركات الدفع بقدميه اذا استلقى على

بطنه في الفراش وقد يزحف ما يقرب من بوصة

٣ - اذا حملته في هذا الوضع يمكنه أن يرفع ذقنه فتصل الرأس



الى مستوى أفقى

٤ - يدير رأسه جانباً وهو مستلق على البطن .  
نهاية الشهر الثالث : ١ - يرفع يده أو يحمل جسماً الى فمه قصداً لاعن طريق الصدفة

٢ - تتوافق اعصاب العينين فيتحدان فى الحركة لمتابعة جسم لامع يتحرك أفقياً ورأسياً  
 ٣ - يجتذب انتباهه ما يوضع الى جانب العين فيستدير ليلتفت إليه

٤ - يخمن عينيّه بصورة ارادية اذا تهددهما شئ .  
نهاية الشهر الرابع : ١ - ينقلب بسهولة من الظهر للجنب .

٢ - يرفع نصفه الاعلى بواسطة الذراعين ويزحف بوصات  
 ٣ - يجلس بمعونة الكبار تحت الاضلاع السفلى ويرفع رأسه بثبات

٤ - يبدأ عمل الابهام فى التخصص فيقابل الاصابع الاخرى جزئياً ليتمكن الطفل من الامساك بشئ .

٥ - يحمل الحاتم الى فمه

٦ - يلعب بالكشيشخة

نهاية الشهر السادس : ١ - يجلس دقيقة أو اثنتين دون معونة اذا مال

فى وضع مناسب

٢ - يحتفظ مدة بسيطة بمكعبين ؛ واحد فى كل يد .  
 ٣ - يمارس الحركة فى وضع الجلوس للخلف فى الغالب بمساعدة الذراعين وساق واحدة  
 ٤ - يبدو فى محاولته الامساك بالشئ تفضيل اليد اليمنى  
 • - يرفع الفنجال من الاذن



نهاية الشهر الثامن : ١ — يتكيف وضع الابهام تماما في مقابل الاصابع فيتحقق

التقاط جسم صغير ، وهذا أصعب من مجرد الإمساك

٢ — يزحف معتمداً بنصفه الاعلى على الكوعين ودفع

الساقين للخلف

٣ — يحتفظ بتوازنه تماما في الجلوس وقد يستمد اللذة

من التأرجح جانبا أو من الامام للخلف

نهاية الشهر الثاني عشر : ١ — يحتفظ بتوازنه في الوقوف ه ثوان أو أكثر

٢ — يمشى بمساعدة بسيطة من شخص بالغ

٣ — يخفض جسمه من وضع الوقوف الى الجلوس

ببطء ولا يترك ثقله يسقط على مؤخره .

٤ — يمسك القلم مسكاً صحيحاً ليعمل شرطاً على الورق

٥ — يقلد حركات هز الشخصينخه ، وخفض الرأس ،

وهزها ، وحركات الشفاه .

نهاية الشهر الثامن عشر : ١ — يشرب جيداً من الكوب وحده

٢ — يأكل بالملقعة أو الشوكة مع بعض الارتباك

خصوصاً في تفريغ الملعقة في الفم

٣ — يصعد إحدى درجات السلم أو على كرسي صغير

٤ — يلقي الكرة في الصندوق

٥ — يحرك القلم على الورق من تلقاء نفسه وبشدة

نهاية السنتين : ١ — يقلد حركات بسيطة كرفع الذراعين أو التصفيق

٢ — يمسك الكوب بيد واحدة ويشرب ويستخدم

الملعقة استخداماً جيداً

٣ — يقلد رسم الدائرة

٤ — يصعد السلم ويهبط وهو يرفع رجله أو يخفضها ثم

يضم زميلتها اليها على نفس الدرجة



نهاية السنين ونصف ١ - يصعد السلم ويهبط وحده مغيرا القدم ويقف على

قدم واحدة

٢ - يكوم سبع أو ثمانى قطع خشبية محتفظا بتوازنها

٣ - يقلد رسم خط أفقى أو رأسى ببعض الدقة

والآن وقد استكمل الطفل أساس الجهاز الحركى فإنه يقضى مابقى من الطفولة يضيف الى قواه وسهولة أداء الاعمال وصقل عضلاته ومرونتها ، خصوصا والميدان أمامه فسيح فى الترحل وركوب الدراجة والسباحة والعباب الكرة . حتى اذا قارب المراهقة بدأت فترة اضطراب فى الحركات اذ تنمو العضلات فى غير تناسب مع العظام ، ولكن هذا الدور ينتهى حوالى السادسة عشرة .

ولقد عنيانا بالاسهاب فى وضع المعايير ، ونود أن نؤكد للقارى . اننا نعتبرها مرنة الى حد ما وليست قوالب ثابتة جامدة ، ولا يمكن لا يجب أن يغرب عن البال أهمية الاحتفاظ بالمستوى المتوسط فى معظم الميادين فتأخر النمو الحركى خطير جدا ، لا لأنه يمنع الطفل من الوصول الى مرحلة الاستقلال فى العمل عندما يأتى الوقت الذى يجب فيه أن يستقل فحسب ، ولكن لأن أثره الحيوى يمتد الى أغوار الحياة النفسية ، فهو يعطل نمو الطفل الاجتماعى . فالطفل لا يستطيع ان يقف على قدم المساواة وسط زملائه بين الثانية والثالثة اذ يراهم يجرون ويلعبون . يتساقون ويهبطون .. يأكلون ما يعرض عليهم .. ويرتدون أو يخلعون ملابسهم دون حاجة لمساعدة الكبار . وهكذا يقجم الشعور الكريه بالنقص نفسه فى حياة الطفل فيحيلها سوداء قائمة ، فهو فى وجود رفاقه الصغار أو الضيوف الغرباء خجل متردد ، وهو فى وحدته حقود تأكل الغيرة قلبه ، وهو مع أمه كثير « الزن » والصراخ ، وهو يعتكف وحيدا لا يجد من التناية الا ما يعرضه هو بنفسه . فهو بهز جسده متأرجحا أو يهمهم لنفسه ، ثم هو يمس أصابعه وهو صغير ويقضم أظافره



في مرحلة متأخرة ، ويغرق في العادة السرية في المراهقة . ثم هو يستسلم لشعور التراجع وتخطي الآخرين له فيشب - كما نرى الكثيرين ممن حولنا - قليل الكلام مستسلما لليأس والأفكار السوداء ، سريعا لنفض يده من أى عمل يتطلب مجهودا ، وتكون نتيجة تغلب الآخرين عليه كما هو المتوقع أن يتأكد لديه اعتقاده السابق وديدنه في الحياة من أن كل شيء « قسمه ونصيب » .. وأذك مهما تعبت وعملت فلن تنال الا ما قسم الله لك ، واذن فلم العناء وفيه التعب ؟ آه لو ابتسم له الحظ يوما ..!

ولكنه يعلم أنه لن يفعل فهو مدبر على طول الخط ، فهو منذ أن نشأ يتابعه كظله فيحرمه حتى اللعب كأي طفل خلقه الله .. ! وبعد فهذا المجتمع المقيت لا يقدر ولا يستحق أن يتعب من أجله الانسان . وهذه الدنيا لا توسع صدرها للرجل المخلص المجد بل تمجد كل من يمسح الجوخ ويذل من كرامته أمام الرؤساء ..!

ولكنه قد يسلك طريقا مخالفا لهذا على خط مستقيم . هو يرى رفاقه يلعبون ويأكلون .. يقفزون ويتسابقون .. ويدفعون بعضهم بعضا وهو عاجز عن مجاراتهم . وهناك في وحدته يرى العالم كله يضحك في جذل وهو صامت كئيب ، فتتأكل كل نقطة في دماثة للنضال ضد هؤلاء المحيطين به ، وهو يرى النجاح كل النجاح في أن ينال منهم في أدق المواضع حساسية ، فهو يقرص أخته الصغيرة أو يعضها وهي نائمة في غفلة من الآخرين ، فإذا هبت الطفلة من نومها جازعة وسارعا إليها توارى في مكان قريب ، يرقب بابتسامة شيطانية ما كره الاهتمام والقلق اللذين نبديهما فهما عنوان نجاحه . وإذا ضبطناه قريبا منهارا يحسم بأغظ الايمان أنه لم يمسسها بسوء . ثم هو يقص « ناهوسيات » الفراش وأغطية المقاعد ، ويخفي ما نمتز به في سلال لمهمات . وعلى قدر الانفعال والاضطراب اللذين نحسهما لضياح شيء أو افساده .. على قدر ما نضربه ونهينه ونعنفه .. يزداد سروره فهذا دليل نجاحه في اختيار الشيء الذي ينال من المجتمع ويثبت وجوده الذي لا يعترف به رفاقه الصغار ومن حوله



لتراجعهم وهكذا يشب هذا الطفل - كالـ كثير ممن نراهم في حياتنا وعلاقاتنا - رجلا مخادعاً مفترياً يسعى للإيقاع بزملائه ويسر لو وشى بهم وحاك حولهم حباله . هو صموت لا يبوح بما يعتمل في أعماقه لمخلوق ، يتمنى لو « قفش » لـ احد خطأ أو وجد في أحد مرؤوسيه ما يمكنه باستغلاله أن يجازيه . فإذا تحدثت اليه في أمر سفه رأيك .. وإذا ما قصصت قصة سارع لنقدها في سخرية لاذعة . هو فشار ومبالغ من الدرجة الاولى . فهو لم ينل التقدير من المحيطين به وهو صغير نتيجة لضعفه وتراجعه الحركي فليسع اذن لهذا التقدير عن طريق نسج الاكاذيب حول نفسه .

فإذا كان التاريخ يحدثنا عن طغيان قوم مشوهي الاجسام أو مرضى بأمراض أضعفت نموهم وحركاتهم ولونعت طفولتهم بلون كئيب فلا يستغربن القارىء مثل هذه الاحداث ، فلقد استطاع تيمورلنك الاعرج أن يقود شزيمة من التتار من وسط آسيا فيصل الى قلب أوروبا على رأس جيش يزيد عن مليون عدا .. تاركاً خلفه بطاحا ووديانا خضبتها الدماء . كان يذبح أطفال القرية ونساءها وشيوخها على مرأى من شبانها ورجالها الاشداء فلا يملك هؤلاء وقد أنفرت الدنيا من أعز من يحبون وامتلأت نفوسهم بالحقد والرغبة في الانتقام الا أن ينضموا الى جيش تيمورلنك ليذيقوا غيرهم جرعة من الدواء المرير . وخاض تيمورلنك بجواده بحرا من دماء اعدائه فما كان وهو الاعرج الذي هز أرفاقه به وهو صغير لقلة نشاطه لينتشى الامرأى الجثث والاشلاء !..

فانهذر يا سيدي القارىء . أن يكون طفلنا متراجعا شاعرا بالنقص أو القلق نتيجة خمول عضلي أو حركي . لانهذر ان تمر الطفولة وطفلنا لا يستطيع ان يجارى الرفاق في جريهم ولعبهم والقائهم للكرة . ولا يداخلنك اليأس فمعظم التراجع عرض ظاهري فحسب وكلما سارعت لاكتشافه وعلاجه علاجا صحيحا ازداد احتمال عودة الطفل الى الموقف الطبيعي .



وصحيح أن مستوى ذكاء الطفل كما رأينا في تجربة تيرمان السابق عرضها وحجم الطفل المتناهي في القلة أو الكبر . . والأمراض المبكرة كالدفترية والالتهابات الرئوية ولين العظام . . أو العمليات الجراحية الحفيرة خلال السنتين الأوليين . . تعطل نمو الطفل وهي عناصر لا نملك لها دفعا ، ولكن من الانصاف أن نقربا أن ندفع الطفل بأيدينا الى كثير من الأمراض والتشوهات . وكمن سيداتنا عند شعورهن باعراض الحمل غير المرغوب فيه يرتكبن حماقات عديدة للقضاء على الجنين ، فاذا لم تفجح المحاولات واستقررن للعناية به كان قد تشوه وسبق السيف العزل . . وما أشقى الطفل الذي يمتلي منزله بالحفلات والاتيكيوت والخروج للزيارات فتتوالى على جسد الطفل أوان من الملابس الضاغطة التي تعوق تمرين عضلاته . . والاحذية الصلبة التي تؤثر اسوأ الاثر على عضلات الساقين وتعطل عملية المشي ، وما أسعد طفل الفلاح الذي لا يعرف من المدنية حتى النزر اليسير ، فهو يجرى حافيا وعلى جسمه أخف الملابس ، معرضا جسده لأشعة الشمس الدافئة والهواء المنعش الطليق . !

والواقع أن المدنية من أعدى أعداء الطفل حقا اذا كنا نعني بها هذه الارض الناعمة الملساء التي ينزلق عليها كلما أراد الوقوف أو تنزلق عليها أية قطعة من الاثاث يود لو يتشبث بها ليقف أو يمشي . . أو اذا كنا نعني بها الجدران الملونة والاركان المزينة بالتمائيل النادرة أو « دولاب الفضيات ، اللامع البراق أو قطع البخور التي تغطي المائدة والمكتب . فلا يكاد الطفل يمسك بالكرة حتى تسارع لتحذيره من اللعب بها ، أو يحاول أن يفتح الصنبور ليغسل وجهه أو يديه حتى نقوم نحن عنه بالعمل لئلا تصيب يده « الرف » الزجاجي البديع الذي يمتد فوقه حاويا العطور وأدوات التجميل . بل وحتى لو تهيأت له البيئة الصالحة لصقل عضلاته وتمارينها فان زرعنا للتدليل والملاطفة وتجنبيه أبسط الجهود واستمرار ملاحظته والوقوف الى جانبه في منازلنا الناعمة المدللة . . وتقابلها النزعة لدفع الطفل للعمل دفعا مع



حالة في الصبر وعدم تسامح مع الخطأ والمحاولات في منازلنا الرهيبة القاسية..  
كثيرا ما يعطلان تقدم الطفل الحركي .

ثم انا ننسى كثيرا قوانين النمو الحركي ، فندفع الطفل للعمل المعقد  
المخصص قبل تمرين العضلات الكبيرة للاعمال العامة . فعلينا أن نهى  
للطفل فرصا كثيرة لتحريك القلم على الورق بحرية ودون أى تقييد قبل أن  
يقوم بأى حركة معقدة يتضمنها الرسم أو الكتابة

وكم من سيداتنا يحاولن - بحسن نية كما سبق أن ذكرنا - أن يدفعن  
البنات الصغيرة فى حى غريبة لتتعلم أولى مبادئ الحياة بينما هى لم تعرض  
لها الفرصة لنظم الحرز أو الازرار فى خيوط . فاذا حاولنا أن نتعجل الطفل  
لاداء عمل قبل أن تنهى عضلاته وجهازه العصبي له ، كأن نتعجل المشى أو  
صعود السلم والطفل ليس واثقا من السير على الارض المنبسطة .. أو القفز .  
الى الحمام وهو لم يتقن السباحة بعد .. فنحن فى كل هذا نستثير لدى الطفل  
الخوف ، وهذا يعطل أى محاولة قادمة نحو تنمية المهارة

ونظرا لارتباط النمو الحركي ارتباطا وثيقا باللعب سأعرض لهذا الموضوع  
الاخير فى الفصل التالى لنطبق فيه ما سبق عرضه من نظريات .





# الفصل السادس

## اللعب

منذ الأزل والطبيعة أعدى أعداء الكائن الحي .. وهى فى نفس الوقت  
أخلص أنصاره .. ! فهى وإن هيات للديدان الحقيمة أن تبيض الواحدة منها  
مئات البيض فتفسح المجال لصغارها للعيش والتكاثر بينما تلد انثى الانسان  
أرقى الكائنات وليدا واحدا فى الغالب فى كل مرة ، اذا بها تأخذ باليسار ما  
تمنح باليمين فتحرم الديدان والحشرات عناية الأم وحنانها فيموت من المئات  
مئات مثلها تحت تأثير غضب الطبيعة نفسها ولا يبقى الا القليل .. بينما  
توفر الطبيعة لصغير الانسان أمارؤوما حانية يعززها ذكاء الجنس البشرى  
وقدرته على مقاومة الطبيعة نفسها بشوراتها الحانقة وامراضها الويلة .. فيمر  
الوليد خلال طفولة طويلة يكتب له ولرفاقه فى معظم الأحوال النجاة  
بعدها والعيش .

ثم تاتى الطبيعة فتسخر للمرة الثالثة فتسبيء لاحقر الكائنات أسلحة  
الهجوم والدفاع .. والحركة والاختفاء .. والطعام والاخراج .. ، بينما  
تلقى إلى الحياة بطفل الانسان ارقى الكائنات اعزل من كل سلاح .. صارخا  
يرجو الحماية والاطعام .. ! وأى عطف واخلاص أكثر من أن تحبوس  
الطبيعة دودة حقيرة كدودة البلهارسيا بقدرة على تمييز ، أنواع من القواقع  
يتناثر الملايين منها على شاطئ النيل والترع والبرك فتخترق جسد نوع منها  
لتعيش فى داخله ، حتى اذا تكاملت دورتها كمنت فى التربة الرطبة فى  
انتظار الانسان الذى يسير حافيا فتخترق جلده لتسير مع الدم ، وهنا  
تميز أعضاء الانسان فتمر بها دون اهتمام حتى تصل الى الامعاء فتتشبث بها  
الى أن يأتها الطعام ممثلا جاهزا دون تعب أو مشقة .. ! بينما يقضى طفل  
الانسان اثني عشرة سنة على الأقل قبل أن يميز بالطريقة الطبيعية فى المدارس



من القواقع وأجهزة الجسم ما تقدم عليه الدودة دون اعمال للفكر .  
 ويمكن الطبيعة هنا ليست جائزة بالانسان كما يظن البعض . فسلوك  
 الدودة أو غيرها من الحشرات الدنيئة ليس « تميزا » أو ذكاء خارقا عجيبا  
 وما هو الا بضع غرائز ثابتة جامدة كالقوالب تملئ على الكائن الدنى . أن  
 يتصرف فى كل زمان ومكان نفس التصرف الذى يقوم به ملايين غيره من  
 نفس النوع . ولقد عاشت الدودة ملايين السنين فلم تضاف الى ذكاء الفصيلة  
 درهما واحدا . أما الانسان فقد شاءت به الطبيعة وسط سخريتها الظاهرة  
 خيرا .. فهو مرن ضعيف ، لا يملك من الغرائز أو قوالب السلوك سوى القليل  
 ولذا يمكنه أن ينثى ويتحور ويتحكم فى سلوكه فيتبدل من فرد لآخر . ،  
 وهكذا يقضى طفولته الطويلة يلعب فيمرن ويصقل أدق عضلاته وأعصابه  
 وأنامله لأن العمل الذى ينتظر كل عضو منهما صغر عمل عظيم معقد - فأنامل  
 اليد تسكتب روائع الادب فتثير مكانم الشعور ، وتنقل الى لوحة الرسم  
 آيات الفن العلوى ، تحرك زرافة طائرة الى السماء ، أو يرتفع مصعد  
 الى الطابق الستين ، أو تمرق سيارة الى هدف منشود . وهكذا كان الطفل  
 الأدمى فى ضعفه واستسلامه أخطر على الطبيعة من ملايين الكائنات التى تبدأ  
 حياتها فى زهو واعتداد ..! هو يستطيع أن يسخر عناصرها لخدمته ، فطائراته  
 تنكئ على الهواء .. وغواصاته تقلق سككون الاعماق .. وقطاراته تخترق  
 الجبال . ولكن لا تكاد احدى كواكب الطبيعة تلوح بذيلها قريبا من أرضه ..  
 لا تكاد تظهر بقع « صغيرة » على الشمس .. لا يكاد المطر ينهمر مدرارا فيرسل  
 الانهار تعج وتصخب فوق أرضه الوداعة كما حدث فى مصرنا أخيرا ..  
 حتى تصطلك ركبته فزعا ، فستظل يد الطبيعة هى الطولى ، وكوارثها كابوس  
 ثقيل يجثم على صدره .

أسلوب اللعب : يسير اللعب فى نمط معين لا يختلف كثيرا من طفل لآخر  
 فهو فى أول أمره لعب حر طليق يعتمد أساسيا على الحركات العشوائية



واستثارة اللذة من أعضاء الجسم ، فالطفل بعد صغير تتركز ميوله في الجسد . وبالتدريج كلما نمت مداركه تعقد اللعب وظهر من عناصره اللعب الالهي حيث يتقمص الطفل شخصيات معينة أو يتحدث إلى الدمى . ثم اللعب الانشائي حيث يعمل الطفل كما من الطين أو الصلصال ، ويبنى جبالاً أو انفاقاً من الرمل . ويعتمد الطفل في كل هذا على اللعب toys كالقوالب والخرز والحفامات كالطلاء والرمل . فإذا انتهى عصر اللعب حو إلى السادسة أو السابعة جاءت مرحلة المدارس الابتدائية حيث ينفصح المجال لألعاب الجري والحركة والمنافسة العضلية . ثم تأتي الألعاب الجماعية التي تخضع شيئاً فشيئاً لأحكام وقواعد وتتطلب كثيراً من الصبر وكبح الدوافع ، فلا تأتي المراهقة إلا ويصبح اللعب حاوياً لكثير من عناصر الجد والصرامة .

ولقد درس بارتن<sup>(١)</sup> مدى الاشتراك الاجتماعي في ميدان اللعب متخذاً أطفالاً تتراوح أعمارهم بين ٢ ونصف و ٥ سنوات في مدرسة الحضنة الملحقة بمعهد رعاية الطفل بجامعة مينسوتا — وقد خصص للدراسة الفترة الصباحية الواقعة بين ٩ ونصف و ١٠ ونصف محاولاً أن يبعد احتمال تغير سلوك الطفل في أوقات مختلفة من هذه الساعة بملاحظة كل طفل دقيقة واحدة كل يوم على أن تختار هذه الدقيقة في أوقات متغايرة ، وهي ما نسميها طريقة العينات القصيرة المتكررة .

وخرج بارتن من هذه الدراسة بوجود ٦ درجات للاشتراك الاجتماعي يسير فيها اللعب . فانك لترى طفلاً يبدو وكأنه لا يلعب مطلقاً . هو يقف في وسط الغرفة يجذب منديلاً مربوطاً حول عنقه ويهز رأسه هنا وهناك . فإذا سأله أي اللعب يريد هز رأسه ، وإذا قربت منه لعبة لم ينظر إليها . والطفل هنا يشغل نفسه بالنظر إلى أي شيء يحدث في اللحظة الحاضرة ، فإذا لم يجد

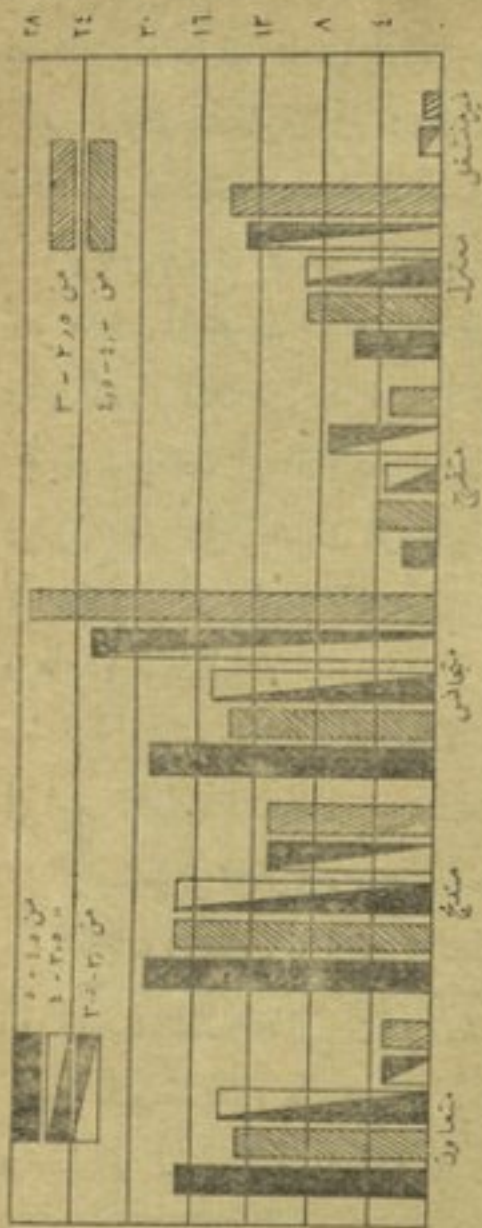
Parton, M, B, : 1932, Social participation among preschool children. J. abnorm. (soc.) Psych. 27, 243—269



انشغل بجسده وهذا النوع الاول هو ما  
سميناه هنا غير منشغل unoccupied  
كما يرى في الرسم .

او قد يجد طفلا يلعب وحده مستقلا  
عن رفاقه ومستخدما لعبا مختلفة  
عما يستخدمونه . وهو لا يبذل أية  
محاولة للتحدث أو الاقتراب من الآخرين  
فانتمائه منصب على نشاطه هو دون  
نظر الى ما يفعله . ونسمى هذا النوع  
معتزلا Solitary

وهناك غير هذا من يقضى معظم  
الوقت يرقب الآخرين يلعبون . وهو  
يحدثهم أحيانا ويسألهم أسئلة أو يقدم  
اقتراحات ولكنه لا يدخل في مجال  
اللعب فعليا . وهو هنا يختلف عن الاول  
الذي ينتبه مؤقتا لما يحدث في اللحظة  
الحاضرة ليتذكره لغيره ونسمى هذا النوع  
الثالث متفرجا onlooker



او قد يلعب الطفل مستقلا ولكن وسط الآخرين ، والفرق بينه وبين  
الثاني أنه يستخدم لعبا تشبه تلك التي يلعب بها زملاؤه ، ولكنه يستخدمها  
بالطريقة التي تروقه هو غير محاول أن يؤثر على نشاط القريبين منه . واذن  
هو يلعب الى جانب الرفاق لا معهم ، ونسميه متجانسا parallel

أما النوع الخامس فهو بداية للعب مع الرفاق . فهناك استعارة واعارة



للعب ، كما يتبع "صغار بعضهم بعضا بالقطارات والعربات . وهي محاولات بسيطة ساذجة قد يتابعها البعض ويحجم عنها الآخرون دون تدخل أو اهتمام كبير . وهم ينشغلون في نشاط متشابه ولكن دون تقسيم للعمل أو تنظيم للنشاط وقد اتخذنا له لفظ اللعب الجمعي associative

ويأتى النوع الاخير التماوفي cooperative ليمثل اللعب المنظم المتجه نحو هدف أو غرض واضح لتحقيق شيء مادي أو تمثيل موقف معين كالعائلة وقت الطعام مثلا . وهنا نرى احساسا واضحا من الانتماء للجماعة أو عدمه . كما يقوم واحد أو اثنان من الجماعة بتقييد وتنظيم النشاط ، فينقسم العمل ويتوزع في أدوار بحيث أن مجهود فرد ما يعززه بمجهود آخر ، فهذا الطفل لا يستطيع أن يطبخ لأنه صغير بينما هذه الزميلة هي التي توزع الطعام لأنها "ماما ، وهكذا .

وواضح من الرسم أن هذه الانواع تتابع تبعا للعمر كما يسود النوع الرابع ألعاب الاطفال بين الثالثة والخامسة .

وسنسوق للقارىء بعض النظريات التي تحاول أن تفسر ماهية اللعب :  
اللعب تلخيص لمراحل التطور : أطاحت الطبيعة بالكثير من

الزواحف العملاقة التي تتكشف عنها الحفائر اليوم ، وبقي الاصغر حجما يسمى ملتصقا بالارض في ذلة وخضوع . ثم رفعت بعض الكائنات جسمها وتصلبت أرجلها وأيديها فسارت تدب على أربع . وأخيرا جاء الانسان فرفع هامته عن الارض في زهو وخيلاء !

عرض انصار نظرية التطور لهذه الفكرة فافاضوا في العرض ؛ ولكنهم اعتصروا أذهانهم في أى الكائنات هي الحلقة التي تربط الحيوان والانسان ولم يطل بهم التفكير حتى وجدوا ضالتهم المنشودة في شخص الطفل الصغير - فهو في حياته يلخص أدوار حياة المخلوقات . ان تقبض يد الوليد الصغير على اصبعك عند تقريره منه هو بقية عهد غابر سحيق عندما كان الصغير يتشبث بأمه أو بغصن شجرة وهو نائم لئلا يسقط . وما أشبه حركات



الزحف التي تبدأ منذ الشهر الرابع بحالة الزواحف وهي في احط مراحل التطور. ثم يحبو الطفل فيلخص مرحلة اكش رقا هي مرحلة الحيوانات ذوات الاربع ، واخيرا هو في اللعب والجري والقفز يصل بنا الى مرحلة الصيد والقنص التي مرفيها الانسان

فالطفل وهو يختبئ من زميله في لعبة الاستغاية .. أو يتتبع آثار العدو، في حركة الكشافاة .. ويقوم خيمته الصغيرة .. ويجمع هو وزملاؤه ينشدون حول النار .. انما يعكس بعض حياة الانسان أيام أن كان يهيم فوق الارض المعشوشة عاريا الا ما يكسو جسمه من الشعر وورق الشجر الرقيق .. تتلقفه الرياح والانواء والاعاصير ، وتتخطفه الضواري والضباع السكاسة فيختفي منها في كهف غائر في الصخور .. أو يتتبع آثارها في حذر واحتراس . ثم بدأ يتجمع في قبائل يضمها بعض النظام والتعاون ، فبنوا أكوأخهم واجتمعوا حول النار ليعبدوها أو يشعروا عليها ما صادوه من حيوان أو انسان معاد .

ولسكن اذا كان أنصار نظرية التطور قد أفلحوا في تقريب بعض سلوك اللعب من الانسان القديم فلبس اللعب كله في الطفولة لعبا بالنبلة ، أو اختفاء من الزملاء . ان الوايد الصغير ما دام مرتاحا ليس هناك ما يزعجه من المؤثرات الداخلية أو الخارجية يلعب بجسمه .. يلعب بيديه ورجليه في حركات عشوائية .. يلعب بابهامه فيمصه .. يلعب بأعضائه الجنسية أو ثدى أمه .. بل هو يبدو كما لو كان يلعب بالجهاز الصوتي فيصدر أصوات غريبة يشتق منها سرورا ولذة . فهل لهذا اتصال بالانسان القديم ؟ ثم ماذا عن اللعب المصقول .. كرة القدم والتنس وتنس الطاولة والهوكي والبولو والسباحة وآلاف غيرها ؟ ان النظرية التلخيصية تقصر عن أن تفسر كل هذا فلتتحول الى غيرها علنا نشفى غليلنا .

اللعب موضح للعالم المادي : ينزل الطفل الى عالمنا هذا .. عالم غريب كل الغرابة .. وبالتدريج وعن طريق اللعب يبدأ تفهم ما يحيط به . هو



يلعب بيديه ورجليه ويحركها يمينا ويسارا . ويتصادف أن تصطدم يده  
بحاجز الفراش الخشبي أو المعدني فيتألم .. وبعد مدة يعيد الكرة فيتكرر  
الآلم ، وهو في الرضاعة .. بعد أن يطفىء جوعه الشديد .. نجده يلعب  
بالثدي فيتركه من فمه ليربت عليه بيده ثم يعود الى الرضاعة من جديد .  
وهكذا يدرك بالمقارنة أن هناك فرقا بين جسم يؤلم كحاجز الفراش  
أصلابة .. وآخر لين كثدي أمه . وهكذا يصنف ما يرى تحت قسمين  
أساسيين : أجسام مقاومة وأخرى مطيعة . وهذا هو السبب في أن مادة  
كالرمل تجذب اهتمام الطفل وتستغرق من وقت لعبه مدة طويلة سواء على  
شاطئ البحر أو في حديقة المنزل خصوصا إذا رآها للمرة الأولى ، فهو  
مادة صلبة إذا تناولنا كل ذرة منه ولسكنه في مجموعته قليل المقاومة يمكن  
أن يتخلله الطفل بيديه بكل سهولة . بل وهذا هو السر في ذلك السحر  
العجيب الذي يسيطر به الماء على ذهن الطفل الصغير بعد الثانية فإذا به  
يفتح الصنابير ليغرق أحواض الحديقة ومطبخ المنزل ، وهو في استغراقه  
الشديد واستطلاعه لهذه المادة الغريبة قد تبطل ملابسه ونخشى نحن أن يصاب  
بالبرد فنمنعه فيصرخ . ليس هذا عبثا أو استهتارا وإنما هو العالم المادي  
المحيط بالطفل .. يستكشفه عن طريق اللعب

وهكذا يستطلع الطفل ما حوله . فهو سريع لوضع كل شيء في فمه في  
السنة الأولى .. فهو يختبر مذاقه ومثاقته تحت فكيه .. فإذا زادت قوته  
قليلًا ضرب به الأرض ليسمع رنينه أو جذب أجزاءه حتى يرى ما بداخله .  
وهو يفعل هذا بكل ما يقع في متناول يده في المنزل .. يفتح الأدراج  
وينثر ما فيها من الأوراق والأقلام والخيوط والاقمشة والزجاجات  
والأكواب .. فكل واحد من هؤلاء ثروة خصيصة تضيف الى معلوماته  
فيشعر ازاء كل نجاح باستقرار وهدوء وأمن وسيطرة

في سبيل تحقيق هذا الهدف يقوم الأطفال دون أن يقصدوا بمعظم  
الأعمال التي نسميها شقاوة وعفرتة ، وتحيل حياتهم تبعًا لذلك - وحياتنا



أبضا في أحوال كثيرة - سلسلة من المتاعب والآلام . فالطفل يغرم باللعب  
بالمكبريت لا لشيء إلا لرأى النار فهي سر مستغلق . وهو يذهب الى الحمام  
فيرى ( الطشت ) مسندا الى الحائط ولا يعجبه هذا الوضع ، فلم لا يبقاه على  
وجهه فهو هنا أكثر تناسقا وانسجاما . ثم يتناول ملعقة ويظل يطرق بها على  
السطح الرقيق في ابقاعات منتظمة ، كل ٥-١٠ والوالد المسكين يتقارب على فراشه  
ساعة القيلولة في اعباء .. يضع رأسه تحت ارسادة وكأنما تقع الطرقات عليها  
لا على الوعاء . معظم ألعاب الطفل في سنى الطفولة المبكرة تتجه الى الاستزادة  
من المعرفة . ولا تتجه الى التخريب أو الاعمال الشريرة ما دامت البيئة لا تدفع  
الطفل لهذا باساءة العلاقة بينها وبينه . ولعلنا نلقت بذلك نظر القارئ الى  
ضرورة اختيار مادة اللعب ومكانه بحيث ينال الطفل أقصى ما يمكن من المتعة  
بأقل ما يمكن من الافساد أو التعرض لحرية الكبار

اللعب موضع للعالم الاجتماعي : يلعب الطفل بالجهاز الصوتي ، فهو منذ  
الشهر الأول ، ينادي ، ويقبض عضلات الحنجرة أو يضم شفثيه فتتذبذبان  
اثناء اندفاع الهواء ، وهو يسلي نفسه بهذه الأصوات المتناغمة العجيبة بدليل  
أنها تزداد كلما تركناه وحيدا ، خصوصا منذ الشهر السادس الى نهاية  
السنة الاولى .

وهو هنا يبدأ يخرج حروفاً ومقاطع فيكرر مقطعا مثل « تانا تانا »  
طول النهار ، وسنرى عند بحث تكون الكلام في الفصل التالي أن المناغاة هي  
أساس الكلام ، فقطع مثل هذا يكون صورة صوتية سمعية في الذهن يسهل  
استثارتها اذا سمع الطفل كلمة مقاربة مثل « فوطة » من شخص كبير ، فاذا  
ارتبط هذا بوجود الجسم القماش نفسه فان هذا لاخير في غير وجود المكبر  
يصبح وحده قادراً على استثارة المقطع نفسه « تا » ليعنى به الطفل « الفوطة » .  
واذن فاللعب وسيلة للكلام وبالتالي موضع لاهم دعائم العالم الاجتماعي .



ويكبر الطفل قليلا فيغرم بالتمثيل وهو ما نسميه « لعب الايهام » ويبدأ عند الشهر الثامن ويسل الى ذروته قرب الخامسة والسادسة . وهو هنا يمثل في لعبه ما يدور في المنزل ، فهو في مرة « الأب » وهؤلاء الرفاق « أبناء » ، أو هذه حفلة وهذه « الاطباق » ، والفناجيل ، والطعام ، في صورة ورق ملون ملفوف قد طهته الأم في علبه من السكرتور لا بد أنها كانت تستخدم يوماً لحفظ الاحذية وامكنها اليوم « قدر » ما في ذلك شك . كما يمثل الاطفال دور الشرطى . . والطبيب . . والبائع . . أو دور احدى الشخصيات الخرافية مثل « الشاطر حسن » أو « سندربللا » ، فاذا تقمص الطفل أحد هذه الأدوار فهم العلاقات الاجتماعية التي تربط الاب بأبنائه أو العكس ، أو البائع بزبائه . . أو الطبيب نحو مرضاه . . أو « المسحراتى » ، وهو يدور بطبلته الرقيقة يوقظ أهل الحى . . ، كل هذا يوضح للطفل نظام التعامل والواجبات الاجتماعية التي تربط المجتمع الكبير .

وتبرز هذه الروح الاجتماعية في أوضح صورها في لعب الفتيان في سن الثانية عشرة وأكثر حيث تسود الالعب الجمعية التي تضم عددا من الفتيان وتخضع لنظام معين . فالصبي كعضو في فريق الكرة يحافظ على موعد اللعب بكل دقة مهما ب مدت المسافة وصادفه من المصاعب . فهو لن يترك زملاءه ينتظرونه أو يلعبون ناقصين . . هو يطيع رئيس الفريق كما يطيع الحكم حتى لو كان يعلم أن ما أصدره من أحكام خطأ . . هو يحى خصومه قبل اللعب وبعده بكل تقدير واحترام . . بل انظر ياسيدى القارىء الى الروح التي تسود ملعب كرة القدم . الطفل قريب من المرمى والكرة معه ، ولمكنه في وضع غير ملائم كل الملاءمة ، بينما هناك زميل له يقف في مكان هادى نسبياً وهنا يضحي الصبى الاول بمكانته كفرد في سبيل مصلحة الفريق فلا يقذف الكرة الى المرمى مع أن في مكانه ان يفعل هذا . . بل هو يمرر الكرة لزميله ليقتذفها هذا من زاوية الملائمة فتسكن في الهدف . وتثور الأكف بالهتاف والتصفيق للطفل الاخير وينسى الاول كل النسيان . ولمكنه يتقبل



كل هذا بهدوء فحسبه أنه بذل واجبه وليكن جنديا مجهولا مادام الفريق الذي يلعب لأجله قد انتصر . .

انا نشككو ونتذمر لأن وزاراتنا الجديدة تلغى مبادئه الوزارات القديمة . .  
لأن معظم أصحاب المناصب في هذا البلد أنانيون محبون لانفسهم يحبون أن يكون التصفيق لهم هم والفضل راجع اليهم وحدهم . هات أيها القارى اصبعك وتحسس موضع الداء . ان هؤلاء الملايين من الشعب المصرى الذين يعانون من الانانية السخيفة والاثرة وحب النفس وكره الخير للآخرين كان يمكن أن يكونوا أحسن من هذا . . كان يمكن أن يتعلموا روح التضحية والتعاون في سبيل اسعاد المجموع لو كانوا وهم صغار أعضاء في فريق رياضى . . لو كانوا قد سمعوا التصفيق والتهاتف للزملاء لا لهم وتقبلوا هذا بهدوء وبخبطة لانهم يضعون مصلحة الفريق فوق كل اعتبار شخصى . ما أحوالنا لان نقدم أطفالنا للحياة الاجتماعية الحقة عن طريق اللعب . !

لننظر الى الروح التى تسود الملعب . . روح المسؤولية التى تملى على حارس المرمى أن يلقي بنفسه تحت الاقدام ليخلص بالكرة ولو اصاب أثناء هذا ، فهو قد تسلم المرمى وتقع عليه مسؤولية ابعاد الكرة عنه . أين الشعور بالمسؤولية فى علاقاتنا نحن الكبار ؟ وكم من زوج يسهر الليل مع رفقاته فى عبث ومجون ويعود ثملا فارغ الجيب ليجد شريكته غارقة فى دموعها وتنهدياتها . . فيعاجلها بالشتائم والسباب لانها « وش نسكد وعياط . . ! »

بل دعونا نصارح بعضنا بعضاً . كم مرة أحوجتك الظروف لان تقصد مكتباً فى مصلحة أو وزارة أو شركة لتسأل عن طلب قدمت أو شيئاً من هذا القبيل فاذا بحضرة الكاتب ينظر اليك بتأفف ونفاد صبر ، ثم يحدثك من طرف أنفه كأنما هو مدير المصلحة على الاقل مجيلاً اياك على كاتب ثان ، وهذا يحيلك على ثالث وهكذا تنتقل كقطعة الشطرنج ، وكلهم يفضلون عنك سيدة « بملايه لف » تفوح منها رائحة العطر الرخيص ، أو تبدو أسنانها الذهبية خلال ابتسامتها العريضة . . وهذه هى روح المسؤولية فى مجتمعنا الكبير . !



لا يمكن أن ديفش، الفتى الرياضى فى الملعب فيعرق قل خصمه من الخلف أو يلعب لعبة غير نظيفة « فول » ، لأنه يعلم أن الحكم سيعاقب الفريق « بضربة جزاء » . بل ان الامر على العكس تماما.. هو يتعاون مع زملائه فى سبيل الهدف المشترك .. ويتقبل الهزيمة بهدوء وابتسام . بل انظر الى الروح الحلوة التى تدفع الفتى الصغير ليصافح واحدا من أفراد الفريق الاخر بعد اللعب ويقول « كان يمكن أن تنتصروا لانكم تلعبون أحسن منا .. ولكن هارد لك ، واذن فالطفل يفهم المجتمع وعلاقاته .. ويستعد بروح طيبة لمجتمع أحسن عن طريق اللعب .

اللعب اعداد للحياة المقبلة : هذه النظرية مشتقة من النظريتين السابقتين بطبيعة الحال ، واسكنها تضيف اليهما قليلا . وهى من وضع كارل جروس الالماني ، وتجد أساسها فى تنوع الالاماب واختلافها من كائن لآخر . كما تستفيد من طول مدة الطفولة تبعاً لرقى الكائن فى سلم التطور . فمادامت طفولة الانسان أطول من غيرها فلا بد أن هذا يرجع لتعدد وكثرة المطالب التى تلقىها عليه حياته عندما يكبر وينضج . فالطفولة هى وقت اللعب ، واللعب لا بد يتجه لاعداد وتمارين الكائن على ما ينتظره من المهام عند ما يكبر . انظر الى السكباش الصغيره وهو تتوثب وتتناطح تشعر أن هذا هو نفس ما يطلب منها من أعمال جدية عندما تسكبر وتحرس القطيع ، وانظر الى الجراء ( صغار المكلا ب ) وهى تلعب مع بعضها فتنبع فى أصواتها الخافتة وتعض بعضها بعضا ولسكن فى دعاية .. تقفز وتسقط فوق بعضها البعض ، وهنا لا تتألك أن تحس انها تتمن على أداء ما ينتظرها من مهام الحراسة والصيد . وانظر الى القط الصغير وهو يلعب بالدوبارة أو الحبل ، فيجذبه من طرفه وينقض عليه . ثم يتراجع فى خفة مقوسا ظهره وناشبا مخالبه ليقفز القفزة الاخيرة . انك هنا أيضا تحس احساسا أكيدا أن الحبل سيصبح فى القريب فأرا يتلاعب به القط الكبير قبل أن ينشب مخالبه فى عنقه . وأوضح من كل هذا الطفل آدمى . من النادر جدا أن نجد طفلا ذكر



بعد السادسة يلعب بعروسة ، ويخلع لها ملابسها ليضع لها أخرى جديدة .  
ولكنك تجد الطفلة تفعل هذا بمتهى الشوق والسرور . بينما الطفل الصغير  
يمسك عصا ويضع رجلا في ناحية والاخرى في الناحية المقابلة ويجرى ممثلا  
الفارس على حصانه ، يندر أن تجد الطفل الذكرا يمثل الام أو مجلس الزائرات  
وما يدور فيه من حديث . «و يترك هذا لاخته الصغيرة تستغرق فيه وتتفنن  
كما تشاء ، بينما يمثل هو دور الاب والشرطي والبائع والنجار

وهكذا يكبر الطفل فتبدو في ألعابه حركات أعنف . الجرى والتسلق  
والقفز والدفع . وكلها تقوى عضلاته وتزيد مرونة جسمه وتنقى دمه ، وبالتالي  
تساعده على أداء ما يتطلبه مستقبله وهو كبير من أعمال

هل نحن في حاجة إذن لان نشيد بأهمية اللعب وقد رأينا كيف  
يعين الطفل على تفهم العالم المادى والاجتماعى ويعدده لحياته المستقبلية الى غير  
ذلك من النظريات كصرف النشاط الزائد ؟ . اذا كان طفلك  
يا سيدتى هادئا بطبيعته لا يلعب أو يتغفرت ، كما يفعل الآخرون فلا  
تعرضيه بزهو وخيلاء أمام زائرك قائلا « اسم الله عليه . . زى الملاك . . »  
اعرضيه من باب أولى على الطبيب فهناك احتمال كبير أن يجد في جسده غدة  
أو غدتين لا تعملان عماها . لان الطفل اذا كان خاملا لا يلعب فعنى هذا  
انه يستعد استعدادا فقيرا ناقصا للحياة المقبلة .

أما اذا كان الطفل يحب أن يلعب ثم نممنه نحن أو نتضرر منه . . وهو  
ما يحدث في منازلنا المصرية في آلاف المناسبات فكاننا اذ نقول له « لا تلعب »  
نقول له ضمنا « لا تقدم . . لا تفهم . . لا تنجح . . لا ترق . . لا تستفد بما  
حبتك به الطبيعة من مرونة بل كن دائما في ذيل القائمة كالحشرة الحقيرة »  
هذه بالضبط مرادفات كلمتى « لا تلعب » .

هل فسكرونا من قبل في هذه الحقيقة ؟ أم نرتكب جميعا ذلك الخطأ  
المشين . فنعتبر اللعب مرادفا للدوشة ، والصراخ والجلابة . لتمزيق الملابس



للمعرض لضربة الشمس في الشارع .. بل وأسوأ من هذا نعتبره مرادفا للرسوب في الامتحان ، وما دام الطفل لا يحل مسائل الحساب أو يستذكر قواعد اللغة العربية فهو يضيع وقته في الفوضى .؟

إذا كنا قد فكرنا في أهمية اللعب فانتساءل : أى مكان أعدناه ليلعب طفلنا فيه ؟ هل يلعب في حجرة الصالون حيث الطقم ، المذهب ، الثمين والبساط الأملس السميك الذى نسير نحن عليه بحذر .. أو يلعب في حجرة المائدة بين دولاب المضيئة البراق .. والتمثال الموضوع على حامل قصير .. والمشجب الملىء بالمراريا ..؟ حتى أبوابنا المفروضة أنها للحراسة أصبحت من الزجاج المحجب .. وحيطاننا امتلات بالصور الفنية الرائعة وكأنا قد تسلمنا رسالة الفن السماوية من رفائيل العظيم أو من ميكل أنجلو ..!

هل يلعب الطفل في الشارع حيث نسير نحن بحرص لئلا تصدمنا المركبات العابرة .. أم يلعب في متزهاتنا المنعدمة .. وإذا وجدت فهي بعيدة تحتاج لاعتماد خاص من الميزانية لسد مصاريف الانتقال ؟ ان يبين يدى تقرير لوزارة الشؤون الاجتماعية يبدو منه بكل أسف أن النية لاقامة متزهات موجودة ولكن التجارب التى عملت أثبتت أن من يقضى وقته ويستفيد من الحدائق العامة طائفتان : الطبقة الفقيرة المتسولة التى لا نجد مأوى .. والطبقة الاوربية . أما سواد الشعب المصرى فلا يفكرون فى الذهاب الى المتزهات اللهم الا يوم شم النسيم .. او يتحدث مع سيداتنا فى هذا الموضوع فيقلن لك ان الافرنج يأكلون دانهاء واشف ، لا تستغرق منهم وقتا فى اعدادها ثم يأخذونها معهم للخارج فى سندوقتشات وانهم لو اضطر والطهى ما يطهيه المصرى فى منزله لما انفسح من وقتهم ربع ساعة للنزهة بل ان هناك ما هو أسوأ من هذا ، فى المدرسة قد يتوفر المكسان والزمام ونوع اللعب المفيد فماذا يحدث ؟ يحدث اننا نحن الآباء والأمهات نمنع أطفالنا من اللعب فهل رأينا جمودا أكثر من هذا ؟ فى ذهنى حادثة معينة لمستها بيدي وفى وسع أى مدرس أن يلبس مثلها عشرات ن.. طفل فى التاسعة من





يُندر أن تجد الطفل الذكر يلعب « بعروسه » ... هو يترك هذا لاخته  
الصغيرة تستغرق وتتفنن كما تشاء ...







عمره في إحدى مدارسنا الابتدائية . نظمت مدرسته جمعية للأشبال والكشافة وأحب صاحبنا الدخول فيها وهو شيء طبيعي جدا ، فماذا حدث ؟ ثار الوالد والوالدة ضد فكرة الكشافة على أساس أن الولد يغيب ساعة أو ساعتين بعد انتهاء الدراسة في بعض الأيام . ماذا ؟ أليس لنا بيوت ؟ وعلى أساس أنه يضيع وقته في الفوضى ، .. الوقت الذي يقضيه أطفال الجيران بين مسائل الحساب وكتب مبادئ العلوم .

قلت ان الطفل أحب أن ينتظم في الكشافة ومن الطبيعي أن يحب هذا أي طفل . ان المدرسة لا تلهو بأطفالنا أو تقرر الأشياء عبثاً ، فبدأ جماعة الأشبال أو الكشافة في المدارس الابتدائية لم تختاره المدرسة لتحجز أطفالنا ساعة أو ساعتين بعد الدراسة ، أو لكي تحمل الوالدين نفقات البذلة والحزام والشارية ، ولكنه مبدأ يتمشى مباشرة مع ما يقوله علم النفس والتربية . فعلم النفس يقسم حياة الفرد الى مراحل هي مراحل النمو يتميز كل منها بنوع خاص من اللعب . فالمرحلة من السادسة أو الخامسة الى الثانية عشرة وهي التي نحن بصددنا الآن بالنسبة لطفل المدارس الابتدائية تتميز بنوعين من اللعب .. لعب الإيهام ثم ألعاب التوازن والجري والتسلق والقفز .

فالطفل كما سبق أن شرحنا يحب أن يمثل ويتوهم أنه نفس الشخص الذي يمثله ، فهو يربط زميله بجبل ويمثلان عربجي وحصان ، أو قطارا بعرباتهما ، أو قد يمثل الأطفال حيا باكماله في ليلة من ليالي رمضان الدافئة . فيستلقون ويغمضون أعينهم متظاهرين بالنوم ، ويقوم أحدهم بدور « المسحراتي » فيقرع على طبلعة صغيرة أو على ظهر « صفيحة » . أو « د. من خياله » لكي يوقظ فلان بك « والحاج » ، فلان وغيرهم ممن يسكن سحورهم قبل أن ينطلق مدفع الرفع . ! . أو قد يحس على ألسنة الحيوانات ويابس هو نفسه شخصية أ- الطيور أثناء الوصف وهكذا .



ولعل من الواضح اننا في حركة الاشبال والكشفافة نرضى في الطفل  
هذا الميل للعب الايهام . فتقسم الفرقة الى أسود وأشبال وذئاب .. والحركات  
التي يعملونها باصابعهم ممثلين الاذان .. والقفزات التي يؤدونها على اسيقاتهم  
وركبتهم مثنية .. والصرخات الحادة التي تتخلل أناشيدهم ممثلة صرخات الذئاب ..  
كل هذه ترضى ميلهم الطبيعي في هذه السن وتسبب لهم سرورا عظيما .

ثم يستمر علم النفس في بيان أن هذه المرحلة تمتاز بتجمع الصبيان في  
مجموعات تنظم لبعضهم البعض وتنحون نحو الثورة الى حد ما ضد السلطة .. سلطة  
الوالدين في المنزل وسلطة المدرسين في المدرسة ، ولهذا نسميها علميا مرحلة  
العصابات ، والخطأ كل الخطأ في أن تقاوم الطبيعة فنجبر الاطفال على حبنا  
واحترامنا والخضوع لنا . ونفرق بينهم وبين بعضهم بمنع أطفالنا عن  
الخروج للاتصال بزملائهم على أساس أن هذه المجموعات ستكون خطرا  
على قوانيننا نحن الكبار في المنزل أو المدرسة . هذه طبيعتهم في هذه  
السن ، ومن المبادئ التربوية المعروفة ألا نحارب الطبيعة ولكن نهيم الجو  
الملائم الذي يمكننا من أن نستفيد من الرغبات والدوافع التي تظهر في سن  
معينة لخير الطفل ورفق المجتمع .

هنا تأتي الكشفافة لتهدئ هذا الجو الملائم أحسن تهينة . قلنا ان الاطفال  
بطبيعتهم يميلون للتمثيل أو لعب الايهام ، كما يميلون لتكوين مجموعات قائمة  
بذاتها بعيدة عن تدخل السلطة المنزلية أو المدرسية .. حسنا .. ان الملابس  
الخاصة التي يلبسها اطفال الفريق .. شارة الحيوان الذي ينتمي اليه الكشفاف  
أو الشبل .. التقاليد التي يتواضعون على احترامها والاخذ بها .. طريقة تحية  
الكشفاف الصغير لرئيسه بامساك الاصبع الصغير بابهام اليد .. كل هذا  
يرضى ميلهم للتجمع والانضمام تحت راية واحدة ، راية تختلف عن الفصل  
الذي يترجمهم في المدرسة أو السقف الذي يظلمهم في المنزل .. كما يرضى ميلهم  
للتخفي والغموض الذي يريدونه .



وأكثر من هذا اللغة السرية التي يستعملونها ، طريقة «مورس» ، في  
الارسال والاستقبال .. الألف نقطة شرطة والياء نقطتان وهكذا .. طريقة  
التفاهم بالرايات أو المرايا التي تعكس اشعة الشمس . كل هذه تبعث في  
الأطفال نشوة غريبة ، وتشعرهم أنهم نالوا حقاً ما ييغون .. هذه الثورة الخفية  
على السلطة ، كونهم يستطيعون أن يحتفظوا بأمرارهم وتقاليدهم ، ويوصلوا  
رسالاتهم بطريقة غير تلك التي يتفاهم بها الكبار في المنزل أو المدرسة

هذه ثورة حقاً ولكنها ثورة هادئة مفيدة ، وهنا يبدو فضل حركة  
الكشف . اننا لم نقاوم طبيعة الأطفال بل تركناهم يكونون بمجموعاتهم وبذا  
ضمننا ألا يحدث انفجار داخلي لا نراه نحن نترتب عليه أخطار هائلة .

ولكننا في نفس الوقت ، ومن وراء الستار ، نحرك الخيوط كلها .. ننظم  
تقاليدهم ونكيف ما يدور في اجتماعاتهم ، ونقودهم نحن عن طريق ضم الرئيس  
إلى جانبنا . وهكذا تصبح مجموعة الكشف . التي كان يمكن أن تكون  
عصابة مثيرة مقلقة .. نعمة لا نقمة ، فالأولاد مستعدون أن يضعوا  
في سبيل تقاليدهم ، ولكنها تقاليد وضعناها نحن ، وتوخينا فيها الخير والشفقة  
وساعدة الضعيف . وهكذا تجد الصبي منهم في سن الثامنة والتاسعة يعرف  
أهمية الشرف ومسئولية القسم . تجده في حفلة قبوله عضواً في جماعة الكشف  
يقف بملابسه الرسمية أمام العلم الخافق في وسط الدائرة ، ويرفع يده في ثبات  
وينطق بالقسم .. أقسم بشرفي أن أفوم بما يجب علي نحو الله .. والوطن ..  
والملك .. وأن أعمل بقانون الكشف .

ويأتي بعد هذا قانون الكشف في عدد الطفل نقطاً عشر يمثل استعداد  
أمام رفاقه الصغار لأن يقوم بها ويسير بمقتضاها مهما قاسى في سبيل ذلك من  
الشدائد . ومن عجب أنك لو نصحت الطفل أن يقوم بواحدة من هذه النقط  
كالطاعة أو مساعدة أخيه الصغير لأدار لك ظهره وأبدى أمساخه . ونسكن  
زميله المكشاف عند ما يقول :



«الكشاف صادق وشرفه موثوق به..»  
«الكشاف صديق لكل انسان.. وأخ لكل كشاف آخر ، مهما  
اختلفت جنسيته ..»

«الكشاف مطيع لما يصدر اليه من أوامر .. سواء أكانت صادرة من  
رئيسه أو معلم فرقته أو زميله الكشاف ،»  
«الكشاف باش ، يقابل الشدائد بصدر رحب ويسر لها..»

عندما يقول الطفل هذا هو يقصد حقاً ما يقول .. وهو مستعد للتفاني في  
اداء كل هذه الواجبات وغيرها لأنها تبدو له في ثوب من اللعب والتمثيل ..  
تبدو كما لو كانت قوانين فرضتها الجماعة الجسدية من زملائه الصغار الذين  
يود لو ينضم اليهم ل يتمتع بامتيازاتهم . أما الحقيقة فهي أن هذه القوانين  
وضعناها نحن .. ولما لم نقدمها عن طريق النصيح والارشاد المنزلي أو  
المدرسي فالطفل يكره دائماً في هذه المرحلة أن يساير البيت أو المدرسة ..  
وانما قدمناها بطريق اللعب . وهكذا يتشرب أفراد مجموعة الكشافة بمزاج واحد  
وآراء واحدة وطابع واحد . وهكذا يحسون أن للمجموعة اسماً قد كونه هم  
وأن من الشرف أن ينتسبوا اليه ولا يلوثوه .

وبعد كل هذا يأتي طفلنا ويبدى رغبته في الانضمام للكشافة فنقول —  
« لا . الكشافة دى لعب . اء سبحان الله .. ! ولما لا تكون لعباً وقد رأينا  
ضرورة اللعب وكيف نستفيد منه ؟ . وبعد هذا ندهش ونتهم ابناً بالشيطنة .  
وعدم الطاعة اذ نراه قد تسال من البيت دون أن يخطرنا ، وانضم الى أطفال  
الجيران ، وبدأوا يضررون بمجموعة أخرى من أطفال الشارع المجاور بالطوب ،  
أو ينظمون حملات لنهب الحديقة المجاورة وتسلق الحواجز وشجر المانجو .  
ويأتى طفلنا بعد هذا ممزق الثياب دامي الوجه من أثر العراك ، والأسوأ من  
كل هذا أننا نرتكب نفس الخطأ للمرة المائة فنقسم بأغلظ الايمان انا لن  
نسمح للطفل بالخروج للاتصال بهؤلاء الاولاد «المنشردين» ثانية ظانين أن



هذا علاج ، والحقيقة انه بمثابة وضع البترول على النار . فأنت تدفع الطفل دون أن يشعر للتفكير في حيل للخروج من المنزل مستعملا في ذلك الدس والخديعة . وأعرف طفلا حبسره في غرفة ففعل ما رآه في فيلم سينمائي ، ربط « الملايات » في بعضها وثبت طرفها في مزلاج النافذة وتدلى بالطرف الثاني الى الشارع . ولحسن الحظ كانت العقد متينة والعائلة تسكن في الدور الثاني أى على ارتفاع ثمانية أمتار .

ماذا .. هل نخلق من أطفالنا لصوصا ونشالين بارعين ؟ قد يقول القارىء ان هذه حالة شاذة وأنا معه في هذا . ولكن الدافع الذى دفع هذا الولد للتدلى بطريق النافذة هو نفسه ما يدفع طفلك للتسلل من المنزل عن طريق للباب دون أن يخطر بباله . واذن فالمبدأ موجود .. وطريقة التنفيذ هي وحدها التى تختلف . هذه هي مرحلة العصابات في صورتها السيئة اذا كنا لا نفهمها ونحاول كما يحدث في بيوتنا المصرية أن نقمعها .

اللعب و صمام الامن : معظم الآلات الضخمة التى تعمل بواسطة البخار أو الوقود أو الكهرباء تحوى في تركيبها ما نسميه صمام الامن بحيث اذا زادت الشحنة التى تسير هذه الآلة عما يحتمله هيكلها خرجت هذه الشحنة الزائدة الى الخارج بدلا من تجمعها في داخل الآلة اذ قد يتسبب عن ذلك انفجارها .

وهكذا في حالة الطفل .. له رغبات كثيرة وحاجات متعددة . يتمنى لو يشبعها . ولكن عالم الحقيقة الذى يحيط به ، والاشخاص الذين يتصرفون في شأنه ، يسببون له صدمات كثيرة . الطفل يريد شيئا ولا يجده فماذا يفعل ؟ أعطته الطبيعة الرحيمة منفذا يهرع اليه كلما شعر بقسوة ومرارة عالم الحقيقة وبعمده عن مطالبه . فالطفل « الوحيد » الذى لم يرزق أبواه أطفالا غيره يريد زملاء في سنه وتفكيره وقوته فلا يجد . هذه مشكلة فماذا يفعل ؟ يحلها عن طريق اللعب . تجده يأتى بزجاجات فارغة ويوقفها أمامه . ويظل يتحدثها



ويتفاهم معها في مشروعاته ، وينتقل بينها كأنما هو يخالط زملاء له في اللعب . وبين حين وآخر قد يرهف أذنيه كأنما يسمع ما يرد به أحد هؤلاء الزملاء . ثم يعلق على هذا الرد . هذه طريقة للهروب من المشكلة . عن طريق اللعب والطفل الذي يعامل معاملة قاسية خشنة في المنزل ، ولا يسمح له بإبداء رغباته أو اظهار أى سلطة ولو بسيطة ، يحل مشاكله هو الآخر عن طريق اللعب . يأتي بعلب فارغة مثلاً وينسقها أمامه ، ويضع يده في وسطه ويمثل دور الاب . وهنا يحدث أحد أمرين . إما أن يتكلف العبوس والسيطرة ليتمتع بهذه السلطة التي لا ينالها في عالم الحقيقة ، فياطم هذه العابة بيسده فتدحرج الى طرف الغرفة ، ثم يركل الاخرى بقدمه فتتمزق أو صالها وتطاير . أو قد تحدث الحالة الاخرى فاذا به كله رقة وحنان ، وكأنما يمثل الاب كما يتمناه أو كأنما يتمتع بخلق حالة لا يراها تحدث أمامه بين أب وأولاده . هو يسيل رقة وعطفاً . يربت على هذه القطعة ، ويتناول تلك بين يديه ويقبلها ، ويعطيها قطعة ورق على اعتبار انها حلوى ، وهكذا يظل يستعطف الجميع . واذن فالطفل يفر من مشاكله عن طريق اللعب .

أو قد ترى الطفل يمسك دلفة ، من القماش ، ويكورها على هيئة طفل رضيع ويظل يضربها ويسبها في نبرات حانقة محتاجة : يا صنيعة . . يا شخاخة . . يا اللى لسه بترضعى . . مدرسة ايه اللى تروحيها ؟ ، ولوراقبته لادركت أن هذه الدلفة التي يضربها تمثل أخته الصغيرة التي ولدت حديثاً وانتزعت منه كثيراً من المميزات التي كان يتمتع بها قبل أن تولد . انتزعت منه حنان الام وعطفها ، وانتزعت مكانه على حجرها . وانكشف لها صدر الام بعد أن تغطى له طيلة هذه المدة الاخيرة . بل وانتزعت مكانه بجانب أمه على الفراش فقد أصبح هو الآن ينام وحيداً في سرير صغير . وهكذا يجد الطفل نفسه محاطاً بمشاكل كثيرة ومتاعب متعددة أصابته منذ ولدت أخته . وما دام لا يمكنه أن ينتقم منها بشكل مباشر فهم يمنعون من الاقتراب منها فلينتقم في ذلك الميدان الذي



يستطيع أن يتزعمه ويفعل فيه ما يشاء .. ميدان اللعب .

ويقص استاذى فى عالم النفس قصة عن زيارته لعائلة لديها طفل صغير فى سن الرابعة . أخذ الاستاذ يتبسط مع الطفل فى الحديث ، ثم أتى بقطعة ورق كبيرة وجعل يرسم فى فرح وابتهاج . وسرعان ما لاحظ الاستاذ أن الطفل يرسم الرجال والاولاد رسما جميلا نسبيًا بينما يشوه فى رسم النساء ويتفنن فى تقبيح وجوههن وأجسادهن بشكل واضح . وبالتدريج . وبعد أسئلة بارعة القاها كأنما بغير اهتمام ، اتضح له أن الأم فى منتهى القسوة على الطفل وأنها قد قضت على شخصيته تمامًا . يسأل الاستاذ اسمك ايه؟ فتجيب الأم بسرعة واسمه عزت . مش ترد يا واد؟ ، ثم يدبر الاستاذ الحديث ناحية أخرى بعدها يسأل الطفل «والصورة المعالقة دى صورة مين؟» وسرعان ما ترد الأم على الفور «هوه وأخته .. ديهده .. مش تتكلم يا واد؟» وهكذا تتتابع الاسئلة والردود من هذا النوع بما لا يدع للطفل مجالاً للحديث أو لاثبات وجوده .

وتبسط الاستاذ فى الحديث ، وبدأ يقص قصة عن الحيوانات أخذ الطفل يتابعها فى شغف شديد : «أسد كبير وضخم .. وقوى .. ماشى فى الغابة وما حدش قادر يقف قدامه . كل ما يقابل حصان يا كاه ، وكل ما يلقى كلب يعضه . يتخانى مع الجمل ويوقعه فى الميه .. وحتى الفيل ههرب منه . وهنا لا بد قد ادرك القارىء أن الطفل قد تقمص شخصية الأسد وبدأ يتابع حركاته بشوق واهتمام وكأنها حركاته هو . واستمرت القصة «ولما يلاقى قرد يا كاه» ، وهنا صرخ الولد فى حماسة «ولما يلاقى قردة كمان يا كاه .. اء»

هذا هو التعبير الذى استطاع به الطفل أن يفرج عما فى نفسه ازاء ما يعمل فى داخله من حنق ازاء أهله . كلمة مثل هذه تستطيع أن تكشف لك خبيثة الطفل، ولأنك عنها لا تأتى من نفسها . لا بد أن تبسط مع الطفل .. لا بد



أن «تفرد» نفسك أمامه، كأن تقص عليه قصصا .. وبالاختصار تضعه في مجال اللعب ، وبذا تنمساكه روح اللعب فيحاول أن يحقق فيه ما لا تمكنه الحياة وعالم الحقيقة القاسى من أن يتمتع به .. هلا فكرينا في اللعب كمفتاح ذهبي جميل يربنا مشا كل الطفل التي تنغص عليه عيشه، والتي خلقناها نحن دون أن نشعر ؟ أو أن ما يحدث هو أن تسأل الأم إحدى الزائرات « فين اسم الله عليه بهاء ؟ » فتقول هذه بصوت الارتاح « أهو يلعب » وكأنما هي مسرورة لأنه مغرق في اللعب ولا يضايقها .. !

طفلك ايها القارىء وهو في حالة ارتخاء وهدوء اثناء اللعب ، يكفى صندوق مليء الى ثلاثة ارباعه بالرمل يرسم فيه ما يشاء ، أو بعض قطع من الصاصال يكررها في يديه تبعا للاشكال التي في ذهنه .. يكفى هذا أو ذاك لترى الطفل في ضوء جديد قد لا يكون خطر على بالك مطلقا مادة اللعب : بودى لو تركت القارىء لنفسه عدة لحظات يفكر ولو

بشكل سطحي في مدى عدم الاهتمام الذي يصحب شراءه لعبة لطفله. يذهب واحد منا للبائع : « هيه يا أخينا عندك إيه ؟ » ويعرض البائع بضاعته .. شيء بزمبلك وشيء من القش وثالث من الجلد .. لعبة تصفر .. وأخرى تهز ذيلها وهكذا. سأترك الاعتبارات المادية جانبا فهذا موضوع شائك وبعد هذا دعنا نتساءل ألا يحدث أحيانا أن تفضل ما يروقك أنت وبيعته فيك الضحك ؟ هذه بطة تضع جناحيها في وسطها فاذا أدير الزمبلك انطلقت تهتز وتمايل .. وذاك حمار جحار رقص ذيله وراكبه في حركات لطيفة. و... و... بينما لا يستشار الطفل أثناء هذا بل يفرض عليه رأى الكبار ، وتأتى باللعبة الى الطفل في المنزل .. اللعبة التي انفقت فيها نصف ريال بل خمسين قرشا وربما جنيتها ، فلا تبقى معه يوما أو يومين حتى يكسرها أو يملأها . أو قد تحفظها أنت في دولاب بعد مرور اليومين .. لأنك تجد أن من الخطأ أن تتركها معه لئلا يفسدها وهي ثمينة بهذا القدر. وتبقى اللعبة الجميلة محفوظة حتى يأتي ضيوف فتعرض عليهم لتثير ضحك الكبار .. !



ولا ننسى ونحن نأتي بها أن ننحى باللائمة على الطفل ، العفريت اللي وش فساد  
وما تخلّش حاجه عدلة .. !

تصور ياسيدى . لم يحدث فى يوم من الايام أن غيرنا الاسطوانة ،  
وانحنينا على انفسنا نحن الكبار باللائمة لاننا لم نأت باللعبة المناسبة للطفل .  
نجد من الاسهل علينا أن نقول اننا لم نأت بالطفل المناسب للعبة .. ! سبحان  
الله .. ، كما ميزان الطفل وأساس تقديرنا له اللعبة التى اشتريناها نحن  
بعشرات الفروش .. ! لقد أشرنا الى اهمية اللعب لتنمية مدارك الطفل  
وتهذيب دوافعه فهل لديك قائمة بأحسن انواع اللعب فى كل مرحلة من مراحل  
النمو لاستغلال مواهب الطفل ومداركه فى هذه اللحظة والوصول بها الى  
الكمال ؟ أو على أسوأ الفروض هل لديك قائمة بأردأ أنواع اللعب فى كل  
مرحلة حتى لا تشتريها لطفلك وهو ما نفعله مرارا ومرارا عديدة ونحن  
نظن أننا نتعب فى سبيل الطفل ونزدي واجباتنا نحوه مع أن الحقيقة أنا  
نسى اليه أيما اساءة ؟ .

ولكن ليرتجح ضميرك فانا جميعا معرضون للخطأ . حتى رياض الاطفال ..  
مؤسسات يشرف عليها رجال التربية ، ويقوم بالتدريس فيها أئام متخصصة  
تسلها أطفالنا فماذا يحدث ؟ يملونهم كيف يخطون شتطاً ومفارش وغير هذا  
من اشغال الالة والفتلة .. ! لذكر أن هذا يحدث لأطفال فى سن الرابعة ..  
وهم يظنون أن هذا تسلية جميلة . ويفرغم سرور الاطمال بمشتجاتهم  
ومعروضاتهم ، وما يأتون به لأباتهم من الحقائق المبطنة بالاصفر والاحمر .  
وهم لو تدبروا قليلا لعرفوا أن الطفل فى هذه السن من الخطر الجسم أن تسله  
شيئا دقيقا كمشغل الالة يتطلب غرزا الى جانب بعضها بنظام ، وتركيزا  
لأعصاب اليد والعين فى شىء قريب . وكلنا يعلم أن نسبة كبيرة من الأطفال  
حتى سن السادسة لديهم طول نظر يولدون به ويتحسن بمضى المدة .  
وهكذا تخرج رباغنا أطفالا عصبيين .. يغمزون بعيونهم .. ويصابون



بالأرق في الليل . . ويعانون قصر البصر بعد عشرة أو اثني عشرة سنة . . !  
ما يحتاجه الطفل في السنتين الأوليين : الطامل حتى نهاية السنة الأولى

لا يحتاج الى أجسام كثيرة ليلعب بها ، ولا عجب فاعضاء جسده وعلى الأخص  
الفم تهيب له ميداناً فسيحاً . وليس من النادر أن يقضى وقتاً طويلاً في المناغاة  
والدمدمة وترديد مقاطع مثل « لا لالا لا لا » ، أو قد يصدر نغمت وأصوات  
مختلفة ويكرر أى كلمات يعرفها اذا كان يعرف في هذه السن « ماما » ، « دن  
دن » وهكذا . وهو يشتق سرورا كبيرا من التلويح بذراعيه والرفس بقدميه  
ومحاولة المشي اذا كان لم يمش فعلا فيعتمد على قطعة من الاثاث يجذب نفسه  
الى مستواها واقفاً أو يدفعها أمامه . والطفل المتوسط شغوف في هذا الوقت  
بالتمرن على المشي ممسكا باصبع أو رداء شخص كبير .

ومن الواضح أن الأم أو المربية لانشغالها بأمور المنزل لانستطيع أن  
ترافق طفلها طول الوقت . وليكنها تودلو تهيب له كل التمرين المستطاع  
والسرور الذي يحسه الطفل ازاء الحركة أو الحبو ، فكيف اذن توفق بين  
هذا وبين الاحتياط لئلا يقترب الطفل من مكواة ساخنة . . أو باب يغلقه  
الريح . . أو يتناول شيئاً من الارض ليضعه في فمه ؟ . لعل أكبر مساعد للأم  
في هذه الحالة ما يمكن أن نسميه « السور المتقل » ، وهو معروف لمعظم سيداتنا .  
هو عبارة عن سور مستطيل الشكل ثلاثة أمتار في مترين به قضبان خشبية  
ناعمة وملونة ، ارتفاعه حوالى ثلث المتر . وهو خفيف الحمل يكن نقله وتطبيقه  
ثم « فرده » في مكان آخر . ويمكن وضع الطفل داخل هذا السور في الشرفة  
أو الحديقة في شمس الشتاء الدافئة ، مع الاحتفاظ بسجاد لين  
في ارضيته

وهكذا يمكن الطفل أن يتشبث بأحد الجوانب ويقف ضاحكا في  
نشوة وانتصار . ثم يجلس ثانية تاركا جسمه يسقط على الارض بصوت  
مسموع فيزداد ضحكته . . ولذا يكرر هذه العملية مرارا . وهذا المارن  
للذراعين مفيد جدا للطفل في اللحظة الحاضرة وفي المستقبل ايضا ، اذ يرفع



ثقل جسمه على عظام ساقيه التي لا تزال في دور التصلب . وكثيراً ما ينظر  
الطفل خلال فرجات السور الملون وهو جالس ويمد أصبعه ليلبس صديقه  
الكلب أو ليمسح فروة بوسى ، الناعمة اذ تقوس ظهرها لتمسحه ازاء  
السور . ويمكن أن تجلسه الأم على كرسية الصغير ليغير الموقف . مع وضع  
لعبه الى جانبها على البساط .

ويمكن ربط بعض الشرائط البراقة الى اعلا أحد أركان السور حيث  
يتلاعب بها النسيم ، كما نعتبر الشيخة الكبيرة حتى هذا الوقت مجلبة للسرور ،  
مضافا اليها جرس يدوى ، ولو أن هذا الأخير يستحسن استعماله والطفل  
في الحقيقة حتى لا يعارض هذا مع أعصاب الكبار وأوقات راحتهم . ويمكن  
الاستعاضة عن الجرس بصيية من الصفيح ومنفعة ليقرع بها . ويمكن مشاهدة  
مدى السرور الذي يشتهه الطفل من هذه اللعبة الأخيرة واضحا فهي تملأه  
شعورا باليسطرة .

ويسر الطفل بعد هذا بالعب ، كتلك التي تستعمل للاحادية وتصنع من  
المكرتون ، او علبة من الصفيح الملون من النوع الذي يوضع فيه البسكويت  
ولها غطاء يمكن وضعه ثم نزعها بسهولة ، أو صندوق كبير من الخشب يمكنه  
ان يضع لعبه فيه . وفي كل الاحوال السابقة ينبغي ان يراعى الا تحوى  
الصناديق او العلب اى نتوءات او خرفشة ، او حروف او اركان حادة في  
الصفيح . ويمكن القارىء اذا اهم ان يجد علبا مستديرة من الصفيح خالية  
من هذه العيوب . والواقع ان العلب والصناديق من كل نوع هي ثروة الطفل  
في هذه المرحلة وخصوصا منذ منتصف السنة الثانية ، اذ ان مجرد عملية الفتح  
والغلق برفع الغطاء ورده ، ووضع اللعب فى الداخل ثم اخراجها واحدة  
واحدة تستغرق كل اهتمامه .

ثم ان الطفل شغوف بعد هذا بالحصول على اشياء يضعها فى الصناديق  
ثم يلقيها للخارج ثانية . ومن المفيد جدا ان تقدم اليه بعض القوالب الخشبية  
من احجام مختلفة بحيث لا يقل اصغرها عن بوصتين لطول الضلع ، هذا



مفضلا عن عدد من الحصى الملون أو الصدف الكبير الذى لا ينكسر بسهولة. وينبغى أن يراعى فى كل حالة ألا تكون احدى هذه القطع من الصغر بحيث يمكن وضعها فى الفم أو ابتلاعها. فاذا اعطيناه الى جانب كل هذا عصا ناعمة قصيرة ليدخلها ويخرجها من بين فرجات السور فقد اضفنا اليه لذة لا ينضب معينها.

فاذا قايبت السنة الثانية نهايتها فلعل اصلح اللعب دون منازع الرمل، وهو اما من النوع الفضى النظيف أو رمل البحر الاصفر الناعم. وهو يستمر كترسلية محببة سنين مقبلة. فاذا وضع هذا الرمل فى صندوق فان الطفل يسر اذ يأخذ حفنة منه تسيل بين أصابعه، أو يحركه بالعصا أو ينقله بالملعقة ليملا علبه أو اناء من الصفيح ثم يفرغه ثانية. وكل هذه الحركات تساعد أصابعه وذراعيه على أن تكون أكثر مهارة ومرونة، فضلا عن السرور الذى تخلفه فى نفسه.

يضاف الى هذا كرة ملونة من المطاط أو دمية من المطاط ايضا تصدر صوتا اذا ضغط عليها أو ضرب بها السور وهناك لعبة اخرى يبدأ الاهتمام بها فى هذه المرحلة المتأخرة من العام الثانى وهى مجموعة من الحقائق الخشبية يمكن اسقاطها أو تلقاها على عصا مثبتة فى الرمل أو على قاعدة خشبية مستديرة. وتعود اللعب لجذب اهتمامه هنا ايضا، وهو يسر جدا لو زوداه بمجموعة منها من احجام مختلفة يدخل واحدة صغيرة فى اخرى كبيرة وهكذا. ويهمننا ان نؤكد ضرورة خلو هذه اللعب اللينة من الشعر فمن الطبيعى ان الطفل سيضعها فى فمه. كما لا يحتاج الامر الى شراء الاصناف المرتفعة الاثمان فحتى هذه المرحلة لا يستطيع الطفل ان يفاضل بين عروسة أو ارنب أو قط مصنوع فى المنزل من قماش الفانلة اللين ومخشو بقطع القماش وبين نموذج متقن قريب من الحقيقة يعرضه صاحب الحيوانات.

وينبغى ألا يغرب عن أذهاننا لعب الحمام.. كدمية أو بط أو سمكة منفوخة من المطاط، ويراعى بطبيعة الحال ألا تكون الوانها من النوع الذى



يهت فم المؤكد أن الطفل سيمصها اثناء لعبه في الماء . ولكن الامر لا يقتصر دائما على التمتع باستعمالها في الحمام ، ففي ايام الصيف الحارة ليس هناك لعبة ادعى لإمتاع الطفل من طشت كبير من الزنك او دلو واسع يوضع فيه الماء ثم يلقي الطفل لعه في الماء ويسر للرشاش المتطاير او تموجات ودوائر الماء . او قد يدفع هذه اللعب لتسبح في الماء أو ينقله بدلو صغير الى وعاء آخر وربما لأن من المستحسن ان يتردى الطفل اثناء هذا ملابس داخلية ومريلة من الكاوتشوك اذ كثيرا ما يحدث ان يجلس في المكان الذي تنثر فيه بعض الماء .

واخيرا هناك لعبة المسكبات للتساق ، وهي تهيء له قدرا كبيرا من المرحان الحركي قد لا يتوفر في غيرها . فاذا اختيرت بحيث يسهل حملها مع تدرجها في الحجم فيمكن ان ننظم ثلاثا منها في شبه سلم ، وكم يسر الطفل اذ يتسلق عليها ثم يقفز عائدا على كل منها او من الجانب اذا استطاع ، وعلى أى حال فليراع الا تعطى كل هذه الالعب مرة واحدة . فالخصى والعلبة مناسبان جدا في أول العام الثاني ، ثم يستعاض عنها بأخرين من الالعب الاخرى حتى لا يمل الطفل من تكرار صنف واحد .

اللعبة المفضلة حتى السادسة : نودان نغرق هنا بين اللعب toys  
وهي ما تنال اهتمام الطفل حتى دخول المدارس الابتدائية ، وبين الالعب الفردية او اجمعية Games and sports التي ينغمس الطفل فيها بعد السابعة ولقد رأينا كيف يستخدم الطفل اللعب في أول الامر للاستفادة والكشف فهو يهزها ويجذب اطرافها ويمصها ويقضمها وهكذا يستكشف ماهيتها وطريقة عملها . فاذا كبر الطفل استخدم اللعب في تقليد ما يراه عند الكبار وفي لعب الالهام . وقد افاض الباحثون في ترتيب انواع اللعب التي يفضلها الطفل منذ الثالثة . ورأى بريد جز أن الطفل من الثالثة الى الرابعة يفضل لوحات خشبية بها ثقوب اسطوانية توضع فيها اسطوانات مختلفة القطر



ومساوية للثقوب ، كما يفضل الألواح الخشبية لأعمال البناء ، ثم قطع خشبية ملونة تلويناً براقاً ممكن تكوين أزواج منها كل زوج يخالف الآخر في الحجم ويرصها الطفل في صفوف قوام كل صف زوج . وبلى هذا في ترتيب الاختيار المكعبات الخشبية للتصميم والترتيب ثم التخطيط بالطباشير على السبورة .

ويبدأ الاهتمام بالمكعبات بعد أربعة ، وهنا يسمى الطفل ما يركبه من الأجسام ، وهي في الغالب مأخوذة من بيئة الطفل ، ولعل أكثرهما شيوعاً المنزل وحظائر الدواجن . وبلى هذا اللعب بالرمل والارجوحة المستندة على سن من الوسط يجلس على كل طرف طفل فترتفع براحدة مرة وتنخفض به أخرى ، بينما نجد الدمى والحيوانات والسبورات الخشبية هي أقل اللعب إثارة للاهتمام

وعلى العموم فإنا نستطيع أن نقسم اللعب في المرحلة ما بين الثالثة والسادسة إلى أقسام أربعة رئيسية ، ولو أن هذه الأقسام بطبيعتها متداخلة :  
١ - اللعب التي تساعد على النمو الجسماني : والكثير من الأشياء

العادية في المنزل أو الحديقة تدخل تحت هذا النوع ، إذ يمكن استعماله للجذب والقفز إذا لم يتعارض هذا مع رغبتنا نحن الكبار فإذا أردنا أن نتدخل لمنع الطفل من استخدام القاعد والأواني والوسائد فيجب أن نهيء له ما يحقق غرضه . ومن المفيد هنا أن نزود الطفل بصندوق قديم ثقيل يوضع في الحديقة . ثم يؤتى بلوح طويل متحرك من الخشب يوضع طرفه على سطح الصندوق ويميل الطرف الثاني منحدرًا إلى الأرض وبهذه الطريقة يتسلق الطفل اللوح ويقفز من الجانب الآخر أو ينزلق على اللوح الأملس . ولعلنا لسنا في حاجة إلى تكرار القول بضرورة خلو الخشب من السنون أو المسامير . وهناك غير هذا سالم صغير من النوع الذي يستخدمه العمال للصعود ، ولكن يراعى قرب العوارض الخشبية ، ويستحسن أن يثبت في أول الأمر ثم يستعاض عنه بعد هذا بآخر خفيف بحيث يمكن أن يحمله



## الأطفال.

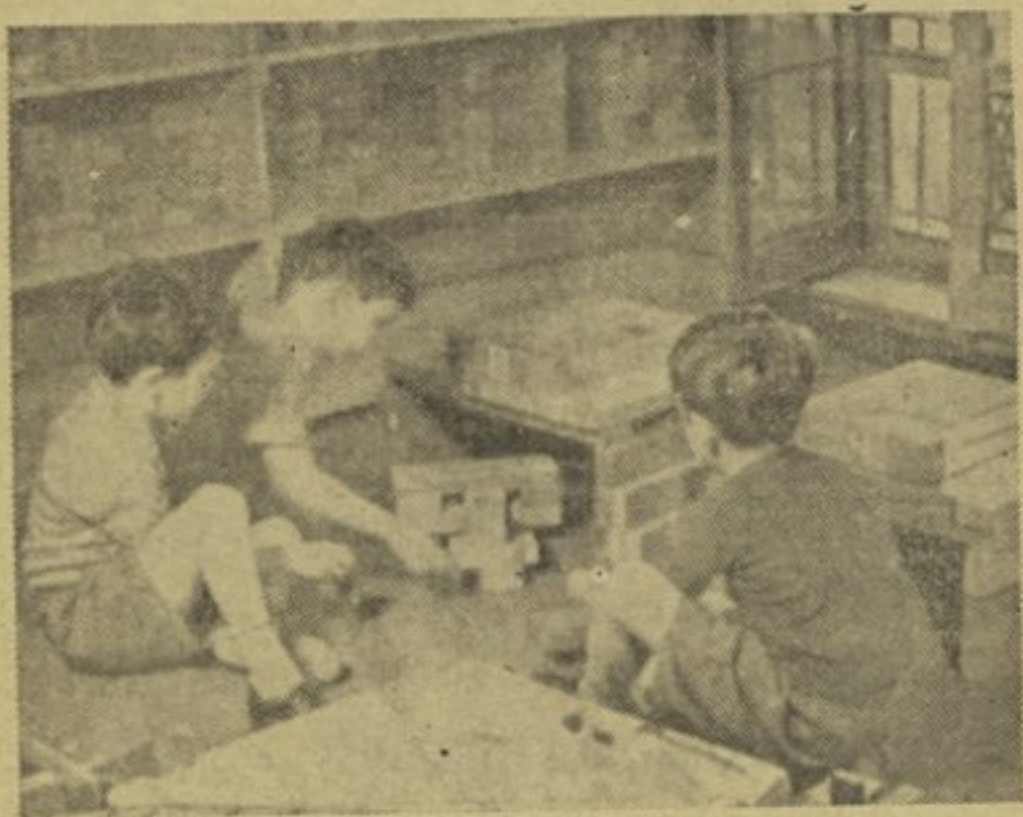
وقد يحتاج الصغار في لعبهم الى عربة يد خشبية خفيفة ينقلون فيها  
اخشابهم وقوابلهم . وللتمرن على الانزلاق يمكن أن تثبت لوحا بموازية  
الأرض على علو قليل لكي يسير عليه الأطفال .

وتعتبر الارحاحه أحب الالعب للطفل فهي تحقق رغبته في الحركة  
الى آخر حد . ويمكن أن نعمل منها نوعا ثانيا بعد مدة قصيرة يرتكز على سن  
من الوسط كما سبق . نقول فاذا جهزت هذه اللعبة الاخيرة بخطافات من أسفل  
تعاقد فيها أوزان فيمكن ان يتعلم الأطفال الأكبر سنا أن يزونا بعضهم بعضا  
فاذا كبير الأطفال قليلا حوالى الخامسة كان أحسن ما نقدمه لهم صندوق  
التسلق وهو عبارة عن عرارض خشبية باعثة بعضها رأسى والآخر أفقى فيتسلقها  
الأطفال ثم يتعاقدون منها . ويجب أن يكون قطر التقصيب مناسباً لايدي  
الأطفال الصغيرة والبرواز كله ثابتاً تماماً وهكذا يصلح هذا « الصندوق »  
للعب عدد من الأطفال بمنتهى اللذة أوقات طويلة . فهم يتسلقون صعوداً أو  
هبوطاً ، مادين اذرعهم ورافعين ثقل اجسامهم عن سيقانهم وهي حركة  
مفيدة جداً وقد يتعلقون رأساً على عقب الى غير ذلك من الحركات . ومن  
المفيد أيضاً وجود جذع شجرة ضخمة ملقى على الأرض ، يستعاض عنه في  
مرحلة متأخرة بتسلق الشجر نفسه . كما يحسن اعطاء الأطفال كرات ليلقوها  
أو يضربوها بأرجلهم أو بالمضارب ، وفي سن السادسة يعطون حبالاً ليقفروا  
بها وهم يحرون

ب - اللعب التي تساعد على تركيب الأشياء : منها خامات كالصلصال  
والجبس ثم أشياء تعد وتصنع خصيصاً لنفع الطفل ، وهذه أسهل استعمالاً  
في المرحلة ما بين السنة الثانية والرابعة . كالقوالب والبلى المثقوب وهكذا . فاذا  
تناولنا النوع الأخير وجدنا أن مثل هذه القوالب الخشبية من مختلف الأحجام  
والأشكال تصلح جداً لعمل أكوام . وبعد قليل تستخدم في البناء . وبالطبع  
يمكن أن يفكر الوالدان في أشكال متعددة تصنع من كتل الخشب كالمشور



الثلاثي أو المحروط أو الاسطوانة أو المكعب . كما يمكن تسهيل العمل بالنسبة للطفل بان تزود هذه الاجسام بثقوب من الوسط يمكن أن يولج فيها الطفل



« أو نادا ، مناسبة في القطر لتثبيت هذه الاجسام لتيسير عملية البناء . وهكذا سرعان ما نجد الاطفال في مرحلة مناسبة يبنون « منازل ، صغيرة لهم يمكنهم ان يجلسوا فيها ويبنوها بما يمكن أن يزودوا به من « خرز ، كبير خشبي ملون (قطره بوصة أو أكثر) ينظمونه الى جوار بعضه البعض بأن يتحلله سلك أو « دوبارة ، ويستحسن قرب نهاية هذه المرحلة الاستعاضة عن هذا « الخرز ، الكبير بأحجام أصغر - وقد يصنع من الزجاج وينظمه الطفل في خيط ملون أرفع قليلا من الدوبارة باستعمال مخراز يراعى ألا يكون سنه رفيعاً . أما « الميكافو ، المكون من القطع ذات النفوب تتركب فيما المسامير و« صواميل فان كانت فائدته لا تقدر للأطفال الكبار الا انه لا يجوز استعماله قبل السابعة فهو يحتاج الى دقة وتركيز لا ننصح بتشجيع الطفل على ممارستها .



أما الخامات فأجودها بلا نزاع الصلصال ، حيث أنه يحتفظ بطراوته طيلة الوقت ، فاذا اعطينا الاطفال حتى في مرحلة مبكرة كالسنة الثالثة قطعاً منه فسرعان ما يشكونه في أصابعهم ويسرون بتسمية الاشكال المرتجلة أسماء قد تناسبها أو تقرب منها . وبعد مدة يجدون صنع أشكال للديدان أو الثعابين وحيوانات أخرى . ثم في مرحلة تالية يعملون الفناجيل والأطباق فهي تفيدهم في « لعب الايهام » حيث يمثلون زيارات ووجبات وما أشبه — ويخرجون من هذا كلما اتسع أفقهم الى صنع المنازل والمزارع والقوارب والعربات . وقد يدهش القارئ لو رأى ما يمكن أن يقوم به أطفاله في سن الخامسة والسادسة ..! فاذا أعطيتهم قدراً كافياً من الصلصال الذي يجف ويتصلب بعد تركه بمدة فيمكنهم أن يعملوا بيتاً أو مطبخاً صغيراً تنظم فيه الأطباق والدوائر والأوعية بمختلف أنواعها . وبعض الارشاد البسيط يمكنهم أن يلونوها . كما يمكنهم أن يصنعوا نموذجاً للحديقة أو الحقل ، زينين الصلصال بالصفوف والبلى الملون والعصى . ومما يساعدهم كثيراً أن ينالوا قوالب « مشرشرة » تقطع الصلصال ، أو أغطية مستديرة للعب ليعملوا منها اسطوانات مسطحة من الصلصال .

ومما يسبب كثيراً من السرور طيلة هذه المرحلة اللعب بالرمل والماء . بل ويمكن القول ان كوما من الرمل يوضع في ركن مشمس من الحديقة لهو ضرورة من ضرورات الطفولة . فاذا كان هناك صنبور قريب للماء واعطى لكل طفل دلو و « جاروف » من الخشب مع تزويدهم بعربة اليد الخشبية الصغيرة فيمكن أن نترك أطفالنا في هذه الجنة ساعات بأكملها في يوم من أيام الصيف ، مع مراعاة أن تكون الملابس قليلة جداً أو من الكاوتشوك لو أمكن أو من أنواع قديمة بالية ، أو قد يتركون دون ملابس على الإطلاق بينما تغطي رؤوسهم بقبعات من القش .



والورق من بواعث اللذة في هذه المرحلة أيضا. ويستحسن أن يكون في أول الأمر من النوع الخفيف الملون لعمل الاعلام وملابس الدمى، ثم وبالتدريج يحسن اعطاء الاطفال ورقا أسمك وأنقل لقص أجسام الدمى والمنازل. أما التثيت فليكن بالنشا والعجين، فإذا كبروا فلا يخشى من استعمال الدبابيس للتثيت. أما ورق الجرائد فهو مفيد لهذه المرحلة كلها، ويستخدم في طرق لا حصر لها، كذا يصلح ورق المطبخ الخشن الاصفر لعمل كتب تلصق فيها الصور - أو ما يرسمه الاطفال أنفسهم - بالنشا.

والطفل في الثالثة شغوف باستعمال المقص. وهنا يجب أن نزوده بالنوع المستدير الطرفين. وهو هنا يتسلى بقص أو تمزيق أوراق الجرائد - أو أشياء ثمينة في المنزل إذا لم نزوده نحن بالمادة المناسبة - وبعد وقت قصير نجد أن ما يثير اهتمامه صور للسيارات أو الطائرات يجدها في السكتالوجات فيقصها ليلاصقها. فإذا بدأ الطفل في الحياكة فيجب أن نعطيه أولا قاشا ثقيلا به ثقب واسع كما نزوده بمخراز غير مسنن وشريط ملون مناسب في الحجم. وبعد هذا ينتقل الطفل الى قماش رخيص لين من القطن فيعطى قطعة كبيرة منه (يمكن استخدام قماش من رداء قديم مستهلك)، وسرعان ما يستطيع الطفل أن يصنع ببعض الارشادات أو فوط يزينها بالخرز الكبير أو بغرز واسعة. فإذا سمحنا للاطفال أن يستعملوا هذه الاشياء التي يصنعونها فمن الممكن في سن مبكر، حوالى الرابعة أو الخامسة، أن ينجحوا في عمل مرايل ومناديل وأوشحة وستائر. وهى وان كانت ركيكة الصنع مضحكة بالنسبة لنا الا انها تؤدى عملها وتسبب لهم سرورا كبيرا وشعورا بالقوة والابتكار كذا يعشق الاطفال أيضا النسيج في سن الخامسة والسادسة، ويتبها لهم هذا على أنوال صغيرة من السكرتون وباستعمال الصوف الملون.

ويمكن ببعض الرقابة والحذر والتدخل في بعض الاحيان أن يستخدم طفل الخامسة والسادسة المنشار والمطرقة والمسامير. ومن المهم هنا اختيار



الثقل والاحجام المناسبة . وان مجرد طرق المسامير في الخشب لهو في ذاته عمل شوق للطفل الصغير . ولكن اذا أعطى قطعاً مختلفة الاطوال والسمك من الخشب ، وشر بطاطويلا من الشمع الملون ، وعددا من البكر ، لاستعماله كعجلات ، فسرعان ما يبدأ الطفل في عمل جسم معين كالطائرة أو السيارة أو عربة اليد الصغيرة ، بمنتهى الخشونة بطبيعة الحال .

فاذا أردنا أن نشبع رغبة الطفل في الرسم والتلوين فلنراع اختيار سبورة من حجم كبير ، على الأقل أربع أقدام في ثلاث ، تثبت على الحائط على ارتفاع مناسب ويزود الطفل بطباشير ملون ، فاذا تأثر لون السبورة فيمكن اعادته بخليط من الغراء والدقيق وبرادة الحديد ، مضافا اليه قدر من ثاني اكسيد الكربون - الهباب - المتصاعد من المصباح . كما يمكن استخدام الورق الملون بدلا من السبورة والورق الابيض للرسم بالرصا ص . ويستحسن ان تكون الاقلام من النوع الغليظ المستعمل بواسطة النجارين . أما اللون فيستحسن شراء النوع السائل منه وهو مجهزة في علب صغيرة فهذا احسن كثيراً من القوالب الصلبة التي تحتاج للزج بالماء . ومن أحب الاعمال للأطفال ان يلونوا مناظيرهم وكراسيهم وعليهم باللون « الحقيقي المستعمل في المنزل » ويراعى بطبيعة الحال أن يتم هذا خارج المنزل ، بينما يلبس الأطفال ملابس عديمة القيمة ، كما يوضع الى جوارهم قدر من « التربنتينا » لتنظيف اليدين بعد الانتهاء من التلوين .

وقد يستيقظ الوالدان بعد فترة نوم قصيرة بعد الغداء فاذا بالاطفال يتصايحون في مرح رابتهاج ، ويعملون في استغراق واهتمام شديدين ، ويتناهى الى أسماهم ما من ركن الحديقة صوت المطارق تعاو وتميط على قدر ما تسمح به قرة الصغار ، والعربة تفزع حمواتها من الرمل لتعود لتعلا من جديد ، والخشب يصير تحت ضغط المناشير التي يتعاون الأطفال على تحريكها بشيء من المشقة . ويقترب الوالدان فاذا العمل قائم على قدم وساق . هذا يقص ويعطى لمن يلصق ،



وذلك يركب النشا أو يعدد الدبايس ، وثالث يلون وقد تلطخت يده ،  
وهكذا تدخل كل هذه المواد التي ذكرناها في مشروع ، ضخمة كحظيرة  
صغيرة لتربية الدجاج أو الأرانب ، أو منزل صغير للعروسة بما فيه من دولاب  
وفراش وغرفة للبائدة .

ولا عجب فالصندوق الكبير القديم يصلح لأن يكون منزلا ، وقد  
تداوله بعض الاقتراحات والتعديلات فنقام في جوانبه بعض الشرفات وتزرع  
أمامه حديقة جميلة تقسم الى أحواض وترصع طرقاتها بالصدف الملون .  
ولا بد من تنظيم العمل بطبيعة الحال والتعاون في تنفيذ الاقتراحات التي  
تدل على كثير من الابتكار ، كما أن من الضروري أن يتوفر الصبر والمهارة  
الحركية ، وهذه من مميزات اللعب .

ثم يقسم الصندوق من داخله الى غرف بأواح من الخشب أو الورق  
المقوى ، وتغطي «الجدران» بأوراق الحائط الملونة التي يجب أن تتوفر للأطفال ،  
كما تزين بالصور المرسومة بالرصاص أو الملونة ، وهنا نجد فرصة جميلة للتربية  
الجمالية وإبراز الذوق الفني الذي يملك منه الطفل بفطرته أكثر من الكبير  
الذي لم يصقل . ثم يبنى الغراء أو النشا أو العجين ليلصق علب السكريت بطرق  
مختلفة فتتكون منها مناخد وكراسي ودواليب وأدراج . ثم تقص الستائر  
وأغطية الفراش من الورق المقوى الملون أو من قماش الموشين تزيينه  
وتثبته غرز واسعة من خيوط ملونة ، ويشكل الصاصال أو الشمع ليصور  
المصابيح والأوعية وأدوات الطعام وقطع الاثاث مرصعة بقشور البندق .  
وهكذا تنفسح ميادين عديدة للعمل المنتج اللذيذ لتأثيث وتزيين  
«بيت الدمية» . فإذا استمر الأطفال بضيفون اليه ما يستفيدونه كلما اتسع افقهم  
فقد يظل مشروع ، مثل هذا يخلب ألبابهم أعواما قادمة . ولكن كل ما تقدم  
عرضه من الطرق يجب بطبيعة الحال ألا يفرض على الأطفال أو يعطى  
«كدرور» .



اللعب التي تستخدم في الايهام : ومنها اللعب العادية التي يحظى بها معظم

الأطفال ، كالدمى والقاعات بمحطاتها وسيما فورانها ، والسيارات والطائرات  
وهكذا . وليس من الضروري أن نشترى للطفل لعباً غالية الثمن في كل سن .  
وصحيح ان الطفل في عامه السادس يود لو يحصل على نموذج من الصفيح  
الملون مثلاً قريب الشبه جداً من الحقيقة ، وليكن أخاه الاصغر بسنتين يشفق  
نفس اللذة من قاطرة خشبية ركيكة الصنع قد يقوم الوالد بصنعها بدون  
كبير اهتمام ، تماماً كما تقوم الام بصنع العروسة من القماش . أما الطفل في  
سن الثالثة فيسره جداً أن يحصل على سفينة نوح وعلى ظهرها عدد من ضروب  
الحيوان . واللعب الخشبية بوجه عام أحسن من الصفيح لأن الاولى تعيش  
أكثر ويمكن أن تكون خالية من الحروف والاسنان .

وهذا القسم أيضاً يحوى المقاعد والمناضد التي يعمل منها الاطفال قطراً  
أو انفاقاً ومنازل وحوائن وما أشبه ، فهي جزء من « لعب الايهام » ، كما  
يحوى أشياء كثيرة مما يستغنى عنه الكبار فيسارع الصغار الى اقتنائه كالشرائط  
والازرار والوسائد الممزقة والحشيات والخرق التي تستخدم في تمثيل « المنزل »  
وأجزاء الساعة ، وغير ذلك .

اللعب التي تستخدم لزيادة المعرفة : ومنها الأجهزة ذات الاشكال

والأحجام المنتظمة ، ويقصد بها توسيع أفق الطفل . ويدخل ضمنها مجموعة  
المكعبات المتدرجة التي توصى بها الدكتور موريس لعمى البرج ، وتتكون  
من عشر مكعبات ، ثم المجموعات الاسطوانية المتدرجة في الارتفاع والقطر ،  
ولوحة الاشكال وبها ثقوب على قدر الاجسام المربعة والمستطيلة والاسطوانية  
والمخروطية . وهكذا يضع الطفل كل جسم في الفتحة المخصصة له . ثم  
« البرواز الحسائي » وبه أسلاك أفقية تتدرج فيما تحمل من خرز من واحدة  
الى عشرة بحيث يمكن أن يضيف الطفل أى عدد منها أو يقطعها حسب الحاجة .  
ويمثل هذا الجهاز الاخير مجموعة القضبان الخشبية المتدرجة الطول من واحد الى



عشرة سنتيمترات أو بوصات ، ثم المقاييس أو الموازين على اختلاف أنواعها ولكن في أحجام صغيرة . ولعل «أجهزة مونتسوري» و«هايا فروبل» تزود القارىء بمعلومات وافية في هذا السبيل .

وأخيرا وقبل أن نترك موضوع اللعب يهمننا أن نؤكد للقارىء أنه كلما راعينا الاقتصاد في النفقات واعتمدنا على «النجار» المجاور لتكليف ما يناسب طفلنا بالذات.. كلما تركنا اللعب حراً من تقييداتنا وتدخلنا حتى ولو استخدم الأطفال اللعبة في غرض مخالف لما وضعت من أجله ، كلما اقتربنا من توفير القيمة الكاملة للعب.. هذه القيمة التي قد لا يكون أقلها إشباع نشاط الطفل «للتجريب» الذي لو تركناه يمتد إلى ما في منازلنا لعد «تخريباً» يصاب فيه الطفل بأشد العقوبات وينغص علينا كثيراً من وقت الراحة .

اللعب في الطفولة المتأخرة والمراهقة : لدينا من أنواع النشاط اللعبي بعد السادسة ثلاثة : الجمع والاقتناء ، والألعاب الفردية والجمعية ، والمسليات الجمع والاقتناء : ما يجمعه الطفل في سنى الطفولة الأولى هو في العادة تافه عديم القيمة . وسرعان ما ينسى الطفل ما قد وضعه في جيبه أو في ركن في غرفة لعبه . ولكن بعد السادسة يصبح الجمع ميلاً قوياً . والبنات هنا أكثر اهتماماً بالاقتناء من الصبيان . ويصل هذا الميل إلى ذروته في السنة العاشرة للذكور والحادية عشرة للبنات ، مع فروق فردية تعتمد على الذكاء فالطفل الذكي ينتهي من هذه المرحلة قبل زميله الأقل ذكاء . وتحفظ المجموعات في أماكن أمينة كالحصالات أو الأدراج أو السلال .

ويبدأ الصبي هذه المرحلة باقتناء ما يقع تحت يديه ويشير اهتمامه . وبالتدريج تتحدد نظراته ويقل ما يجمعه . فبعد أن يبدأ الولد بجمع البلى والمجلات القديمة والعلب الصغيرة والأزرار في سن السابعة ، ثم الطوابع والمجلات المضحكة المصورة والأحزمة من الجلد أو المطاط في الثامنة نجده في الرابعة عشرة يتحدد اختياره للطوابع النفيسة والعملية الوطنية والاجنبية وعينات من



العمل المدرسي المتقدم و برامج دور الخيالة والمسارح والخطابات التي يتسلها  
والصور والتذكارات .

ثم تأتي مرحلة المراهقة فتحمل معها رغبة واضحة في جمع اشياء شخصية  
تحقق ميوله هو ، وكثيرا ما تجد الفتى في السادسة عشرة والثامنة عشرة يحمل  
ألبومات تحوى صوراً لأبطال وبطلات السينما الذين يعجب بهم خصوصاً  
لو كان يزينها امضاءاتهم أو كلمات اهداء ، كما ترى ابناء الالعب الرياضية  
وصور أبطال الرياضة العالميين ، ثم مجموعات من الحشرات والحفريات  
كالفراش واورق الاشجار والريش والاصداف ، والصور في حجم الكارت  
بوستال ، تحمل مناظر مأخوذة في بلاد اجنبية .

الالعب الفردية واجتمعية : حوالى سن الخامسة يتجمع الاطفال في  
مجموعات صغيرة غير متناصفة ليلعبوا للعباً بسيطة ينظمها احد الكبار أو  
أحد زعمائهم . وهى لا تحمل من القوانين والشروط الكثير ، ومعظمها تعمل  
في حلقات ، كالمقط والفار ، ودابحث عن المنديل ، و « ياعم يا جمال » وهكذا  
فاذا بدأت مرحلة المدارس الابتدائية تدخل عنصر المنافسة وتجمع في  
اللمب عدداً كبيراً ، بينما يتراجع اللعب الفردى الى الظل . ويعتمد اللعب هنا  
على المهارة وانتفوق العضلى والاذنان . وهنا زى الصبيان يتبارون في القفز  
الطويل والعالى ، وإلقاء الاحجار ، ويلعبون البلى ويطيرون الطائرات .  
ويلاقى الولد في أول الامر صعوبة في الامتزاج في اللعب الجمعى فهو لا  
يزال فرداً لا يخضع بسرعة للقواعد ، ولكنه سرعان ما يشترك في سباق  
« التتابع » فيدور حول الحلقة ولا يخترقها من الوسط ليختصر المسافة .

فاذا جاءت مرحلة البلوغ اعزل الغلام ميدان اللعب قليلاً ثم عاد ليلعب  
العباً منظمة جدية تخضع للكثير من القوانين من حيث الملابس المعينة لكل  
لعبة ، والمكان كالنادى أو الملعب المنتظم ، ثم قراعد اللعبة . وهنا نجد الفتى  
يندمج في ألعاب كثيرة ككرة السلة والبیس بول والفولى وكرة القدم والتنس



والسكرة الطائرة وتنس الطاولة ، وألعاب القوى كرمى القرص والجلة والرمح والقفز بالزانة والمتوازيين والعقلة والمصان .

وكلما قارب الفتى نهاية المراهقة قل الزمن الذى يستطيع أن يصرفه فى اللعب اما لمطالب العمل والحصول على القوت أو لضغط الدراسة فى الكلية فيتخير الشاب لعبتين أو ثلاثا مما يتفرق فيه ويركز اهتمامه فيها كلما انفسح له المجال ، ويصحب الابتعاد عن الالعب الجسمية زيادة الاهتمام بالالعب الذهنية كالشطرنج وحل الالغاز والالعب السحرية والمسابقات البوليسية والحسابية واللغوية .

المسليات . ونعنى بها نوع اللعب الذى يتخذ فيه الفرد موقفاً سلبياً ، فهو متفرج يتسلى بما يعرضه الآخرون . وهذا النوع يعتمد على القراءة والمذباح والافلام السينمائية .

١- القراءة : منذ السنة الاولى يسر الطفل كثيراً لسماع الغناء والاناشيد البسيطة ، وخاصة أثناء أرجحته فى فراشه قبل النوم ، ولدى أمهاتنا الكثير من هذه الالغاز يج الشائعة يتناقلها الصغار عن الكبار ، وحوالى سن الثانية يتسلى الطفل بالنظر الى الكتب المصورة التى تضم صوراً كبيرة ملونة تلويناً برافاً لاشخاص وحيوانات وأثاث منزلى مألوف . فاذا صحب النظر للصورة قصة بسيطة قصيرة عنها يخترعها الكبير من وحي الساعة كان سرور الطفل كبيراً .

والكثير من قصص الطفولة حتى سن السادسة لطيف جداً يتبعه الطفل بشغف وشوق . وبما أن معظم اهتمام الطفل هنا ينصب على الطعام واللعب فهو يسر كثيراً لقصص « الشاطر حسن » الذى يذهب الى بلاد غريبة ييوتها مصنوعة من البسكويت وموائدها من الحلوى الشبيهة ، ثم تعطيه « الغولة » بيضة من الذهب وهكذا . ثم ان الطفل ليكونه حتى هذه المرحلة لا يفرق بين الحيوان والانسان والاجسام فى الحياة والحساسية فان القصص التى تدور حول الذئب الذى يتحدث والمرأة التى تنجب عن الاسئلة ، والنهر الذى ينصح



البطل نصيحة مثمرة يتغلب بها على ما يعترضه من أخطار ، كل هذه مصدر  
جميل للذة . والحق أن عنصر المخاطرة هنا هو سيد الميدان ، فالطفل يقرأ  
ويسمع .. ويثبت عينيه في نظرة حاملة ليتصور نفسه يقوم بأدوار البطولة في  
عالم براق .

فاذا كبر الطفل قليلا ، ما بين السادسة والسابعة ، قرأ كتباً وقصصاً عن  
الطبيعة .. كالرياح والطيور والاشجار والزهور . وهنا رغبة بادئة في قراءة القصص  
الخيالية ، ولسكنها هنا يجب أن تكون قصيرة ، بسيطة ، ومعظمها قائم على  
الحوار محلي بالصور .

أما القصص الخيالية المصقولة فتأتي في المرحلة التالية حيث النزعة  
للمخاطرة مهيمنة على صبي الثامنة ، فهو اذ تحمله القصة الى بلاد نائية غريبة  
الاطوار والتقاليد يتوهم أنه يقوم بهذه المغامرات التي يمنعه عالم الحقيقة عن  
القيام بها فقصص ألف ليلة وليلة المبسطة وعلاء الدين والمصباح أو السكندر  
تذله كثيرا . ولسكن تدريجه الذهني في المدرسه سرعان ما يقيد هذه النزعة  
الخيالية فيترك الطفل هذه القصص حوالى التاسعة . وهنا تبرز قراءة قصص  
عن حياة الصياد وحركة الكشف والرحلات .

وتأتي السنة الحادية عشرة والثانية عشرة برغبة حادة في قراءة القصص  
البوليسية والشرار والاسرار ، ثم العلم والاختراعات وبعد هذا تبدأ فترة  
الاعتزال اذ تحل مرحلة البلوغ بتغيراتها الجسمية وثوراتها الانفعالية . فاذا  
خرج منها الغلام حلت فترة « الاعجاب بالبطل » فيقرأ الفتى كتباً عن أبطال  
التاريخ والاساطير القديمة اليونانية والرومانية ، يضاف اليها تواريخ حياة  
عظماء المستكشفين والسياسيين والعلماء والمخترعين ، بينما تهتم البنت بقراءة  
كتب تختص بالمنزل وقصص ديدنة .

وفي الرابعة عشرة تظهر المجالات كعنصر هام للقراءة ، وتبرز القصص  
العاطفية وأعمال البطولة والاختراع والاسفار . ويبدأ اهتمام الفتاة بالشعر



والقصص التمثيلية . وبالتدريج تنمو مادة القراءة نحو تلك التي تحتكر فراغ الكبار .

٢ — الأفلام السينمائية : يفضل الصبيان من السادسة الى التاسعة الأفلام

المضحكة والمتحركة كميكي ماوس والاميرة والاقزام السبعة، ويروقهم كثير أن يروا الاطفال والحيوانات يظهرون أمامهم على الشاشة. وبعد هذا يفضل صبيان العاشرة حتى الثانية عشرة أفلام المخاطر كـ كرعاة البقر و طرزان ويقل اهتمامهم بالسكوميديا .

أما عصر المراهقة فهو عصر الشوق والتلف للسينما دون منازع . فهو إذا توفرت في البيئة تصبح عاملا هاما يلون حياة الفتيان والفتيات . ونلاحظ أن عنصر النقد هنا للرواية والافلام الغرامية والمتطرفة في عواطفها . ويميل الفتيان والصراة وخاصة في الأفلام الغرامية والحربية أكثر من الاجتماعية والمسآى والروايات الثقافية .

ومن المؤكد أن تأثير الأفلام السينمائية على حياة الاطفال والمراهقين واضح جدا ، فهو في الاولين تأثير انفعالي يتمثل في الخوف من المواقف الحادة اثناء العرض ، الخوف الذي ينتهي بالكابوس والأحلام المفرعة والأرق في الليل . كما يبدو فيما يصيبهم من فزع لدى حدوث مواقف عادية في النهار لانستطيع أن نرى لها سببا واضحا لأن ارتباطها بالمواقف السينمائية بعيد عن تفكيرنا . وكثيرا ما يعاني الصبيان الاجهاد البصرى بعد تعب اليوم كله في المدرسة أو اللعب ثم مشاهدة عرض فلم في المساء .

أما المراهقون فتسأثير الاشرطة السينمائية والتمثيلات أوضح بكثير ، ويتمثل في الخطابات التي يرسلها الفتى للنجمة التي يعجب بها ، ورغبة الفتاة في اتخاذ التمثيل طريقا للجد والشهرة . كما انا نرى المراهق يملا جدران حجرته بصور أبطال وبطلات الأفلام ، كما يشتري الكثير من المجلات التي تعرض



الافلام الاسبوعية المقبلة . وهو في حياته يقلد الملابس وطريقة تمشيط الشعر والمشية وتلويح الذراعين ونبرة الصوت واللوازم الكلامية التي يراها في النجوم السينمائيين .

٣ - المذيع : هو مصدر حديث للتسلية ولكنه قد أضحي يحتل بينها مركزا ممتازا في السنوات الاخيرة . ولقد طغى الآن على الالعب التي تقام للتسلية في داخل المنزل كاللغاز وأوراق اللعب ، السكوتشي ، وغيرها . وهو يلعب دورا خاصا بالنسبة للمراهقين فهم يدعونه مفتوحا طيلة وجودهم بالمنزل ، بل هم يصرون على هذا حتى اثناء الاستذكار ، بدعوى انه يساعدهم على العمل . وقد وجدنا نبرج في تجربته على ٤٠٠٠ آلاف طفل في نيويورك أن البرامج المفضلة هي التمثيليات ، والموسيقى ( العامة ) وقصص المغامرات والاسرار ، والاغاني ، والنكات . وقد اتضح أن نسبة قليلة لدرجة تدعو للعجب فضلت الجاز والموسيقى الراقصة ، والابرا والالعب الرياضية ، والقصص الغرامية والبوليسية .

وأخيرا هناك الحيوانات المنزلية المدللة كالسكلاب والقطط . والواقع أن الاطفال جميعا يحبون أن يلعبوا بمثل هذه الحيوانات . ولكن يلاحظان هناك لحظات يبدو فيها الميل لتدليل الدواجن أو الطيور أو الحيوانات المنزلية على أشده ، وهذه الاوقات هي تلك التي تتميز بتوتر انفعالي كالطفل وهو في الثالثة أو الرابعة حين يخرج من مرحلة اللعب المعتزل الفردي ويبحث عن أصدقاء ، فادام يتوفر له ما يريد فكثيرا ما يجد في السكلب الاليف بديلا . ويتكرر هذا في مرحلة البلوغ حيث الغلام سريع الحساسية جدا يشعر أن الجميع لا يفهمونه ويتجمعون ضده ، هنا أيضا يجد في السكلب نوعا من الوفاء والاخلاص مما يجذبه اليه كثيرا ويحدث أحيانا أن يتحول الدافع الجنسي اذا لم يجد في البيئة اشياء مشروعا الى نوع من الحنين الشديد لمثل هذه الحيوانات أو الدواجن . ويشاهد هذا كثيرا عند الانسات اللاتي ظلن عانسات وقد تقدم



بين العمر ، أو السيدات اللاتي لم يوفقن في حياتهن الزوجية .  
وبعد فنوع اللعب ومداه يتأثران بعوامل متعددة لعل على رأسها الصحة  
فالطفل الصحيح الجسم يخزن حيوية دافقة تزيد عما ينفقه في مطالبه الأساسية  
للحياة ولذا ينفصح أمامه ميدان اللعب . ويبدو هذا في احجام المراهق اثناء  
فترة الاعتزال عن اللعب العنيف الذي كان يمارسه في مرحلة العصابات ،  
واكتفائه بالقراءة ، فهو سريع للاجهاد .

وهناك أيضا عامل الذكاء ، فالاطفال الذين أوتوا حظا أكبر من الذكاء  
هم أكثر نشاطا ، كما أن ألعابهم يبدو فيها التنوع والبدائية . وانا لنجد الطفل  
الذكي يخرج مبكرا حول السنة الثانية من مرحلة اللعب الحسي الجسماني الى الالهامي  
والتقايدي وذلك لتوفر عنصر الخيال والنصور وادراك العلاقات .

ولكن بازدياد العمر العقلي بعد هذه السن يقل تنوع النشاط اللعي ،  
وعلى الاخص ذاك الذي يتجه ناحية اجتماعية ، ويميل الطفل الذكي جدا الى  
اللعب وحده ، وهو يجد في القراءة ما يرضى ميله الى حد كبير ، مفضلا في  
مرحلة متأخرة الاطلاع على القواميس والاطالس والانسيكلويديا وكتب  
التاريخ والعلوم والشعر . وعلى العموم فهو قليل الاهتمام بالمباريات ويفضل  
عليها الالعاب الذهنية كالعاب الورق ، والشطرنج ، والألغاز ، وهو يسر  
للدعابة والنكات بفضل سرعته لادراك العلاقات . كما انه اذا اختار رفاقا في  
اللعب فهم في الغالب أكبر منه سنا .

فاذا انتقلنا بعد هذا الى عامل الجنس وجدنا انه ليست هناك تفرقة واضحة  
بين الالعاب في أول الأمر ، ولكن منذ الثامنة تتحدد العاب الاولاد وتنحو  
البنات ناحية مخالفة . وعلى العموم فالعاب الاولاد أكثر عنفاً وأقل  
خيالا .

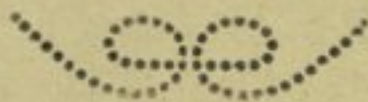
والبيئة هي الأخرى عامل هام ، ففي الاوساط الفقيرة نجد فرصة الاطفال  
للخروج من منازلهم الضيقة والتجمع مع زملائهم فرصة كبيرة ، ولكن يقابل



هذا ضعف صحة الصغار وقلة الامكنة الصالحة للعب الجمعي فضلا عن كونها قاحلة لا تمنح الكثير من الادوات المناسبة .

والواقع أن النقطة الاخيرة .. مادة اللعب .. لها خطرها هي الاخرى ، فالطفل يلعب بما يعرض له . وهكذا اذا سادت الالعب البنائية كالرمل والمسكبات والصلصال ساد النوع الانشائي ، بينما الدمى والجنود والقطارات تعزز الناحية الخيالية . ويرى بعض المربين أن قلة الاجهزة تمهد للعب الصغار بالرمل والطين وازدياد الالعب الجسمانية والاتصال الاجتماعي ، كما أن الطفل يكون أدعى للتصرف ليعوض نقص هذه الادوات . أما اذا تعددت اللعب قل الاتصال الاجتماعي ، ولكن يقابل هذا قرب السلوك من الخلق الحميد وازدياد الادراك والمعرفة .

وأخيرا فهناك وقت الفراغ ، وهو يحدد بطبيعة الحال مدى الاستغراق في اللعب ونوعه ، فالطفل المتعب من العمل المدرسي أو اليدوي يقبل على اللعب أكثر هدوء ، وواضح أن نسبة الفراغ تعتمد الى حد كبير على المستوى الاقتصادي للعائلة .





## الفصل السابع

### النمو اللغوي

نعني هنا الكلام لا اللغة بمعناها العام ، فاللغة هي أية وسيلة من وسائل الاتصال يرمز فيها للفكرة أو الاحساس فينتقل المعنى للطرف الآخر . وقد تكون هذه الوسيلة كتابية أو كلامية أو تنطبع على الوجه في تعبيراته أو تبدو في حركات الايدي أو الوسائل الفنية في الرسوم أو التماثيل . ومن هنا نجد الكلام أحد أركان اللغة لا مرادفا لها ، وهو وسيلة حبا لله بها الانسان دون غيره من المخلوقات .

وليس كل ما يصدره الانسان من أصوات يعتبر كلاما . وهذه نقطة هامة في حالة الطفل اذ نحاول أن نحدد متى يبدأ الكلام . فليكن « يتكلم » الطفل عليه أولا أن ينطق اللفظ بحيث يفهمه لا أولئك المتصلين به باستمرار وانا يدركون ما يريد لاقلة اشارة فحسب ، بل والغرباء أيضا .. وثانيا أن يفهم هو معنى الكلمات التي ينطق بها ويربطها بما يمثلها من الاجسام اذا كان يتحدث عن أحدها . فلفظ « دادا » يجب ألا يستعمل الا ليعني به الطفل شخصا معينا - اذا كان يقصد حقا - لا كل شخص تقع عليه عيناه - ولفظ « كو » يجب أن يقتصر على الكرة لا أي لعبة بوجه عام . واذن فالكثير من عبث الأطفال يحقق الشرط الثاني من مميزات الكلام حيث انه يعني شيئا معينا من وجهة نظر الطفل ، ولكنه لا يحقق الشرط الاول فهو لا يعنى بالنسبة لنا شيئا .

وبلاحظ أن الطفل يتعلم الكلام تبعا لمطالبه وحاجاته ، فاذا كان يحصل على ما يريد دون أن يتعب نفسه بالسؤال أو الطلب فكيف ينتظر



عنه أن يبذل مجهودا لتعلم عملية معقدة كالإكلام هي نتيجة توافق للشفاه واللسان وعضلات الحنجرة يضاف إليها سفوف الحلق والرتتين ؟ إذا كان يكفي أن يصرخ أو يلوح بذراعيه لينال ما يريد فسيضعف الدافع لتعلم الإكلام . ويشاهد هذا بشكل واضح في بيوتنا الناعمة التي تنصب نفسها لخدمة الطفل وتجنبيه أداء أبسط الاعمال ، فالطفل هنا متأخر لغويا .

وسنرى أثناء عرضنا للمحصول اللغوي الذي يكونه الطفل ان الكلمات التي تتصل بحاجاته أو ثقت اتصال هي التي تظهر أولا ، أو قد يحل محلها ما يراه الطفل مؤديا للمعنى كالأشارات أو الصرخات في مرحلة مبكرة

وعلى العموم فطالب الطفل الرئيسية التي تدفعه للإكلام أربعة : الرغبة في اكتساب معلومات عن البيئة وبعد هذا عن نفسه وأصدقائه مما يضيف إلى استقرار الطفل وثقته بنفسه ، وتبدو بشكل واضح من سن سنتين ونصف إلى ثلاث سنوات .. والتعبير عن الحاجات موضوعا في بعض الأحوال في ثوب أوامر ، مثل « روح باي باي » أي أريد أن أخرج ، أو « بيبي كو » أي اعطني المكبرة ، وهكذا .. ثم محاولة توثيق الروابط الاجتماعية بينه وبين المحيطين به .. وأخيرا التعبير عن آرائه وأفكاره .

طرق الدراسة : إذا تركنا جانبا طريقة « تواريخ الحياة » التي تعرض في غير دقة للكلمات الأولى التي يلفظها الأطفال ، وحجم الحصول اللغوي ، ومدى تردد الأسماء والأفعال والأدوات وهكذا ، فانا لنجد السبيل العلى قد انفسح أخيرا متخذاً مجموعات كبيرة من الأطفال أساسا للبحث من أعمار مختلفة ومستويات عقلية معروفة ، وفي ظروف بيئية ثابتة يمكن التحكم فيها واتخذت الدراسة فروعاً ثلاث : الملاحظة أما على أطفال منفردين مستمرة على مدى طويل أو في فترات متعاقبة ، أو على أعداد كبيرة من الأطفال ومن



أدق الأبحاث في هذا الشأن تجربة ماك كيرني (١) - وسنعرض لها بدقة على ١٤٠ طفلاً ما بين ١٨ و ٥٣ شهراً من مستويات مهنية مختلفة وبمستوى ذكاء ١٠٩ للكل .. وفيها جمعت ٥٠ استجابة لفظية لكل طفل تماماً كما سمعتها أن تلاحظه ودون أى محاولة لانتزاع الكلام . كما استخدمت لعب للتشويق ووضع الطفل في حالة راحة مثل سيارة صغيرة حمراء ، وقطيع يحدث صوتاً إذا ضغط عليه ، وتليفون بجرس ، وفأر صغير من الصفيح ، وصندوق موسيقى ، وكرة ، وكتابين مصورين . كما سجل الزمن الذي استغرقه كل طفل لنحصل منه على الاستجابات الخمسين .

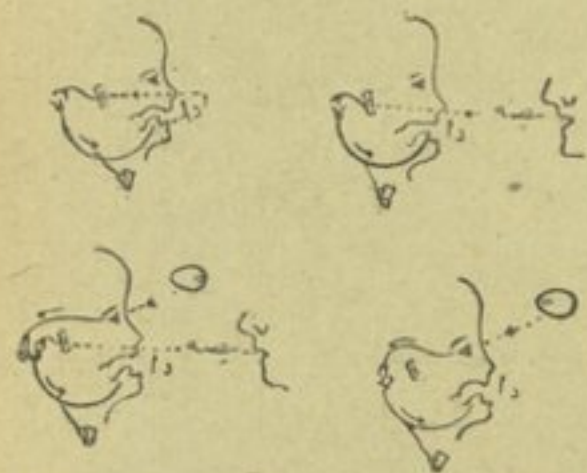
والفرع الثاني واضح في اختبارات الذكاء حيث تحوى في معظم الأحوال مقاييس لحجم ونوع المحصول اللغوى في سن معين ، ومدى الفهم . أما الفرع الأخير ويعتمد على التجارب فهو الأنسب لا يزال مقصوراً على الأطفال الأكبر سناً .

وبعد فليذكر القراء أن دراسة النمو اللغوى بدقة أمر يكاد يكون مستحيلاً لسببين أساسيين .. الأول أن من الصعب جداً تسجيل كل استجابة لفظية تحريراً خصوصاً في مرحلة المناغاة والأصوات الاندفاعية التى سبق ذكرها ص ٨٢ فمن الأصوات ما لا يمكن كتابته ، والثانى يتمثل في صعوبة دفع الطفل للكلام بهدوء في حضرة المختبر . وهنا يضطر الأخير الى الاعتماد على الوالدين أو غيرهم وهكذا يتدخل عنصر التحيز وعدم الدقة . ولنا أن نتساءل ما اذا كان الوالدين في تسجيلهما لحجم المحصول اللغوى لطفلهما يلاحظان المبدئين الذين بدأنا بهما هذا الفصل واعتبرناهما أساساً للكلام ، ألا وهما النطق بطريقة يفهما الغرباء ، ثم فهم الطفل لمعنى ما يقول ؟ .

(١) Mc Carthy, D. A. Lang. Develpm. of the preschool child. Minneapolis: Univ. Minn. Press, 1930



أسلوب الكلام : يتبع الكلام طريقا واضحا يسلكه كل طفل ونعني به الاستجابة الشرطية ، فاذا أعطيت شيئا للطفل ثم ذكرت اسمه فانه يتعلم أن تلك المجموعة المعينة من الاصوات تقوم مقام الشيء المعروض ، وكلما زاد عدد المرات التي يرى فيها الطفل ذلك الشيء مشفوعا باسمه كان هذا مرجع لخروجه من مرحلة البقاء ، حيث يقلد الطفل مجرد تقليد ما يسمع ولزيادة الايضاح نقسم مراحل تعلم الكلام الى أربعة كما يبدو في الرسم



المصاحب . فالمرحلة الاولى هي مرحلة اخراج أصوات ومقاطع عشوائية تنتهي صدقة بالمقطع 'دا' . يسمع الطفل نفسه وهو يلفظه وهنا ينتقل المؤثر الصوتي الى المخ ثم يعود خلال

الاعصاب الى المجموعة العضلية المستخدمة في لفظ هذا المقطع فيتكرر مرارا وبذا تتكون عادة سمعية صوتية للفظ 'دا' . وتبدأ المرحلة الثانية عندما يلفظ أحد الكبار لفظ 'بيضة' ، مثلا وهو قريب جدا من اللفظ الذي كان يردده الطفل . وهذا يسبب استثارة للسمع مرة أخرى لاجراج المقطع 'دا' . وفي المرحلة الثالثة يتكرر لفظ 'بيضة' ، من الشخص البالغ ، وفي نفس الوقت تقع عينا الطفل على الجسم الابيض الذي يمثله فيكون ترابط بصرى بينه وبين الاعصاب الحركية المستخدمة في نطق المقطع . وهكذا يحدث رد فعل شرطى بين مرأى البيضة ولفظ 'دا' . واذن فرأها بعد هذا وحدها كاف دون حاجة لوجود البالغ لاستثارة النطق باللفظ الذي هو أقرب ما يستطيعه الطفل ، كما يرى في المرحلة الرابعة .

ومن هنا نستطيع أن ندرك أهمية صلاحية المثل الذي يحتذيه الطفل في



الكلام ، كأخطاء النطق والتهته واللغة التي قد توجد في السكبار . كما أن من الخطأ أن يعتمد الوالدان استخدام لغة الصغار في كلامهم مع الطفل مثل « تشو تشو » للقطار و « تيك توك » للساعة و « دن دن » للجرس وهكذا . ينبغي أن يكون المؤثر الذي سيستثير المقطع المقارب عند الطفل هو أصح .

هذا وقد سبق أن أشرنا إلى عامل النضوج والمران في تجربة سترار على مرأيتين متشابهتين وأكدنا أهمية توافر العاملين للوصول إلى أسلم النتائج فالتدريب الصحيح في سن مبكر قبل أن ينضج الجهاز الصوتي مضيعة للوقت ومبرز للفشل واليأس أمام الطفل .

وهناك علاقة عكسية طريفة بين النمو اللغوي والحركي ، وقد سبق أن تناولنا الأخير في فصل سابق ، فالنمو اللغوي تتخلله قفزات سريعة ثم ركود غريب ، وهو ما نسميه « الهضاب » . وقد أثبتت دراسة هذه الهضاب أنها تتمشى إلى حد بعيد مع أزمنة تعلم الحركات كالجلوس وحيدا أو المشي . وكما يحدث في حالة الشخص الكبير الذي يتعلم ركوب الدراجة أو سوق السيارة لأول مرة إذ ينحصر كل اهتمامه في حركات اليدين والقدمين وتعرجات الطريق بحيث لا يستطيع أن يوجهه ولو لحظة واحدة للكلام مع شخص آخر إلى جانبه . إلا أفلت منه الزمام ، هكذا نرى الطفل يبطل جدا نموه اللغوي بين الشهر التاسع والثامن عشر فهنا تتسكك معظم الحركات العضلية لتعلم الجلوس والمشي دون مساعدة . ومن الواضح أن دافع الطفل لتعلم المشي أقوى من دوافع الكلام ، فهو يخرج من تلك المرحلة البغيضة .. مرحلة الضعف والاعتماد على الآخرين ، ويزيد ثقته في نفسه زيادة لا حد لها . وبمجرد أن يصبح المشي عادة لا تحتاج إلى تركيز الاهتمام كثيرا تبرز مرحلة النمو اللغوي السريع .

وقد استطاعت شيرلي في بحث دقيق أن تتبع هذه الهضاب ، فوجدت أن الطفل بين الأسبوع الخامس والثالث عشر يصدر أصواتا أكثر كثيرا



من المرحلة ما بين الاسبوع الرابع عشر والثالث والعشرين . وهنا يتدرب الطفل كما رأينا في فصل سابق على تقريب ذراعه ويده من الاجسام والامساك بها ووضع الابهام مقابل الاصابع الاربعة الأخرى . وتزايد الاصوات بعد هذا حتى الاسبوع الثلاثين ، ثم تقل في الاسبوع الواحد والثلاثين حيث يبدأ الطفل في الجلوس وحده ، ويستمر الانخفاض الى الاسبوع الرابع والثلاثين وهي الاعمار المتوسطة للزحف والحبو .

مقدمات الكلام : هناك مراحل ثلاث للاتصال اللفظي تسبق الكلام

عند الطفل وسنعرض لها في اقتضاب :

١ - الصرخات : وهي تتحدد وتختلف نبرة وطولا ابتداء من الاسبوع الثالث فيستطيع المحيطون بالطفل أن يميزوا صرخة الألم خصوصا عقب الاضطرابات الهضمية وهي صرخة عالية حادة ترتفع في النبرة يتخللها بعض الانين .

وهناك صرخة القلق من المؤثرات الحسية الشديدة كالاصوات العالية والاضواء البراقة والحرارة أو البرودة والاضاع غير المريحة ، كما يحدث اثناء خلع الملابس . أما التعب فيصحب الصراخ اثناء الارتخاء والتأوب وفرك العينين . وهناك غير هذا وذاك صرخات الجوع وهي طويلة ومتساوية في شدة النبرة يتخللها حركات المص ، وصرخة الخوف وتبدو منذ الشهر الخامس - وتتجه نحو الغرباء أو من غرفة جديدة - اذ يصحبها الالتصاق بالام وادارة الوجه بعيدا . وأخيرا صرخات الغضب لمنع وتقييد حركة الطفل تبعا لثقل الاغطية أو الملابس أو ابتعاد الأم أو المربية أو من يحيط بالطفل ويؤنس - ويحدث هذا منذ الشهر الثالث أو الرابع - أو نتيجة لفقدان اللعبة ، ويبدو هذا ابتداء من الشهر الخامس .

وسرعان ما يدرك الطفل قوة الأثر الذي تحدثه صرخاته فيمن حوله . فيتعلم أن يستخدمها كوسيلة للوصول الى غرضه من جذب الانتباه أو الوصول



الى احساسات سارة . ويمكنك أن تميز بسرعة ما اذا كان الطفل الكثير الصراخ هو من هذا النوع ، المدلع ، اذا انتهى الصراخ بمجرد الاقتراب منه ، بعكس صرخات الألم أو الجوع أو القلق حيث تستمر الى أن ينتهى المؤثر .

ب - المناغاة : وهى أصوات عشوائية يظهر منها عدد كبير منذ الشهر الاول ، وتنتج من مرور الهواء على الاحبال الصوتية اثناء انقباضها أو بين الشفتين وهما مضمومتان بخفة فتذبذبان ، مع حركات عشوائية من اللسان . وقد استطاعت بلاتون أن تسجل الاصوات التى ينتجها الطفل فى الشهر الاول ، ووجدت أن الحروف الساكنة الشائعة هى حرف م ( ما ) ، ن ( كما ) فى قول الطفل ( نكا ) ج ، هـ ( جاه ) ثم حرف ر فى صوتين ( راه ، بررر ) بينما الحروف المتحركة الشائعة أولا هى و ( واه ) ي ( ياه ) ، ( أو ) فى صوتين ow ثم oo ، والصوت آمضخا ومخففا ، إي . وهناك غير هذا عدد كبير من الاصوات مما يصدر عن الحيوانات كالماعز والقطط .

وهذه الاصوات المبكرة تحدث صدقة وبحركات عرضية للجهاز الصوتى وهى موجودة فى أى طفل من أى جنس ، بل هى موجودة حتى عند الطفل الاصم فالطفل لا يتعلها .

وبالتدريج تزداد هذه الاصوات حتى تتضمن معظم الحروف اللازمة للكلام فلا يصل الطفل الى الشهر الرابع حتى يكون قد تعلم كيف يضبط مسير الهواء على الاحبال الصوتية ولذا ينتج من الاصوات ما يشاء . وفى نهاية الشهر السادس يستطيع الطفل عن طريق هذا التدريب أن يربط حروفا ساكنة معينة بأخرى متحركة لينتج مقاطع مثل ما - ما ، دا - دا ، نا - نا - باه - باه ، وهذا هو ما نسميه بالضبط المناغاة وهى مرحلة مصقولة متأخرة عن الاصوات العشوائية .

وتتد هذه المناغاة بين الشهر الثالث والنصف الاخير من السنة الاولى فتصل الى ذروتها فى الثامن . ونلاحظ أن الطفل يشق لذة كبيرة من سماع



صوته . ويبدو هذا من أن الطفل يناغي وهو وحيد أكثر جدا مما لو كنا  
إلى جانبه نسليه . وبالمثل نجد الطفل الأصم يقلع سريعا عن المناغاة لأنه  
لا يسمع صوته فلا يشتق اللذة .

وقد لاحظت شيرلى أن أكثر المقاطع الشائعة في المناغاة عند طفل الشهر  
الخامس هي « أجـل أجـل » ، « ارده ارده » ، « أو دل أو دل » ، ثم « بب بب » ،  
وفي غمرة الصرخات الثاقبة التي عرضنا لها في القسم الأول والتي تسارع  
جميعا لارضائها ننسى كثيرا المناغاة أو الأصوات الاندفاعية التي نحن بصدد  
الآن لحفوت نبرتها . ويمكن إذا كان الطفل يتعلم بمرور الأيام أن يتخلى  
عن هذه الصرخات ليعبر عن الجوع أو الخوف أو الغضب تعبيراً أكثر سلاماً  
أو حركياً فإن هذه الأصوات الاندفاعية هي التي تثبت وتتعدل كما بينا  
بالرسم . واذن فهذه الأصوات التي تبدو وكأنها لا تحمل أى معنى ولا يحركها  
أى قصد .. هذه الأصوات التي تحدث صدفة كلما مر الهواء على العضلات  
الصوتية المتقبضة فيخرج بذبذبات وأصوات متعددة .. هذه الأصوات التي  
تعتبر جزءاً من نشاط الطفل اللعي حيث تتركز لذة الطفل في الجسد ..  
سوف تنمو وتقوى خلال النصف الثانى من السنة الأولى فتكون لديه صوراً  
سمعية تقارب ما يسمعه من الكبار فيرددها ليعنى بها شيئاً يريد أن  
يتحدث عنه .

لعلنا نحسن صنعاً اذن لو تركنا الطفل في فراشه وحيداً « يناغى » بعض  
الوقت ، فهذه المناغاة تقل جداً ما دمنا إلى جانبه . وبدلاً من أن تسارع  
إلى الطفل كلما استيقظ. فنحتضنه ونقبله وندور به في البيت ونحن نعمل الف  
حركة وحركة لنجذب اهتمامه علينا أن نذكر أن الطفل ليس دمية تدلى  
بها أو نشق من ضمها إلى أجسادنا أذى ، وإنما هو مخلوق حى يمر في نمط معين  
من النمو ونحن مسئولون عن تحقيقه . فلنحمل بعض الحرمان في سبيل تهيئة  
المران الكافى له على المناغاة فهى أساس الكلام .



## ج - الحركات والاشارات : الطفل منذ أول عهده بالحياة يبدى بعض

الحركات ذات المعزى ، فهو يدفع بحلمة الثدي من فمه ليدل على انه شبع ، ويدبر رأسه بعيدا عنها ، أو يترك اللبن يسيل على جوانب فمه . ثم هو يبتسم ويمد ذراعيه في مرحلة متأخرة كأنما ليقول لك : احمانى . . وغير هذا عشرات الحركات التى تتخلل ارتداء الملابس أو الحمام والتى تدل على انه لا يريد أن تتدخل ونقيده حركاته . وبينما يستخدم الواحد منا الحركات والاشارات لتعزيز كلامه نجد الطفل الصغير يستخدمها كبديل تام للكلام .

ويضع جيزل وييلى هذه المعايير للمرحلة التى تسبق الكلام :

شهر واحد : يصدر صرخات متغايرة فى النبرة يفهم منها معنى القلق ، أو الالم أو الجوع .

شهران : يصدر اصوات متعددة متمايزة

٤ أشهر : يلعب الطفل بالاصوات ( يناغى )

٥ أشهر : يبدى من الاصوات ما يدل على المضايقة لدى ابعاد ما يريده .

٦ أشهر : يبدى اصوات تدل على التلهف .. والسرور .. كما تبدأ المقاطع

تحدد وتتضح .

٨ أشهر : مقاطع عديدة ، اصوات الرضى والقناعة ، وأخرى تدل على

تعرفه لمن يتصلون به اتصالا وثيقا .

٩ أشهر : يقول « دادا » أو ما يشابهها .

والان وقد انتهى الطفل من هذه المراحل الثلاث فقد بدأ يستعد لدخول مرحلة الكلام الفعلى ، وهذه تحتاج الى فهم وادراك للكلام الآخرين .. وبناء محصول لغوى .. وربط الكلمات لتكوين جمل مفهومة .. وأخيرا النطق

١- الفهم : هو أسهل المراحل . وانا لنجد الشخص منا وهو يتعلم لغة

جديدة يستطيع أن يدرك ويفهم ما يقال أو ما يقرأ فى كتاب أو رسالة ،



يمكن يصعب عليه أن يتحدث بهذه اللغة أو يكتب هو خطابا .  
والطفل لا يعتمد في فهمه لما نقوله له على تأويل معنى الكلمات فحسب بل هو يعزز هذا بملاحظة تعبيرات وجوهنا وحركات أيدينا وارتفاع أو انخفاض نبرة الصوت . وهذا ممكن ابتداء من الشهر الثالث اذ يتسم الطفل -دا على ابتسامة الأم أو الأب . وسرعان ما يعقب هذا اذراكه للتعبيرات الوجهية والاصوات المرتبطة ارتباطا وثيقا بانفعالات كالغضب أو الخوف .  
و الواقع أن الطفل الصغير يفهم معنى أوامر ونواهي مثل « كخ ! كخ ! » ، « بس ! بس ! » ، « تعال » ، « نام » ، عن طريق ربطها بالعملية نفسها كرفع اليد في الحالتين الأوليين وإشارة الأصابع في الحالة الثالثة من ناحية ، كما يفسر نبرة الصوت التي يستخدمها الشخص الكبير من ناحية أخرى .  
وهكذا اذا أردنا أن يفهم الطفل ما نقول فيجب أن نعزز كلامنا بالإشارات حتى منتصف السنة الثانية . وحتى في الارشادات البسيطة مثل « حط الفنجان على السفرة » يجب أن تصحبها إشارة للفنجال ثم المائدة .

فاذا أردنا أن نضع هنا معايير لما يستطيع أن يفهمه الطفل في سن معين فإن عملا مثل هذا معقد جدا ، وعلى قدر اختلاف بينات الاطفال بالمعنى الواسع يختلف المحصول الذي يفهمونه . ففي اختبار تيرمان وميلر المعدل يوضع أمام الطفل مكعب من الخشب ، وملعقة ، وفوطة ، ولعبة على هيئة القط ، وفنجال ، ثم غطاء معدني للأصبع يستعمل في الحياكة ( كستبان ) . ثم يطلب من الطفل أن « يأني بالقطعة » أو « يضع الملعقة في الفنجان » ، وأخيرا « يضع الكستبان على المكعب » . فالطفل المتوسط في سن سنتين يمكنه أن يقوم بعملية من هذه الثلاثة . وفي سن ثلاث سنوات ونصف يجب أن يفلح في تأديتها جميعا . ويضع تيرمان وميلر مقياسا آخر لطفل اثنائية والنصف فيقدمان له دمية كبيرة من الورق ويطلبان منه أن يشير الى شعرها ، وفها ، وأذنيها ، وأخيرا يديها . وفي الثالثة يسأل بينه أطفاله أن يسيروا إشارة صائبة الى



ثلاث من أجزاء الجسم الرابع . . الألف . . والعينين . . والفم . . والشعر . . كما يسموا ثلاثاً من الأجسام الخمسة التالية . . المفتاح ، والمليم والمبراة المقفلة ، والساعة ، والقلم الرصاص . وفي الرابعة يسأل أطفاله أسئلة مثل « اذا حسيت انك نعسان لازم تعمل ايه . ؟ » ، وتكرر هذه الاسئلة في حالة الشعور بالبرد ، ثم الجوع .

ب — بناء المحصول اللغوى : ينقسم قسمين . . محصول عام ويتمكون من كلمات لها معانى عامة يمكن استخدامها في مواقف عديدة مثل « راجل ، « عاوز ، ، « بيبي » . . ومحصول خاص يستخدم لمواقف معينة ، وهذا في الغالب بعد الثالثة كالألفاظ المستخدمة لأداب المائدة ، أو في حضرة الضيوف .

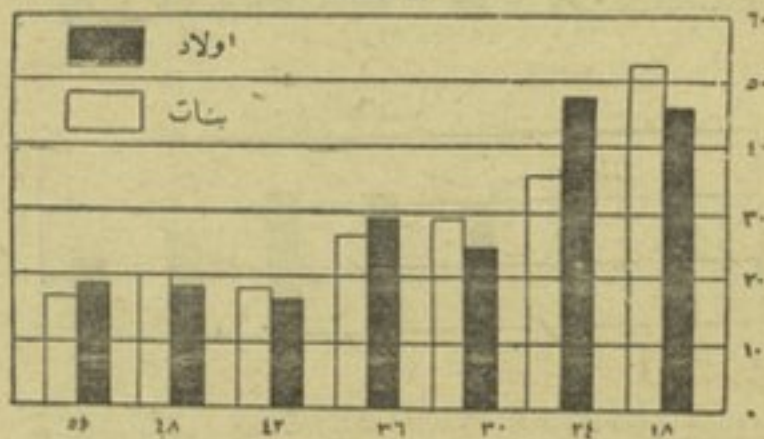
١ . المحصول العام : ويتعلم فيه الطفل أولاً الاسماء التى تجمع بين السهولة والفائدة كأسماء الاشخاص والأجسام ومعظمها ذات مقطع واحد يتضاعف بعد قليل مثل « ماما ، و « تشو تشو ، و « بيبي ، والطفل هنا اما أن يلتقط هذه الالفاظ من الاشخاص الذين سمعهم يرددونها أو يستخدم لفظاً معيناً ليعنى به كل ما يقع فى نفس الفصيلى ، كما لو استخدم كلمة « بوبو ، ليعنى بها طربوش ثم كل ما يقع ضمن هذه الفصيلى من أردية الرأس ، أو قد يكون الاسم من اختراع الطفل تماماً متخذاً اياه من الصوت الصادر عن الجسم مثل ( ناو ناو ) للقط .

بعد أن كون الطفل عدداً كافياً من الاسماء يأتى دور الأفعال ، وخاصة تلك التى تدل على الحركة مثل « خذ ، ، « هات ، ، « روح ، ثم تأتى الصفات ( كويس ، وحش ، وسخ ، سخن ، بارد ) الى غير ذلك مما يستخدم للاشخاص والاطعمة واللعب . ثم الظروف ( هنا ، هناك ، قوام ) ، وهما يظهران ابتداء من سن سنة ونصف . أما حروف الجر والضمائر فتظهر فى مرحلة متأخرة لصعوبة التفرقة بين المواقف المستخدمة فيها تعبيرات مثل « ادينى ،



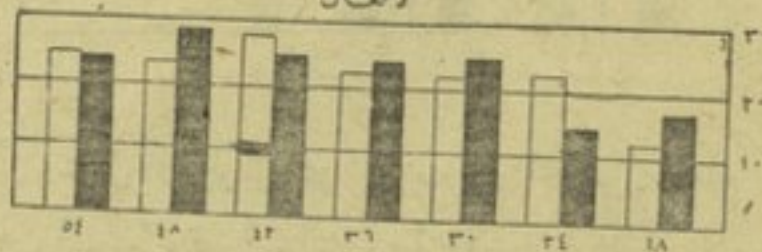
«عروستي»، «أنا»، «بتاعتى»، بل وقد يجد الطفل حتى مرحلة متأخرة صعوبة في استعمال نون الوقاية، فيقول «كرسنى»، قياساً على قوله، «ادبنى»، وقد خرج سميث من تحليله لمحادثات الاطفال في الثانية والثالثة بأن الاسماء والافعال والضمائر هي أكثر أجزاء الكلام تردداً في السن الأول أما في الثالثة فتراجع الاسماء لتفسح السبيل للإفعال والضمائر وفي بحث أدق خرجت ماك كيرنى بالنتائج المعروضة في الرسوم البيانية

#### الاسماء



وهي هنا تتفق مع سميث في تساؤل الاسماء عن مكانها الممتاز في السن

#### الافعال



المبكر في مصلحة النواحي الأخرى ما عدا الجمل الاعتراضية اذ يبدو فيها هي

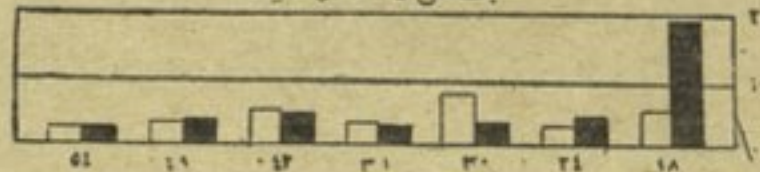
#### الصفات



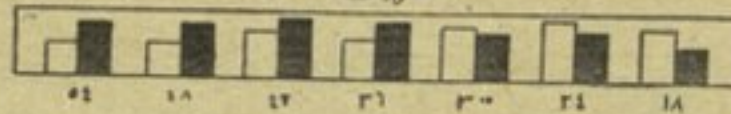


الأخرى انحدار سريع . أما الظروف فتتكاد تسير على وتيرة واحدة .

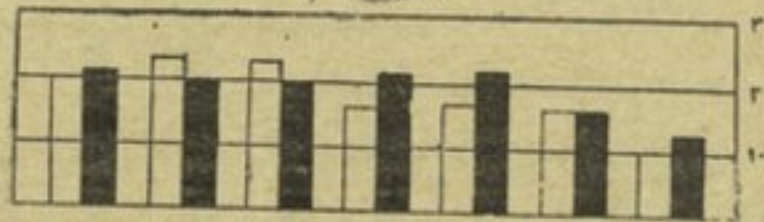
المجمل الاعتراضية



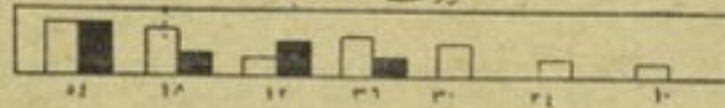
الظروف



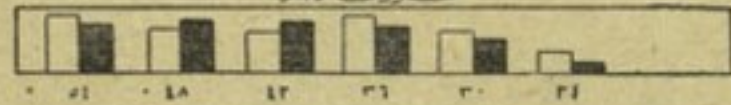
الضيق



حروف العطف



حروف الجر



ويصحب دخول المدارس نمو سريع في المحصول العام ، فالمدروس والموضوعات المستمرة تضيف إليه ثروة خصيبة ، فضلا عن ميل الطفل للقراءة لقطع الفراغ .

٢ - المحصول الخاص : وهو أضيق من جهة الاستعمال ولذا لا يحتاج

إليه الطفل في مرحلة مبكرة . ومن أنواعه :

أولا : المحصول التحايلي Trick Vocabulary ويتكون من كلمات عويصة النطق يحاول الطفل أن يلفظها مقلداً بذلك من حوله وهم يسرون



حاولاته ، وكثيرا ما تسمع الطفل يكرر كلمة « أو نطجية » ، أو « شقلب » ، « قليباز » ، لمجرد السرو . الناتج من حركات اللسان المتميزة والاصوات صادرة .. كما أنها تنهى له قدرا غير قليل من الأمن والشعور بالسيطرة .  
يندر أن تجد الطفل يفهم ما يردد من هذا النوع « كالقسطنطينية » ، غير ذلك ، ويصل هذا المحصول الى ذروته حول الثالثة .

ثانيا — كلمات تختص بالاتيكييت ، مثل « من فضلك » ، « مرسى » ، « آسف » .  
يجب أن يتعلمها الطفل بمجرد استطاعته أن يتكلم بطريقة مفهومة ، فإذا وصل الى سن الخامسة أو السادسة فيجب أن يكون محصوله في هذه الناحية مساويا للمحصول الذي يستخدمه الكبار في بيئته في المواقف العادية .

ثالثا — كلمات تختص بالألوان ، فاهتمام الطفل بالألوان واضح جداً . لذا يتعلم اسماءها في مرحلة مبكرة . ويضع تيرمان في قياسه للطفل في سن الخامسة أربعة ألوان رئيسية هي الأحمر والأخضر والأزرق والأصفر .  
ولكننا نرى أن تيرمان كان متساهلا بعض الشيء ، فمعظم الاطفال من بينات عادية يمكنهم أن يسموا هذه الألوان قبل هذه السن بمدة .

رابعا — رموز الاعداد ، وكثيرا ما نجد الطفل في سن سنتين ونصف أو ثلاثة يعد الى ١٠ أو أكثر . ويمكن يشك فيما اذا كان يفهم هذه الكلمات حقاً . وكثيرا ما تدرج مثل هذه الكلمات تحت مرحلة البيغام التي سبقت الاشارة اليها . ولكن مع التعلم المباشر او اللعب المنتظم بالخرز أو غيره يمكن الطفل أن يفهم هذه المعاني بحيث يحق لبينيه أن يضع في مقياسه لطفل السادسة امكان العد مع الاشارة لاجسام او قطع معدنية من النقود حتى الرقم ١٣ ، ويجب أن يفهم جيداً معنى كل رقم فاذا طلب منه أن يخرج عددا منها من المجموعة التي امامه فعل . وسرعان ما تأتي المدرسة بتقديم كبير في الحصول العددي حتى يمكن الطفل أن يعد بالعكس من ٢٠ الى ١ في ٨ سنوات كما يرى بينيه .

خامسا — وهناك غير هذا المحصول اللغوي الذي يدور حول الزمن .



فاذا وصل الطفل الى السادسة أو السابعة فيجب أن يعرف معنى كلمات مثل «الصباح»، «بعد الظهر»، «الليل»، «الصيف»، «الشتاء»، وهكذا. وبدخول المدرسة سرعان ما يتعلم أيام الاسبوع وشهور السنة. ويضع بين يديه هذه الموضوعات في اختبار سنوات.

سادسا — الكلمات المرتبطة بالنقود وتختلف حسب بيئة الطفل اختلافًا كبيرًا. وقد يزداد محصول الطفل في بيئة فقيرة عن طفل البيئة المتوسطة نظرًا لأن الأول يرسل كثيرًا في مهام لشراء أشياء يعهد بها الى الخادم في حالة الطفل الثاني. وعلى أي حال بينما نجد الطفل الصغير يعبر عن أي فئة من العملة بلفظ «فلوس»، أو «قرش» نجده في سن الرابعة أو الخامسة يستخدم الفاظًا مخصوصة تبعًا لحجمها وقيمتها. وتبعًا لمقياس ستانفورد بينيه على الطفل المتوسط في السادسة أن يسمى المليم، ونصف القرش، والصاغ والمليمين. وعلى العموم فلا تبدأ المرحلة الابتدائية في المدارس حتى يعرف الطفل في مادة الحساب العملة البرونزية والفضية كلها في وقت قصير. ويبدو هذا في اختبار ٨ سنوات.

سابعًا — اللغة السرية — وهي مغرية جدًا في مرحلة المدارس الابتدائية أو ما نسميه «مرحلة العصابات»، فالطفل ينضم الى مجموعة من الرفاق ويخلص لها كل الاخلاص حتى ليقاوم رغبات المنزل وقوانينه ويبدو التكبر بالنسبة له كسلطة غاشمة يود لو يتخلص منها. وهنا تلجأ الجماعة الى لغة خاصة مكونة من رموز معينة يكتبون بها رسائلهم أو يتحدثون بها. وكثيرًا ما تقع في أيدي الآباء والأمهات قصاصات صغيرة تحوى رسوما ودوائر وعلامات أو حروفًا متراصة لا يفهمون منها شيئًا فتكون مصدر قلق وازعاج

يسر ان الصبي جداً فقد افلحت مجهوداته في الاحتفاظ. بسريته رسائله التي يتداولها مع زملائه. فاذا عوقب اعتبر نفسه كما تعتبره الجماعة شهيداً يستأهل كل إعجاب وإكبار. ويقع المدرس في





الفصول الابتدائية على عدد ليس بقليل من الأوراق التي تحمل طرقاً  
متعددة سرية لتبادل الألف-كار . غير اني أظن أن أكثرها شيوعاً بين  
المصريين طريقة اضافة الحروف «سطره» بعد كل حرف من  
الكلمة المراد نقلها ، فمثلاً اذا أريد كتابة أو نطق كلمة «ولد» لمكتبت  
«لوكذا» و«سطرة لسطرة دسطرة» . وهناك لغة «الزين» المعروفة لدى  
بنات ، ثم لغة التاء والنون . وهناك طريقة أصعب لا يلجأ اليها الا  
الأولاد الاذكياء ، وهي تعقيد لطريقة «سطرة» السابقة اذ بدلاً من اضافتها  
بعد كل حرف فيصبح من السهل اكتشاف الكلمة المنقولة يتفق  
المصريان على اختراع كلمات من وحي اللحظة تستمد اوائل كل حرف  
منها من حروف الكلمة المطلوبة . فاذا أريد نقل كلمة «احمد» مثلاً كان على  
الولد أن يخترع كلمة تبدأ بحرف الالف ثم كلمة ثانية تبدأ بالحاء ،  
وثالثة بالميم ورابعة وأخيرة تبدأ بالذال . وبالتمرين تجدد الولد الذكي  
سرعان ما يقول «أروح حديقة مطرح دولاب» فاذا قيلت بشيء من السرعة  
مع بعض التوقف بين كل كلمة والاخرى استطاع الطفل أن ينقل الى  
زملائه ما يشاء من الاخبار وهو واقف في نافذة المنزل على مسمع من  
والدين اللذين قد استبد بهما القلق .. ! وتبدأ هذه اللغة في العادة  
حوالي الثامنة الى الرابعة عشر وتصل الى ذروتها في الثانية عشر .

ثامناً . كلمات التحدى Slang وهي تتمشى مع السابقة الى حد ما ويسارع  
الى امتصاصها الصبي بين السابعة والثامنة لتتسع وتتضخم في مرحلة المراهقة  
وهنا يغرق فيها الفتى لشعوره بأنها تصدم مشاعر من حوله من الكبار فترضى  
حينئذ للشعور بالجرأة والثورة على التقاليد واختطاط طريق مخالف

وكثيراً ما تجد الغلام يكثر من ترديد ما يسميه كلمات «الحداثة» أو  
«الفهولة» فهو يبدأ معظم كلامه حتى مع الكبار «يا ابني دانا» أو «تجد من لوازمه  
«يا ويكا» أو «فاكرني كرو ديا؟» أو «بلاش تميدس» وهو في أول امره يستخدم



هذه التعبيرات لينضم بذلك الى زمرة الطلبة السكبار في الفصول العالية فهم قواد المدرسة ، وبالتدريج يألف هذه الكلمات ويستخدمها لانها في اعتقاده تعبر بشكل ادق عن رغباته وانفعالاته .

حجم المحصول اللغوي : يعتمد مدى نجاح الطفل في اكتساب الكلمات في أعمار مختلفة على نسبة ذكائه ، والفرص التي أتاحت له للتعلم ، ومدى الدوافع التي تحركه . وقد تعددت الابحاث في اختبارات الذكاء وتجارب سميث وتيرمان وماك كيرتي وخرج كل برأى مخالف لزميله خلافاً كبيراً في بعض الاحوال .

وعلى العموم فاننا لنجد الطفل في سن ٩ أشهر يقول « ما ما » ، « دادا » ، وفي سن سنة يمكنه أن ينطق بكلمتين او ثلاث غير السابقتين . وهما نحن نسوق للقارئ نتائج ابحاث ماك كيرتي حتى سن الرابعة والنصف وبعد هذا يقفز المحصول سريعاً كما يرى سميث وتيرمان :

| العمر        | عدد الكلمات | العمر        | عدد الكلمات |
|--------------|-------------|--------------|-------------|
| سنة ونصف     | ٢٠          | ٤ سنوات ونصف | ٢٣٠         |
| سنتان        | ٦٦          | ٥ سنوات      | ٢٥٦٢        |
| سنتان ونصف   | ١٤٣         | ٦ سنوات      | ٣٦٠٠        |
| ثلاث سنوات   | ١٧٠         | ٧ سنوات      | ٥٤٠٠        |
| ٣ سنوات ونصف | ٢٠٣         | ٨ سنوات      | ٧٢٠٠        |
| أربع سنوات   | ٢١٦         | ٩ سنوات      | ١٧٠٠٠       |

ج . تكوين الجمل : يحاول الطفل أن يفعل هذا منذ نهاية السنة الاولى ، فيبدأ عهد الجملة المسكونة من كلمة واحدة وهكذا يستخدم لفظاً واحداً ، اسماً أو فعلاً ، ثم يربطه بحركة أو اشارة فيعبر عن فكرة كاملة . فهو اذا قال مثلاً



«هات» مشيرا الى اللعبة فمعنى هذا «اعطنى اللعبة» وهذا النوع من الجمل يستخدم ما بين الشهر الثانى عشر والثامن عشر على وجه التقريب ثم يتراجع بعد هذا بسرعة .

ينتقل الطفل اذن لاستخدام كلمتين أو أكثر تاركا للاشارات استكمال النقص . وهذا النوع لا يعتبر جملة كاملة اذ أغلب الظن أن حروف الجر والضمائر والروابط لا تستخدم الا نادرا ، ويرى نيس أن هذه المحاولة تبدأ من جانب الطفل فى منتصف الشهر الثامن عشر بينما يرتفع جيزل بالسن الى ٢١ شهرا وتمعن شيرلى فى الارتفاع حتى الشهر الثالث والعشرين فاذا تكاملت للطفل ستان بدأ يربط الكلمات فى جمل قصيرة معظمها حتى الآن غير كامل وان كانت تعبر بمعونة الاشارات عن معنى كامل . والجمل هنا تحوى اسما أو أكثر ، وفعل ، يضاف اليهما فى بعض الاحيان صفات وظروف . أما حروف الجر والعطف والضمائر فيتأخر ظهورها . ومن أمثلة هذه الجمل «هات كو» ( اعطنى الكرة ) «روح باى باى» ( أريد أن أخرج ) ، «ببى مبو» ( أريد أن أشرب ) وهكذا .

وترى ماك كيرنى أن متوسط جملة الطفل فى سن ستين ونصف هو ٣ كلمات ترتفع الى أربعة أو أكثر فى سن اربع سنوات وبعد نصف سنة ٥ كلمات . وفى هذا السن الاخير تكمل الجمل ، وقد يتكون الكلام من جملتين يربطهما الحرف «و» . كما ترى أن المدة المحصورة ما بين الشهر الخامس والعشرين والثلاثين هى الوقت الذى يحذف فيه الفعل ، ثم تقل هذه النزعة بعد هذا .

وهكذا لا يصل الطفل الى سن ٦ سنوات حتى يسيطر على كل تراكيب الجمل . ويرى ديفيز أن طول الجملة يتزايد بازدياد العمر حتى سن التاسعة والنصف . والواقع أن جمل الطفل الصغير تنحوا دائما فى أول عهدها نحو التعقد فهى جمل مركبة ولسكن فى ترابط فقير . كما تقل فيها الجمل الاسمية ، فاذا استثار انتباهه موضوع معين انطلق فى الكلام عنه فى جمل طويلة جدا



مكونة اذا حلتها من جمل قصيرة يربطها حرف العطف ، و ، أو ، لكن ،  
د - النطق : وهو يثبت عن طريق تقليد الطفل الصغير للمحيطين به . وهذه  
القدرة على التقليد مرنة جدا حتى ان الطفل اذا نقل من بيئة الى أخرى تغير  
نطقه حسب البيئة الجديدة في وقت قصير . وتقل هذه القدرة بده دخول  
المدارس ، حتى اذا قارب الصبي المراهقة استقرت عنده عادة النطق فيصعب  
تغييرها . وينحو النطق نحو التحسن والوضوح كلما كبر الطفل حتى اذا وصل  
الى الخامسة أو السادسة ضاع معظم ما كان يشوب كلامه من لكنة  
كالراء والشين .

ولعل أوضح ما يميز الكلام في حالة الاولاد في سنى المدرسة الابتدائية  
ومبدأ المرحلة الثانوية خشونة نغمة الصوت بعض الشيء ، وليس هذا ناتجا عن  
النضوج بل هو نتيجة للصراخ الذى يصحب اللعب في هذه المرحلة . فالجمود  
الذى يلقى على عاتق الجهاز الصوتى في الوقت الذى هو فيه ضعيف لا يحتمل  
المقاومة ينتهى فى الغالب بنوع من البحة ، لا يمكن أن تتحسن بتقدم السن .  
ولا يهم الطفل كثيرا هذا الامر خصوصا وهو يعتقد أن الصوت الناعم دليل  
على أن المتكلم « بنوته » ،

ولكن هذه النغمة الخشنة هي مصدر قلق عظيم للمراقب فى أول عهده  
وهو يحاول جاهدا أن يحسن من كلامه لدرجة أنه يكتسب نغمة صناعية  
تميز معظم الكبار الذين نراهم ، فليجأ فى بعض الاحوال الى التضخيم أو  
التخفيف فى حروف معينة ، أو نطق بعض الحروف فيتبهما حركات من  
جوانب الفم أو الحواجب أو الأعين . والفتيات فى هذا أسبق من الشبان  
فالكلام عندهن أكثر صناعة وتحويرا وتكلفا

ومن السهل جدا أن يحصل ارتباك فى النطق عند بدء تعلم الطفل الكلام  
فهو يجد صعوبة فى التحكم فى الجهاز الصوتى . والقليل من هذه الاخطاء  
يرجع سببه للوراثة ، فقد يكون السبب جسيما لتصلب فى اللسان أو تشوه  
فى الاسنان أو سقف الحلق أو الشفاه أو الفك . أما معظم الاخطاء فى



ينتقل من مرجع الى أسباب بيئية ، فهي اما تعلم أو تقليد خاطيء لشخص  
يعمل في كلامه لسكنة اجنبية ، أو عوامل نفسية كمحاولة الطفل أن يسرع  
في الكلام نتيجة لتعجلنا له بمقارنتنا اياه باخيه الاصغر الذي بدأ يلحق  
في المدرسة ، أو نتيجة لنفاد صبرنا من كل شيء في المنزل ، فاذا حاول  
أن يتحدث أو يقص قصة طابنا بالاختصار . كما قد يكون لضعف حاسة  
السمع أثر ليس بقليل .

أخطاء النطق : هناك من الأخطاء ما هو شائع جداً في الطفولة ثم يختفي  
في العادة بدخول الطفل المدرسة . وهو في الغالب ينشأ من خطأ في التعلم لم  
يحاول المحيطون بالطفل اصلاحه . فهناك مثلاً أخطاء تتمثل في حذف بعض  
المقاطع أو اختلاف ترتيبها ، وهناك ما هو أكثر تعمقاً وصعوبة في  
الاصلاح كاللغة وهكذا .

أ - حذف بعض المقاطع : في كلمة طويلة تتكون من مقطعين أو ثلاث كثيراً  
ما لا يلاحظ الطفل بدقة كل المقاطع التي ينطق بها البالغ . وهو يتخذ هذه  
الصورة السمعية الخاطئة بعد هذا النموذج يحتذيه فتكون النتيجة أن يسقط مقطعا  
أو أكثر من الكلمة ، ولسكنه يهتم في الغالب بالاول والاخير ، فيقول « أميل »  
وهو يعني « أمويل » أو « مسحاني » بدلا من « مسحراق » وهكذا .

ب - اختلاف ترتيب الحروف : فالكلمات الصعبة التي تسمع في أحيان قليلة  
يتذكرها الطفل في الغالب في صورة مهوشة . ويمكن أن يصلح الطفل نطقه  
هنا لو اهتم الكبار بارشاده ولسكنهم للاسف يضحكون للكلمة التي يكونها  
الطفل ويتركونها لترسب . وكم من الكبار يقول « جرده » وهو يعني الدرجة  
الثانية أو « استبالية » وهو يقصد استبالية أو « كشتينه » وصحتها كتشينة .  
وأعرف طفلا دعي لالقاء قطعة دينية بين الضيوف حتى اذا وصل الى « واغفر  
لنا ذنوبنا » - وهو لا يدرك معناها بطبيعة الحال - نطقها « واغفر لنا زبوننا »



فضج الحاضرون بالضحك واستمروا يستعيدونه في كل مناسبة وما حاولوا  
يوما أن يوجهوه لتصحيحها .

وكثيرا ما يحل الطفل الصغير كلمات أخرى بدلا من الكلمات الأصلية -  
كلمات يخترعها حسب صوت الشيء ، كلفظ « تن » للجرس ، « وتشو تشو »  
للقطار و « تيك تيك » للساعة وهكذا . وهذه أخطاء سرعان ما يتجنبها الطفل  
بعد أن يشب قليلا .

ج - اللغثة: هناك من الأخطاء ما هو أبقي أثرا واسوأ من ناحية مركز الفكر  
الاجتماعي في مرحلة متأخرة . وأكثر هذه الأخطاء شيوعا « اللغثة » وهذه  
يحل الطفل صوتا مخالفا محل الحرف المطلوب ، كحرف ث وهو يعني س  
( ثميرة - سميرة ) ثم س بدلا من ث أو ش ( اللسة - اللثة ، السمس - الشمس )  
أو ث بدلا من ش ( مث رايع - مش رايع ) أو د ل ، بدلا من « ش » .  
وهناك غير هذا اللغثة الشائعة في حرف الراء فقد يوضع بدله « و » أو « غ »  
أو « ي » والأمثلة على هذا كثيرة .

وهناك سببان لهذه اللغثة ، الاول يختص باحتمال تشوه الفك أو الاسنان  
أو الشفاه ، وكثيرا ما يعقب بروز الفك الاسفل ( الضب ) تغير أصوات  
الحروف . كما قد يحدث أثناء تبديل الاسنان لثغة خفيفة اذا لم تدارك ثبوت  
كعادة ولكن السبب الثاني واليه ترجع معظم حالات اللغثة هو التمسك  
بكلام الطفولة ، اذ يستمر الصبي في تكرار القديم من الكلام بأخطائه لانه  
يرى أو يعتقد انه بذلك يكون لطيفا جذابا ، خصوصا وهو يشاهد بعض  
الضيوف أو حتى الآباء يقلدونه في كلامهم له مما يثير الضحك .

د - عدم وضوح الكلمات: وهو ايضا من الأخطاء السيئة الاثر . وقد يكون  
نتاجا من ثقل أو ركود في الشفاه أو اللسان أو الفك ، أو قد ينتج من عدم  
نمو اللسان وعضلاته مما يصاحب كثيرا الكساح ولين العظام . ولكن  
معظم الحالات تنشأ عن حالة انفعالية من الخجل أو التردد تدفع الطفل الى



عدم فتح الشفتين للدرجة المطلوبة أثناء الكلام فتبدو الكلمات مدغمة .  
وأخيراً قد يكون سببها العجلة في الكلام نتيجة قلق من أن يسبق الطفل  
أخوه الأصغر أو زميل في المدرسة من الجيران . وكثيراً ما يظهر هذا عند  
الصبي بمجرد بدء حياته المدرسية

هـ - التتهمة : تتمثل في مظاهر كثيرة أهمها تكرار الحروف أو المقاطع الأولى  
من الكلمة . أو قد تحصل من تكرار الكلمة كلها . وسببها في الغالب قلق واجهاد  
عصبي ، أو توتر انفعالي . وهي تبدأ في مرحلة متقدمة يضعها بلاترون حوالى  
الثانية والنصف أو السادسة . وهو يختار هذين العمرين لانهما يبدأان «فطام»  
الطفل . فالأولى فطام من حياة الوحدة والاهتمام بما يختص بالذات الى  
الاجتماع بالرفاق الصغار وتبادل اللعب . بينما العمر الثانى فطام من بيئة المنزل  
ودخول الى بيئة المدرسة الواسعة المليئة بالسلطات الجديدة والزملاء الجدد .  
والتكيف فى كلتي المرحلتين ليس بسهل بالنسبة للطفل ، وكثيراً ما يسبب  
التتهمة . ويلاحظ ان هناك مواقف معينة تستثير التتهمة بينما هي في غيرها غير  
واضحة ، كما لو وجد الطفل في حضرة الغرباء ، أو امام احد الوالدين ، أو  
اذا دعى لالقاء نشيد امام الضيوف .

و - العقلة : تشبه التتهمة الى حد كبير . وهي توقف الكلام بعض الوقت  
نتيجة لتصلب العضلات الصوتية . والتوتر الانفعالي هو السبب في معظم  
الحالات ، بل انها لتصاحب التتهمة عند الكثيرين . ومن اعراضها عدم  
خروج أى صوت ، ثم تلين العضلات فيندفع سيل من الكلمات يتوقف فجأة  
ربثاً تلين العضلات وهكذا . وفيما عدا اللغنة نجد الحالات الثلاثة الأخرى  
يزداد فيها عدد البنين عن البنات .

مادة الكلام : من المهم أن نعرف ما يتحدث عنه الطفل في أعمار مختلفة

لأنه يشير الى حجم المحصول اللغوى وقدرته على ربط الكلمات فى جمل  
فحسب ، بل لأنه سبيلنا الى تعرف شخصيته وميوله المسيطرة فى وقت ما



وواضح أن الكلام في حالة الطفل الصغير يصحب النشاط الحركي ، فهو في الجري واللعب وتناول الطعام والاستحمام تسمعه يغمغم راضيا ، أو يصرخ منثشيا ، أو يزجر غاضبا... ، أو هو بعد هذا يتحدث اذا تعلم الكلام . واذن فالتعبير الصوتي هنا هو نوع من التفكير بصوت عال . ولكم تسمع الصغيرة وهي تلعب بدميتها تقول « أغطى كوكو » اذ تفعل هذا ، حتى ولو لم يكن في الحجرة من يصغي لحديثها ويرى سميث أن نسبة قليلة جداً من كلام الطفل الصغير يدور في هيئة محادثة أو حوار ، بل هو يقارب كثيرا « المونولوج » ، في صورة تعليق متصل على الأعمال التي يقوم بها كما تتابع .

في الطفولة : تعددت الابحاث العلمية على احاديث الاطفال محاولة في معظمها أن تسجل ما يقولونه في أوقات يظنون فيها أنهم غير مراقبين . وعلى العموم فقد وجد أن معظم الاحاديث تدور حول الطفل وميوله ، بينما القليل جدا يتخذ أساسه موضوعات لا تمسه .

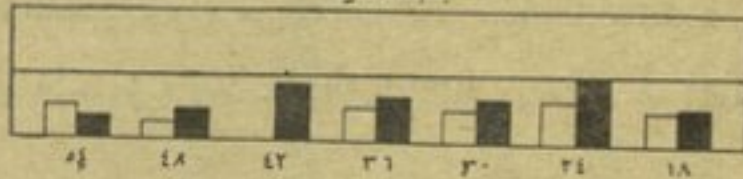
ولقد حلل بياجيه كلام الأطفال وسط رفاقهم وقسمه أساسيا الى :  
١ - كلام ذاتي بـ . كلام اجتماعي ففي القسم الأول يتحدث الطفل اما لنفسه أو للذة يشتركها من الاتصال بآخر يتصادف وجوده دون أن يوجه هذا الأخير اهتمامه اليه . وفي الثاني يدرج بياجيه كل ما من شأنه أن يوثق العلاقة بين الطفل والبيئة الاجتماعية .

ورأى بياجيه أن القسم الأول هو السائد بين ثلاث وخمسة سنوات ويتراجع الى ٤٥ في المائة بين الخامسة والسابعة . ولكن بحث بياجيه قد تضاعف بعض الشيء في السنوات الأخيرة منذ أن تقدمت مـاك كيرتي وشيرلي بابحاثهما الدقيقة ، وألقى سميث وسبراج بنصيبهما في الميدان . وهما هي مـاك كيرتي تتخذ أساس بحثها تقسيم بياجيه بشكل مبدئي . فالتقسيم القديم في البلاغة الى جمل خبرية وانشائية وما يخرج منها من الاستفهام والامر والتعجب لا يحسن تطبيقها على كلام الطفل الصغير . فتخالفه خلافا صارخا في بعض



الاحوال وعلى الاخص القسم الاول . . الاستجابات الذاتية . . باقسامها الثلاثة التكرار ، والمونولوج ، والمونولوج الثنائي أو الجمعي فهي لم تزد يوماً

استجابات ذاتية



عن ١٠ في المائة كما يرى في الرسم وكان المتوسط بشكل عام حوالى ٣٢٦ في المائة . ولقد يكون الخلاف كما قالت نتيجة عدم اتفاق على مدلول الذاتية ، أو اختلاف فردى في الاطفال انفسهم ، أو اختلاف في ظروف التجربة . وما من شك في ان حديث الاطفال هو في الغالب ذاتى على اساس انهم يتحدثون عن انفسهم وأعمالهم ، ولكنه في نفس الوقت اجتماعى في اتجاهه الى شخص أو اشخاص يتوقع منهم المتحدث أن يستمعوا أو يجيبوا ، ولعلنا في ذلك على حق في اعتباره ليس اكثر ذاتية من معظم احاديثنا نحن الكبار

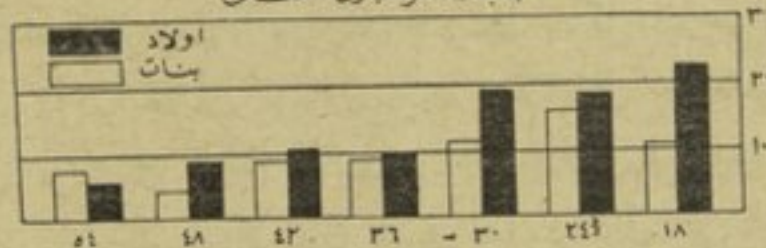
اما الكلام الاجتماعى فقد قسمته ماك كيرتى اقساماً سبعة كان اكثرها تردداً دون منازع ما اسماه بياجيه المعلومات المعدلة حيث يتبادل الطفل الافكار مع الآخرين فتأثر اعماله adapted information فلقد وصل الى حوالى نصف عدد الاستجابات المفهومة في كل عمر ، ولذا قسمته هو الاخر الى :

١ - التسمية : حيث يسعى الطفل لمعرفة اسماء الاشياء والاشخاص ، ويبدو كثير التردد في سن ١٨ شهراً اذ يصل الى ٨٧ في المائة ثم يتناقص حتى يصل الى ٢٥ في سن ٤ سنوات . ولعل ماك كيرتى في هذا تعزز ما قلناه من ان محصول الطفل اللغوى يبدأ اولاً بالاسماء الكثيرة الاستعمال ثم يتجه بعد هذا نواحي اخرى



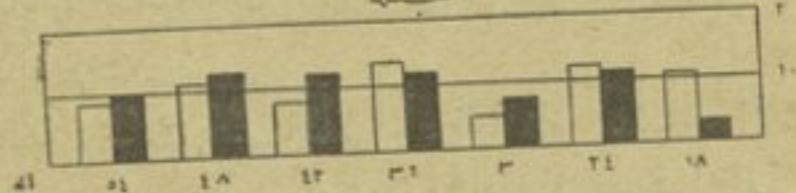
٢ - ملاحظات عن الموقف المحيط بالطفل او مرتبطة به اجمالا ، وكلها تظهر تزايدا بازدياد العمر . فمثلا اذا قدمت للطفل سيارة وقال « الله او تميل » وضعت هذه الاستجابة تحت القسم الاول ، واذا قال « ده فيه عجلة زيادة » وضعت تحت الشطر الاول من القسم الثاني بينما اذا استطرد من هذا الى القول « عندي واحد زيه » ضم الى الشطر الثاني . وهناك غير المعلومات المعدلة

استجابات ملونة بلون انفعالي



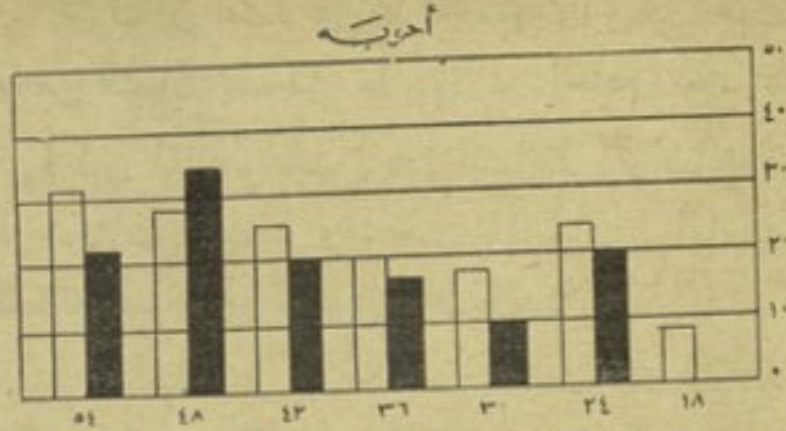
الاستجابات الملونة بلون انفعالي كما لو عبر الطفل عن نشوة أو انتصار أو خوف أو غضب . وقد وسعت ماك كيرتي في هذا القسم ليشمل اكثر مما عناه بياجيه بالاوامر والرغبات والتهديدات ، ويبدو من الرسم أنها تتناقص بازدياد العمر ، فالطفل يصبح أقدر على التعبير عن رغباته وانفعالاته بطرق اكثر صقلا ومرونة .

أسئلة



أما الأسئلة والاجوبة فهما قسمان آخران يبدو تزايدهما كلما نمت لغة الطفل وازداد فهمه للاخذ والعطاء . ويرى سميث أن معظم الأسئلة في سن سنتين تأخذ صيغة « ما هذا » ، « أين هذا » ، فالطفل هنا يجمع أسماء الأشياء





يتعرف معالم البيئة . فاذا قارب الرابعة أصبح يتساءل عن أسباب حدوث الأشياء أو كيفية حدوثها ، وهو هنا قد بدأ يفكر ويتعرف العلاقات .

وعلى العموم فالاستئلة بعد الخامسة والسادسة تتراجع كثيرا ، ولو أن الأطفال من يبنات أكثر ثقافة يسألون أكثر من زملائهم الناشئين في طبقاتهم ، كما أن الطفل الوحيد تزداد أسئلته عن زميله الذي حباه الله أشقاء منزله .

بقيت بعد هذا أقسام ثلاث . . النقد حيث يعلق الطفل على سلوك من يحوله أو أعماله هو أو يتذمر من الموقف بشكل عام . . والتعبيرات الاجتماعية التي تعلمها الطفل أن يرددها من باب الانيسكيت « من فضلك » ، « مرسى » ، « أنفضل » ، « باى باى » وهكذا . . وأخيرا المواقف التمثيلية حيث يقلد الطفل معاديات الآخرين ممسكا بالتليفون مثلا ، أو أصوات الحيوانات « باوواو » ، « مومو » ، « مياو مياو » وهكذا ، ولقد يرى يباغيه أن يدمج هذا القسم الأخير تحت الاستجابات الذاتية ، ولكن من الواضح أن عددا منها له اتصال يثيق بالمواقف الاجتماعية . وعلى العموم فهذه الأقسام الثلاث كان ترددها ضئيلا لما يدعوها للمرور بها سريعا .

في المراهقة والبلوغ : من الصعب أن نلمس بدقة ما يدور حول كلام تفتيان والفتيات ، فطابع الحذر والتحفظ يميز معظم مناقشاتهم في حضرة



الكبار . وإذا كان لنا أن نعتمد على تجربة ستوك ووست حيث قام واحد من كل مجموعة من الشبان بتسجيل ما يدور من أحاديث بين بقية الاعضاء خرجنا بأن من أكثر الموضوعات ترددا المشا كل الاجتماعية ذات الطابع الشخصي كالموضوعات الجنسية والتدخين والمسلات . أما تلك التي تحمل طابعا عاما كالمسائل السياسية والسلم فهي أقل ترددا

وعلى العموم فالفتيات يملن للاحاديث في الموضوعات الثقافية كالموسيقى والاسفار ، والتمثيليات ، والفنون .. أما الشبان فيستغرق اهتمامهم موضوعات الاختراعات ، والالعب الرياضية والمشروبات . وبعد فالجنسان يشتركان في الاهتمام بالمغامرات الغرامية ، والتقبيل والرقص ، والمقابلات لاعضاء من الجنس الآخر ، والزواج ، والانظمة والتقاليد المدرسية أو الجامعية . ومن عجب أن موضوعا كالملايس كان يظن أنه منزو في حالة الفتیان فاذا بالتجارب تثبت أنه يعالج من الجنسين بنسبة كبيرة تكاد تكون متساوية . وبعد فاذا كنا قد عينا في هذا الفصل كما هو العادة بذكر العمر الذي يبدأ عنده الكلام ثم يتطور ، فن المهم أن يلاحظ الآباء هذه الاعتبارات فاذا تأخر طفلك عن الكلام حتى سن سنتين فلا بد أن في الامر خللا وهذا الخلل كما هو الحال في التراجع الجسماني والحركي كما بينا لا يقتصر أثره على اشياء سطحية مثل صعوبة فهمنا لما يريد في اللحظة الحاضرة أو صعوبة اصلاح ما ينتج من أخطاء ، بل إن الخطر ليتعداهما الى التأثير على سعادة الشخص ونجاحه في الحياة .

بل لعل التأخر الكلامي والتلعثم هما أسوأ أثرا من التراجع الحركي فالكلام وسيلة اجتماعية قبل كل شيء ، واذن فالإصابة فيه تهزم مركز الفرد في الحياة الاجتماعية كلها . والطفل الذي يتهته أو يلثغ سرعان ما يصبح أضحوكة رفاقه في الفصل اذ يقف ليسمع قطعة محفوظات أو يتحدث أثناء اللعب ، ولذا نجد أنه يتراجع وينزوي ويشعر بالغيرة والخيبة والنقص ، وقد سبق أن تناولنا ما تعكسه هذه الاحساسات على حياة الشخص



وطبيعي أن النمو اللغوي يتأثر بعوامل عديدة لعل على رأسها الذكاء ولنا في تجارب ميد وتيرمان أدلة واضحة ، فبينما وجد ميدان متوسط العمر الذي يبدأ عنده الكلام عند الطفل العادي ١٥ ر ٨ شهرا اذا به يتأخر عند ضعاف العقول الى ٢٤ ر ٤ شهر مقابل ١١ ر ٧ شهرا عند أولاد تيرمان الموهوبين . والواقع أن حجم المحصول اللغوي في أي عمر يعتمد أساسيا على النمو العقلي للطفل لدرجة أن معظم علماء النفس يعتبرونه أحد الاختبارات المفضلة للذكاء .

وهناك غير هذا عامل كالصمم أو فقد السمع فهو بطبيعته يبطل تعلم الطفل الكلام والنطق الصحيح ، فضلا عن تحديده لعدد الكلمات التي يستخدمها فالطفل يتكلم عن طريق التقليد .. ثم عامل العناد والتحفظ ، وهي فترة يمر بها عدد كبير من الاطفال وهم يقفون على عتبة تعلم الكلام ، وهي اما طور من أطوار النمو الاجتماعي وفيه نجد الطفل فجأة ودون سبب واضح قد تصلب في ثورة من التحدي ما بين منتصف السنة الثانية ونهاية الثالثة ، وبدا هذا السلوك في كل شيء حتى ما يختص بالنوم أو الطعام أو مقابلة الغرباء أو نظم الحياة المنزلية الروتينية .. أو هي نتيجة لدفعنا له للكلام عن طريق الاغراء أو التهديد . بل لقد نجد الطفل قد أضرب كاية عن الكلام بعد أن درج قليلا في هذا السبيل خوفا من أن يستثير الضحك كما يحدث كثيرا اذ نتخذ من لهجته الركيكة مادة للتسلية نظل نستعيدها في جلساتنا العائلية وكأنما الطفل اضحوكة خلقت للترفيه عنا .

وبعد فالبيئة الاجتماعية في غناها وخصبها ، أو فقرها وجدبها .. ثم الامراض التي تصيب الطفل في أول عهده بالحياة فتمنعه من الاتصال الكلامي بالآخرين وتقلل من دوافعه للكلام فهو يجدها يحتاجه قبل أن يسأل ، هي كلها عوامل تحدد الى مدى كبير النمو اللغوي .



ولكن اذا كان كل ما ذكرنا فواح لا نملك لها دفعا في معظم الاحوال  
فلعل من الانصاف أن نقرر انا ندفع الطفل بحمقنا الى التراجع اللغوى .. من  
الانصاف ان نهمس في آذان بعض عائلتنا المصرية وخاصة الغنية منها فنقول  
إن المربية الالمانية وان كانت عنوان الرقى والاهتمام بالتربية في مجتمعنا المصرى  
ليست دائما الغاية الاخيرة ، كما أن ارسال الطفل في سن الثالثة او الرابعة الى  
مدارس الراهبات أو المدارس الانجليزية والامريكية ، وهو عنوان الأخذ  
بالاساليب الحديثة حتى عند عائلتنا المتوسطة التى تقلل من شأن كل ما هو  
مصرى أو يحمل طابعا مصرى ، ليس دائما المثل الأعلى في التربية . فاذا كان  
للمربية الأجنبية ميزاتها ، واذا كان للمدارس الأجنبية منافعها ، فهى أولا





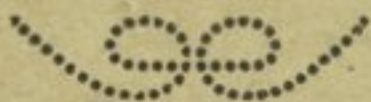
أخيراً مثل سىء جداً للكلام ، ومن الخطر ان يمتاد الطفل تكوين صور سمعية خاطئة . واذا كان الأوروييون يتناولون أطفالهم منذ الصغر بالتدريب المنظم على النطق مستعملين كما يرى الاجهزة والمرايا التي تعكس ما يتتابع على اللسان والحلق من مصاحبات للاصوات والمخارج ، فهل نسعى نحن بأيدينا لافساد نطق أطفالنا ؟

ومن المؤسف أن نجد هذه النزعة للاخذ بالاساليب الاجنبية متفشية جداً في منازلنا . يندر أن تدخل منزلاً فيه طفل في سن الثالثة أو أكثر الا وتجدهم الدين يعرضانه بزهو أمامك ليدكر أسماء أثاث الغرفة أو أعضاء وجهه أو حتى بتحية المساء بلغة اجنبية كالانجليزية أو الفرنسية . وننظر نحن في اعجاب نذا دليل الرقي الاجتماعي حقاً . وتصل المسألة الى اسوأ درجاتها عند ما يتعلم طفل لغتين في وقت واحد ، العربية ولغة أخرى اجنبية ، كما يحدث عند غنيائنا الذين يجلبون مدرسة للموسيقى وأخرى للفرنسية ، أو كما يفعل بوسطونا بارسال الطفل لرياض أطفال اجنبية وعذرهم في ذلك أن التربية الفرنسية أصلح بكثير من البيئة المدرسية المصرية ، كما أن الطفل اذا تعلم اللغة الرابعة تكلمها ، كاحد مواطنيها ، . . . !

وأود لو أؤكد للقارئ الكريم أن هذه أضمن طريقة لتعطيل تعلم الطفل الكلام . ولا تظن ياسيدي أن عشرات المقطوعات التي يرددتها الطفل الصغير الفرنسية عندما يعود من المدرسة هي كلام . فمظم الاغاني والصلوات والانشيد يفقه له الصغير أى معنى ، وانما يصاحبه باشارات محفوفة . ومن المؤكد أن كارتباك واضح نتيجة لمحاولة الطفل أن يقول شيئاً لشخص في لغته الوطنية نفس الشيء لشخص آخر في لغة اجنبية . نعم لا بد ان تفكير الطفل يضطرب ، وسيتماد ان يقلل من الكلام فهو قلق حذر يفكر فيما اذا كان اللفظ هو المطلوب في هذا الموقف أو مرادفه في اللغة الاخرى .



وهكذا يجد الطفل نفسه مضطراً لتعلم لفظين لكل جسم أو عمل يري  
لو يتحدث عنه وكل فكرة يرغب في التعبير عنها ، كما انه مضطرب لتعلم بمجموعات  
من القواعد هما في الغالب غير متفقتين . فاذا لم يكن هذا العمل سهلاً بالنسبة  
لطالب المرحلة الابتدائية ونحاول اليوم أن نخفف عنه العبء ، بل ليس هو  
بسهل لطالب الجامعة الذي يتعلم لغات قديمة كاللاتينية والفارسية فماذا يكون  
حال الطفل في الرابعة وهو لما يتقن اللغة العامية الدارجة بعد... ؟ !





## الفصل الثامن

### النمو الخلقى

يختلف الخلق الحميد باختلاف الجماعة وما وضعته من مستويات . وإذا كانت الزوجة فى بعض قبائل الهند ترى أن من أوجب واجباتها أن تحرق نفسها حية عند وفاة زوجها فما ينبغى أن تعيش بعد هذا الرزم الجلل ، أو إذا كان الرجل فى بعض جزر المحيط الهادى يرى أن من دواعى الشرف والفخر أن يقدم فتاته الجميلة الناهدة الى الشجرة المقدسة التى تلتف أحراشها كالحطاطيف المسممة على الفريسة فتسحق أضلاعها ثم تلتهمها ، بل إذا كان التاريخ يذكر لنا أن اسبرطة كانت تخضع أطفالها وغلمانها لنظام من القسوة والوحشية يخرجهم غلاظا شدادا لا يرهبون الموت ، حتى لقد كانوا يمنعونهم الطعام الا النزر اليسير الذى ما كان يسد رمقهم ويوحون اليهم أن يسرقوا ما استطاعوا سرا فاذا اكتشفوا فالويل لهم كل الويل . . . حتى لقد حكى أن أحدهم تسلق سور احدى الحدائق وسرق ثعلبا سمينا وأخفاه تحت ملابسه عندما رأى أناسا قادمين . وأعمل الثعلب الحبيس أنيابه ومخالبه فى لحمه والمسكين صابر متجلد لا يجرو حتى على الامراع فى مشيته حتى بقر الحيوان بطنه ومزق أمعاءه فسقط ميتا دون أن يتأوه . . . أقول اذا كان هذا يحدث فى بيئات أخرى فهو يرينا كم تختلف المبادئ الخلقية من البيئة المتمدينة الى غيرها . وإذا فالخلق الحميد هو التمشى مع ما يضعه المجتمع من دستور خاق وتبعنا لهذا نرى أن الطفل الحديث الولادة لاهو بالحميد الخلق ولا برديته . ويمكننا أن نرفض الفكرة الدينية القديمة القائلة إن الطفل يولد وهو يحمل بين جنبيه نوازع الخطيئة الأصلية ، التى بدأت بعصيان آدم وحواء أوامر الله وخروجهم من الجنة وتفرعت الى مظاهر كثيرة من السلوك الشرير



فيجب أن نطهر الطفل منها بالعقوبات في كل مناسبة . كما ذهب البعض إلى التطرف في الناحية العكسية فأكدوا أن الطفل يولد بريئاً طاهراً كالملاك وإنما تفسده التأثيرات العالمية . نستطيع الآن أن ندحض هذين الرأيين فالخلق لا بد أن يتعلم ويكتسب .

وقبل أن يسلك الطفل سلوكاً حميداً أو العكس لا بد أن يتعلم ما يعتقده المجتمع الذي ينتمى إليه حسناً أو رديئاً . وتتم الطفولة وهو لا يزال يتعلم هذا بالتدريج ، تارة عن طريق التعليم المباشر من الوالدين والاساتذة في المدارس وطوراً عن طريق تقليد سلوك أولئك الذين يتصل بهم أو ثقل اتصال . فانه صعب هذا السلوك الاجتماعي المقبول رضاء من ناحية الطفل فمن الواضح أنه سيكرره فيصبح بمرور الزمن عادة . وإذا فوظيفة الارشاد والتوجيه من جانب السلطة المنزلية والمدرسية هي أن يوصلا بالطفل الى مرحلة يتمشى فيها مع مستويات السلوك الطيب دون حاجة للضغط والارهاب . ولا يمكن أن يتأق هذا إلا اذا تعلم الطفل أن يفرق بين الخير والشر وتكونت لديه الرغبة في اتباع ما يراه المجتمع صواباً لأنه يتوقع عن هذا رضاء المجموعة وثوابها هذا الانتقال من السلطة الضابطة الخارجية الى الداخلية . . الانتقال الذي يتبين في تنظيم السلوك من الداخل بحيث يصبح العمل شعوراً بالمسؤولية الشخصية وبحيث يتضمن تفضيلاً لسعادة المجموع وتراجعاً للرغبات والفوائد الشخصية الى مرتبة ثانوية . . هذا الانتقال هو السلوك الخلقى الحميد حقاً . وبما أنه في هذا الضوء معقد كل التعقيد فمن النادر أن يوجد في الاطفال بل تمتاز به سنو المراهقة . ولكن ظهوره في هذه المرحلة الاخيرة او عدم ظهوره يعتمد الى حد كبير على نوع التربية الخلقية التي نالها الطفل في مدى سنين عديدة

فاذا كنا نريد أن يتعلم الطفل ما هو الصواب وما هو الخطأ الخلقى فيجب أن نفهمه بأمرع ما تسمح له سنه لم نعتبر هذا خطأ وذاك صواباً . .



فالكثير منا يعاقب الطفل والآخر لا يدرى . وأيه حيرة تنتابه أكثر من أن يسمح له بأخذ قطعة من البسكويت من صندوق الحلوى دون أن يخبرنا ثم يعاقب لأخذه قلها من الرصاص من درج أحد زملائه في المدرسة . وكيف تسمح له بأن يلاعبك ويضاحكك أمام الجميع ، وتمتد يده الى فخذك أو ظهر يدك فتضحك وأنت تروغ منه ، ثم اذا به بعد لحظة يمدها الى صدغك في مزاح فيحمر وجهك وتعاقبه في خشونة ..! كيف يقدر الطفل ما يرتبط بضربة الوجه من اهانة خلقية تجمعت في أذهانتنا نحن الكبار على أثر عشرات المواقف والاعتبارات ؟

ثم اذا كنا نريد أن نضمن أن يسلك الطفل حسب الصالح العام فلا بد أن ينال فرصا عديدة ليساهم في النشاط الاجتماعي مع رفاقه الصغار . وكما يؤسفنا أن نوجه هذا القول للعشرات من عائلاتنا المترفعة التي تحرم الطفل من النزول للشارع أو الاتصال بغيره من الصغار لئلا يفسد هذا المستوى الفاضل الذي يسير عليه في المنزل ، كما نوجه للمئات من عائلاتنا التي تدلل الطفل وتضع نفسها رهن اشارته فتحتفظ به في المنزل ولا تأمن عليه من الرفاق الذين قد يعتدون عليه أو يضايقونه أقل المضايقة . الى هذا العدد الكبير نقول ان الطفل في المنزل وبين الكبار يتعلم من الناحية الخلقية جانبا واحدا ويغفل الثاني وهو الاهم ، فهو في المنزل ، ينال ، قطعة من الحلوى بمجرد أن يطلبها ، ولكنه في الخارج مع الصغار لا يستطيع أن ، ينال ، الحلوى من زميل الا اذا كان قد ، بذل ، شيئا ما مقابلها منذ لحظة . هذا التعامل الاجتماعي . هذا المبدأ القائل بالأخذ والعطاء .. لا يمكن أن يتعلمه الطفل ، المدلل ،

مراحل النمو الخلقى : كما رأينا في الفصول السابقة من أن هناك خطوات

يسير فيها كل نوع من النمو يمكننا هنا أن نتبع المراحل التي يسير فيها النمو الخلقى . وقد درس ، ماك دوجل ، هذه الناحية ووضع لها أربع مراحل ، وجاء بعده بياجيه فقسمها الى خمس : مستوى العادة ، حيث ارضاء الانفعالات



هو السائد .. والتمشى مع مطالب البالغين .. وتعديل السلوك حسب ما يراه  
الرفاق .. وتفهم الدوافع الأصلية للسلوك .. وأخيرا تقرير القواعد والمبادئ  
والمثل . وأخيرا تبعهما ديوى وتفقس فاعتبراها ثلاثا : السلوك المدفوع  
بالحاجات والرغبات غير الخلقية كالبيولوجية والاقتصادية .. والتمشى مع  
مستويات الجماعة تمشيا أعمى لا عن اقتناع .. وأخيرا السلوك الناتج عن نقد  
وتحليل واقتناع بما تضعه الجماعة . وسنحاول بعد أن نسير على نهج ماك دوجل في  
بعض الاسهاب أن نقيم هيكلا عاما يجمع ما يراه علماء السلوك الخلقى في هذا  
الصدد .

يعرض ماك دوجل في كتابه « علم النفس الاجتماعى ، وتحت الفصل  
الذى يسميه « نمو الذات » ، فى أسلوب جميل وعبارة سلسلة واضحة نقطا أربعة  
يخطوها الطفل فى نموه الاجتماعى والخلقى ، أو يخطو معظمها ، منذ فجر حياته  
الى أن يشب ويتكامل :

١ - المرحلة التى يتحدد فيها السلوك حسب اللذة أو الألم المشتقين من  
الاحساسات الجسدية .

٢ - المرحلة التى يحدد سلوك الطفل فيها الثواب أو العقاب المستمدين  
من السلطة المنزلية .

٣ - المرحلة التى يسكون العامل الاول اثناءها المدح أو الازم الصادرين  
من المجتمع الخارجى .

٤ - المرحلة الاخيرة وهى أرقاها .. حيث يتصرف الفرد حسب المدح أو  
الازم المشتقين من قوة كامنة تنبع من داخله .. قوة مستقلة عن المجتمع الكبير  
الذى يعيش سوادنا الاعظم فيه ويخضع لتقاليد ونظمه وأحكامه

وسنتناول هنا كل نقطة من النقاط السابقة محاولين عن طريق الامثلة أن  
نبين كيف تتغير فكرة المرء عن السلوك الخير أو السىء تبعاً لخروجه فكرياً  
من بيئة لآخرى .



وانبدأ بالمرحلة الاولى .. حيث أساس السلوك اللذة أو الألم المستمد من الاحساسات الجسدية . وواضح أن هذا هو السائد في حالة الطفل الرضيع بنوع خاص . ولقد اشرنا في مناسبة سابقة الى ان هذه هي الطريقة التي يستكشف بها الطفل الحديث الولادة العالم المادى الذى يحيط به . فهو اذ ياتى بذراعه في حركة عشوائية فيصطدم بحاجز الفراش الصلب يتألم .. ثم اذ يلقيه في مناسبة أخرى وهو على حضن امه فيعثر بشديها يشعر بالراحة والدفع فيتلذذ ويسر ، او قد يمد يده فتعثر بقمه فيمص اهامها ويشفق من هذا لذة جسدية فيتكرر السلوك ، تماماً كما يحدث لو عثر بأعضائه الجنسية .

واذن تتحدد قوالب سلوك الطفل في السنتين او الثلاث الاولى حسب ما ينال جسده من ألم او تلذذ . فهو قد تعود الا يقترب من هذه الآنية لانها ساخنة وقد اکتوى جسده في مناسبة سابقة بلسعة الحرارة اذ حاول ان يمسكها .. تماماً كشعوره اذ اذ لك الشئ اللامع الحاد الذى يسميه الكبار «موسى» فهو لا يقترب منه او يلمسه لانه تعلم انه اذا فعل فيصاب جسده بألم فتمض كما حدث لاصبعه يوماً .

وهكذا فالاحساس الجسدى .. اللذة او الألم الجسمانيان .. هما وسيلتان نافعتان لتحديد قوالب سلوك الطفل في اول عهده بالحياه . ولكنهما وسيلتان بدائيتان كما يرى وبجال عملهما محدود ، فانت لا تستطيع ان تجرب كل شئ حتى اذا انتهت بلذة جسمانية تبعته واذا آلمك توليت عنه كما حدث للطفل الذى لسعته المسكواة او الآنية الساخنة . فانت لا يمكنك ان تجرب السقوط من النافذة مثلاً حتى اذا عرفت بالتجربة انه مؤلم لم تعد اليه . وهناك غير هذا آلاف الامثلة لأعمال نقوم بها او نعرض عنها دون ان نجربها

ولكن ليس هذا هو الميدان الوحيد الذى تقصر عنه هذه المرحلة ، فالأهم من ذلك أن الحياة ليست كلها لذة جسدية أو ألم جسماني .. بل ان الأمور على العكس كما يبدو لى ، فليس كل ما يسبب للرجل الفاضل اذة جسدية



عاجلة يتبعه أو ينتج عنه ضرر جسدى يعرض عنه. بل إن العاقل كثيرا ما  
يضحي بلذة الجسد العاجلة الزائلة في سبيل لذة الروح الدائمة التي كثيرا ما  
تتحقق على حساب الجسم المادى، وأمامنا التضحيات الفداء التي قدمها الانبياء  
من قديم الزمن اذ اوذوا وطردهوا واضطهدوا.. وجرح بعضهم وهو يقاتل دفاعا  
عما رآه الحق والنور.. وصلب البعض الآخر ومات وعلى فمه دعوة مباركة..  
مات وهو فاتح ذراعيه كأنما ليتقبل البشرية الى صدره الدامى  
ليس هذا سلوكا مستمدا من اللذة أو الالم الجسمانيين وليقس القارىء  
على هذا أمثلة البطولة التي يسردها لنا التاريخ.. اولئك الذين ضحوا  
بحياتهم رخيصة في سبيل الوطن أو لانقاذ زملائهم.. لا بد أن سلوكهم قد  
تجاوز المرحلة الاولى الى ما هو أرقى. وأكبر ظنى أن معظمنا قد سمع  
عن معركة اليرموك التي دارت بين العرب والروم وسقط فيها كثيرون  
من الجانبين. وكان من عادة القوم أن يمر السقاة بين الجرحى والمشوهين  
بعد انتهاء المعارك ليردوا بالمياه اللهب الذي يشعر به الجندى الجريح في  
جوفه وقد استبد به الالم. ويحدثنا التاريخ عن أحد هؤلاء السقاة وهو يقترب  
بانائه من جندى يئن ويتقلب على الارض وهو في سورة الالم، حتى اذا  
أخذت عيناه الخافتان مرأى الساقى هم بفتح فمه ليتلقى الماء البارد الرقيق  
ثم اذ به يعدل عن هذا بقوة غلابة، ويشير باصبع مرتعش الى جندى  
من جنود الروم أى من الاعداء برقد على بعد خطوات منه وكأنما يقول  
اسقه فهو أحق منى بجرعة من هذا الماء الجميل فحاله أسوأ منى. ويذهب  
الساقى الى الجندى الرومانى وهو يسبح في بركة من دمانه فيتحمّل هذا  
على نفسه ويزم شفتيه ليشرب ثم يتراجع عن هذا بمجهود قاهر ليشير الى  
زميل آخر. ويظل الساقى ينتقل من جريح الى آخر حتى يعود الى الاول  
فاذا به قد مات فيسرع الى الثانى ثم الى الثالث ومن بعده فاذا بهم قد قضوا  
نحبهم جميعا، وكل منهم يؤثر زميله أو حتى عدوه على نفسه وهو على قيد  
خطوة من الموت



ما أبعد هذا السلوك عن ارضاء مبدأ اللذة أو الألم الجسمانيين .. او ما لنا  
تقلب صفحات التاريخ البعيدة ولدينا عشرات الامثلة من الحياة اليومية ؟ ان  
الموظف وهو يسعى ويكد ويحمل حتى عن زميله بعض أعباء العمل، والطالب  
وهو يسهر الليل يعمل ويجد لي اجتاز امتحانه ، والطبيب وهو يترك فراشه في  
منتصف الليل ليعود أحد المرضى ، والأم وهي تقضي الليل جالسه الى  
جانب طفلها المريض . وخروجك من منزلك للصلاة أو لسماع محاضرة أو  
تنفيذ الموعد مع أحد الرؤساء ، كل هذا وأنت مرتد ملابسك الضاغطة التي  
لو كنت في المنزل لتحررت منها .. هذا السلوك وعشرات غيره لا يمكن أن  
يكون مجازاة لمبدأ اللذة أو الألم الجسمانيين .

ولكن ليس معنى هذا أننا جميعا قد تركنا هذه المرحلة المبدئية من السلوك  
الى ما هو أرقى ، فهناك مئات الامثلة لامن الاطفال الحديثي الولادة فحسب  
فسلوك الاطفال في هذه الحالة لا يعتبر شذوذا وانحطاطا وانما هو تمش مع  
الطبيعة . وانما من الكبار أيضا . ولدينا في حالات الرعاع والمستهترين سوق  
فسيح ، وما ظنك برب الامر الذي يتسلم مرتبا شهريا يمكنه بالكاد أن  
يسد حاجات منزله وعائلته لو تصرف تصرفا حكيما ، ثم اذا به ينفقه بغير  
حساب بين حانات الخمر وأصدقاء السوء ، لكي يظفر ببعض ضحكات رنانة  
جوفاء أو يتمتع بلذة الخمر الجسدية العارضة . ثم يستفيق في اليوم التالي وقد  
ذهب الحلم وترك وراءه كابوسا ثقيلًا .. بين اطفال جياع يتصايحون وبصر خون  
وهو عن عونهم عاجز قاصر ، وبين عمل مكدم متراكم يحتاج انجاز له لسهرات  
طويلة لا قبل له بها فقد خدرت الخمر أعصابه فأضحى خائر العزيمة ، وبين  
دائنين يلاحقونه آناء الليل وأطراف النهار . ولكن مبدأ اللذة والألم الجسمانيين  
يسيطر على تصرفاته فلا يكاد يتسلم مرتبه في الشهر التالي حتى يجد نفسه مسوقا الى  
الليالي الصاخبة والضحكات الرنانة الجوفاء .

ثم ما قولك في المرأة التي تثور على الحياة الزوجية الهادئة الهائنة في سبيل



لحظات التمتع الجسدى الزائل . وهناك بين ضمات القوم وقبالاتهم تخلق عالمها  
من الورق المزخرف البراق . بين كأس تبعث في دماؤها حرارة دافقة ورقص  
يرسل في أعضائها نشوة طاغية ، فتسلم جسدها على مذبح الشهوة البهيمية  
الدينئة .. ؟ ولكن هذا القصر الذى بنته من الورق لا يحتمل أعاصير  
الحياة فيتهاوى على رأسها مخلقا حطاما تذروه الرياح .. بين زوج مهين تركها  
على قارعة الطريق .. وأبناء يلعنونها ويركلونها بأقدامهم فهى لهم مصدر للشر  
والعار . ولكن مبدأ اللذة والالم الجسديين لا يزال يعمل عمله فى طبيعتها  
الدينئة فلا تملك سوى الانقياد الى ذلك التيار البهيمى الجارف اترجع بذلك  
صدى نداء الجسد الذى يسوقها الى حتفها بخطوات واسعة بعد أن قضى عليها  
خاقيا قضاء مبرما .

نتقل بعد هذا الى المرحلة التالية من هيكل ماك دوجل الخلقى .. المرحلة  
التي تتمثل فى طاعة مبدأ الثواب أو العقاب الصادرين من الوالدين أو من يمثل  
السلطة المنزلية . ومن الواضح أن الطفل حتى سن السادسة أو السابعة يعتبر  
المنزل هو المحرك الاول لشئونه ، وأن والده هو مثله الاعلى يستمد منه الرأى  
والمشورة والارشاد ويقلده فى الحركات والاصوات ، وأن والدته هى مصدر  
العطف والحنان ، المستجيب لرغباته وأهوائه المتسلطة ، ولا عجب فعاطفة  
الامومة وما يتفرع عنها من انفعالات السرور والرضى الناتجة عن ارضاء  
حاجات الطفل الملحة كالامتلاء الجسدى اذا جاع ، والدفع والراحة اذ ينام  
الى جوارها أو تحتضنه الى صدرها ، والحماية من عدو خارجى أو من أوهامه  
وتصوراته ، كل هذا يجعل لعاطفة الامومة قوة واعتبارا حتى ليمكن أن يقال  
انها أو ثقل العواطف جميعاً . وهكذا نجد الصبي فى معاملاته المدرسية فى روضة  
الاطفال أو اوائل المدرسة الابتدائية خاضعاً لاحكام المنزل فخوراً بهذا  
معتزاً به .



هنا تبرز التربية المنزلية كالعامل الأول والاساسى في تحديد سلوك الطفل .  
فاحساساته الجسدية التى كان يطيعها في العامين الاولين من عمره قد تركها  
جانبا بمجرد أن فهم أن هناك أباً وأماً يقضى في كنفهما معظم أوقاته . .  
ويستمد من نظرتهم الى الحياة آراءه وتصرفاته . فهو يسارع الى ارضائهما  
لانه بهذا ينال رغباته وفي هذا لذة له ، ويبتعد عن إيلاهما لانه بهذا  
يستحق الضرب والتأنيب وفي هذا ألم له .

بعد هذا تبدأ نظرة الصبي تتسع وتنمو ، فيرى في زملائه في المدرسة  
أو رفاقه في نفس الحى المجتمع الذى يطيعه ، وهذه هي مرحلة العصابات  
حيث يحيا الجماعة وزعيمها على أشده . . هذه المرحلة التى تثبت وتوسع عند  
المراهق في المرحلة الثانوية فيتسع المجتمع الذى يسايره ، وهكذا يتراجع  
الوالدان الى الظل ويبدأ الغلام يتخذ من زملائه في الدراسة من فصول أعلى  
أو من الكبار الذين يحيطون به في الاوساط الاجتماعية التى يتقدم اليها مقاييس  
يحدد سلوكه على اساسها . فاذا رأى منهم موافقة أو رضى أمعن في هذا  
الطريق ولو كان في هذا مخالفة صريحة لأوامر الوالدين . . واذا لاقى منهم  
تحقيرا واشمئزازا نأى عنه ولو تسبب عن ذلك اصطدام بينه وبين الوالدين  
في المنزل . وهذا هو ما يدفع طالب المرحلة الثانوية لان يكون مع زملائه  
جبهة قوية متماسكة يطيع رأيها ولو كان في هذا عقابه . فهو إذ يشور على  
السلطة المدرسية فيضرب عن الدراسة انقيادا لرأى الجماعة يشعر بالفخر ، وهو  
مستعد لتحمل المسئولية الناتجة عن هذا وما يمكن أن تصبه السلطة على رأسه  
من غضبها دون أن يذكر أسماء زعماء الاضراب من زملائه . وهو اذ  
يدخن يشعر بالفخر ، لانه أصبح واحداً من الجماعة التى ينتمى اليها ، والتدخين  
في نظرهم عنوان الرجولة . ثم هو اذ يتسلل المنزل ليقابل اصدقاءه ويطول  
غيابه عن البيت يشعر بالفخر ، فالسلطة المنزلية التى كانت يوما مثار فخره  
وانقياده أصبحت اليوم عنوانا على الضعف والاستسلام والطفولة ، وهو  
اليوم رجل يدين بآراء الجماعة التى ينتمى اليها ، وماذا يقول زملاؤه لو عرفوا



أن «بابا» و«ماما» لا يزالان يطبقان عليه قوانين الأطفال .. من عشاء مبكر الى نصائح وارشادات .. الى نوم تتخلله عنايتهم وتغريضهما له خلال ساعات الليل ١٠٠ ؟

وهكذا يجتاز الغلام العاوى ما بين السادسة والثامنة الحد الفاصل بين المرحلة التى يسميها ماك دوجل الانقياد للثواب والعقاب الصادرين من السلطة المنزلية الى المرحلة الثالثة وهى الخضوع للمدح والذم اللذين يفرضهما المجتمع . ويصل هذا الانتقال الى أبرز صورته حوالى الثالثة عشرة ، وهى حالة مصحوبة دائماً بتوتر شديد ، فالسلطة المنزلية لا تحب أن تتخلى عن قيودها واحكامها وسيطرتها بسهولة ، والفتى لا يحب أن يدمغ طويلاً بطابع الطفولة الذى يلتصق به لو أطاع أوامر الوالدين وظل بهذا منضوياً تحت لوائهما .

وواضح أن مصلحة الفرد ومصلحة المجتمع هما فى تسهيل اجتياز هذه الحدود الفاصلة بين مرحلة ومرحلة . فكلما أسرع الطفل فى سن الثانية فى الخروج من مرحلة الاحساسات الجسدية ، وكلما أسرع فى التحكم فى تصرفاته لا على أساس اللذة أو الألم الجسمانيين ولكن حسبما يرى الوالدان ، كلما كان بهذا أقرب الى الرقى الخلقي . وبالمثل كلما سارع الطفل الى الخروج من دائرة المنزل الضيقة الى عالم المجتمع الصغير حوالى السابعة ثم المجتمع الواسع فى الرابعة عشرة كلما قرب من السكمال الخلقي . وواضح أن المرء كلما اتسعت نظراته عرف أنه لا يعيش لنفسه فقط كخادم لشهواته ولذائذه الجسدية .. ولا لاسرته فقط كمنفذ لرغباتها ومضج فى سبيل راحتها ، وإنما للوطن فى مجموعه . بل قد يشعر أنه عضو فى جماعة عظيمة هى العالم كله .. لا فرق بين مصرى وأجنبى ، أو بين مسلم ويهودى . فالجميع أسرة متماسكة عليه أن يوجه همه الى ارضائها والنهوض بها ؛ هذا هو الفرد النامى المتكامل ، فاذا استطعنا كمر بين أن ندلل هذه العراقل القائمة بين مرحلة ومرحلة .. اذا استطعنا أن نخرج الى الحياة أفراداً يتصرفون كما يقول ماك دوجل فى المرحلة الثالثة حسب



ما تمليه عوامل المدح أو الذم من المجتمع الواسع الكبير فانما نهيء للعالم بهذا  
عوامل النهوض والسلام الدائم .

ولكن هل هذا هو ما يحدث حقاً..؟ أقولها والاسف يعلاني.. كم  
منا يقف عند المرحلة الاولى .. مرحلة الاحساسات الجسدية . وكما فعل السكير  
الذي تناولنا حالته منذهنية فباع شرفه وعائلته وصحته للشيطان لقاء سويغات  
اللذة الخادعة التي لا تلبث أن تزول ، أو كما فعلت المرأة الساقطة التي عرضنا  
لها منذ برهة فقدمت هناك ومنزلها وسمعتها قرباناً يحترق على مذبح الشهوة  
البهيمية الفاسدة ، هكذا يتصرف كثيرون ممن نراهم تصرفاً أخرق .. منقادين  
وراء لذائذهم الجسدية ومبتعدين عن كل ما يسبب شعوراً بالمسئولية أو بذلاً  
للتضحية ، فهذا يسبب ألماً جسدياً لا قبل لهم بتحملة

وكم منا يقف عند المرحلة الثانية..! كم منا يعيش في دائرة المنزل الضيقة  
فيستمد منه نظمه وآراءه ، وقيس كل شيء بمقياس الوالدين المتعصب المحدود ،  
وهكذا يعيش في عالم آخر .. بعيداً عن المجتمع الفسيح .. عن الانسانية  
بآمالها وآلامها . والسبب في ذلك راجع للأسف اليانحن ، اذ بتمسكنا  
الاحق بالطفل وفرضنا عليه قوانيننا وأحكامنا وتدليلنا له واجابتنا لمطالبه  
وتعطيلنا لانفطامه الخلقى عنا خصوصاً في دور المراهقة انما نقف حجر عثرة  
في سبيل تسكوينه الخلقى الصحيح .

أما المرحلة الثالثة فيصل اليها معظمنا ، اذ يتصرف على ضوء مستويات  
الجماعة ، ولكن أفراداً قلائل هم الذين يجتازونها للمرحلة الاخيرة اذ تسيطر  
عليهم قوة داخلية تلجئهم الى تنفيذ ما يرونه الحق ولو هبت الجماعة كلها لتثنيهم  
وتحولهم عن رأيهم ، أو لو اجتمعت مغريات العالم البراقة وقسوته العاشمة  
لاعادتهم الى حظيرة المجتمع ، فلقد مروا في المراحل الثلاثة الماضية وسموا  
عنها وقديماً وقف جاليليو وحده أمام علماء ايطاليا ومحاكم التعذيب ، يرسف  
في الاغلال وهو شيخ في الثمانين فما اختلجت له عين وما تراجع عن المناداة



بمذهبه الجغرافي في وقت كان كل شخص يعتقد أن الارض التي يعيش عليها  
ثابتة لا تدور !.. وقدما ضحك العالم ملء شذقيه عندما أعلن باستوران معظم  
الأمراض تنشأ عن مخلوقات دقيقة لا يزيد طول الواحد منها عن ١ على ٢٠٠  
من المليمتر سماها الميكروبات. وحس الرجل طيلة نفسه حياته في معمله الصغير  
يناضل في معركة من أنبل وأروع المعارك في تاريخ البشرية جمعاء . وكسبت  
البشرية المعركة ، بفضل ارادة لا تنزعزع ، وعزم لا يلين . تلك هي الذروة  
في النمو الخلقى وقليلون هم الذين يصلون اليها .

نظرة عامة : نخرج من كل هذا بأن النمو الخلقى يتخذ طريقين أساسيين :

ا - تكوين السلوك الخلقى الحميد

ب - تكوين الأفكار الخلقية الصحيحة .

ا - السلوك الخلقى : واضح أن افهام الطفل ما هو الخير والشر كدروس

ليس كافيا . فلقد يخرج الصغير بانتاج ضخم من المثل والأفكار الخلقية  
ولكننا لا نتظر منه أن يطبق هذا الفيض من المعلومات على تجاربه الحسية  
اليومية ، فهذا لا يترفر الا اذا اقتدناه ليكون عادات سلوكية . فالطفل قد  
يعرف مثلا أن من الخطأ أن يغش من زميله في المدرسة ، أو يأخذ النقود من  
محفظه والده ، أو يفر من العقوبة التي توقع على من يرتكب جرما . ولكن  
هذه المعرفة مقصورة على الأفكار المجردة النظرية ، ولا يمكن أن نتوقع أن  
يطبقها في مواقف خاصة الا اذا وصل من العمر حدا يرى فيه من تلقاء نفسه  
العلاقة بين ما يعلم وما يمارس في هذه اللحظة .

واذن فتعلم الطفل السلوك المستحب يتبع نفس القوانين التي تسير فيها أنواع  
التعلم الاخرى ، فعليه أن يتعلم أولا أن يستجيب استجابات صحيحة لكل  
موقف من المواقف المخصصة التي يمر فيها ، فهو في أول عهده في المنزل يتعلم  
كيف يتمشى مع مستويات السلوك داخل هذه الجدران الضيقة ، وبعد هذا  
مع المدرسة بمجرد انتقاله اليها ، فاذا أصبح عضوا في جماعة اللعب فعليه أن



يسار ما تضعه العصا به من دستور

واضح اذن أنه على قدر اتفاق هذه المستويات واجتماعها في مجرى واحد تتحدد قدرة الطفل على رؤية أوجه الشبه بين موقف وآخر ، وهكذا ينتقل الى المرحلة التالية . . تكون الدستور الخلقى والأفكار الصحيحة المجردة عن الخير والشر . أما اذا اختلفت وتقطعت بها الاسباب ، كأن يدين المنزل بأفكار معينة بينما تصرخ المدرسة في واد آخر ، أو ينضم الصبي الى شرذمة من الرفاق لا يرعون عهدا أو يقيمون للمدرسة والمنزل وزنا ، أصبح من الصعب أن يجرد المسكين في ذهنه ما يحتاجه الخلق من افكار كالحق أو الطاعة أو الواجب يمكن أن يحتفظ بها فتصالح في كل المواقف . وكم من الشقاء والحيرة ينتابان الطفل إذ يعاقب هنا لأدائه عملا يمر في موقف آخر دون تعليق ، بل وقد يعتبر في ثالث نموذجا يحتذى فيستحق عليه كل تبجيل ! . .

بل وحتى في الموقف الواحد يجب أن تكون المعاملة من الثبات بحيث يكون الطفل للعمل قيمة معينة لا تتقلب أو تتأثر بالاهواء والنزعات ، كأن يخطئ الطفل في حضرة الضيوف فلا ينهاه الوالدان ، أو يبالغ الأب في موقف خبره الطفل فاذا استوضحه الاخير عن نقطة معينة اعتذر ببساطة « لا يا حبيبي دانا بس كنت باهزر » . يجب أن نواجه الموقف في صراحة وجلاء ، ولتعتبر السرقة عملا خاطئا في كل موقف ، سواء أخذ الطفل قطعة من البسكويت من دولاب الطعام ، أو زراراً قديماً من منزل الجيران ، أو ورقة من فئة العشرة جنيهات . بل وحتى لو لبس الطفل جورباً كان يلبسه شقيقه الاكبر فلنفهمه مشروعية هذا العمل على أساس رضا الاخير ، ولنحذر أن يرى الصغير أننا نبرر الموقف بمجرد كلمات .

والحق أن انتقال معرفة الطفل بالسلوك الحميد أو السيء من موقف لآخر لا يتأتى الا اذا تقاربت وجوه الشبه بين المواقف لدرجة أن يدرك الطفل العلاقة . ولقد وضح من تجارب هارتشورن وماي أن معامل الارتباط بين



الغش في الاختبارات المتشابهة كالحساب وتكوين الجمل هو ٦٩٦ ر. مقابل ١٩٨ ر. بين الغش في الفصل والغش في المباريات الرياضية. واذن فالسلوك الخلقى لدى الصغار يتكون من عادات يتعلمونها مرتبطة بمواقف خاصة وهي لا تعمل الا في مواقف متشابهة. ولنا أن نتساءل هل الطفل الذى تعلم ألا يمد يده الى محفظة والده ليأخذ نقودا تنتقل معه هذه العادة السلوكية فيما يختص بالعلبة التى تحتفظ. فيها العائلة بالنقود الفضية ؟ ان النواحي الظاهرة للموقفين مختلفة ولذا يشك في امكان الطفل رؤية ما هو مشترك على قدر وضوحه بالنسبة للكبير .

واذن فالتدريب الخلقى فضلا عما سبق يتضمن قيادة الطفل لرؤية العناصر المشتركة من المواقف التى تبدو متمايزة مختلفة ، وهذا يتطلب بطبيعة الحال تقديمه لا كبر عدد من المواقف مشفرا بالارشاد والتوجيه . وواضح أن هذه النقطة تحتاج من الطفل تحليلا من نوع معقد لا ننتظره من الطفل الصغير . ولكن صبي الثامنة أو التاسعة يمكنه أن يتعلم أن من الخطأ أن يأخذ نقودا تخص آخرين سواء أ جاءت من محافظهم ، أو أدراجهم ، أو دواليبهم وأخيرا فإن دراساتنا النفسية لبناء العادات تريدنا أن من الضروري ألا يسمح بحدوث أى استثناء حتى تثبت العادة . وبنفس الطريقة يجب أن يكون السلوك الخلقى ثابتا على وتيرة واحدة ، فالأعمال الخاطئة غير مقبولة الآن وغداً وبعد غد ، فلا نعاقب عليها الآن ثم ندعها تمر في غير اهتمام بعد لحظة .

ب - تكوين الافكار الخلقية : ونعنى به معرفة الخير والشر في صورة مبادئ مجردة . وهو في تعقده لا يتوفر للطفل الصغير اذ ليس لديه من القدرة العقلية ما يمكنه أن يعمم مبدأ من مبادئ السلوك لينقله من موقف لآخر ولقد سبق أن أشرنا الى أن الطفل يتعلم أن يحكم على سلوكه كصواب أو خطأ على ضوء نتائج أفعاله . فاذا كان النظام الذى يطبق عليه ثابتا فسرعان



يحكم على عمل ما بأنه خطأ لأن العقوبة في شكل ما تعقبه باطراد ، بينما عمل  
آخر يعتبره صائبا لان المديح من نوع ما يصحبه دون تردد .

فاذا تقدم الطفل في العمر قليلا فيجب أن يتعلم أن يحكم على سلوكه على  
ساس النتائج الاجتماعية بصرف النظر عن النتائج الشخصية التي تعود عليه .  
هكذا يفكر في كيف ستحكم الجماعة على هذا النوع من العمل لافيا سيناله  
هو عن طريقه . فالصبي في مرحلة العصابات مثلا يرى أن وشاياته عن العصابة  
للمدرسين أو الوالدين تسبب له رضاء مؤقتاً اذ يتناوله هؤلاء بالمديح ولا يمكنه  
سرعان ما يكتشف أن اعضاء العصابة ينظرون الى هذه الاعمال بكل ازدراء  
ولذا يراها خطأ كل الخطأ

وما من طفل يمكنه أن يتعلم ان يصدر احكاما خلقية ناضجة ما لم  
تتوفر له الفرصة للاتصال بالآخرين ، فهو بهذا يلبس مدى تقديرهم لسلوكه .  
فمن المهم بوجه خاص أن يتصل بالغرباء سواء من الكبار أو من الرفاق في  
منه ، ف هؤلاء لن يتغاضوا عن أخطائه كما يفعل أعضاء عائلته

وطبيعي أن تبدأ الافكار الخلقية في دائرة ضيقة محددة في ارتباطها بمواقف  
مخصصة تم فيها التعلم . وكلما ازداد ادراك الطفل للعلاقات خرج بأفكار عن  
الخير والشر في مواقف مختلفة وان كانت عناصرها مترابطة . وهكذا يتعلم  
الطفل أفكارا عامة كلما تعرف نواحي مشتركة في عدد أكبر من المواقف .  
ولا يمكن أن يقتصر الأمر على الارشاد والتعليم والمواظبة بل لا بد أن  
يصطدم الطفل بمواقف الحياة الحقيقية ليستشف منها ما تنطوي عليه  
من عناصر .

وقد تعددت الابحاث التجريبية على الافكار الخلقية ، وضع منها أن فهم  
الصغار لها يتمشى مباشرة مع الذكاء والنضوج الفكري العام . واستطاع  
المؤلف أن يقوم ببحث متواضع في هذا الصدد على حوالى ٢٠٠٠ من الصبيان  
والفتيان معظمهم من طلبة المدارس الابتدائية والثانوية ، تراوح اعمارهم بين



السابعة ثم العشرين، فطلب منهم ان يضعوا قوائم تحتوى ما يرونه اردأ الاعمال  
وأبعدها عن الخير . واتضح من النتائج أن ما يراه الصغار حتى التاسعة شراً  
يكتسب صفته الاعمال المحسوسة كعصيان الوالدين أو معاكسة الاشقاء  
والشقيقات . وبعد التاسعة تبدأ الافكار الخلقية في التجرد ، فالسكذب أو اخذ  
النميمة هنا عمل ردى . لا السكذب على الوالدين لاخذ نقود كما كان الحال  
سابقاً بل وحتى في المراهقة والبلوغ عندما نحا البحث نحو تضيق الحلقة في  
حدود افكار نظرية كالوطنية مثلاً ، وجد أنها عند الطلبة الاصغر سناً تدور  
حول اشخاص أو هيئات معينة ، ثم اذا بها تتخلص من هذه الروابط بازدياد  
العمر لتعنى معنى مجرداً شفافاً يعلو عن الشخصيات والاهواء .

معنى الخلق عند الصغير : الطفل حتى الثالثة لا يفهم لمستويات الخير والشر  
كما تقبلها الجماعة أى معنى ، فسلوكه يتحدد حسب دوافعه ، وهو يحكم على  
الخير أو الشر تبعاً للذة والالام اللذين يهيمهما له العمل لا في حدود الفائدة أو  
الضرر الذى يمكن ان يعود على الآخرين . فهو حتى اللحظة لا يملك من  
التفكير ما يعينه على ان يدرك سوء العمل الا اذا نتج عنه نتائج سيئة ، وبالتالي  
لا يرى ما يدعو لتعديل هذا السلوك ارضاء للآخرين ، اللهم الا اذا صاحب  
سلوكه نتائج مؤلمة .

وكل ما يمكن أن يحدث هنا هو أن الطفل وقد وصل للثالثة أو الرابعة  
في منزل يطبق نظاماً ثابتاً مستقراً يعرف ما هو مقبول ، واذن فهو صواب ،  
وما ترفضه البيئة المنزلية ، ولذا فهو خطأ . أما الاحساس بالواجب نحو  
الآخرين .. أما اداء عمل لارضاء الآخرين .. فشئ لا يخطر بباله مطلقاً . هو  
يفعل ما يسره هو دون تفكير فيما ينال الآخرين عن طريقه ، فاذا آلمهم  
فلن يتطرق اليه أى ذرة من الندم .

ومن الواضح أن فكرة الملكية وحقوقها حتى هذه اللحظة فمكرة غريبة  
عن الطفل ، فهو يأخذ الاشياء التى تسره بصرف النظر عن كونها ليست ملكه



عن السهل جداً أن يتناول لعبة جميلة من داخل الحانوت أو من منزل طفل  
تغر إذا اعجبته دون أن يتطرق الى ذهنه أقل احساس بان هذه سرقة. وحتى  
عملاً لا ينهنا الى عدم لمس شيء لا يخصه كحصان مثلاً فإنه كثيراً ما ينسى التنبيه  
شراً إذا أثار شغفه شيء جديد يخاف لما ينهنا من أجله كصندوق من الحلوى .  
شفاً لا يستطيع أن يجرد في ذهنه فكرة «الملكية» بحيث يعممها في كل حالة  
أو أخذ الشخص فيها شيئاً ليس ملكه . واذن فكلما ارتبط العمل بنتيجة سارة  
الحال بيئة بالنسبة للطفل شخصياً .. كلما تقدم لمواقف كثيرة متنوعة يرى فيها العمل  
في المحسن في كافة مظاهره ونواحيه والى في مختلف ظروفه وملابساته . كلما كان  
دوراً أدعى لتكوين مستويات ثابتة للسلوك الخلقى في المرحلة التالية .

الخلق في الطفولة المبكرة : ننتقل بعد هذا للطفل من الثالثة الى السادسة

الشر حيث أسس السلوك الخلقى يجب أن تكون . وصحيح أن الطفل لم ينضج  
عنياً بعد، كما أن خبراته لا تزال فجة محدودة فلا يمكن أن نتوقع أن يفهم  
على هذا ومن اين جاءت القواعد ، ولستنا نبين له فقط كيف يتصرف ، وهو  
أن يستطيع أن يدرك عظم الاخطاء التي يعملها تبعاً لقسوة العقوبة التي ترتبط  
من العمل . واذن فالطفل يتمشى مع مستويات السلوك التي تضعها البيئة وهي هنا  
التالي كوسيلة لتجنب العقوبة واكتساب المديح . وهذا يدفعه لعمل الخير  
حين أن يعلم لماذا يتصرف هذا التصرف دون غيره . وهكذا تنتهي هذه  
مرحلة وقد تكونت لديه عادات للطاعة . فاذا كان الكثير من تصرفات  
الطفل حتى هذه اللحظة سيئاً في بيئة معتدلة فهو إنما يفعل هذا بدافع من الجهل  
ب ، لرغبة داخلية في عدم الطاعة .

نحو ويبدأ تكون الافكار الخلقية عن الخير والشر في هذا العمر ، اذ ترتبط  
هو بصفات مثل «كوييس» ، «وحش» ، «شقي» ، «عيب» ، بتصرفات معينة  
لهم هكذا يتعلم الطفل أن انواعاً خاصة من السلوك «كوييس» بينما غيرها  
بوحشة ، وان المديح والثواب يعقبان الاولى بينما تسبب الأخيرة له عقاباً



وتعنيفا . وهكذا يرى السلوك في ضوء خير أو سيئ . وبالتالي تتسكون لديه أفكار خلقية مخصصة لارتباطها بمواقف معينة . ولكن الشقة حتى الآن بعيدة بين السلوك الحميد والأفكار الخلقية ؛ فلو أن الطفل يعبر عن الخير والشر تعبيراً كلامياً صحيحاً إلا أن هذا ليس داعياً لأن تتبعهما أعمال حميد تمشي مع هذه المعرفة .

ثم إنك لا تجد الطفل يناقش هذه القواعد ويتساءل عما فيها من العدالة أو القسوة ، بعكس الطفل الأكبر الذي يحاول أن يضع أنواعاً من السلوك تفي بحاجته وتكون مرادفة للقاعدة التي هي بسبيلها . فمثلاً ما بين الثالث والسادسة إذا كان قد تعلم أن من الخطأ أن يأخذ لعبة تخص طفلاً آخر إلى منزله فهو إما أن يطيع أو يعصى .. يأخذها أو يتركها .. دون أن يخطئ في بالله أن يخترع مرادفاً لهذا السلوك فيقول إذا ضبطت أنا كنت حاسماً كام يوم وبعدين أرجعها ثاني . ١٠ .

الحلق في مرحلة العصابات : يخرج الطفل بعد هذا إلى مرحلة العصابات حيث السلوك الخلقى تحدده الجماعة الصغيرة من الرفاق فلا يكاد يصل إلى سن العاشرة أو الثانية عشرة حتى يكون قد فهم الفكرة المقصودة من القواعد الخلقية وينافس فيما إذا كان السبيل الموصل لها صالحاً أم لا . وهو هنا تسكون لديه فيض من الأفكار الخلقية التي تعلمها عن الخير والشر مرتبطة بمواقف متعددة . ولكن ينقصه الخلق الصحيح في كونه غير قادر على أن يصدر بنفسه حكماً شخصياً على عمل ما بأنه صواب أو خطأ ، بل هو يعتمد على ما قد تعلمه متصلاً به

فاذا كان أساس السلوك قد تكون في المراحل السابقة فإن الصبي هنا لديه إحساس قوى جداً بالعدل والشرف . هو يعتقد أن من الخطأ أن يكذب أو ينم ، أو يجبن أو يهين الصغير أو الضعيف ، أو يصفح عن رقيق تنكر للجماعة . هو يحتقر الكذب والغش والسرقة إذا كان يجتمع مع الصغار يرى هذه الأعمال خاطئة ، وهو يشتط في هذا إلى حد كبير فمستويات الشرف



ثابتة جامدة محددة لا يمكن أن تسمح بزلة واحدة. ومن هنا ندرك مدى النفع الكبير الذي يتبها لو اندمج الطفل في هذه المرحلة في الفرق الكشفية فهو يدين بقانونها الذي يوافقها تماما من حيث الصدق فالكشاف صادق وشرفه موثوق به .. والطاعة لزعيم العصاةة فالكشاف مطيع لما يصدر اليه من اوامر سواء من رئيس الجماعة أو معلم الفرقة .. ومساعدة الضعيف وهو ما يبدو في شعار التحية اذ يتعاون الايهام ممسكا بالاصبع الصغير

والمهم بطبيعة الحال نوع المجتمع الذي يسيطر على الطفل ، فايحاء الزعيم والرفاق هنا قوى جدا ، وما دام الاطفال كما قلنا على استعداد لمناقشة القوانين ومدى عدلها وصلاحياتها فليس من النادر أن تعرض حالة طفل أمام الجماعة فتثير سخطهم وحنقهم فوالداه يمنعانه من الخروج والاتصال بهم وهما يصرخان في وجهه ويؤذبان له لاسباب لاحصر لها بل ويوقعان عليه عقوبات بدنية عسيرة ويميزان عليه شقيقا أو شقيقة أكبر منه سناً .. أقول قد تعرض حالة زميل مثل هذا وهي كثيرة الحدوث في منازلنا فاذا بالزعيم يقرر انها معاملة « غير عادلة » .. وتنحاز اليه الجماعة على الفور ، فاذا بمن يعتدى على هذه النظم المنزلية يعتبر في نظرهم شهيدا يستحق كل تبجيل ، وتعتبر أعماله مغامرات تضاف الى تراث الجماعة المتناقل .. واذا بمنازلنا للأسف تصبح مسرحا لنوبات الغضب والثورة .. وحالات من السلوك الاعتدائي كالتخريب والكذب والسرقة ، ثم اذا بمدارسنا للأسف تنقلب مسرحا للهمسات والغمزات والاهمال وعدم الالتفات والنكات ومقاطعة الدرس ، وأوراق تتداول بلغة سرية ، وعبارات جنسية نابية مبتذلة تملأ الجدران وعلى الاخص دورات المياه ، بل والتدخين سرا في هذه الاخيرة

وسنشير باسمهاب في الفصل الاخير الى كيفية التحكم في هذه المرحلة ثم طريقة علاج كل نوع من انواع السلوك الاعتدائي المشار اليه كالسرقة والكذب .



الخلق في المراهقة : فاذا حلت مرحلة المراهقة تأثر سلوك الفرد حسب

ما يقدمه المجتمع الكبير من الموافقة أو الممانعة من ناحيته ثم حسب ما وصل اليه الفرد بتفكيره من مستويات للخير والشر . وبدلاً من أن تتحدد الجماعة لتقتصر على رفاق الصبا تشمل الآن عدداً أكبر ، خصوصاً بين السادسة عشر والثامنة عشر . وكثيراً ما يتباحث المراهق مع زميله في مشاكل خلقية ليسكون كل دستور الخلق معدلاً على ضوء ما رسب من تدريب منزلي ومدرسي وتأثير رفاقه الصبيان في المرحلة السابقة . ومن الواضح انه كلما اتفقت أو تقاربت المستويات التي تسير عليها كل فئة من هذه كلما أسرع المراهق الى الوصول الى دستور محبب . اما الاختلافات العديدة بين المنزل والمدرسة مثلاً ، او بين المجتمع الصغير اذا تركنا الطفل يختار زملاءه دون تدخل منا او اذا كنا نسير على سنة التدليل في المنزل فيصبح الاخير ناقصاً من الوجهة الاجتماعية حيث يطلب من الطفل توضيحات عديدة في الخارج بينما هو لا يضحى في الداخل .. كل هذه الاختلافات تعطل النمو الخلقى

والحق ان المراهق يمشق الحق لذاته لا لآى كسب مادي . وهذا الشعور يصل الى درجة من الحدة قد تتطلب منه لتحقيقه توضيحات شخصية جسيمة يقدم عليها دون تردد . بل انك لتجده يتابع حملته في سبيل الاصلاح حتى وقد اتضح له انه لن يكسب عن طريقها شيئاً بل قد ينسر صداقات زملائه الذين يعتبرهم أحب الناس الى قلبه .

ولا يقتصر مصدر هذا الدستور الخلقى للمراهق على التفكير الشخصى بل يضاف اليه أثر التقليد وهرهام جداً خصوصاً لو تذكرنا ما يميز مرحلة المراهقة الأولى مما نسميه الاعجاب بالبطل ، والواقع انها فترة خطيرة حقاً ، فكم من غلماننا بين الثالثة عشر والسادسة عشر لا يرتفع الى أخذه بطلاً أكثر من « صبي المكوجى » الذى يتخذ محله قريباً من المنزل لمجرد انه قوى ويسيطر على الأولاد الآخرين ، أو لان له حيلة جذابة في الحصول



على سبائر من الجنود الانجليز أو في عرض مغامرات جنسية مبتذلة . وكـ  
من فتياننا لا يأخذ بطله أكثر من رئيس فريق الكرة بالمدرسة ، لمجرد أن  
جسمه متناسق ، وشعره لامع ، وضربته للكرة قوية . وكلنا يعلم أخلاق  
معظم أفراد فرق الكرة البارزين في مدارسنا الثانوية .. التدخين والعريضة ،  
وعدم طاعة قوانين المدرسة اعتماداً على حاجة هذه لهم . وهكذا يشب طفلنا  
وهو يتشرب من بطله ما يرسل الاغوجاج والفساد في حياته .

واذن فليس من النادر أن نرى المراهق يفخر بتحطيم القوانين والخروج  
عاليها اذا كان الكبار الذين يتصل بهم يعتبرون هذا « جدعة » ، فالفقهية  
والجلوس على المقاهى في أوضاع شاذة .. وتكلف المرح والضجيج والهمهمة  
بأغان وموسيقى أجنبية .. وعقص الشعر عالياً أو في تموجات مصطنعة ..  
والتعليق على الرائحين والغادين وعلى الأخص من الجنس الآخر . واكتساح  
الطريق بالموتوسيكل في سرعة جنونية وصوت صاخب داو يزعج الجميع ..  
والربت بشدة على ظهور الكبار كأنما هر يقف معهم على قدم المساواة .. كل  
هذه قد أصبحت تراث المراهقة عندنا يتناقلها الفتيان في دقة وإخلاص .

يجب ألا يصل الأمر الى هذا . فمرحلة المراهقة تهيء لنا نحن الآباء  
والمرين فرصة مشجعة لا يمكن أن تعرض في أية مرحلة أخرى ، هي فترة  
الاعتزال التي تسبق المراهقة وتتميز بهذا التلهف الشديد للقراءة والتفكير  
ووزن الأمور وتسكييفها في الحياة كلها .

يخرج المراهق من هذه الفترة وقد بنى عالمه المثالي الذي يشغذ كل همته  
للوصول اليه . فهو يقدس الحق لنفسه لا لربح مادي ، وهو يقوم بحملته للإصلاح  
يضحي فيها بكل شيء حتى بصداقات الآخرين لو اقتضى الأمر ، يكتب



ويؤلف وتشيع في كتاباته الحساسية الأدبية وروح التفكير العميق والفلسفة  
التي تبحث تسكون العالم ونشأته وما يجب أن يكون عليه .



ولكن على قدر عظمة البناء الخلقى الذى يشيده وينسقه يكون سقوطه  
عظيما . ويكتشف المراهق سعة الهوة التى تنفرج بين مثله والحياة التى يحياها  
الآخرون الذين كانت ثقته بهم لاحد لها . فهم يعطونه وبرشدونه وهو يتبعهم  
فى اعجاب واكبار ، ولكن اذا بالحقيقة تسطع أمامه ، فيراهم على حقيقتهم  
بأخطائهم وبعدمهم عن المثل الذى يقولون به . فالمدرس الذى يعجب به ويبدو  
أمامه مثالا للحكمة يكذب ويخادع ويتحايل كغيره من الناس ، فهو يستدرج  
الطلبة ليشوا بزملاتهم ساعة حدوث حادث يتطلب التحقيق ، وهو قاصر



في معلوماته لا يدرك حقا كل شيء ، وهو ضيق الخلق سريع الانفعال اذا تابعته بالاسئلة في موضوع معين ، وهو يحور كثيرا في الحقائق الجنسية فيبدو كما لو كان قد تغلب على الدوافع والرغبات واذا بالطالب يكتشف العكس ، فالمدرس يقص قصة مبتذلة في حجرة المدرسين بين قهقهة اخوانه ، أو قد يبدو سلوكه شاذا بعض الشيء في الشارع . ثم هو يشب قليلا ويتسع أفقه فيقرأ أنواعا من الادب يتضائل أمامها ما كتب وما يكتبه مدرسه تضاولا لا مجال فيه للمقارنة .

وأهم من هذا كله أنه يرى نفسه بعيدا جدا عن المثل الذي ينشده ، فهناك ذلك الدافع الجنسي الذي يلهب كيانه ومن العبث أن يخضعه فيظهر في العادة السرية وأساليب الاجتماع الجنسي الشاذ . وما يؤلفه من قصص او قصائد فج مبتور لا يتناسب مع ما يراه فضلا عن أن الآخرين يتخذونه مادة للعبث والسخرية . والعالم الذي يسعى اليه يزداد في كل يوم بعدا عن العالم الذي يحيطه والذي يزداد سوء . وهكذا يبدأ المراهق باحتقار فئة قليلة في أول الامر ثم اذا بها تتسع حتى تشمل كل شيء حتى بطله ، وتنتهي بتدمير نفسه هو فيحتقر كل ما يفعل ، وتصيبه نوبة من الشك واليأس والجمود فيتعطل عمله المدرسي وقد يفكر في ترك المدارس كلها او حتى في الانتحار . ولعل أسوأ ما يسيئه تلك الدهشة وذلك الحزن العميقين اللذين يسيطران على من حوله لهذه الحالة . فلا يكاد يدخل أحد الضيوف حتى تقص القصة أمامه مع كثير من الحواشي والمقارنات بأشقائه السكبار الذين اختطروا حياة هادئة مشرفة ، حتى لقد يبدو المراهق في نظر نفسه أنه قد أتى أمرا فظيحا قلب به نظام الـكون كله . يزعجه أن يكون مصدر اقلق واضطراب ، وبود لو يبتعد عن الجميع . ويتقاطر الضيوف والاقارب الى غرفته وكل يحاول بطريقة مخالفة أن يكتشف ما يدور في أعماقه ، فيغلق الباب دونهم جميعا كي يخلو الى دموعه .



من المهم أن نتصرف بحكمة في هذه المرحلة الدقيقة . وشرح الاعراض الجنسية الجسدية والانفعالية شرحا بسيطا هادئا قبل البلوغ بقليل .. والتسامح مع ما يظهره المراهق من شذوذ واعتزال .. والتقليل من القلق والاهتمام والخوف على حالته .. وتقدير كتابانه ومؤلفاته تقديرا معقولا مناسباً وعدة الظهور أمامه بمظهر الحكيم العارف لكل شيء .. وتسهيل مروره من بطلان الآخر مع افهامه أن كل شخص له أخطاؤه ومثالبه .. وقيادته وإرشاده لاعتناق فكرة مجردة كالصدق أو الامانة أو التضحية فتصبح هدفاً حقا لا فرداً من الافراد .. ، كل هذا مع ما قلناه من اختيار الكتب النافعة في هذه المرحلة من الكتب التي تحقق رغبته في تلمس البطل فتعرض طرفاً من حياة المخترعين ورجال الدين والمستكشفين .. أولئك الذين ساروا وساروا حتى تمزقت أقدامهم فوق جليد المناطق القطبية وبجاهل الغابات الاستوائية .. ويموت الواحد منهم وقد تقبضت يده على الورقة والقلم ، يكتب تقاريره حتى آخر لحظة ليضيف إلى التراث الانساني معلومات عظيمة القدر .. ، ثم تقديمه للنوادي والالعب الجمعيه حيث يتعلم طاعة الحكم ورئيس الفريق ، ويتمحو شخصيته في سبيل المجموع ، ويصفق للخصم ويعترف له بالنصر .. كل هذا هو جزء من واجبات كآباء ومربين نحوايصال الفرد للنمو الخلقى الصحيح

النظام هو التدريب على مساهرة مستويات السلوك المقبولة . وأنت منزلك أيها القارىء ، والمدرس في مدرسته ، في حاجة الى نظام لا يطيع فيه الطفل لأن هناك عصا تلجم فيه .. فاذا خرجت من المنزل أو نمت قليلاً ثم وصخب .. واذا خرج المعلم من حجرة الدراسة في « الخمس دقائق » المعهودة صاح وصرخ .. واسكتنا في حاجة الى نظام ينبع من نفس الطفل وهو عنه راضٍ مغتبط .. نظام يطيع فيه الطفل لا خوفاً من العصا ولكن لأنه يعلم على خبرة وبقين أن النظام هو الوسيلة الوحيدة التي يمكنه بها أن يحصل على



رغباته بأسهل وأقصر طريق ممكن .. وكما ينظم ، الطفل لعبه في دولابه الصغير في المنزل لأنه تعلم أن هذا ضمان للعبه من أن تضيع ، ولأنه بالنظام يمكنه أن يضع يده في مكان معين فيخرج لعبة معينة بأسرع وأسهل ما يمكن .. وكما ينظم ، الطفل درجه الصغير في المدرسة لأن هذا ضمان لكسبه هو كراساته من الضياع ، ولأنه بالترتيب يمكنه أن يمد يده الى مكان معين فيخرج كراسه الحساب مثلا بمجرد طلبها منه .. كما يفعل الطفل هذا وذلك يمكنه أن يطيع نظام المنزل ونظام المدرسة ، لأنه يعلم أن النظام يعينه ، وأنه الوسيلة الوحيدة للحصول على ما يشتهي ويريد بأسرع الطرق .. وهو يعلم بينه وبين نفسه ودون أن نذكره نحن كثيراً أنه اذا لم ينضم سريعاً كفرد مطيع وسط هذه العائلة التي وجد فيها فستضيع رغباته وتتعطل تماماً كما تضيع لعبه أو يتعطل حصوله عليها لو كان دولابه « مهرجل » ، اذا أردنا أن نصل الى هذا فلا بد أن نستعين على قيادة الطفل في الطريق المستحب بدوافع ايجابية ونمنع النشاط المعاكس بدوافع سلبية . والواقع أن النظام يعتمد أساسياً على تكوين عادة .. واذن فهو يتضمن كآية عادة مبادئ أربعة :

( ١ ) يجب أن يتصرف الطفل بطريقة مستحبة ويمتنع عن السلوك المذموم ويتكرر هذا أكبر عدد من المرات . ( ٢ ) يجب أن يرتبط الرضى بالسلوك المستحب وعدم الرضى بالسلوك المعارض للمستويات الخلقية ( ٣ ) يجب أن يصبح العمل المستحب أو توما تيكيا بحيث يتكرر من تلقاء نفسه دون حاجة لرقابة ( ٤ ) يجب أن يتعلم الطفل احوال السلوك الحسن محل السلوك السيء .

العقوبة : صحيح أن الدوافع الايجابية على هيئة مكافآت أو مديح تأتي

بنتائج أحسن من الدوافع السلبية كالعقوبة ، الا أن هذه الاخيرة لا يجب نبذها تماماً فمعرفة النتائج المحتملة للعمل أساسية لسكل سلوك خلقي . وهناك



انواع عديدة من العقوبات أكثرها شيوعا العقوبة البدنية ، وعزل الطفل أو تجاهله ، وتخويف الطفل بما يرسم على وجه الاب من الغضب ، والثواب والمكافآت وهكذا .

ولسنا الان بسيل الافاضة في بحث كل نوع من أنواع العقوبة ولكن يمكننا ان نقول بوجه عام انه اذا كان للعقوبة أن تحقق النتائج المنتظرة فيجب ألا تكون منقسا للغضب المكبوت الذي يحسه الاب مثلا في لحظة من اللحظات ، أو كقصاص لاخطاء عملها الطفل في الماضي وظللنا صابرين حتى هذه اللحظة فانفجر المرجل .

وما دام الطفل كما قلنا يحدد مدى خطأ العمل الذي قام به وبعده عن روح المستوى الخلقى حسب شدة العقوبة التي يلقاها فيجب اذن أن تكون العقوبة ثابتة ومدى عنفها ثابت بالنسبة للعمل الواحد . ولكننا للأسف نعاقب ونحن في سورة الغضب وبذا تفقد العقوبة هذا الثبات . فتمزيق رداء الخادمة لا يسيئك قدر كسر نظارتك التي لا تستطيع أن تقرأ بدونها مع العلم بأن العمليتين تخريب واعتداء على ملكية شخص آخر . ولكن بينما ينهر الطفل انتهارا بسيطا في الحالة الاولى اذا بالدنيا تقويم وتعداد ازاء العمل الثاني .

أما العقوبة البدنية كالضرب على الايدي أو الوجه فعلى رغم شيوعها واعتبار الكثيرين لها الطريقة المثلى فهي للأسف تأتي بنتائج سيئة في أحوال كثيرة اذن أن من النادر أن ترتبط في ذهن الطفل بالعمل السيء الذي نعاقب من أجله . فلأن العقاب البدني يطبق في معظم الاحوال في سورة غضب الكبير فانه ينتهي ببغض الطفل للشخص المعاقب لا بغضه للعمل . ولا عجب فظا هر الانفعال والصراخ اللذين يبدوان على الأب مثلا وهو يضرب طفله هما عوامل أقوى بكثير وأشد ظهورا من العمل نفسه واذا سرعان ما يربط الطفل مصدر الالم بالأب لا بالعمل ، ولذا يضيع الغرض الاساسي من العقوبة فضلا عن كراهية الطفل لنا . واذن فاذا كان ولا بد من استخدام هذا النوع



فليطبق أثناء حدوث العمل ولا يترك زمنا ريثما يأتي الأب مثلا من عمله ليطبقه .  
ولنقتصر في تطبيقه على المدة ما بين السنة الثانية والثالثة ، وبعدها يمكن أن  
يفهم الطفل أنواعا أخرى .

واذن فأحسن طرق العقوبة هو ما يرتبط مباشرة بالعمل نفسه حتى  
يراه الطفل في ضوء كبريه ، ولنبتعد نحن عن اقحام أنفسنا بين الصغير وبين  
العمل فهذا يفسد العلاقات بيننا وبين الطفل ويحول كراهيته للبيئة لا للعمل  
ومن هنا كان التأنيب وحرمان الطفل من المسرات .. ومنعه من مشاركة  
الآخرين لعبهم بينما العمل السيء نفسه لا اتصال له مطلقا بهم . كل هذا  
لا يأتي بالنتائج المتوقعة

وبدلا من كل هذا يجب أن يحنى الطفل الثمار المنتظرة لما عمله سواء  
خيرا أم شرا .. في ثبات واستقرار .. وبسرعة . وهي ثمار منطقية طبيعية  
ترتبط مباشرة بالعمل . فبدلا من أن نوقف الطفل في ركن أو نحرمه نزهة حبسية  
أو نرسله لينام لانه قذف بالان عمدا علينا أن ندفعه لازالة الآثار التي عملها  
دون انفعال . واذا كسر لعبة زميله عامدا فيجب أن يعوضها من لعبه هو .  
واذا كسر كوبه الصغير المألون لعدم اتزان متعمد فلنقل له بهدوء اذا طلب  
ماء انه ليس هناك اكوام فلينتظر ريثما نزل ونشترى . ونحن لانطالب  
الآباء بطبيعة الحال بأن يتبعوا هذه الطريقة في كل حالة ففي بعض الحالات  
قد يكون هذ مستحيلا ، وليكن المهم أن نقرب كثيرا من روح العقوبة  
الحقة حيث ترتبط مباشرة بالعمل في ثوب طبيعي منطقي

وكثيرا ما تتجه العقوبة للسلوك الظاهري الذي أمامنا ، كالتهريب أو  
السرقه أو الكذب ، وهذا في الحق خطأ كبير . ان هناك حالات عديدة -  
سنعرض لها في الفصل الأخير - يكون فيها السلوك الشاذ ناشئا عن عوامل  
كثيرة تتغلغل جذورها في البيئة التي أحاطت بالطفل من أول الأمر . فالطفل  
الذي يبول على نفسه في سن سبع سنوات ويكثر من الزن ، قد يبدو



أمامنا في حاجة للعقاب . ولكننا لو أحكمنا التفكير والتدبير ودرسنا حالة  
الطفل فقد نجد أسبابا كثيرة تضافرت لتصل بالطفل الى هذا السلوك المقيت ،  
منها مثلا تدليلنا الشديد له وهو صغير حتى اذا ولدت له شقيقة صغيرة تحول  
حناننا لهذه الاخيرة وتركناه للخادمة تطعمه وتنيمه واسرفنا نحن في العناية  
بالصغيرة . فليس من الغريب اذن أن يصطنع الطفل الضعف والعجز فيقول  
على نفسه « وزن » ليجتذب اليه الحنان الذي كان يتمتع به أولا . من الخطأ  
عقاب الطفل في هذه الحالة فنحن اذا فعلنا فانما نؤكد للطفل كرهنا له وتحول  
حبنا للصغيرة وهذا يضيف الى شعوره بالعجز والضعف ويثبت السلوك السيء .  
واذن فلو أجلنا العقوبة ريثما نجرب اعطاء جرعة من الحنان والعطف .  
وأفهمناه مسؤوليته واعتمدنا عليه في مساعدتنا في العناية بالمولودة الصغيرة  
الجديدة فقد لا نحتاج للعقوبة بتاتا .

وبعد فلدينا في سرعة تشتت الطفل وتحوله من عمل لآخر مع اغراء بسيط  
عون كبير . وبدلا من أن نشور أعصابنا للضجة التي يحدثها الصغير فنمنعه  
ونشتت في تقييد حركته وبذا ندفعه للنيل منا في ميادين أخرى من وراء  
ظهورنا يمكننا أن نحوله ليصرف جهده في عمل آخر أكثر هدوء وأقل تعارضا  
مع رغباتنا وراحتنا ، فالطفل ليس لديه الاصرار الذي نراه عند الكبير .  
ولدى احدى قريباتي طفل بين الرابعة والخامسة كان يلعب يوما في الشرفة  
فسمع جدالا بين رجلين في الشارع سرعان ما تطور الى عراك واصطدام  
بالايدي تخله الكثير من السباب المقذع . وترك الطفل لعبته وجاء بمقعد  
وقف عليه وجعل يرقب ويسمع ما يتابع أمامه في استغراق شديد . حتى  
اذا انتهى العراك وانفض الغوم دخل الى الغرفة فوجد والدته تؤدي عملا  
منزليا فبادرها بالقول دون أي مقدمات « يا ابن الكلب » . ثم لاحظ أن  
الشرط الاول فيه بعض الخطأ فأصلحه « يا بنت الكلب » .. لم تجزع السيدة  
ولم تطرف لها عين .. لا ولم تقم الدنيا وتمعدها فتضع « الشطة » في فمها أو



تهدد بقطع لسانه الذى ينطق الكلام ، العيب .. كلام «ولاد الشـوارع»...  
وانما فكرت قليلا وقدرت أن الطفل لا بد قد سمع مثل هذا التعبير من  
الخارج فجاء ليحرب هذا السلاح الجديد فقد رأى تأثيره الشديد وكيف ارسل  
الانفعال والغضب الى نفوس المتخاصمين . عليها أن تثبت له عمليا أن هذا  
السلاح لا أثر له في بيئته المنزلية . نظرت اليه بكل هدوء ودون أى أثر  
للانفعال وقالت ، وليه بتقول الكلب ؟ احنا ما عندناش كلاب .. تعالى أما  
نشوف البط والارانب اللى عندنا فوق ونشوف عيالهم الصـغيرين ،  
وانطلق الصغير مع أمه ليريا البطة وبناتها فقد كانت زيارة الحظائر تسلية  
جميلة له

وتصادف أن مررت بالمنزل في زيارة قصيرة فاذا بالصغير لا يكاد يرانى  
حتى صرخ ، يا ابن البطة ، ا ودهشت .. كان الطفل يتفرس في وجهى بكل  
دقة وكأنما ينتظر أن يرى للتأثير الذى يحدثه هذا السلاح في نفسى . ونظرت  
الى الام وهى تقف خلفه فأشارت الى بالآ أبالى فابتسمت وقلت شيئا عن  
البط ثم خرجت الى موضوعات أخرى وأنا ألاعب الطفل ، ثم عرفت القصة  
بعد هذا بالتفصيل فكان من المفيد جدا تحويل اهتمام الطفل الى شيء آخر  
غير ما هو بسبيله واصطناع الهدوء التام فلم يعد الصبي الى طرق الموضوع  
بعد هذا .

علينا بعد كل هذا أن نكسر من تلبس الاعمال الصالحة فنشيب عليها أو  
نمدح ، لا أن نكسر من تلبس الاخطاء فنعاقب عليها . ان التعليم في مدارسنا  
قد تغير خلال ربع القرن الاخير تغيرا كبيرا من مسبب اللام الى مصدر للذة فلم  
نفقد شيئا بل بالعكس جنيًا ثمار هذه السياسة الحكيمة . وفي كل مرافق  
الحياة نجد أن معالجة الافراد باختيار اتجاهاتهم الحسنة والضرب على نغمتها  
أصلح بكثير من كبت دوافعهم السيئة . ولسكن ينبغي أن تكون المكافآت



هي الاخرى كالعقوبة مرتبطة مباشرة بالعمل لا مجرد «رشاوى» تقدم في سر وتطرف

ولكن سواء أ كننا نعاقب أو نثيب فلتسكن عقوباتنا حازمة لا مجال للتراجع فيها .. فلا تهدد بعقوبات شديدة ثم لا تنفذ الا بعضها ، ولا تعد بمكافآت عديدة ثم تنفذ نصفها تاركا النصف الآخر .. والبيوت التي تذبذب بين القسوة تارة واللين طورا .. البيوت التي يتناشر فيها الوالدان على مسمع من الطفل هذا يقترح عقابه وتلك تمنع .. أو قد يقترح أحد الطرفين حرمان الطفل شيئا فيتسلل الطرف الثاني سرا لاعطائه ما يرغب .. «ياختي حرام .. ايش فهمه العيل ده كان ؟! » مثل هذه المنازل لا يمكن أن تكون لعقوباتها قيمة واضحة

واتسكن مطالبنا عادلة لا يبدو فيها التحدى أو توقع عدم اجابتها فهذا الشعور يثير حفيظة الطفل ويهيئه للنضال . وكثيرا ما تسمع أحد الوالدين يقول في غضب مكبوت « باقول اسكت .. ستين مرة قلت اسكت .. وحافضل لآخر النهار أقول لك اسكت .. عمرك ما حاتفهم والا تقى بنى آدم طول عمرك ، اعلينا أن نتفهم دوافع الطفل وميوله في اللحظة الحاضرة فلا ندعوه فجأة من لعبة حبشية الى الطعام أو النوم ، فأنت نفسك تتضايق لو دعيت من قراءة قصة مسلية جذابة لمقابلة أحد الزوار . وهذا ما عنيت عندما قلت ان المطالب يجب أن تكون عادلة . علينا أن ننبه الطفل قبلها بدقائق بأن الطعام سيكون معدا .

وفوق كل شيء لا ينبغي أن نظهر بمظهر الضعف أمام الطفل نتيجة لاعماله فكل هذا الكلام الذي تلقيه سيداتنا على مسمع من أطفالهن عن « الواد اللي مغلبنى » أو «أروح منه فين يا اختى دانا جسمى اتسمم » أو « نعم عاوز ايه يا بلوتى منك » اكل هذا لن يضيف الى الامر أى كسب ، بل يمكننا أن نصرف الوقت الضائع في علاج العمل نفسه دون انفعال



اجرام الاحداث : لعل مما يلقي بعض الضوء على خطورة هذه المشكلة

ان نسوق للقارىء بعض الاحصاءات . فقد بلغ من وقعوا تحت طائلة القانون في إنجلترا وويلز في سنة ١٩٣٨ عددا وصل ٧٨٤٦٢ منهم ٥١ في المائة أقل من ٢١ سنة و ٣٦ في المائة أقل من ١٧ سنة .

وفي أمريكا يقدر عدد الصغار الذين يمثلون أمام المحاكم بواحد في المائة أى ما يقرب من ٢٠٠٠٠٠ طفل سنويا . ولا بد أن العدد الاصلى أكبر من هذا بكثير لان عددا كبيرا من الصغار يفلت من العقاب فلا يضع القانون يده عليه .

فاذا تذكرنا أن القانون لم يبدأ بمنع شق الصغار الا منذ عهد قريب ، وقارنا النظام الاصلاحى الحالى ، وجدنا أنه في هذه الحقبة القصيرة أمكن تحقيق نجاح لا بأس به ، واسكننا لا نزال في حاجة للكثير .

واذا كان فرويد يرى في الانسان قوى ثلاث .. واحدة لاشعورية تمثل المستوى الحيوانى ، فهى النزعات الدنيا الموجودة منذ البدء ، وتمثل الغرائز والدفعات الفطرية أو قل هى مخزن الاحساسات والرغبات المكبوتة ويسمىها id . والثانية Ego شعورية تنفرع من الاولى في الطفولة المبكرة مقابلة لها ، وهى منطقية مهذبة مصقولة تحاول أن تتحكم في الاولى وتكيفها حسب مقتضيات الحياة اليومية . وأخيرا الذات العليا super - ego وهى الدستور الذى يتحكم في القوتين السابقتين ويمكن أن نقول انها الذروة في النمو الخلقى ، وغالبا تتخذ معينها آراء الوالدين فتعمل في معظم الاحوال في اللا شعور .. أقول اذا تذكرنا ما يراه فرويد الى جانب ما عرضناه مما ينتاب مراحل النمو من ثورات وتحد تبدو بشكل طبيعى حتى في الاطفال وهم يتعلمون المشى أو في الروح الاعتدائية في فجر البلوغ .. وضح لنا أن هناك نضالا مستمرا في شخصية الفرد منا لا يمكن أن يسلم منه مخلوق . وما من واحد منا يرى في الطفل الصغير العنيد ، أو في المراهق الصغير الثائر ، مجزأ يحتاج للانفصال



عن الجماعة . وكل ما يمكن أن نقوله ان هناك اتجاهات تسكن في كل منا ترى في الانظمة والقيود والقواعد أغلالا تسكلها فتود لو تتخلص منها . ولكن المسألة في حديثها تختلف من فرد لآخر ، ولقد تقود هذه الاتجاهات في ظروف معينة الى سلوك نضعه نحن تحت ، اجرام الاحداث ، ونتبع معه نظاما أقل ما يقال فيه انه يعتمد على ابعاد خطر العضو عن الاغلبية « السالحة » أكثر مما يمد يديه للعلاج .

أود لو أؤكد للقارىء على ضوء هذا الكلام أن المجتمع الذى يرى في المجرمين فئة ذات طابع خاص ، فئة تختلف اساسيا عن الآخرين ، وتتطلب منه أن يقابلهم من زاوية مضادة توقف سلوكهم الحالى عند حد ، هو مجتمع قصير البصر . ولقد بدأ الاخصائيون اليوم يتفقون على أن احتمال تسلم الفرد صفات الاجرام بصورة متوارثة هو احتمال بعيد . ولعل آخر ما ذهبوا اليه في هذا الصدد ان ضعف القدرة على التحكم والضبط هي التي يمكن أن تتوارث . ولكن مما يعزز الرأى السائد اليوم ما وصلنا اليه من أن هذا الضعف يتأثر بعوامل تتخذ أساسها سنى الطفولة المبكرة أكثر من تأثرها بصفات تنتقل في الشخصية .

والحق أن ضروب الحرمان العائلية في مبدأ حياة الطفل .. المنازل المنحلة المفككة حيث الوالد سكير عاطل ، أو زوجة الأب تتحكم في الصغار في سياسة طاغية ، أو الفقر يعرض بنواجذه على المنزل فتخرج الام للعمل ويحرم الصغار كل عناية أو متعة في الحياة .. فضلا عن هذا المعاملة الشاذة العرجاء التي تندفع امانحو القسوة الكابتة المطلقة أو الليونة الناعمة المترفة ، تسبب للطفل نوعاً من القلق وعدم الاستقرار قد يقودان للاجرام في وقت لاتزال قوالب السلوك الأولى هشة مرنة سريعة التأثير ، وحيث الوالدان هما أنموذج للعالم بالنسبة للطفل يكون معهما أولى روابطه وعلاقاته ، والسلطة الداخلية أو الذات العليا للفرد توضع على أساس ما يرى الوالدان . هنا يحتاج الطفل مفترق الطرق فيتقرر أى سبيل يسلك .



ولكن لنا أن نقسام لم يفترق شقيقان في منزل مهدم ، فيخرج أحدهما  
ذا طابع اجرامى بينما يكتسب الآخر مظاهر عصائية من نوع مخالف تماماً ؟  
هو سؤال يبعث على الحيرة ، واسنانزعم أن الجواب في معظم الحالات  
قريب المنال وليكننا مضطرون في أحوال كثيرة الى العودة الى الميدان النفساني  
لتلبيس التفسير . والحق أنه يبدو أن تخير الظواهر السلوكية الشاذة من بين  
عشرات الاحتمالات يمليه في حالة ما نوع من الاتفاق بين قري لا شعورية  
تسكن في داخل الفرد والظروف الاجتماعية في الخارج بحيث ينتهي هذا  
الوضع بايجاد اضطرابات شعورية تعزز من قوة الدوافع الداخلية الموجودة  
فعلا فتزجح المكفة في اتجاه معين .

بل ولقد دعنا الاكتشافات النفسانية الحديثة الى التساؤل عن مدى  
المسؤولية الشخصية في حدود عمل معين . فالقانون يضع حاجزا يفرق بين  
الاعمال التي يسأل عنها الشخص وتلك التي لا يعتبر عنها مسئولاً . والحق أن  
هذا الوضع ملئ بالعثرات ، فلو تذكر القارئ الدور الذي يلعبه اللا شعور  
في سلوك الفرد منا فلعلة يتفق معي في القول بأن آراءنا عن المسؤولية لا تزال  
في حاجة لتعديل وتصحيح لتواجه ما تأتي به المعرفة الحديثة .

ولعل هذا يعود بنا الى موضوع العقوبة ، فهلا نرى من الأفضل في  
مناسبات عديدة أن تفسح العقوبة السبيل للعلاج الصحيح . . العلاج القائم  
على أسس صحيحة يستشار فيها علم النفس كأحد الطرق المؤدية للإصلاح ،  
وهكذا قد يعتبر الجرم الحالي نتيجة لمجموعة ضخمة من العوامل بدأت منذ  
الطفولة وليس أقلها أثراً القول بأن الاجرام ليس دائماً نتيجة اختيار حر  
لشخص مسئول . وما دام العول قد بدأ يهوى فلنتجه به الى الاجراءات  
القضائية والقانونية فعظمها فاسد مسمم . وما ظن القارئ بنظام المحلفين . .  
وأولئك الذين يلاحظون الاحداث الموضوعين تحت المراقبة . . وظروف  
الحياة في الاصلاحات . . ألا تتفق معاً على أننا في حاجة لتدريب تام منظم



لكل من له اتصال بالمجرمين الاحداث حيث تعتبر كل حالة موضوعاً نفسياً قائماً بذاته . . وتعاوناً وتفاهاً دقيقين بين المشرع والمنفذ حتى تتقدم الجماعة نحو حل مشكلة لا يمكن المبالغة في خطرها ؟

ويروى بوينهايم<sup>(١)</sup> عدة حالات طريفة أحيلت اليه لدراستها بعد أن قال القانون فيها كلمته ، ولعل من أكثرها دلالة حالة غلام في الرابعة عشرة سبب لوالديه طيلة السنوات الثلاث الأخيرة اضطراباً ليس بقليل . فهو يكذب دون حرج أو شعور بتأنيب الضمير . ثم حدث أن لاحظت الأم أن النقود تنقص من السكيس الذي تحتفظ به في أحد الأدراج . وبدأت المسألة بالنقود القليلة القيمة ثم تطورت الى الشللتات ثم الجنيهاات . ولم يتجه الشك للولد في أول الأمر ، ولكنه ضبط يوماً وتعددت المحاولات والعقوبات للتأثير عليه بقصد ترك السرقة دون جدوى . ووصلت المسألة الى ذروة الترت عندما لجأ الى السرقة من اخوانه في المدرسة . وأبلغت الادارة الجهات المختصة واتخذت الاجراءات القضائية العادية بمجراها . وقد وجد بوينهايم بالبحث أن الولد متوسط ذكائه ١٢٥ ( ذكى جداً ) . وهو غلام جذاب ، حلو الحديث ، يتكلم في طلاقة وكياسة ، يحب المجتمعات وصحبة الرفاق ، ولديه رغبة حادة في أن يحتل بينهم موقف التزعم والصدارة . ولقد كان في نفس الوقت كريماً محبوباً ، يشتري المثلجات والشطائر لزملائه ، ويدفع أثمان النزاهات . ولما كان مصروفه لا يكفي بطبيعة الحال كل هذا العبء اضطر للحصول على النقود من أى مكان وبأية وسيلة . يضاف الى كل هذا أنه الولد الوحيد في عائلة محترمة حيث يعمل

---

Boenheim, C. Introduction to Present Day Psych. Staples  
press Lim. p. ٩٠٠



الوالد بأمانة والام باخلاص . وكانت لديهما آمال واسعة تتركز في هذا الولد ، ولذا أفسداه بعض الشيء بمعاملة فيها بعض الليونة .

هذه احدى الحالات قدمت للقضاء فأضيفت الى الآلاف التي سبقتها واعتبرت كلها حالات سرقة وبذا طبق عليها جميعا قانون واحد فأى جمود ادعى للرثاء من هذا ؟ ولقد أتيح للوئلف أن يدرس عدة حالات شاذة لفتيان المدارس والمجرمين ، فوجد ضمنها حالات تبعث على الاسى حقاً . فالعائلة المسكونة من ثمانية أشخاص تعيش مزدحمة متراصصة في غرفة أو غرفتين لا تسمحان للصغار بالتنفس أو اللعب . بل ولا يحصل الطفل يوماً على قطعة من الحلوى أو رداء جديد كغيره من الآلاف الذين يراهم ويختلط بهم . وكم تسيطر عليه رغبة حادة لا مجال معها للتراجع كأن يتمتع بركوب دراجة « فيأخذ » واحدة ويظل يحول بها ثم يسندوها في مكان مهجور ، لأنه لن يجد لها مكاناً في المنزل .! ومن عجب أنه يقص عليك المسألة في بساطة لا تملك معها سوى التأثير العميق لمثل هذه الحالات البعيدة عن تصور معظم القراء . وأخيراً فانا لنرى حالات اجرام الاحداث تنقسم أساسياً الى قسمين .. أسباب مهيبة ، وأخرى دافعة .

فالأولى تكون عند الصغير شعوراً مضاداً لتقبل الافكار الخلقية . ولعل من أهمها التأخر الدراسي المرتبط بتضاؤل الذكاء ، فالطفل هنا يجد نفسه مسوقاً للغش أكثر من ذلك الذي يشق طريقه معتمداً على نفسه . وهناك غير هذا عدم الاستقرار الانفعالي ، وهي حالة تجد الطفل فيها ميالاً للثورة والسخط والتحدى ، وحب السيطرة والتزعم ، والنموذج المنزلى الفاسد حيث نجد رب البيت بالدف ضارباً ، وأثر الرفاق ، والدافع الجنسي الزائد . هذا فضلاً عن عامل الفقر والحالة الاقتصادية بوجه عام .

أما الثانية فمعقدة ومعقدة ، ولعل أكثرها شيوعاً حالة عامة من السخط على الاحوال الحاضرة ورغبة في توفير ما هو أفضل ، ويعزز هذا الشعور



ما يراه الفرد في منازل الاصدقاء ، والحوانيت البراقة والافلام السينمائية ، أويقرأ وصفه المثير في السكتب ، والحق أن الحنين للغنى والرغبة في المخاطرة يقودان في أحوال كثيرة للأعمال الاعتدائية . أما مدى خطورة هذا السلوك فيعتمد على قوة الدافع الذي لا يجد اشباعاً .

وبعد فلعل أكثر مظاهر السلوك الاجرامى للاحداث تردداً يبدأ في السكذب والغش والسرقة والجولان والنشر وادمان تعاطى المسكرات والتدخين والفضائح الجنسية ومحاولات الانتحار أو قتل الغير .

وقد وجد بوجه عام أن الصغار قبل سن ١٤ يتكيفون سلوكهم الاجرامى من متاعب توجه لاملأك الآخرين ، بينما يتغير الحال بعد هذا فيتجه السلوك نحو الاشخاص كالتواحي الجنسية ومحاولات القتل . وهذا نتيجة شعور الفنى بالانشوة اذ يحطم القوازين وينال من الآخرين دور أن تمتد اليه الايدى . واذن فهى رغبة فى السيطرة لا تجد لها مجرى مشروعاً . ويصل هذا الاجرام الى ذروته فى سنى المراهقة المتأخرة لاسباب اجتماعية أكثر مما هى جسمانية أو انفعالية كما كان يظن . فالفتى الان وقد بدأ يلج ميدان العمل فيقيم علاقاته مع الآخرين للمرة الاولى فى حياته دون أن يجد الوالدين الى جواره تواجهه صعوبات اقتصادية فى الحصول على عمل فالمجال ضيق والاجور زهيدة ، فليس من المستبعد هنا أن يسرق . أما المتاعب الجنسية فبعض أسبابها أيضاً اقتصادية حيث يتأخر الزواج للتعقيدات التى تكثف المجتمع المتمدن ، وهى اعتبارات غريبة عن المجتمعات البدائية .

عوامل مؤثرة على النمو الخلقى : يتأثر النمو الخلقى الى حد كبير بنوع

البيئة التى تحتضن الطفل منذ الطفولة المبكرة

١- ولعل أهمها من وجهة نظر المؤلف العامل الدينى ولو أن رجال التربية

اليوم لا يضعون له كل هذا الاعتبار فى وقت تراجع الدين فيه ليقدم أغراضاً أخرى . وفى كل خطوة ذكرناها من خطوات النمو الخلقى يجب أن



تكون علاقة الطفل بالله معززا للعمل الحسن . . ولنحذر أن نبدا هذه العلاقة بالتهديد والتخويف . فلا ينبغي أن يسمع الطفل جملا مثل : أهو ربنا حيحرقك بالنار عشان بتشد ديل القطة . . ، أو «تستاهل . . أهو ربنا عور لك لسانك عشان بتعض أختك الصغيرة . . ، !تسكن علاقات الطفل بالله علاقة محبة ورغبة في البذل طمعافى الرضاءوالاثابة . وطرق وضع اللعب أو النقود الى جانب الطفل سرا ساعة الشدة عند طالب معونة الله أو ساعة عمل شىء حسن لها فائدة كبيرة اذا اثبتت باقتصاد وحرص ، وهى ليست بغريبة عن سيداتنا .

والدين نتاج للبيئة ، يتكون بواسطة تقليد الطفل للابوين فى طقوس عبادتهما والذهاب الى أماكن العبادة من ناحية ، ثم التهذيب الدينى المباشر فى المدارس والجمعيات الدينية من ناحية أخرى

وبين الأقوام البدائيين نرى التهذيب الدينى جزء من الحفلات العامة للقبيلة ، ولـكنهم يعتبرونه معقداً لدرجة يستعصى فهمها على الاطفال فيرجئونه الى مرحلة البلوغ ، تماما كما يفعلون بالعالم الجنىسى .

أما المجتمعات المتمدينة فهما اختلفت فى فهمها للاديان فانها تبدأ التهذيب الدينى فى سن مبكر وهكذا يسمع الطفل وسط القصص والاهازيج الاولى طرفاً عن آدم وحواء . وخروجهما من الجنة لعصيانهما أوامر الله ، وتتابع بعد هذا قصص جذابة طريفة تتداول فى منازلنا عن سيدنا موسى وسيدنا يوسف وغيرهما من الصالحين . هذا فضلا عن المكافآت التى « يرسلها » الله سراً تحت الوسائد كما ذكرنا منذ قليل . واذا كان الاسلام يرى من الاوفق أن يرجىء بعض التهذيب الدينى المباشر والذهاب الى الجوامع حتى سن السابعة اختياريا ثم يفرضه فى العاشرة فهذا لا يمنع بدء النمو الدينى منذ الصغر ، فالطفل العادى يستطلع الكون الذى يحويه كما يسأل عن الحوادث اليومية التى تتابع فى عالم الصغير وهو ينظر الى الناحيتين على أساس واحد دون أن يرى فى الاولى عنصرا ميتافيزيقيا



وهو بين الثالثة والرابعة يدور الكثير من أسئلته حول الدين . . «فين ربنا؟»  
 «فين الجنة؟ أزاى الواحد بروح هناك؟»، وواضح أن أسرار الميلاد  
 والموت والنمو والرياح وعناصر الطبيعة يفسرها الوالدان تفسيراً دينياً  
 ولكننا في تحمسنا لتهديب الطفل دينياً . . في تحمسنا لمقاومة ما يظهر  
 كثيراً في مرحلة البلوغ والمراهقة من عناصر الشك والالحاد الهدامة  
 يتمكن الطفل منذ صغره من تذوق الدين . . نتعدى الهدف فنخطئه في أحوال  
 كثيرة . ذلك لأننا وإن خالفنا الرجل المتوحش فبدأنا التهديب في سن مبكر  
 إلا أننا لا نزال نشاركه في التعقيد المزعج الذى يكتنف المسائل الدينية كلها  
 فالطفل لا يكاد يستطلع أحداها حتى تنهره في رهبة وغضب ، وهو في اللعب  
 اذ يقول لك «أنا حاسم ربنا وانت آدم» ، تعاجله بالذم والتقريع ، وقد تبطل  
 اللعب كلية دون مناقشة . هذا فضلاً عن أن لغة الكتب الدينية أو على الأقل  
 ما تتضمنه من أفكار عميقة جداً ومعقدة . فلا يكاد الطفل يخطف في حرف  
 حتى زرده في كثير من الرهبة ونفاد الصبر . وهكذا نجد الطفل حتى الثانية عشرة  
 أو ربما أكثر يردد جملاً لا يفهم لها أى معنى وإنما يلقيها جزافاً في دروس  
 الدين المدرسية ، كأن يقول عن آدم وحواء انهما كانا في أول الأمر «مستورين  
 بثوب النعمة» فإذا استوضحته معنى هذه الجملة أو غيرها كررها كما هي في شئ  
 من الانفعال ، تماماً كما حدث بينه وبين والده وهو صغير . بل ولقد وجد  
 المؤلف نسبة مدهشة من الصبيان يظنون أن الله يدعى «أمين» ، والسبب أن  
 نكرر كلمة «أمين» بعد الصلوات !..

وهكذا يتأثر التهديب الدينى كثيراً نتيجة لما نعانى من ضيق الأفق . ونود  
 لو أنؤكد للقارىء على ضوء ما وضح من النتائج أن نسبة كبيرة من الشك  
 الدينى والالحاد فى مراحل متأخرة تقترب بالمازل التى تتحمس لتهديب صغارها  
 وتشتط فى التقديس فى جمود ودون ان يعرف المنطق أو التفاهم الى التعاليم  
 سيلاً . فإذا كان للدين أن يؤتى نتائج فليقترب كثيراً من حياة الطفل اليومية  
 وليلون بصبغة حسية لا مجرد أفكار عميقة المغزى ، ولتبسط لغته لتقترب من



القصص المثيرة التي تشوقه في كل سن ، وأخيرا لنبتعد عن تلك الحرفية الخلقاء التي قد أضحت صنما نعبده في كثير من الرجعية ، ولتبتسط مع الطفل ارضاء لاستطلاعها .

والحق أن الدين يضيف الى استقرار الصغير وشعوره بالثقة اذ تلمع عليه الطقوس الدينية وسكون أما كن العبادة ونقوشها نوعا من الرهبة والجلال فيطمئن الى استناده اليها ، فهو يقبل كل ما نقوله أو نفسر به أسئلته عن الدين كالقصص عن النعيم والجحيم والملائكة والشياطين والمعجزات . ومع هذا فلا يسلم أى طفل من نوبات قصيرة من الشك تراوده - كما يرى ستار بك - وخاصة عقب المواقف التي لا تستجاب فيها صلواته . ولقد طالعنا الحرب بأن الروس بعد انزاع بولندا من الالمان كانوا يجمعون أطفال البولنديين في غرفة كبيرة ثم يتركونهم جوعاً ويوحون اليهم أن يصلوا لله وهم يقصدون ألا يجيئوهم الى مطالبهم ، حتى اذا استبد بهم الجوع أمرهم بأن يصلوا الستالين وسرعان ما تتقاطر اليهم الحلوى والغذاء من فتحات في السقف ، ومهما كان في هذه الانباء من دعايات فهي تؤكد ما نقوله من ان العامل الديني مهم جدا لو عرفنا كيف نستفيد منه . فالطفل يفهم الدين في صورة نفعية حسية تتركز حول نفسه ، وكما يرى فيمن حوله أشخاصا يؤدون خدمات نحوه يرى في الله شخصا وقورا متقدماً في السن ذا لحية طويلة بيضاء ورداء أبيض فضفاض وهو يقدم له ما يشاء تماماً كآية أو أمه ، الا أنه موجود في كل مكان وتمتد عيناه الى كل شيء . فإذا سألته عن الجنة عرض لك ما تحويه من ما كولات كما يقول ستانلي هول ، ففيها دمي ومراجيح وبنادق وكل ما تحويه واجهة الحانوت أو السكتاب المصور ، وهناك يلبس الانسان ملابس جديدة ، وساعة ، ويجد كلاباً وقططاً وعصافير ، ولا يطلب منه أن يذهب الى المدرسة . . . !

نعود فنكرر أن نوبات الشك هنا سطحية مؤقتة ، وحتى عندما يكبر الطفل خلال مرحلة الرياض والمدارس الابتدائية قد يشكل عليه الامر



قليلا ما يراه من اختلاف بعض زملائه عنه في الدين . بل ما يراه من اختلافات في العقائد داخل نطاق الدين الواحد ، ولكن اتضح أيضاً أن هذا الاشكال عارض لا يدوم ، فالدين لا يزال شكلياً جامداً لا يصحبه أى انفعال ، وأسئلة الصبي في دروس الدين عن التناقض فيما تعلمه وهو طفل عن شخصية الله وغير ذلك لا تدل كما يظن البعض على روح ناقدة أو شك بالمعنى المعروف ، اذ الواضح أن الصبي لا يقصد سوى ارضاء النزعة للظهور باثارة أحاسيس الدهشة لدى المدرس أو لدى الزملاء . وهو ينسى كل شيء عنها بعد انتهاء الاجتماع .

ننتقل بعد هذا الى مرحلة المراهقة فإذا بالموقف ينقلب كلية تبعاً لتفتح العالم الاجتماعي . وليس من النادر أن نرى المراهق يبدى اهتماماً خالصاً عميقاً بالدين ، ثم اذا به بعد سنوات قليلة يندفع نحو الطرف الاخر فيناقش كل ما تعلمه أو اعتنقه من أفكار دينية .

ذلك لان الدين هنا يصبح للمرة الأولى خبرة شخصية للفرد يفهمها بطريقة ما كانت تنهياً له في مرحلة سابقة . ويتبع هذا نوع من المهابة والاحلال غريب عن نفس الصبي بغرسه تفتح الفتى لادراك جمال الطبيعة وما يكتنفها من نظام علوى وهو الذى يجلس اليوم ساعات بأكملها بقلب في ذهنه نظم الكون .

ولا يغرب عن أذهاننا ما يصاحب المراهقة من خروج الفتى الى الحياة واصطدامه بمشاكلها لأول مرة دون أن يجد نصيراً سوى تفكيره هو وشخصيته . هنا نراه يلجأ للدين كحصن يحتوى بداخله ضد أعاصير الحياة التى تتمثل في مشاكل شخصية ترتبط بصداقاته مع اخوانه في وقت هو فيه سريع الحساسية يصدم لاقول اشارة ، وعلاقاته الغرامية القصيرة العنيفة التى تنتهى غالباً بنهايات فاشلة ، وتفكيره في المستقبل الذى يتشعب أمامه في طرق يراها وعرة مظلمة .

والحق أن الفتى هنا في أشد الحاجة لمنفذ تندفع فيه انفعالاته التى تلون خواطره بلون حاد وتبدو في كتاباته الشعرية وقصصه العاطفية ، وليس هناك بين النظم الاجتماعية ما يرضى هذه الحاجة أكثر من الدين . فهو لشعوره الدائم بعدم



الاستقرار يتشبث بالدين هروباً من عالم الحقيقة . وليست قراءته المستمرة للكتب الدينية أو سجوده ساعات وساعات يصلى فى حرارة وخشوع ، أو خلوه الى نفسه يقلب ما ينتابها من قلق وأفكار ، سوى تمهيد لتمسك بالفتى بالدين فى حنين جارف .

هنا تسيطر على الفتى فكرة تملأ عليه كل تفكيره . تلك هى الحملة للإصلاح يشنها فى كل وقت ومناسبة ليكسب كل من يتصل به الى حظيرة الدين فهو يرى الجميع على وشك أن يتردوا فى هوة لا يقر لها قرار . ومن الشائع جداً فى هذا السن ١٣ الى ١٦ فى حالة البنات ، ثم ١٥ الى ١٨ عند البنين — أن يقرر الفرد أن يكرس حياته لخدمة الدين بأن يلبس مسوح الرهبان ويسافر الى أقطار بعيدة لا تزال تعيش فى عالم من الاثم ، أو يتخذ الوعظ والهداية طريقه فى الحياة . ولا عجب فالصغير قد أثقل كاهله بفكرة الخطايا التى ارتكبها وهو يود لو يسكفر عنها بأية تضحية .

ولكن لان هذه الافكار عارضة لا تلبث أن تتبخر بمجرد انتهاء ما يحرك جذوتها من انفعال نجد كثيراً من الهيئات الدينية لا تقبل انضمام هؤلاء الصغار وترجم ما يتخذونه من قرارات تختص بمستقبلهم الى وقت يتحررون فيه من الاندفاع ، محاولة اياهم بكياسة الى تقديم الخدمات الاجتماعية وسط الفقراء والجهال والمرضى .

ولكن اذا كان العنصر الانفعالى يسيطر على نفسية الفرد فى مبدأ مرحلة المراهقة فإنه يقسح السبيل قرب نهايتها للعامل الفكرى أو الذهنى ، مما تكون نتيجته اتجاه الفرد نحو الشك الذى قد يصل من الحدة درجة يطيح فيها بمعظم العقائد الدينية وفلسفة الحياة التى كان الفتى الى سنة مضت مستعداً فى سبيلها للدوت !..

والحق أن ازدياد القدرة على الجدل والمنطق .. الى جانب هذه الثروة



الخصيصة التي تأتي بها الدراسات العلمية والأدبية والفلسفية . . والنزعة التي يأتي بها التعليم العالي نحو التفكير المستقل والتحليل والنقد ، حتى لقد يشجع الاساتذة طلبتهم على الشك في آرائهم وما يقرأونه في الكتب وبذا تمتد هذه النزعة الى التعاليم الدينية ، كل هذا يدفعه لتنقيح ومراجعة الكثير من الآراء التي تسلبها منذ الطفولة وقبلها الى شغف وحنين في عهد قريب

وما من شك في أن دراسة العلوم ، بما فيها من الحقائق البيولوجية والطبية التي تتعارض تعارضاً صارخاً مع التدريب الحرفي القديم في ميدان الدين ، تضيف الى تمكن عنصر الشك . وكلما كان هذا التدريب في الصغر نظرياً جامداً لا يقبل المناقشة وضح تناقضه في هذه المرحلة المتأخرة وازداد الخطر عليه من معول العلم والنقد والتحليل . ولعل أول ما يتجه اليه هذا المعول المعتقدات التي تخالف قوانين العالم المادى خلافاً شاسعاً مثل خلق الارض في ستة أيام ، وبتولية السيدة العذراء ، وفكرة البعث

والواقع أن اثر الكتب العلمية والتاريخية والفلسفية ، والمناقشات بين الرفاق ، والملاحظات العامة على الحياة ، كبير الأهمية . وفي كل مرة يجتمع الفتيان من أديان أو طوائف مختلفة ويتحدثون في الدين لا بد أن تثور المناقشات وتتعارض الآراء في حدة متناهية ، ثم تنتهي بتزعزع بعض العقائد عند كل منهم على أثر بروز بعض الحقائق . هذا فضلاً عن أن المناقشات مع أساتذة الجامعة وكل ينظر الى الدين من وجهة نظر علمية أكثر نقداً وتحليلاً من الوالدين ، تضيف الى عنصر الشك .

وواضح ان كثيراً من المجهود يضيع نتيجة لهذه العوامل الهدامة التي يولدها الشك فضلاً عن الاضطراب الذهني والتخلي عن كثير من العادات والتقاليد والآراء الدينية التي غرست في الطفولة ، ولذا نرى من المستحسن ان تتضافر جهود الآباء والمربين للتقليل من حدة هذه المرحلة ما أمكن . ولعلنا نخطو نحو الطريق الصحيح لو قللنا من ذلك الجزع والرهبة اللذين يحيطان بالدين منذ الصغر ،



ومن تأكيدها للطفل بأن عدم تصديق أو مناقشة أى نقطة في الدين هو خطيئة شنيعة  
تقود الفرد حتما إلى الجحيم ! فلنحاول أن نفسح السبيل للنقاش في شيء من  
المرونة منذ الصغر ، ولنقرب وجهتي نظر العلم في المدرسة والدين في المنزل  
وأما كن العبادة حتى لا يبدو فيهما كل هذا التعارض .

فاذا جاءت مرحلة الشك لتلقى بظلالها السكتيب فيمكننا أن نقلل من ذلك  
الاضطراب والنضال الذهني اللذين يصحبانها بتركيز انتباه الطفل على الدراسة  
الموضوعية للأديان كلها بدلا من أن يتجه تفكيره إلى تحليل ونقد دينه هو .  
فليتعلم المراهق الأسس والطقوس التي تضعها مختلف الأديان ، ولنعاونه على  
فحص كل بطريقة ناقدة لتقرير أيها يناسب حاجاته الشخصية إلى أقصى حد .  
وإنا لنعتمد على التربية الدينية الهادئة المرونة من أول الأمر ، والذات العليا التي  
تكونت على أساس ما رآه في الوالدين في السنين المبكرة ، في قيادة الفتى في  
الطريق السوي الرشيد وفي تهدئة ما قد يثيره هذا لدى بعض القراء  
من استنكار .

٢ - فاذا انتقلنا بعد هذا إلى أثر العائلة في النمو الخلقي وجدنا أنه يبدو

في زواحي أربعة .. ناحية التقليد لسلوك الكبار .. واستخدام طرائق المدح  
والذم والثواب والعقاب لتدريب الطفل على أن يسلك سلوكاً مستحسناً .. ثم  
تقرير العقوبة المناسبة للخطأ بحيث يمكن أن يتعرف الطفل مدى ابتعاد العمل  
عن جودة الصواب .. وأخيراً فالحال فسيح أمام العائلة لتحريك الطفل  
لعمل الخير .

ولدينا في دراسات هارتشورن وماي وشا مورث التي هيأت لنا معاملات  
ارتباط بين المعلومات الخلقية للأطفال مرتبطة مرة بوالديهم وأخرى بمدربهم  
في الجمعيات الدينية ، ودراسات فيت التي تدور حول السلوك الاعتيادي  
وارتباطه بأفكار الوالدين والأشقاء ، وأخيراً دراسة المجرمين الأحداث  
حيث أوضح فيرنالد أن ٨٧ في المائة من الفتيات المجرمات أتبن من منازل



## منحلة أخلاقياً .

٣ - فاذا وصل الطفل الى سن دخول المدارس فان معظم وقته يقضيه في الخارج . وهنا يبدو أثر الرفاق . والحق أن الاحساس بالانتماء الى الجماعة هذا قوى جداً ، وبنموه يزداد استقلال الطفل وانفصامه عن القواعد الخلقية التي يضعها الكبار . فاذا كان البون شاسعاً بدأ النضال واضحاً من ناحية الطفل وللرة الثانية نجد دراسات هارتشورن وماي عن الافكار الخلقية في ارتباطها بالرفاق ، ودراسات هيلي وبرونر على المجرمين ، تعزز ما قلناه من أثر الرفاق الذي وصل في الحالة الاخيرة الى ٢٠ في المائة كمؤثر على الاجرام مقابل ١٣ في المائة وهو أثر ضعف العقل .

٤ - يضاف الى كل هذا أثر المدارس ، فروح المنافسة في الألعاب والمواد الدراسية سلاح ذو حدين . وكما ان مدارس يعتبر فيها فناء اللعب ميداناً للروح الرياضية الحققة . ففيه تعاون واخاء ونظافة في اللعب مع رغبة في الكسب الشريف . ولما كنا كثيراً ما نجعل التفوق أو الانتصار يطغى على اللعب الحر فتضع المدرسة الهدف الاساسي كسب الجوائز ، وهكذا يجتمع الطلبة وفي نفوسهم آثار هزيمة قديمة يسعون لغسلها والاخذ بالثأر . وكما ان من مناسبات رياضية انتهت بتدخل رجال البوليس والاسعاف ، وافتقرت المدرستان وهما لم تأخذا من الرياضة سوى قشورها الظاهرة

وهكذا تخرج المدرسة بوضعها أسس المنافسة العمياء عن نطاق الخلق السليم . وما ظن القارئ بمدارس تدعو لتبرعات لعمل خيري فتنتشر قوائم بأسماء المتبرعين وقيمة تبرع كل . . ؟ وهل من العجيب وحساسية الفتى هنا على أشدها أن يسرق من المنزل أو الخارج لينشر اسمه في قائمة المتنافسين ؟ بل ان وضع العبء كله على التفوق الذهني في المدرسة يغلق أمام الطالب سبيل العواطف الرقيقة والاحساسات النبيلة . وبدلاً من أن نخلق من الفصل الواحد أمرة متماسكة متحابية . اذا بالطالب يرى فيمن يجلس الى جواره مصدراً



للقلق والانزعاج ، فاذا نال نصف درجة أعلى زادت كآبته وزاد كرهه له .  
هو لا يحتمل أن يمد اليه يد المساعدة فيفهمه درسا صغيرا لئلا يتفوق عليه .  
وكم من شبان يتقابلون في ميدان العمل بعد الجامعة فتدب بينهم صداقات  
وثيقة كانت مغمورة في فيض من القلق والانانية اللذين يخلقهما نظام المدارس  
الاحمق الذي يضع الضغط كله على التفوق الذهني والمنافسة العمياء  
٥ - وبعد فما من شك في أن نوع السكتب التي يقرأها الطفل ، ومادة الافلام

السينمائية التي يطلع عليها ، لهما خطرهما . ولو أتيح للقارىء أن يلقي نظرة على أدراج  
طلبة مدارسنا الثانوية ونهاية المرحلة الابتدائية لوجدها تموج بروايات الجيب  
والقصص البوليسية مما ينعكس على حياتهم الخاصة فاذا بعصابات ، والخنجر الدامي ،  
« والعقرب » ، « والصاعقة » ، وغيرها تظهر في رسالات ومنشورات « سرية »  
ترسل حتى تهديدا للدرسين . . . ! وقد لمس المؤلف أكثر من مرة حالات  
مؤسفة لعصابات تتألف للسطو فتدوخ البوليس .. عصابات يظل الزعيم فيها  
مجهول الشخصية محرك الخيوط من وراء الستار .. ولها شروط معينة  
وامتحانات جسدية قاسية لا بد أن يجتازها العضو الجديد فيوشم بالنار وشما  
معينا ، ويقسم قسما خاصا ، ويتنكر كالباقين ، ويتبع في النجاة من مطاردة البوليس  
ما يقرأه في السكتب أو يراه في الافلام . . . ! وها هي المدنية بتبذلها المقيت تفتح  
أمام الاحداث ميادين عديدة من الترف والتنعم تدفعهم للاغراق في الخيال  
والثورة على البيئة المنزلية ، كما تتناول بعض المشا كل الجنسية أو المغامرات  
البراقة في ثوب رخيص . ولدى سجلات البوليس حوادث عديدة لا جرام  
الاحداث كان السبب الرئيسي فيها تقايد بعض مايرون على الشاشة البيضاء  
ولقد طالعتنا الجرائد قديما بقصة الغلام الذي ضبط في مخزن فحم في باخرة  
إيطالية بعد اقلعها بيومين ، ولما سئل عن هروبه قال إنه يود لو يقلد ماشست  
وقد كان هذا نجما من نجوم السينما اختص بادوار المغامرات . . . ، وهناك  
بعض الحكومات تفرض رقابة شديدة على الاثرطة السينمائية ابعادا للنشء  
عن خطرهما . وما من شك في أن نفس هذه الحكومات تعتمد على السكتب



والافلام لتلون حياة النشء بلون فكرى أو خلقى معين ، واذا كانت  
السينما كما رأينا تؤثر على اللوازم الكلامية والمظهر الخارجى للفتيان  
والفتيات من تمشيط الشعر وتلوين باليدى فلم لا تؤثر على الافكار  
الخلقية والسلوك الخلقى ؟

أما الذكاء وقد رأينا أثره واضحا فى كل من الفصول السابقة فيحتل  
مكانا لا بأس به كمؤثر على الناحية الخلقية ، ولو انه تضاعف بعض الشيء  
عن مكانته الرئيسية القديمة ، فلقد كان يظن أن الطفل فى حاجة للذكاء  
ليتنبأ بنتائج اعماله ولا يكتفى وجد اخيرا أن الذكاء المطلوب لا يتطلب رقما  
عاليا . ولقد نحت أبحاث اجرام الاحداث نحو معرفة النسبة المئوية لضعاف  
العقول بين المجرمين ، فوجد بيرت انها لا تزيد عن ٨ فى المائة وسط المائتى  
طفل الذين أجرى عليهم تجاربه ، وارتفع هيلى وبرونر بالرقم الى ١٣.٥ فى  
المائة كما يذكر القارىء انا اشرنا فى مناسبة سابقة .





## الفصل التاسع

### النمو الجنسي

للغريزة الجنسية من القوة ما يرتفع بها فوق أى دافع آخر من دوافع السلوك في المملكة الحيوانية . ويشاهد هذا في العقارب والعناكب بنوع خاص ، فاناثها أقوى وأضخم من الذكور ، وما يكاد يحل موسم التلقيح حتى تستكين الانثى للذكر ريثما تتم العملية الجنسية ثم اذا بها تتلقفه بين كلابتيها وتقتله . والعجيب أن الذكر يعلم هذا حق العلم ، فلا يكاد ينتهي من تلقيح الانثى حتى يستدير لينجو بجملده ، ولكنه في معظم الاحوال لا يفلح . ومن هنا تبدو قوة الدافع الجنسي الذي يجعل الذكر يضع رأسه بين فكي الاسد .

أما في الانسان فقد تضافرت العوامل الاقتصادية التي تمنع الفرد من الزواج بمجرد نضوجه الجنسي وتأخره الى ما فوق العشرين أو الثلاثين . . وعوامل الاستثارة التي صحبت المدنية الحديثة من حرية في الاختلاط بالجنس الاخر في الاندية والشوارع والمحال العامة وعلى شاطئ البحر . . وحرية المناقشات المبتذلة والكتابة القصصية التي تدور حول مغامرات جنسية فجحة تضيف الى غرابة العالم الجنسي وبريقه المقتعل . . وعدم الرقابة الكافية على الاعلانات السينمائية وصور بعض المجلات وما تعرضه دور السينما من افلام استعراضية تعتمد في نجاحها على اظهار أوضاع شاذة في الجسم الانساني . .

تضافر كل هذا ليجعل من العالم الجنسي كابوساً يحيل حياة الكثيرين جحيماً لا يطاق يضاف الى كل هذا ما تلعبه التقاليد في أذهان الكبار . وهي تقاليد ورثناها عن آبائنا وأجدادنا فصبغت حياتنا منذ الصغر بصبغة من الاشمئزاز والحجل من كل ما يمت للعالم الجنسي والاعضاء الجنسية بصلة ، وظل هذا



العالم مستغلقا الى يومنا هذا بالنسبة للكثيرين ، فالطفلة لا يكاد الهواء يلعب  
بردائها قليلا حتى تسمع التنبيه « اتغطى يا ماما عيب » . والطفل يترك ليلعب  
كما يشاء حتى اذا دخل أحدهم الحمام أقيم من الاحتياطات والسرية ما يدهش  
الصغير كل الدهشة . واذا اقترب الطفل من فرد من الجنس الاخر ليؤثره  
بلعبة جميلة أو قطعة من الحلوى أو ليربت عليه في حنو انطلقت الضحكات  
تدوى من كل مكان من جانب الكبار ، وأثيرت تعليقات عجيبة عن روميو  
الصغير و « الدون جوان » ، و « يللا يا عم شد حيلك عشان نجوز هالك » . . !  
وفكرة الزواج علاقة غريبة طالما تستغل على الصغير ، فهو يعلم مثلا أن  
« بابا مجوز ماما » ، ولكن ما كنه هذه العلاقة ؟ هو يعلم عن يقين أن هناك  
نوعاً من اللذة يصحبهما وهذه اللذة هو ممنوع عنها . ويزداد شعوره بوجود  
هذه اللذة الغريبة لو كان ينام في غرفتهما ليلا كما يحدث في آلاف المناسبات  
اذ تطرق أذنيه أصوات وحركات لا يستطيع أو يفسرها أو يشترك في أحاسيس  
اللذة التي تصحبهما

بل وقد يقيض الله له خادما أو خادمة مراهقة تتفحص أعضائه الجنسية  
وهو صغير أو تعرض عليه أعضاءها . بل وكثيراً ما يلجأ الخدم للعبث بأعضاء  
الطفل الجنسية ليسكتوه عن البكاء بما يستثيره هذا عنده من احساس سار .  
أو قد يسأل الطفل أسئلة جنسية لا يعنى بها سوى الاستطلاع ، فهو يجذب  
والدته من يدها لترى المنظر الغريب « يا حرام يا ماما شوفي الكلب الاسود  
طالع على ظهر الكلب التاني جيعضه يا ماما . بصى بصى يعمل له ايه . . »  
واذا بالأم تنفلت راجعة في عنف وأنفاسها تتردد في خجل وخرج عجيبين  
بالنسبة للطفل الذي يسمعها تقول « اخص ما احبش اشوف القباحة دى . . »  
وهكذا يشب الطفل والعالم الجنسي سر مستغلق ، يزيده حلوكة ما يسمعه  
من تعليقات اثناء المرحلة الابتدائية عن زملاء في فرقته حباهم الله وجها صبوحا  
مشرة أو جسداً بضاً ممتلئاً . وهي تعليقات عجيبة عن علاقات جنسية بينهم



وبين أولاد كبار في فرق أعلى .. يضاف الى هذا ما يقرأه من عبارات جنسية  
نايبة وسباب غريب تمتلئ به دورات المياه في المدرسة . وليس من النادر أن  
يلفق له بعض الرفاق تهمة جنسية تصل الى أسماع ادارة المدرسة فيحقق فيها  
أحد المعلمين تحقيقاً شاذاً تتخلله تعبيرات غامضة لا يدرك كنهها ، ولقد وقعت  
بنفسى على تهم عديدة من هذا النوع .. أقول يشب الطفل حتى يصل الى مرحلة  
المراهقة فتتكامل حلقات التوتر والاستغلاق . فالتغيرات العضوية كخشونة  
الصوت ونمو الشعر ونزول السائل المنوى ليلاً .. والتغيرات النفسية من  
ركود الى حيوية جنسية جارفة يكبتها المجتمع فتتحول الى اغراق فى العادة  
السرية أو اجتماع جنسى شاذ مع البغايا والساقطات أو أعضاء من نفس الجنس ..  
كل هذا يصل بالتوتر الى حده الاقصى

ومن من فتياننا بين الحادية عشرة والثالثة عشرة لم تصب بذعر وهلع  
شديدين لدى حدوث مظاهر النضوج الفجائية - منظر ، الدماء ، المفزع وما  
يرتبط به فى الذهن باستمرار من معانى الألم ومتاعب الجروح . وتتوالى  
التغيرات الجسمية والعضوية الغريبة من استطالة فى الاطراف يتبعها نقص  
فى الدقة والاتزان الحركى .. ونمو الثديين والشعر تحت الابطين وحول  
الاعضاء التناسلية .. ثم التغيرات النفسية .. ذلك القلق العجيب الذى يستولى على  
المراهقة .. ذلك الدافع الجنسي الذى لا تفهم له سبباً .. هذه الحيوية الدافقة  
التي تغمر جسدها فتحيل حياتها كتلة من المتناقضات .. نوبات الفرح والانقباض  
نوبات الشك والتسليم .. نوبات الاجتماع والعزلة .. نوبات الانفعال الحادة ،  
الضحك لاقل سبب والبكاء لاقل سبب ، بل وبدون ما سبب ظاهر .. بل  
وأكثر من هذا المجهود المضاعف الذى ألقى على عاتق القلب ليدفع الدم  
لاجزاء الجسم التى استطالت ونمت نمواً سريعاً مدهشاً .. كل هذا  
يؤدى الى فقر الدم ، والى حدوث فترات طويلة من الخمول تتخلل نوبات  
الحركة والحيوية التى تسرى فى كيانها .



ولقد عنيانا بذكر هذه الظواهر لنقرر حقيقة تؤكد لها الاحصاءات ، وهي أن هناك نسبة كبيرة من الفتيات في هذا الدور يقعن فريسة للاستتار والاعتماد ، وننظر نحن الى هذه الاعراض التي تدل أبلغ دلالة على ما يعتمل في أعماق الفتاة من شك وخوف قاهرين ونبتسم ابتسامة العارف المطمئن ونقول ان هذا شيء عادي متكرر أو قد لا يحدث للفتاة أى أعراض ظاهرة ونظن نحن أن الدور قد مضى وأن فتاتنا صحيحة سليمة ، مع أن المسألة قد تكون أسوأ وانما قمعتها الفتاة وهو ما سيكون له أخطر النتائج وقد ذكرت لى إحدى السيدات وهي تعرض بدھشة لقوة شكيب فتاتها ، كما نعتها أنها ظلت شهورا أربعة تخفى ملابسها الداخلية عن أمها كلما جاء موعد العادة الشهرية فلم تكتشف الاخيرة الا بعد مدة أن فتاتها قد دخلت دور المراهقة ولعل هذا يرينا ما يجب أن تكون عليه علاقاتنا مع أطفالنا .. علاقة توجيه وإرشاد وتبادل العطف والتقدير ، حتى يفتح هؤلاء لنا صدورهم . كما يرينا حادث مثل هذا دليل على الصراع العقلي العنيف والقلق الذي تحسه المراهقة فتكبتها اما لسوء العلاقات أو لافكار جنسية خاطئة تدور حول الحجل والخرج من كل ما يتصل بالاعضاء الجنسية .

طرق الدراسة : لقد أتينا المعلومات عن النمو الجنسي من مصادر ثلاث : تحليل المواقف المرضية الشاذة التي تصحب النضال أو الكبت الجنسي ، وهو يلقي ضوء على مراحل النمو الجنسي وخاصة الفترات المخرجة التي يمكن أن يشوب فيها السلوك الجنسي .. واليوميات أو المذكرات التي يكتبها الفتيان والفتيات في مرحلة المراهقة ، وهي تعطى تفصيلات دقيقة عن الحالات الانفعالية المرتبطة بالاحساس الجنسي كالرقص والتقبيل والاتصاق الجسدى .. واخيرا الاستفتاءات التي لا تحمل أسماء من يجيبون . وهنا يطالب الافراد بالاجابة بكل صراحة دون أى تحفظ عن اتجاهاتهم ومشاعرهم في مواقف دقيقة لا يمكن الحصول على



معلومات عنها بطريقة الملاحظة المعروفة . ولكن ككل انواع الاستفتاءات نجد الاستفتاءات الجنسية قاصرة على الشبان والفتيات في اعمار متأخرة فضلا عن أن عددا من المدارس والكلليات لا تسمح بتداوله بين طلبتها لأنها لا تود أن تركز انتباههم على المسائل الجنسية أو تشجع على حرية المناقشة في مثل هذه الموضوعات مراحل النمو الجنسي : كان يظن فديما أن الميل الجنسي يظل راكدا خاملا

حتى في مرحلة المراهقة ، ولكن فرويد كان أول من أدرك أن التفكير الجنسي يبدأ في الطفولة .. وان النضوج الجنسي في المراحل المتأخرة يعتمد على طريقة علاج أو أشباع الحياة الجنسية عند الطفل ، فإذا تدخلنا في هذه الأخيرة تدخلنا ملتوبا نتج لدينا سلوك جنسي شاذ عند الكبير

١ المرحلة الذاتية أو النارسيكية auto erotic والاشارة هنا الى «نارسيكوس»

أحد فتيان الاغريق وكان ذا ملاحظة نادرة. وتقول الاساطير انه أعجب بصورته في الماء فوقع في غرام نفسه حتى أنه رفض ان يتزوج ، ايكو ، احدى الالهة ، وكان لا يرى إلا وهو مستلق على بطنه وقد مس وجهه صفحة الماء يداعب صورته بأرق الاسماء . ويرى فرويد أن عشق الذات هذا أو استمداد اللذة من الذات يشبه كثيرا حالة الطفل في المهد حتى منتصف السنة الاولى فهو يعمص ابهامه أو يعبث بأعضائه الجنسية أو يناغي أو يهمهم لنفسه والواقع ان الطفل لا يرى اللذة الا فيما يرضى حاجاته الاساسية . . الطعام او النوم .

والحق أن الفم هو وسيلة الطفل للاتصال بالعالم فضلا عن ارضائه لاحاسيس الحنان والعطف التي تضيفها عليه أمه أثناء الرضاعة ، فليس غريبا أن يعتبره فرويد منطقة شبقية . ولعل القراء ليسوا في حاجة لتذكيرهم بأنه يظل هكذا في حالتنا نحن الكبار .

٢ - مرحلة الشرج . anal state وقد يرى البعض ادماجها في السابقة

وهي واضحة منذ منتصف السنة الأولى حتى نهايتها ، وفيها ينتقل اهتمام الطفل الى عمليات الهضم والتبول والاخراج ، ولكم تجد الطفل يهجع في رضاء واضح أثناء



العملية الأخيرة أو يغمغم راضياً . بل وبعض الأطفال يقاومون نزول هذه الفضلات بعض الوقت وكأنهم بذلك يستزيدون لذة هذا الشعور حتى لقد يصاب الطفل منذ أول عهده بالامساك . ولو تمشيت مع مثل هذا الطفل في حياته المقبلة لوجدته في الغالب شخصا مشاكساً عنيداً يميل للعبوس والتجهم والعنف وتلون حياته بلون من الوحدة والكآبة والثورة .

٣ - مرحلة الاختلاط أو عدم التفرقة : undifferentiated phase قرب نهاية السنة الأولى تتسع ميول الطفل للخارج فيترك الاحاسيس المنبعثة من جسده ليوثق علاقاته بمن يتصل بهم في بيئته المنزلية كالأم أو المربية أو الأب أو ربما أحد الأقارب أو الخدم ، بل وحتى الحيوانات الأليفة قد تشوقه . والمهم هنا ما يشتمل عليه الطفل من احساسات باتصاله بشخص معين فهو مستعد أن يصادق أى مخلوق ما دام يرعاه ويعتنى به فيصيب من ذلك لذة وسرورا .

فاذا نما الطفل قليلا خلال السنة الثالثة بدأت تتسع نظراته فتضم الرفاق الصغار في قائمة الحب والحنان . وهو في أول الأمر يختار طفلا أكبر منه متخذاً مبدأ اللذة والسرور من عشرته اساسا . وتتسع الحلقة قرب نهاية مرحلة ما قبل دخول المدرسة فيلعب الأطفال في حلقات تضم عددا منهم من الجنسين في حرية وسعة صدر .

ويهرب الطفل عن حبه بطريقة ساذجة طريفة ، فهو يربت على صدر امه اثناء الرضاعة ، وقد يعض حلبة الثدي في حنان ، ويمسح وجه الام في الشهر السابع أو الثامن ، ويدبر لها وجهه لتقبله ، ثم هو يلف ذراعيه حول عنقها ويلصق خده بخدها فاذا كبر قليلا فقد يتبع الشخص المحبوب الى أى مكان مما يثير تعليقات طريفة ، وكم يؤلمه ان يخرج من المنزل دون ان يسمح له باصطحابه . أما الحيوانات الأليفة واللعب فهي أكثر طاعة وسكونا ، وانك لترى الطفل يحمل لعبته الحبيبة حتى الى الفراش فينام وهو يحتضنها في حنان برى .



منه  
اب  
تبله  
ون

اية  
نق  
سد  
نقه  
وق

نار  
بدأ  
ول  
رية

نماء  
أو  
ها  
،  
نفة  
نقى



...ولذا تحدث معارك كثيرة بين الصغار من الجنسين...



كل  
شي  
الع

الملا  
ها  
ما  
فان  
يغي  
لتو  
الط  
مع

والك  
بعض  
منها  
بالن  
وده  
في  
يحاول  
معض



ولكن هذه التعبيرات لا يطول أمدها كثيرا في العادة . فالطفل يبدى كل حنو وحب ما دام الشخص موجودا فاذا خرج تحول عنه الى شخص أو شيء آخر . وكذلك في حالات الوفاة أو الطلاق أو خروج المربية من خدمة العائلة نجد الطفل لا يسأل كثيرا عن الغائب .

٤ - المرحلة الاوديبية . Oedipus situation . والاشارة هنا الى الملك أوديب اليوناني ، وتقول الاساطير انه قتل أباه وتزوج أمه ثم كفر عن هاتين الخطيئتين بأن أفقد نفسه حاسة البصر . وقد دفع فرويد الى هذا التشبيه ما يرى كثيرا من اتجاه الابن الى الأم في حنان غريب ، والبنت الى أبيها . فأنت تكاد تلمس هنا عامل الغيرة ينهش قلب الصغير خصوصا في المنازل التي يغيب الأب فيها عددا من الايام ثم يعود فاذا الأم تقيم البيت كله وتقعده لتوفير كل الراحة للقادم مهما تعارض هذا مع راحة الصغار . ولكم تسمع الطفل إذ يفرد بأمه بعد خروج الوالد يقول في سداجة ماما .. أهو دلوقت ننام مع بعض مش كده ؟

٥ - مرحلة النضال ضد الجنس الآخر . تقع ما بين السادسة أو السابعة والثانية عشرة أو الرابعة عشرة . فالاولاد البنات الذين كانوا يلعبون مع بعضهم في حنو في مرحلة رياض الاطفال نجدهم ينضمون في جماعات كل منها من جنس واحد . ويبدو هذا في اختلاف الالعاب ، فلعب الاولاد بالنسبة للبنات « عفرتة » و « شقاوة » بينما يرى الولد أن الغاب البنت « دلح » و « مياصة » .. ولذا تحدث معارك كثيرة بين الصغار من الجنسين ويبدو هذا في العائلة الواحدة . وهي مرحلة شاقة للاباء والامهات وخاصة أولئك الذين يحاولون أن يجمعوا الصغار من الجنسين في حفلات أو نشاط جمعي فهي محاولات معظمها لا بد فاشل



ونحن لا نرى أى سبب فسيولوجى لهذا التعارض بين الجنسين فى هذه المرحلة ، وإنما يغلب على الظن أنه يرجع الى اعتبارات اجتماعية ، اذ يقع اللوم على البيئة التى تفرق كل هذه التفرقة بين ألعاب الاطفال .

ومما يزيد حدة هذا النضال أن الاولاد والبنات فى هذه السن وهى سن التجمع فى عصابات لا يتطرق اليهم أى ذرة من التسامح حتى مع من لا ينتمى لعصابتهم من نفس الجنس ، فاذا كان الولد لا يحب ولداً آخر لا ينتمى لعصابته فماذا يكون سلوكه ازاء البنت ؟ هو يغيظها ويعذبها .. ويتدخل ليفسد لعبها مع غيرها ، بينما هى بدورها لا تترك فرصة تسنح الا لتنقـل لوالديها حكايات ووشايات بعضها ملفق عن أعماله فى المنزل أو المدرسة وقد لوحظ فى المدارس التى يشترك فيها الاولاد والبنات فى تلقى العلم أن الاولاد يتجمعون فى جانب ويدعون للبنات الجانب الآخر ، وهم يتجنبون بعضهم بعضاً اثناء الدخول أو الخروج ، فاذا حاولت المدرسة جمعهم فى الحفلات أو طواوير الصباح ثارت المعاكسات وتعالى الضجة وفسد الجو ويلاحظ على العموم أن هذا النضال أقل حدة من ناحية البنت عنه فى حالة الولد ، بل هو يتخذ فى الحقيقة نوعاً من التجاهل لا المعاكسات وصحيح أن ألعاب الاولاد فى نظرها خشنة عديمة الذوق وذى لعب الفلاحين الا أن البنت اذا تركت وشأنها فلن توجه الى الاولاد أى ذم أو اغاظة بل هى تتجاهلهم .

ولكن وسط كل هذا التوتر والنضال قد تحدث حالة طريفة حقاً تنبئ حاوكة الظلام ولوانها قليلة الحدوث ، علاقة غرامية فرجة بين الصبي والبنت . علاقة حب واحترام عميقين من الولد ورغبة فى خدمة الزميلة الحبيبة .. فهم يحمل لها كتبها فى خروجها من المدرسة .. ويقطف لها زهرة من الحديقة . ويدراً عنها خطر عصابات الاولاد واغاضتهم لها . وانكسار علاقة مغاير تماماً لتلك التى تنبت فى المراهقة ، فليست هناك تعبيرات جسدية ما عدا بعض



مواقف قليلة تتشابه فيها الايدي في خجل. والبنات أكثر تسامحاً مع زميلتهن  
التي يحبوهما أحد الصبيان بحبه ، ولو أنهم يتناولنها بسخريتهن اللاذعة بين حين



وآخر ، الا أنهم لا يستبعدنها من جماعتهن اذا أرادت اللعب معهن ، بعكس  
الاولاد الذين لا يطيقون أن يلعبوا أو يتصا—لوا بزميلهن الذي يعطف على  
احدى البنات .

٦- السلوك الجنسي في المراهقة : وهو يستغرق أربع أو خمس سنوات منذ

بدء المراهقة ريثما يستقر المراهق في مستوى جنسى صحى يمكن أن يعتبر  
أساساً لزواج موفق ناجح . ولا يتم هذا عن طريق المحاولة والخطأ من جانب  
الشخص فحسب بل هو في حاجة أيضاً الارشاد من ناحية المدرسة والوالدين .  
وكما تبيننا أهمية تسهيل السبل للمراهق حتى يمر من بطل لآخر الى أن يعتنق  
مذهباً أو فكرة مجردة خالصة علينا هنا أيضاً أن نذكر من تحقيق الفرص



لاتصال المراهق اجتماعيا بأعضاء من الجنسين نعرف عنهم أو عنهن صفات حميدة حتى يسائر الدافع الجنسي ويتكيف تمكيفا حميدا .

١ - دور الاعتزال : Sex aversion يتخذ الدافع الجنسي في دور

المراهقة عدة تعبيرات سلوكية تتتابع منذ بدء المراهقة . فالاقتراب من الجنس الآخر لا يتم فجأة ، وإنما تحدث المرحلة الاولى قبل المراهقة بقليل وهي فترة تستمر ما بين نصف سنة وسنة ونصف ريثما تتم التغيرات العضوية التي يأتي بها نضوج الجهاز التناسلي . وتتميز بتباعد أو اعتزال عن الجميع وخاصة عن أفراد الجنس الآخر . وتختلف هذه المرحلة عن تلك التي سبقتها مباشرة في أن سببها عضوي وليس اجتماعيا . فالتقاليد توجه نظر البنت الى أن العادة الشهرية ظاهرة مخجلة بغيضة ، خصوصا وهي تتصل مباشرة بالأعضاء التناسلية ، مما يربطها على الدوام برباط من السرية والقلق ويحيطها بثوب من الاشمئزاز يمتد الى كل ما يختص بالجنس . وهكذا تشعر الفتاة أن كل هذه التغيرات العضوية التي يراها الآخرون على جسدها كبروز الثدي واستطالة الجسم والبثور الجلدية على الوجه الناتجة من ازدياد نسبة الشحم والمأكولات المهيجة ، كل هذه « تكشف سرها » للجميع فيلمون بما ينتاب جسدها من تغيرات داخلية كنمو الشعر ونزول السائل المعروف في حالة العادة الشهرية . ومن هنا تعزل الفتاة المجتمعات وخاصة تلك التي يوجد فيها رجال أو شبان . بل وليس من النادر أن يرتبط الوالد الذي كان قبلا مفضلا عن الام في الحب والعطف برباط من الخوف والحجل فتعتبره هو الآخر ضمن « العدو المشترك » ،

أما الغلام بين الثالثة عشرة والنصف والرابعة عشرة فليده من متاعبه هو الآخر الكثير . فخشونة الصوت وتقطعه ونمو الشعر على العنصرين والشفة العليا يثيران سخرية وتعاليقات تهكمية من جانب المكبار . فالكثير منهم يعتمد أن يضخم صوته أثناء الحديث معه .. أو يدعو للغناء . أو يشير



الى « الضفدع » الذى جاء الى البيت حديثا .. فيثير بذلك عاصفة من الضحك . هذا فضلا عن أن الجسم يبدو فى نمرة غير متناسق بشكل غريب .. فالانف يكاد يملأ الوجه الصبباني الصغير .. والفخذان واليدان قد استظالا بسرعة غريبة حتى ليثير المراهق وهو سائر يرتطم بأقدام الجالسين أو يتعثر فى بساط الحجر تعاليقات طريفة .. !

يذعر الغلام لكل هذه التطورات فيبدوله كما لو أن حالته هى الاولى والاخيرة وانها لا بد تحمل شرا مستطيرا ، فاذا أضيف الى هذا ممارسته للعادة السرية وهى طريقة طبيعية فى أول أمرها للتخلص من العدد الكبير من الهرمونات التى تفرزها الغدد التناسلية .. ونزول السائل المنوى أثناء النوم فاذا به يستيقظ فيحس شيئا رطيبا فى ملابسه الداخلية .. فلا عجب بعد كل هذا اذا هرب الغلام الى حجرته وحيدا يفكر فى حياته المخزية البغيضة ويتصور انه لو استمرت هذه التطورات الاخيرة فسوف يشب مخنثا غير متكامل الرجولة ولكن التغيرات العضوية ليست كل السبب فى حالة المراهقين . فهناك من الاسباب الاجتماعية وخصوصا للفتاة ما يملأها خوفا من الشبان ، فالكوارث الزوجية التى تحيط بها من كل جانب .. المشاجرات بين الاب والام أو الازواج والزوجات . والانفصال أو حتى الطلاق .. هى مذكر لها على الدوام بنواحي الشقاء التى تنتظرها لو عرضت لها حياة الزواج . ودور السينما للأسف مليئه بأفلام سينمائية تعزز هذه الافكار المتشائمة ، فهى اما مأس مباشرة أو عرض لمستوى من المعيشة الزوجية فى ثوب لا يتناسب مطاقا مع الحياة المملة العادية التى تراها حولها فى كل مكان . ولا يكون البنت تقضى فى المنزل مدة أطول مما يقضيه الولد نجد أن هذه الفكرة الاجتماعية تسيطر على ذهنها تماما

ب- عشق البطل من نفس الجنس : Crushes بمجرد انتهاء التغيرات العضوية تأتى مرحلة انتقال بين اعتزال الجنس الآخر الذى رأيناه وبين ما



سيكون عليه الجنسان في نهاية المطاف من لهفة وشوق لبعضهما . وتتميز مرحلة الانتقال هذه بعاطفة وثيقة جداً من الحب العميق بين المراهق وشخص كبير من نفس الجنس ويبدو هذا في المرحلة الثانوية على الاخص اذ يحب الطالب مدرسه أو أحد زملاء الكبار من ذوى الشخصية الجذابة أو صديقاً وقوراً من أصدقاء العائلة . وهو حب غريب حقا في حدته . . يتضمن من الغيرة والرغبة الكلية في الاستحواذ على كل دقيقة من دقائق حياة وتفكير الشخص المحبوب ما يتألم الشاب معه كل الألم لو وجد اعراضا ولو بسيطاً غير متعمد من الشخص الذى يحبه .

ولقد دلتني الخبرة على أن المدرس المحبوب في المدرسة الثانوية وخاصة اذا كان فيها قسم داخلي يواجه موقفاً في غاية الحرج يمكن أن يصل بمنتهى السهولة الى كارثة تصيب بعض الطلبة بضرر جسيم لو تصرف بدون حذر فيما يختص بعلاقاته بالطلبة الذين « يعبدونه » لو استعملنا التعبير العلمى . من السهل جدا أن تنشوه حياة الطالب العلمية والنفسية مؤقتاً فيصبح متشائماً سوداوى المزاج قليل الانتاج لو سخر منه مدرسه يوماً . وأعرف حادثاً كاد يؤدي الى انتحار لمجرد ان الطالب حضر الى غرفة مدرسه الذى يعجب به ليقربه تحية المساء كالعادة فلم يجده ، وعندما عاد كاسف البال الى « عنبره » وجده يتبادل الأحاديث فى مرح مع بعض الطلبة . . . !

وهذا الاتجاه الجنىسى أوضح فى البنات عنه فى البنين اذ تصل تضحيات البنات فى سبيل بطلتها حداً كبيراً ويصل عذابها اذا وجدت منها اعراضاً درجة أليمة . وبين يدي مذكرات كانت قد كتبتها احدى فتيات المدرسة السنية بالقسم الداخلى وكانت تستعد وقتها لتكون مدرسة ، تصف فيها فى اسلوب شاعرى رقيق علاقة فريدة فى بابها بينها وبين احدى المدرسات . فهى تكتب فى أول العام الدراسى :

« . . . فتاة بها من الحنين الى رؤيتك ما تضيق بحمله نفسها الضعيفة ومن السرور بعودتك ما يكاد يطير له صوابها ، أتقابلينها هذه المقابلة التى تتركها



حائرة مذهولة ...

«نعم ... تحضير الدروس ... مهمة شاقة لم أعهد لها قبل اليوم .. ولكن  
غيرى فى عرفك من يستحق مساعدتك . غيرى من هن أهل لها . قد تعترضين  
قائلة أنك سألتنى .. والحق أنك سألتنى » عملاً بالواجب ، ، اذن ما هذا الطمع  
وماذا كنت أرجو فوق ذلك ؟ أى ربى لقد كنت أرجو أكثر من ذلك ..  
نعم أكثر وأكثر .. .

وبعد قليل .. . لقد كان خيراً عندى نظرة عاطف حقيقية من ملايين من  
كراسات التحضير .. نعم كراساتك التى ظلت بين أيدي بعض المختارات ..  
وتستمر هذه المرحلة بين الثالثة عشرة والسابعة عشرة .. وقد توجه الى  
أبطال وبطلات السينما والمسرح . ولاحظ أن المراقق والمراقبة يتلصقان  
فى الأبطال ما يخاف الآباء والأمهات ، وهن هنا يحدث صراع ومقاومة  
شديدين اذ يحاول الفتى أن يصاح من والديه نحو ما يراه فى بطله .  
ولا تحدث التصاقات جسدية بين المراقق والشخص الذى يتعاق به ،  
فالعاطفة هنا يملأها الإعجاب والتقدير العظيمان ، وتجد منفذاً لها  
فى تقليد نوع الملابس التى يلبسها ، وطريقة الكلام واللوازم الحركية  
والإشارات . كما يبدو هنا ميل المراقق الشديد لاختيار ألوان الملابس والاهتمام  
بالمظهر الخارجى ، فهو ينتقى ربطة الرقبة بمنتهى العناية ويصاح هندامه  
ما أمكنه حتى يجتذب الانتباه من المحبوب .

وقد لا يشعر الشخص الكبير بهذه العلاقة فى أول الأمر ، ولكنه  
يكشف مدى حدتها فجأة . وقد يسر ويشعر بالزهو لهذه القوة التى يضيفها  
عليه المراقق فيحاول مدفوعاً بالأنانية أن يحتفظ بهذه العلاقة ويطيئها ما أمكن  
وخاصة فى حالة السيدة التى لم تنل من النجاح فى حياتها الجنسية مع الرجال  
ما يشعرها بالاعتدال فهى تشعر أن هذا الإعجاب الحاد من جانب الفتاة نوع  
من التعويض . ويمكن هذا السلوك من جانبنا يتضمن نتائج خطيرة ليس  
أقلها أثرها أنها تقود الى اتجاهات غير صحيحة متصلة بالجنس الآخر وقد



تنتهى بالمعزوف عن الزواج كلية

ليكن رائدا بوجه عام - كما أشرنا الى الخطأ الذى تورط فيه  
منار لنا الناعمة المدللة فتلصق الطفل بها معطلة اياه عن النمو الاجتماعى والخلقى  
والخروج الى البيئة الواسعة - أن نسهل مرور النشء من مرحلة الى أخرى  
أرقى منها حتى يصل الى ذروة النمو الجنى فيتجه انجهاً صحيحاً - موافقاً  
لمستويات المجتمع نحو الجنس الآخر .

وتختلف حدة هذه المرحلة التى نبحثها الآن حسب البيئة التى تحيط بالمراهق  
وما يسيطر عليها من تقاليد المنع وعدم تيسير الاختلاط . فإذا كانت البيئة غير  
معقدة من هذه الناحية فإن المراهق يمر - ريعاً فى هذه المرحلة فلا تتأخر  
حتى السابعة عشر . والمهم أن يستغل البطل سواء أ كان رجلاً أو سيدة  
قوة الانجاء التى يهينها له الموقف فى الوصول بالمراهق الى مرحلة النمو  
الخلقى الصحيح ويتخلص منه بهدوء ليقدمه الى اعتناق فكرة سامية نبيلة  
فهذا هدفنا حقاً . هذه الفكرة قد تتمثل فى فرد من الجنس الآخر فيقدر  
الفتى فتاته على هذا الاساس وهنا يندمج العالمان الجنى والخلقى وبذا يصل  
الى النضوج الفكرى الحق .

ج . عشق البطل من الجنس الآخر : Calf love من الجائز اذا كانت

البيئة كما قلنا لا تقف حجر عثر فى سبيل الاتصال بأعضاء من الجنس  
الآخر أن يتخطى المراهق المرحلة السابقة الى حب سيدة أكبر سناً بكثير  
بل قد تصل الى ضعف منه ، كما نختار المراهقة لحبها رجلاً متكاملاً الرجولة  
ربما ناهز الاربعين . ولعل أحد أسباب ابتعاد المراهقين عن حب فتيات  
فى سنهم والعكس هو أن أجسام الاحداث هنا لا تزال فى أوضاع غير متناسقة  
بينما أجسام الكبار قد استقرت وصقلت وأضحت الحركات متزنة رشيقة .  
وكثيراً ما تثير هذه العلاقة البريئة سخرية الموجودين وتعليقاتهم التهمكية  
كلها حاول الفتى الصغير أن يحتل المقعد المجاور لبطلته على المائدة أو حاولت  
الفتاة أن تنفرد بجلها أو تتابعه وهو يتحدث أو يتحرك فى اعجاب واستغراق



ملحوظين . ويتسبب عن هذا خجل شديد قد يقود لتوتر انفعالى أو خوف من أى اتصال مقبل بالجنس الآخر .

وكما قلنا فى الحالة السابقة نجد أن السلوك هنا سلوك اعجاب مصحوب برغبة فى تقليد الصغير لسلوك الكبير . فالمرأه تحاول أن يبدو فى مظهره رزينا وقوراً كالأكبر ، توحى نظراته بالتأمل والتفكير العميق . وليس من النادر أن يفكر فى ترك المدرسة للاشتغال بأى عمل ليعول السيدة التى يحبها كزوجة له ان لم تسكن متزوجة .. وهكذا فى حالة الفتاة التى تعجب برجل فى العقد الرابع من عمره ، فهى تحاول أن تنافس أمها وصديقات أمها فى مظهرهن وسلوكهن ، محاولة أن تسبب اهتمام الرجل ، فإذا كان البطل من أى الجنسين متزوجا — وهو أكثر احتمالا فى حالة السيدة التى يعشقها الفتى — فإن الصغير يحس بالغيرة الجارفة من ذلك الذى يقاسمه حياته ، ويتمنى سرا أن يفصم عقد الزواج

وكما قلنا أيضا فى الحالة السابقة يخلو هذا المظهر الجنى من أى التصاق جسدى بين المراهق ومعبودته أو العكس .. خصوصا والشخص المحبوب فى معظم الاحوال متزوج فهو لا بد يوجه اهتمامه لشخص أكبر من المراهق وأكثر خبرة . ولكن مثل هذه السيدة قد تشعر بالزهو اذا اكتشفت هذه العلاقة ، والبعض الآخر هدوء وفهما للحقائق يشعرن بنوع من عاطفة الامومة والرغبة فى اسعاد الفتى الصغير ، تماما كما تتمنى أن تسعد أهدأ بناتها . أما الرجل فى العقد الرابع فقد لا يكون متزوجا وفى هذه الحالة قد يجد فى شعور المراهقة العميق بعض التسلية . ولكن لا يبعد أيضا أن ينقلب هذا الشعور على مر الأيام حبا ينتهى بالزواج من الفتاة . ولكنه لو كان عاقلا لما فعل ، فمثل هذه الزيجات لا تنتهى عادة بنتائج سارة ، فهذا الدور — كما يجب أن يكون — دور عارض فى نمو الفرد الجنى فاذا انتهى انقضى معه الاعجاب بالكبير وتحول الى من هم أكثر شبابا وحيوية ، وهنا تشعر الفتاة أنها قد تورطت . فلنسمع دائما كآباء وأبطال أن نقود الطفل الى الامام دون اهتمام بمصالحنا أو



عواطفنا الشخصية . وليس معنى هذا أن نهزأ بعراطف الفتى أو الفتاة ونبين  
في سفور ان اهتمامنا بعيد عنه منصب الى شيء آخر ، فهذا يورثه شقاء وهما  
واكتساباً تتدخل في عمله الدراسى فتعطله ، وفي علاقاته الاجتماعية فيتجههم  
ويعتزل ، كما تشعره بالخيبة والنقص فيتعطل مروره لمرحلة الغرام المتبادل  
المعروف لدينا جميعاً .

د - الحب الصبياني : Puppy love قبل أن يصل الفرد الى هذه

المرحلة الأخيرة تعترضه مقدمة صغيرة يمر فيها معظم المراهقين والمراهقات  
في صورة حب لعضو من الجنس الآخر في نفس السن . وهى تبدو فى أوضح  
مظاهرها بين السابعة عشرة والثامنة عشرة . لقد تضاعف الآن الإعجاب بالسيدة  
أو الرجل الكبير ، فهؤلاء لا يعرفون من الحياة وجهها المرح الطروب ،  
ومن الملابس سوى الألوان الخامدة الباهتة . كان المراهق في المرحلة السابقة  
خجولاً ينمقد لسانه ويشعر بالحرج لأقل اتصال بينه وبين السيدة . ولكنه  
اليوم يتغلب على هذا ويغطيه في رداء من الجرأة المصطنعة . ومن هنا تختلف  
هذه المرحلة عن مرحلة الحب الأخير الموفق الذى ينتهى بالزواج في كونها  
خشنة غير مصقولة يعززها اندفاع الصبا ورعوثته . فارتفاع نبرة الصوت ..  
والصفير .. والقهقهة العالية .. وحركات الجسم السريعة كالدوران ووضع قبضتى  
اليدين فى الوسط .. وتحسس الشعر باليد .. كل هذه مظاهر الحب وجذب  
الاهتمام فى هذه المرحلة ، يتخللها فى بعض الاحوال تشابك الايدي فى خجل  
واحمرار الوجوه

وياجأ كل من المراهق وزميلاته فى جذب انتباه الآخر الى لبس الملابس  
ذات الالوان البراقة الزاهية والمودات الحديثة للزباء ، وعص الشعر فى  
أوضاع صارخة ، والاكثار من دهن الشعر بالزيت ليلعب . وتقضى المراهقة  
ساعات أمام المرأة ، وتهتم بزيتها وهى خارجة للمدرسة كما لو كانت تذهب  
لحفلة كبيرة تحشد لها كل مواردها .

ولكن هذا الحب ليس مضيعة للوقت بالنسبة للصغار كما قديظن البعض ،



فهم وجدما بعده جد ، فالفتى يقدس فتاته وها يتمنيان لو بقيا مع بعضهما . ويتناهما  
صنعتي الشقاء لو انفصلا قليلا ، فيقضى كل منهما وقت الانفصال في خيالات  
هو أحلام متسائلا عما يفعله الطرف الآخر . ويعمد الفتى الى كتابة خطابات  
ويتأجج فيها الحب ويزينها برسم زهرة جميلة في الركن ، أو يودعها أوراق  
« البانسيه » رمزا على العهد الباقي والاخلاص الدائم ، كما قد يتجه للشعر فيكتب  
ويعزق أو يحتفظ بما كتبه بعيدا عن الاعين

ويحاول المراهق ما وسعه أن يصلح من عيوبه حتى يصل للمثل الأعلى  
الذي يظن أن محبوبته تتربع عليه أو ليكون جديرا بحبها . وهذا يدعوا الشباب  
بالتدريج - اذا اخترنا صديقاته اختيارا موفقا - لا كتساب مظاهر الاتيكيت  
وآداب المجتمعات ، وهذه فرصة ذهبية أمامنا لاصلاح ما يمكن أن تكون  
قد أفسدته مرحلة العصابات حتى الرابعة عشرة من ميل للتدخين والمشروبات  
السكحولية وتحطيم القوانين . وكثيرا ما نجد الفتى ينفق أكثر مما يطيق على  
الهدايا البسيطة التي يقدمها لحبيبته ، ولا يبعد أن يصرف من الجهد ما يعوض  
به تفاهة الهدية من الوجهة المادية ، فهو يسهر الليل ليصب لها دبوسا جميلا  
تشبك في صدرها أو ليلون صورة لها مكبرة ، فاذا خلا بها بعض الوقت فهو  
يحدثها عن مستقبله وما سيهيئه لها من وغد وسرور

ولكن على عكس ما قلناه في المراحل السابقة كلها نجد هذه الفترة  
خطيرة جداً لما يمكن أن تتمخض عنه من مأس خلقية نتيجة للاتصاق  
الجسدي الذي يميزها . فلا استثارة الجنسية والدافع الجنسي هنا على أشدهما ،  
وليس لدى الصغار من الخبرة والاحساس الاجتماعي ما يمنعهما من  
ارتكاب حماقة في لحظة من لحظات الاندفاع خصوصا والغدد الجنسية  
تعمل في فورة بعد هجوع طويل . وهنا تأتي التربية الجنسية لتسبب للاحداث  
موقف الحذر من الاتصال الجنسي لا عن طريق الارهاب والتهويل فيما قد  
يصيب الفرد من أمراض سرية ولكن عن طريق تعزيز الروابط الاجتماعية



التي قد تتأثر لو اعتدى النشء على مثل هذه الحواجز . نحن هنا في حاجة إلى كل موارد الوالدين والكبار من لباقة وكياسة لتيسير مرور الفتيات في هذا الدور دون أن ينزلن ، ففي الزيارات والاجتماعات وعلى الأخص تلك التي تعقد في الخارج كالرحلات الخلوية التي تستغرق بعض من الوقت فرص ذهبية جميلة لصقل الدافع الجنسي ، ولكنها خطيرة .. فينبغي أن تكون العيون ساهرة لا تغفل ولا يمكن في ثوب من عدم الاكتراث المصطنع . فإذا كانت البيئة مستقيمة ومر النشء في مراحل النمو الخلقي التي سبق عرضها ، فتكفي رقابة يسيرة لابعاد عنصر الخطر ، خصوصاً والفتاة في كل الغالب أكثر حذراً من زميلها وخطرها الحمل ، عندها قريب جداً للذهن .

ان بعض كبار المربين الأمريكيين الذين ينادون بالحرية المطلقة والتربية المختلطة في المدارس لا يرون في العملية الجنسية بين الفتيان وزميلاتهن سوى عرض من أعراض النمو الجنسي ، وهي في تمزيقها لاغشية أو خلايا معينة لا تعدو أن تكون تدبيراً فسيولوجياً محضاً يمكن النظر إليه مجرداً دون ما يحوطه من تهويلات خلقية يضاعفها المجتمع لمجرد أنها غير مشروعة ، وعلى هذا الأساس فهم لا يتألمون كثيراً لحدوثها — ولا أقول يبيحونها — كخطوة من خطوات التقدم نحو السكال والنضوج الجنسي والاجتماعي .. ! ولكننا بالطبع لا نستطيع بتقاليدنا الشرقية أن نشاركهم في هذا الاعتداء الصارخ ، وسنعود لبسط دور التربية الجنسية بعد قليل .

أما المرحلة التي نحن بصددتها الآن فتتكون من عدة مغامرات متكررة بين الزملاء والزميلات . وهي مغامرات حادة عنيفة يقسم فيها الفتى أنه يحب صديقه حب العباد ، وتقسم الفتاة أن مصيرها إلى الدير ، لو تخلى عنها صديقها .. ! والغيرة هنا إحدى المظاهر التعبيرية الحادة . فالشاب أو الفتاة سريع الشك في أقل اهتمام يوجه إلى من يحبه ، وكثيراً ما يعقب هذا سلوك



اجتهاد عفيف قد يصل الى الاضرار بمستثير هذه الغيرة ، فاذا هدا الصغير وخلا لنفسه  
بأنه ندم على تهوره .

على وسرعان ما تعلم الفتاة بعد خبرة قليلة هذه الخدعة التي تتقنها هي وارتابها  
من سن مبكر ، اذ تستثير غيرة الصبي باصطناع التلطف أو التقرب من غيره  
بغى بولائها بذلك تود لو تحتفظ باهتمامه بها كاملا مع كثير من السرور لما يديه  
لنوع من رغبة في امتلاكها لنفسه . ولذا يتميز هذا النوع من الحب بمواقف  
العتاب وسوء التفاهم والشجار ، وكثيرا ما يفترق الطرفان بعدموقف عاصف فيخلو  
في كل لأشجانه يتذكر الحب المستمر القديم ، ولنفسه يطارحها العتاب ، ويؤمن  
ببعض الصغير بأنه كان مغاليا في شكوكه عنيقا في تصرفاته سريعا للاحساس باهانة  
السكرامة حيث لا اهانة . وهو يتخيل ما سيحدث في اليوم التالي من اعتذار  
ببينة قيق متبادل وعودة الحب الى جذوته الاولى . ثم يأتي اليوم التالي حقا  
ويجتمع الصغيران في جو بارد مليء بالأعين ، وتغلب على الفتى نفس اعتبارات  
السكرامة خصوصا والفتاة لا تزال تتلاعب بعواطفه فيتقابلان في جفاف وتحت  
الرماد صغير يتأظلي .

وهكذا نتابع المغامرات ، وهي بالرغم من حدتها في كل مرة نجدها  
قصيرة الامد تنتهي كما بدأت فجأة ، على أثر خلاف تافه .. ! ويقضى الطرفان  
فترة من الالم والشقاء قد يفكر الفتى أثناءها في الانتحار ، كما تفكر الفتاة  
في اتخاذ الرهينة ، طريقا تدفن فيه نفسها بقية حياتها ، ولكن كلا منهما  
سرعان ما ينغمس في مغامرة أخرى مع عضو آخر .. وهي مغامرة تحمل من  
العنف والتأجج ما حملته السابقة تماما .. ! وليس من النادر اذا سمحت البيئة  
أن يندمج الفتى في أربع أو خمس محاولات من هذا القبيل قبل أن يصل  
للعشرين ، فلا عجب اذا رأيتاه في دوامة عاطفية مستمرة تؤثر على صحته  
وعمله المدرسي أو الجامعي .

٥ . الحب المصقول : Romantic love هو المرحلة الاخيرة في النمو



الجنسى.. الحب الرومانتيكى الذى يعتبر الأساس الصحيح للزواج الموفق ومظهره محدود يتبع مستويات السلوك الاجتماعى . فالشباب بعد مروره خلال المراحل الخلقية والجنسية السابقة لديه مثل معين يحاول أن يطبقه على فتاة هى أقرب ما تكون له . وكلما أفلحنا فى جعل فتاتنا أو فتانا يسيران بمثلهما على الأرض ولا يخلقان فى السماء... بمعنى أن يكون المثل قريباً من الحقيقة مرزاً على قدر ما فيه من السمو والنبل.. كلما كانت العلاقة الغرامية أدوم وأبقى أثراً . فالحب « من النظرة الأولى » هو تقمص المثل الأعلى للفرد فى شخص حقيقى . وهذا المثل قد يكون شخصية نتجت عن أحلام اليقظة والخيال ، أو شخصية فى كتاب أو فى فيلم من الافلام السينمائية أو تطبيقاً لذكرى أحد الوالدين مات وترك فى ذهن الشخص أثراً لا يمحى

ولكون الاعتبار الاقتصادية فى المجتمع المصرى تضع القدرة على اختيار شريك الحياة فى جانب الرجل أكثر منها فى جانب المرأة.. فمن لقدرته المالية وموافقة المجتمع يمكنه أن يتردد على منازل كثيرة ليختار منها من يروقه بينما المرأة تلعب دوراً أكثر تراجعاً وسلبية خصوصاً لو وصلت الى سن معين لا تستطيع بعده أن ترفض من يتقدم لطلب يدها.. لهذا الاعتبار الاقتصادية نجد أن المثل الذى يخرج به الفرد من المراحل الماضية هو أكثر وضوحاً وتحديداً فى الرجل عنه فى المرأة التى تحتفظ دائماً نظراً لموقفها المستكين بالكثير من الليونة والمرونة فى فكرتها عن الرجل بحيث يسهل نسبياً تحويلها لتناسب القادم الجديد .

وهناك من الصفات التى تجذب الشباب من الجنسين عدد كبير ، ومن تحصيل الحاصل أن نشير اليها فى اسهاب ، وانما نكتفى بالقول بأن الجمال الجسدى للوجه والقوام أولون العينين والشعر وشكل الساقين.. وجمال الملابس وتزيينها بالأزهار والحواشى والورود وذوقها وطريقة مناسبتها للجسم.. والاتفاق فى الميول والأمزجة.. والاتفاق فى نوع العمل أو نوع المعيشة أو



الطبقة الاجتماعية والاقتصادية . . . هذه العوامل الاربعة تؤثر على اختيار الشريك . ونحن نختار العاملين الآخرين لتؤكد أهمية وجودها أو وجود أحدها في الزواج الموفق . بل وقد يصل الفرد في مثله الأعلى الى التجرد فيجب حصة معينة كالذكاء أو التواضع أو تقدير المسؤولية وهكذا .

وقد يتخذ هذا النوع من الحب في أول أمره مظاهر تعبيرية يتطلب الأمر حدوثها للتحرر من المرحلة الصبغانية السابقة . ومن أكثر هذه التعبيرات شيوعا الرغبة في الالتصاق الجسدى . وهى رغبة ثابتة مستقرة تخالف فترة الاندفاع الفائقة ، كما تتخذ وسيلاتها ما يهيئه المجتمع من ضروب الاتصال ، خصوصا وقد خرجت الفتاة اليوم الى المنتديات العامة وهيأت السيارات والنزهات الحولية فرصا عديدة للاجتماع ، وجاءت بعض الآراء الحديثة وبالأعلى عدد كبير من الفتيان لا يكاد الواحد منهم يحس شذوذا عصبيا من نوع ما حتى يقتاده أحد « النفسيين » الى موضوعات غريبة عن السكبت والتوتر الجنسى ووجوب توفير الالتصاق الجسدى . بل وكم من الأطباء — سبحانه الله — يدفعون الى الفتيان « بكارى بلانش » مصحوباً « بروشبات » تقيهم ما قد ينتج من أخطار .. ! فإذا نجحت هذه المواقف فى حالتين أو ثلاثة فلدى القراء ولا بد أمثلة فى أذهانهم عن مئات غيرها دمرت فيها حياة النشء المسكين من الجانبين .

والمؤلم أن هذا المظهر التعبيرى لهذه المرحلة من النمو الجنسى يستثير الغدد الجنسية بشكل أكثر خطرا مما رأينا فى الفترة السابقة . فإذا تسكرر هذا فأخوف ما نخافه حدوث « تسكيف كيمائى » كذلك الذى ينتج من الاستثارة السكحولية ، مما ينتهى بفصائح سلوكية عديدة فضلا عن صعوبة استقرار الفرد فى وضع الزواج .

ومن أساليب التعبير أيضا الرغبة فى تقديم الخدمات للطرف الآخرهما تطلبت من مصاعب ، بل ان التضحيات التى يجتازها الفرد لما يضيف الى



شعوره بالسعادة . ومن عجب أن هذا الأسلوب أوضح في الفتيات عنه في الذكور الذين يختلفون قليلا عنهم في المرحلة السابقة اذ بدلا من اغراق الاوليات بالهسدايا يسعون لارضائهن بأعمال تدل على التفوق الجسماني أو الذهني .

وكثيرا ما ينقد الفتى ما سبق أن كتبه في المرحلة الماضية من قطع شعرية أو موسيقية وخطابات غرامية ، ويحاول أن يضع هذه الرغبة الانشائية في ثوب أكثر صقلا وهدوء .

يضاف الى كل هذا رغبة الشباب من الجنسين في اتخاذ أصدقاء يعهدون لهم بأسرارهم الغرامية ، ويستحلفونهم أن يبقوها سرا مكتوما . ولعل ما ينفس كثيرا عن الفتى أن يقص لصديقه الحميم أوصافاً معينة ومواقف وداع أو لقاء تنطبع في ذهنه . أما الفتيات فكثيرا ما يكتشفن ان صديقاتهن يبجن بهذه الاسرار في سهولة ولذا يلجأن الى اليوميات يودعنها مكنونات قلوبهن ويخفينها بكل حرص وعناية .

وفضلا عن هذا فهناك الرغبة في صحبة المحبوب وملازمته طيلة الوقت ما أمكن . ولا يقتصر الامر على اجتماع الفتى بفتاته في المناسبات الاجتماعية كالحفلات ، بل انهما ليودان ان يستذكرا دروسهما سويا ، ويشتركا في نفس الالعب والمباريات ، وهكذا تتوثق بين الجنسين روح زمالة وتعاون غير موجودة في المراحل السابقة كلها . فاذا انفسحت أمام النشء الفرص للاتصال ببعض الحرية كان هذا تمهيدا لاستقرار المشاعر على أساس صحي أوثق مما تهيئه اية مرحلة أخرى

كبت الدافع الجنسي والتربية الجنسية : رأينا ما للدافع الجنسي من قوة

قاهرة في حياة الانسان . وهو بما يعرض من فرص ذهبية لليل للإصلاح والتضحية بكل شيء في سبيل الطرف الآخر يحقق ما قاله أحد كبار الفرنسيين من ان « كل عظيم لا بد كان في مسرح حياته يوما ما امرأة .. » ولسنا نعني





.. وإذا اقترب الطفل من فرد من الجنس الآخر ليقبله انطلقت الضحكات  
وأثيرت تعليقات عن « روميو و جولييت » ... ص ٢٦٨



به  
و  
ال  
ت  
م  
ب  
و  
ي  
ك  
ال  
ال  
ال  
لل  
ال  
يش  
ير  
با  
و  
في  
ال  
وا



بطبيعة الحال أن مشاهير الرجال والنساء كانوا دائماً متزوجين اذ لا يستلزم وجود المرأة أو الرجل في حياة الفرد أن يتزوج .

فاذا استطعنا أن نتسامى بهذا الدافع ليسير في مجرى يوازي ما يطلبه المجتمع فقد جهزنا الشباب بمحرك قوى للكمال . ولكن المدنية للأسف تستثيره أثناء المراهقة وقبلها بما تعرضه من أفلام ودراما وقصص وصور مبتذلة ونكات جنسية . وبدلاً من أن تساعد الفتى والفتاة لضبط هذا الدافع بطريقة صحية والتقدم مع الزمن للحياة الزوجية الموفقة اذا بمعظم الآباء والأمهات يحاولون منعه بأي شكل . ومعظم كوارث الحياة الزوجية حيث يتحطم قلبا الزوجين الفتيين أو ينفصلان أو تدمر سعادتهما سيدها أن هذه كانت أولى محاولاتهم الجنسية فلم يمرأ في المراحل التي سبق عرضها بل ظل العالم الجنسي دونهما سرأ مستغلقاً حتى ليلة الزواج . وسنعرض هنا مع بعض الإيجاز أوضح أخطار السكبت الجنسي :

١ العادة السرية : لعلها أقرب الحالات الى دمس الاصابع ، في أول

الأم ، وهي تحتل المكان الأول كمسبب لقلق الآباء والمحيطين بالطفل وكهدف للقمع والتفريع . فاذا عرفنا أن الحياة الوجدانية كلها للرضيع مركزة في الاحساس الجسدى بالالتصاق والضم والتقبيل ، فهو عفيف في حبه لأمه يشعر أنه يود لو يأخذها لنفسه كلية ، وهو يراها في أول الامر مجرد ثدى يرضعه وذراعين يحتضنانه .. وبنفس الطريقة نجد أن حب الطفل لآبيه يعنى بالنسبة للوليد الصغير اللذة الجارفة التي يحسها اذ يرفعه الاب بين يديه القويتين ويحتضنه ... واذا أضفنا الى ذلك أن هذه اللذة الحسية منذ الايام الأولى تتركز في الفم وبعد قليل في الاست ، فلعلنا لسنا في حاجة لتأكيد الدور الذي تلعبه الاعضاء التناسلية بعد هذا بشهور قليلة . ويلاحظ هذا بوضوح في الولد والبنت ولو أنه في الولد أوضح ، اذ يميل العضو الى الانتصاب أثناء اطعام



الطفل أو احتضانه أو احساسه بالحب من أى نوع . فليس من الغريب والحالة هذه أن تمتد يد الطفل للامساك بهذا العضو تماماً كما تمتد الى فمه ، ولكن الغريب أن يقابل هذا السلوك بكل هذه المحاولات للمنع وبعد هذا بالذم والعقاب والتهديد ..!

ويتهى هذا الدور العادى اذا كانت البيئة المحيطة بالطفل عاقلة حكيمة بمجرد أن يتحرر الطفل من قيود اللذة الحسية الذاتية - المرحلة النارسسية - وتتسع ميوله لمشاهدة الاشجار والطيور ، وسماع أغاني أمه وأهازيجها ، والتمتع بالعباه في صحبة الآخرين .. هذا مع تيسير وسائل النوم بحيث لا يترك الطفل وحيداً دون ما يشغله قبل أن ينام ، ولا يصيبه الارق لاسباب جسمية كاللوز والزوائد الانفية وغير ذلك

أما اذا كانت البيئة سيئة فقد يترتب على القمع زيادة اهتمام الطفل بالعضو التناسلى ، وهو موزع بين هذا وبين احتقاره كما تمليه السلطة الضابطة . فاذا تذكرنا ما قلناه من خطر القاق وعدم الاستقرار والشعور بالخوف والنقص وأثر هذا على مص الطفل لاصابعه - وهى مشاعر قد لا تنشأ عن القمع فقط بل تصحب عشرات الحالات كفقْد أب أو أم أو شخص عزيز على الطفل أو غيره من طفل آخر ، أو عقوبات قاسية مرتجلة متعاقبة وهكذا - اذا تذكرنا كل هذا وجدنا أننا نسير مع الطفل على أرض زلقة مخوفة بالمخاطر ، وليس من الغريب أن يلجأ الطفل فى أية لحظة الى العادة السرية كوسيلة لتهبته جو من السرور لا يشعر به فى الحياة العادية . كما قد يؤدى المنع والتهديد الى اخفاء هذه العملية والتحايل على ذلك والاغراق فى الخيال والتلذذ أثناء ممارستها وهنا تصبح فرصتنا فى علاجها أقل . بينما فى الاحوال العادية قبل أن تتعقد المسألة نجد الاطفال يمارسون العادة علناً كما لو كانوا يحكون رؤوسهم .

ونرى سوزان ايزاكس أن العادة السرية عند طفل الثالثة أو الرابعة هى تعبير طبيعى عن الازمة الداخلية الشديدة التى تتتاب مشاعره بالنسبة لوالديه .



وهو في محاولته أن يحبهما بدرجة متساوية يجد نفس الصعوبة التي يلاقيها الشخص منا اذ يحاول أن يحتفظ بعلاقة صداقة واحدة مع صديقين مخلصين ، أو يمنع توتر الغيرة بين رجلين ازاء امرأة ، أو امرأتين ازاء رجل . بل ان المشكلة بالنسبة للطفل لأقصى وأعرق نظراً لحدة انفعالاته ورغباته واعتماده الكلى على الوالدين . فهو اذ يحب أمه يريد لها كلية لنفسه ، ثم اذ يتمتع باحتضان أبيه تتدخل الأم فيضطرب الميزان . ويشاهد تفضيل معظم الاولاد للبقاء مع الأم من وقت مبكر ، تماماً كما يلاحظ ميل البنات للاستمتاع بأبائهن أكثر من أمهاتهن ، ولعل السبب نوع المعاملة الممتازة التي تلقاها البنت من أبيها والولد من أمه . ولكن ليس معنى هذا أن الطفل يكره أو يتجاهل الطرف الآخر فالطفل الصغير يعجب بأبيه ويحبه لقوته ومهارته وحكمته ، وهو يود لو يكون مثله ويحاول في لعبه التقليدي أن يقوم بالاعمال التي يقوم بها أبوه . ومع هذا فهو مدفوع لان يخافه ويخشاه في بعض المناسبات لنصيبه من حب الأم الذي يود الصغير لو يناله كله .

والبنت الصغيرة أيضاً تود لو تحصل على حب وتفكير والدها كله . قد تحب أمها وتعجب بها وتقلدها ، ولكنها تمنى مع هذا أن تحتل مكان أمها في تفكير الأب ، ولكم تسمعها تقول : « لما أبقى ست كبيرة حانجوز بابا » ، فإذا قيل لها « وماما تعمل ايه امال ؟ » أجابت « ساعتها حتكون عيلة صغيرة .. » ، وكثيراً ما يتحول هذا الشعور الى صداقة العائلة من الرجال ، ويصاحبه إحساس الخوف من الأم . . هذا الخوف الذي قد يظهر في نوبات التحدى والعناد تتخللها فترات ندم وحب عنيف « ماما .. أنا باحبك .. » باحبك خالص .. كما قد يحدث في بعض الحالات أن يتغلب موقف الغيرة والرغبة في امتلاك الوالد بشعور تعويضى من الحنان للأم مبالغ فيه ورغبة في طاعتها وقد يستمر حتى بعد أن تكبر البنت في هذا الصراع العنيف الذي يقوم به الولد ليتغلب على رغبته في ملء



حياة أمه تماماً وعلى شعوره بالغيرة من أبيه الذى يحبه فعلاً . قد يلجأ الطفل فى بعض المناسبات للعادة السرية . وهو لا يملك من الكلمات أو المعرفة بحالته ما يمكنه به أن يخبرنا عما يعتمل فى أعماقه ولكننا استطعنا أن ندرك هذا الموقف عن طريق الدراسة الهادئة لحقائق النمو الجنسى ، وهو ما يدعونا لأن نعالج العادة بمنتهى الحذر والحيلة فهى متصلة بأعمق جذور الحياة الوجدانية . فإذا لجأنا الى التأنيب وفرض طرائق التهذيب فإنا نرتكب بذلك من الضرر ما يمكن أن نجتنبه لو تركنا الطفل يتصرف فى أمرها بنفسه ، فى جو من العطف وإشباع الميول المتصلة بالحياة الخارجية .

ولنا أن نتأكد أن الطفل يشعر من نفسه من ناحيتها بالخجل والحرج واذن فلا لزوم للتهديد أو التعبير . وواجبنا الرئيسى ينحصر فى تجنب تمكين الخوف والشعور بالخطيئة المصاحبين لها . وليس خافياً أن معظم الخطر الناتج من ممارسة هذه الظاهرة ليس هو فى الظاهرة نفسها كما تود البيئة أن تنسب اليها من الاصابة بالجنون أو الارتخاء أو ضعف الأعصاب ، وإنما فى المصاعب التى تكتنف الحياة العقلية بسبب ما يخالطها من جذب ودفع من البيئة الخارجية ؛ بل لقد اتضح بالكشف أن معظم الاطفال الذين وصلت حالاتهم الى مشاكل تحتاج علاج خاصاً فى العيادات السيكولوجية كانوا أولئك الذين ربطت أيديهم أو جلدوا بشدة أو أنبوا لدى محاولاتهم الأولى . ولعل أسوأ ما يمكن أن يحدث هو أن نسمع فى بيوتنا تهديدات « بقطع العضو » أو « حرقه بالكبريت » .

ليتجه علاجنا اذن طريقاً غير مباشر ، وليس هناك أفضل من أن نملا أفق الطفل بصحبتنا المحبوبة وحبنا الهادى الذى نعبّر عنه لا بالالتصاق والتقييل كما تفعل منازلنا المصرية فى ملايين المناسبات فتعيد الطفل الى مرحلة اللذة الحسية الذاتية التى بدأ يخلفها وراءه ، بل بالمساهمة فى ألعابه وقص القصص وتشجيعه على الاهتمام بالحياة الخارجية واعطائه ما يشغل كفى يديه ، ولدينا فيما ذكرنا من الألعاب مجال فسيح ، ومرعان ما نجد الطفل قد ترك ملواه الى ما هو منتج



محسوس .. هذا مع استبعاد الاعراض الجسمية كالملايس الضاغطة والكشف على البول والمجارى البولية .

أما عند المراهق العادى فالعادة السرية نتيجة لنشاط الهرمونات والغدد التناسلية فى مرحلة البلوغ دون أن يجد الشخص الوسيلة للاشباع الجنسي المشروع نظرا للتعقيدات الاقتصادية فضلا عن زيادة الاستشارة المصاحبة للبدنية . ولسكنها تثبت - كسلوك انسحابى ضار وكعملية فسيولوجية تفرضها على المراهق تغيرات عضوية ناتجة عن تكرار استثارتها - اذا تابع على الفرد الصراع العقلى نتيجة للميل الجنسي مصحوبا بالاشمئزاز والخجل اللذين غرستهما البيئة ، أو تميزت حياته بطابع من القلق والبؤس قد يكون حديث العهد نتيجة لاجهاد عقلى أو تأخر دراسى أو أرق أو وجوده وسط زملاء أقوى أو أغنى الى غير ذلك ... كما قد يكون قديما يجد جذوره فى حياة الطفل المبكرة كما رأينا عند الطفل المتسم بطابع انسحابى نتيجة لشعوره بالتراجع الحركى أو اللغوى كما سبق أن أشرنا ، وبذا ينطوى على نفسه ويستغرق فى الخيال والوحدة ، وهنا مجال كبير لممارسة العادة السرية . والفتيات هنا أقل اغراقا من الفتيان لصعوبة أداء العادة من ناحية وتشتت الحساسية الجنسية على معظم أجزاء الجسم بدلا من تركزها كما هو الحال فى الذكور فى العضو التناسلى .

ولعل أسوأ الحالات عند المراهق هى تلك التى يصحبها شعور بالضعف والهوان حتى ليحس المسكين أنه طريد المجتمع حقير لا بعد حدود الحقارة فلن يضيف الى ذنوبه شيئا جديدا . كما يخيل اليه عن طريق الوهم أن الناس كلهم يعلمون حالته وما يفعل من هيئته الظاهرة ، وهى أفكار كثيرا ما نبشها فى فتياتنا البالغين . ولا ينبغى أن نعجب فى هذه الحالة لو سلك صاحبنا سلوكا اعتدائيا اجراميا قد يصل للسرقة من منازلنا أو سلوكا متراجعا منطويا قد يصل للميل للاتجار والاغراق فى العادة السرية .



وعلا جناً بطبيعة الحال ينقسم قسمين.. احدهما قبل مرحلة البلوغ واحتمال ظهور العادة وذلك بتهيئة الطفل للعالم الجنسي متى سأل ثم الغلام للتغيرات العضوية والحاجات الجنسية في ضوء هادى... والثانى اثناء مرحلة البلوغ وممارسة العادة وذلك بتقوية الثقة بالنفس ومظاهر عطف المجتمع واحلال الهوايات العملية والميول المتجهة للمجتمع الكبير محل الميول المتجهة للذات .

فاذا افسحنا للمراهق سبيل التعبير الجنسي العادى عن طريق الاعجاب بالبطل من نفس الجنس، ثم من الجنس الآخر، ثم الزميلات من نفس السن وأخيرا النوع العادى المتكامل فان ميول الشاب تتسع ويحد في هذه التعبيرات منفذا للدافع الجنسي المسكوت غير الإغراق في العادة .

٢- الاشباع الجنسي مع أفراد من نفس الجنس (الجنسية المثلية) Homosexuality:

هو سلوك اجتماعى ينتج عن البيئة في الغالب ويدفع الفرد لاشباع الرغبة الجنسية مع أناس من نفس الجنس . . وغالبا يتم مع الغلمان . ويوجد في الغالب في الاقسام الداخلية من المدارس ، والاديرة ، والاصلاحيات ، حيث يجتمع الافراد من نفس الجنس مدة طويلة ، كما يحدث في الرحلات . واذن فهو سلوك مستمد من البيئة ، ولو أنه قد يجد جذوره في ذكريات سيئة من أيام الطفولة مرتبطة باعمال من هذا النوع كان الفرد ضحية لها اما معتديا او مجنبا عليه .

٣- السادية : Sadism نوع من السلوك الشاذ من مظاهره الرغبة

في ايلام الشخص المحبوب . ويبدأ هذا السلوك في الظهور في الطفولة اذ يسر بعض الأطفال سرورا عجيباً بتحطيم أعشاش الطيور الصغيرة أو قطع اجنحة الفراش أو البعوض وتمزيق أوصال الحشرات الصغيرة كالنمل ليروا كيف يمكن أن تتحرك الحشرة بدون هذه الاعضاء . ويكبر الطفل وتنمو لديه هذه النزعة ، فهو يسر كثيرا لاغظة الآخرين ، وخاصة البنات ، وكثيرا ما يحدث أن يعارك الولد رفاقا في سنه خصوصا اذا كان قويا لا لشيء الا



للذة التي يستمتع بها من تغلبه عليهم فلا يتركهم الا اذا استنجدوا أو أقروا بقوته .

فاذا قربت المراهقة فقد تؤثر العقوبات البدنية على الغلام وتدفعه لظهار السيطرة أو الانتقام بالضغط على الآخرين وتعذيبهم . وفي مرحلة المراهقة وما بعدها يأخذ هذا السلوك الشاذ مظهر التعذيب العقلي كالتفريع أو الاغالة أو السخرية أو الارهاب لمن يحب . بل قد يصل الى التعذيب الجسدى .

٤ — الماسوكية : *Massochism* ترتبط ارتباطاً كبيراً بالسادية في كونها

استعداداً للذة من التعذيب . ولا يمكنها تختلف عنها في أن الشخص يشق اللذة الجنسية من تعذيب المحبوب له . وتظهر بنوع خاص في المرأة الضعيفة التي تسر وتنتشى اذا تزوجت رجلاً قوى الشكيمة صلب المراس يقسو عليها ويؤنبها ويعتصرها بين يديه القويتين . ولا يخلو الأمر من رجال ضعاف لا ينالون الاشباع الجنسي الا باستكاثهم للمرأة القوية تحرّكهم في عنف كما تشاء .

٥ — الاحتفاظ بالتذكارات وتقديسها : *Fetichism* وهي رغبة حادة

في الاحتفاظ بأشياء كان يملكها المحبوب . ويبدو شذوذ هذا السلوك في تقبيل هذه الاشياء وتعليقها في الصدر من الداخل اذا كانت صغيرة ووضعها تحت الوسادة . وقد يسخر السكبار من هذا السلوك جاهلين أن له معنى انفعاليا عميقا . ويحدث هذا السلوك في الغالب كمصاحب للرحلة الثانية من مراحل النمو الجنسي .. مرحلة الاعجاب بالبطل من نفس الجنس .

٦ — الاغراق في أحلام اليقظة : وفيها يحاول المراهق أن يعوض مرارة

الحياة الواقعية التي لا تسمح له باشباع الدافع الجنسي في الخيال . وفي بعض الأحوال قد يؤثر هذا على عقلية الفرد وهي حالة طبية ظهرت حديثاً تسمى *dementia praecox* من أعراضها السرحان ، والتشتت للذهن يصلان الى درجة مزمنة . وهنا يعتزل الشخص الحقائق ويعيش في عالم من نسجه هو .



وحتى لو لم تؤثر أحلام اليقظة على العقل تأثيراً مباشراً فإن لها تأثيراً صحياً ضاراً ، كما أنها تجعل من المستحيل على الشخص أن يصل بالعمل الى نتيجة موفقة .

٧ - التراجع : كبت الدافع الجنسي نحو الجنس الآخر أو عدم التوفيق في المغامرات الغرامية في دور المراهقة قد يعيد الفرد الى مرحلة الاعجاب بالبطل من نفس الجنس أو بشخص أكبر من الجنس الآخر . وليس من النادر أن يعزف الفرد عن الزواج كلية ويحاهر على الدوام بأنه قد خسر الحياة والعالم الجنسي وخرج بأن النساء على الدوام خائنات العهود لا يمكن أن يحرصن على المسؤولية وواجبات الزوجية .

ولقد سبقت الإشارة الى عدم توفيق الزواج الذي يتم بين الفتاة ورجل يكبرها بعشرين عاماً ، وبالمثل في حالة الفتى .

٨ - عقدة أوديب : اللفظ مشتق من قصص الاغريق وأساطيرهم حيث قتل الملك أوديب أباه وتزوج أمه ثم كفر عن هذين الخطأين بأن أفقد نفسه حاسة البصر . والشخص اذا تكونت لديه هذه العقدة نجده قد تحول ميله الجنسي المعقول الى ميل شاذ نحو أمه . فهو يحبها ويغار عليها من والده كما يغار الانسان من شخص غريب يقاسمه محبوبته . وهكذا يخاف والده ويكرمه . وهذا السلوك في الغالب ينتج عن التدايل المتطرف الذي يحدث من الأم لوليدها في سنى الطفولة فيتعطل النمو الجنسي للاخير ويصبح الزواج المرفق مستحيلاً .

٩ - عقدة اليكوترا : تشبه الحالة السابقة الى حد كبير لولا أنها تختص بالبنات ، فهي تغار من أمها وتتمنى ألا تتدخل بينها وبين أبيها . ونجد أنها اذا تزوجت تلمست في زوجها صفات أبيها فاذا لم تجد تحطمت الحياة الزوجية . والإشارة هنا الى ابنة أجاممنون ، وقد انتقمت هي وأخوها أورست لمقتل أبيهما .



١ - العرض Exhibitionism . ويبدو بنوع خاص في حالة الأطفال الصغار الذين يعانون من كبت الاستطلاع الجنسي والاشتطاط في اظهار النفور والخرج من كل ما يختص بالعالم الجنسي . وقد تذهب الى منزل أحد أصدقائك فاذا بالطفل ينتهز فرصة انفراده بك ويرفع ملابسه داعياً اياك للنظر الى أعضائه الجنسية ، وهو يشفق من هذا لذة غريبة . وزيارة بسيطة الى أحد مستشفيات الأمراض العقلية تريك هذه الظاهرة في ثوب حاد ، فلا يكاد يدخل أحد الزوار أو الممرضين أو الطبيب الى حجرة أحد المرضى بهذه الحالة حتى يخلع ملابسه ليعرض أعضائه . ومن الواضح أن اللذة الجنسية هنا تقتصر على مجرد العرض ولا تتجه الى جنس معين فقد لاحظت أن وجود النساء لا يثير في المريض اهتماماً خاصاً .

ولن نطيل الآن في مظاهر شذوذ السلوك الجنسي فهناك غير هذا عدد من المظاهر الأقل حدة . والمهم في العلاج موقفنا نحن الآباء ازاء العالم الجنسي . من السهل جداً أن نخطئ في حق أطفالنا خطأين .. الأول عندما نعتبر الطفل قد كبر وأصبح فاهماً ، فنطبق عليه قوانيننا نحن الكبار ، مع أنه صغير له عالمه وقوانينه . ويظهر هذا بنوع خاص بمجرد الفطام أو تعلم المشي والكلام فيرتفع الطفل في نظرنا فجأة من يوم ليوم ونعتقد أنه قد كبر فننتظر منه أن يفهم قوانيننا الخلقية كلها ويتحمل طرائقنا في التهذيب . والخطأ الثاني وهو الأهم يحدث عندما نعتبر الطفل صغيراً لا يفهم ولا يقدر فتحدث ونعمل أمامه ما نشاء دون أن نأبه به ، مع أنه يفهم ولو بصورة بسيطة ، ويقدر ولو على نطاق ضيق .

ويكفيني الخطأ الثاني في هذا المجال . انا نظن أن أطفالنا الذين لهم من العمر سنتان لا يفهمون المسائل الجنسية ، وهكذا تتردى في أخطاء فاضحة . في المنزل قد تحدث بين الزوج والروجة بحكم العلاقة الزوجية حركات وإشارات وكلمات .. ونظن نحن أن الطفل صغير لا يفهم ولا يقدر . بل ويحدث ما هو



أموأ من هذا .. يحدث أن يسمح الوالدان لنفسيهما أن يضعا سرير طفلهما الصغير في نفس الغرفة التي ينامان فيها ثم يجتمعان معا الاجتماع الجنسي .. على أساس أن الطفل صغير . ولقد تكررت الإشارة الى أن كل شيء يتقدم اليه الطفل في ثوب انفعالي عنيف يهز الطفل ويضره . وهكذا يستيقظ الصغير من نومه في الظلام على حركات وأصوات مصحوبة بلذة انفعالية عنيفة . وباليته لا يفهم حقا أى شيء لانتهى الأمر .. أو ليتسه يفهم كل شيء .. اذن لانتهى الأمر أيضا وما كنا نضيف شيئا جديدا . ولكنه يفهم بصورة بسيطة ويدرك على نطاق ضيق وهنا موطن الخطر . يفهم أن هناك نوعاً من العلاقات هو محبوب عنه ، وهذه أضمن طريقة لاعطاء الطفل صورة خاطئة مشوهة عن المسائل الجنسية . هل من الكثير علينا أن ننام في غرفة أخرى ؟ هذه هي القاعدة الأولى . والثانية تختص بالأسئلة الجنسية

في سن مبكرة .. حوالى الثالثة أو الرابعة ، وعلى أكثر تقدير الخامسة ، يسأل الطفل أسئلة مثل « أنا جيت منين ؟ » « نزلت ازاي ؟ » ، « الفرخة بتبيض ازاي . ؟ بطنها بتفتح وتقفل تاني ؟ » « الديك بيجرى ورا الفرخة دى ليه .. بيعضها فى رقبتها .. طلع على ضررها .. بيعمل لها ايه ؟ » ، وهكذا . ولست أظن أن أحدا من القراء ممن توفرت لديه أقل الفرص للاتصال بالاطفال لم يواجه أسئلة مثل هذه ، فماذا يحدث فى تسعة وتسعين فى المائة من بيوتنا المصرية ازاء أسئلة كتلك التى سقناها ؟ يسود فجأة جوارتباك وتوتر واضحين ، ويخيم على المكان شعور من الرهبة والفرع ، تماماً كما لو ألقى قبلة فى وسط الغرفة . وينظر أفراد العائلة الى بعضهم وعيونهم تدور فى محاجرهما ثم يندفع أحدهم وقد وجد لسانه فى سيل من الكلام القارص .. « شوفى يا اخنى الواد اللى عاوز قطع لسانه . سمعت فىن كلام القباحة ده .. » ، ما عندناش احنا الحاجات دى .. ايش فهمك يا واد يا مفعوص الكلام ده كمان .. أمال لما تكبر تبقى تعمل ايه .. ؟ » ، وهكذا تسيل العبارات ثائرة .متهاجة .



لم هذا الانفجار يا سيدى ؟ ان كل هذا الكلام عن العيب .. والقباحة والاصول ، كل هذه مستويات وضعناها نحن الكبار لنعيش على أساسها فى مجتمعنا . أما الطفل فلا يفهم من كل هذا شيئاً . أم لا نزال كما هى العادة نعتبر الطفل « مصغر رجل » ، نطبق عليه ما ينطبق على الكبير ؟ وبعد فلم تغضب من شيء طبيعى ؟ ان طفلك إذا وصل الى سن الرابعة ولم يسأل أسئلة جنسية فأغلب الظن أنه متراجع عقلياً اذ كيف يقصر عن استطلاع عالم مهم كالعالم الجنسى . . تماماً كما نخشى أن يتراجع الطفل عن اللعب فينمو قاصراً خامل المدارك .

كيف تعامل أسئلة مثل هذه ؟ الجواب بسيط . لا ترتبك مطلقاً .. بالعكس هنىء نفسك لأن طفلك غير متراجع أو راكد . هنىء نفسك لأن الطفل سألك أنت ولم يسأل الخادمة فتشوه المسألة وتزيدها تعقيداً . بعد هذا جرب ما اذا كان طفلك يستطيع أن يقبل تعليلاً صديقياً بسيطاً . فى مرحلة مبدئية والطفل صغير لم يتجاوز الثالثة أو الرابعة يستطيع أن يقبل تعليلاً بادئاً مثل هذا « أنا جيت ازاي .. ؟ » « انت كنت فى عش صغير زى بتاع العصفورة ، وكنت منشال فى بطنى ودفيان ، وبعدين لما لقيت نفسك تعرف تاكل وتمشى لوحذك رحت نازل من بطنى » . فى مرحلة متأخرة قد لا يقبل الطفل تعليلاً مثل هذا .. وهنا يجب أن نحدثه فى صراحة وهدوء وطلاقة ودون أى ارتباك عما يطلب .. نتحدث كما او كنا نجيب عن ظاهرة بسيطة مثل « ليه الحصان يعمل حس وهو ماشى ؟ » ، « عشان فيه حديد فى رجليه ، وهكذا .

أما القاعدة الثالثة فما يختص بالعالم الجنسى فهى أن نمهد الطريق بحيث يرى الطفل العمليات الجنسية وكل ما يمت اليها بصلة ، يراها فى الطيور والحيوانات ، يراها فى الطبيعة وتكرر أمامه بشكل هادى بعيد عن مظاهر الانفعال . الطفل يحب أن يرى أرائب وكتاكيت . دعه يفعل هذا وسهل له الامر .. وهناك فى موسم التزاوج عند الطيور والحيوانات تتكرر



العمليات الجنسية مئات المرات بين ذكور القطط وإناثها ، ذكور الكلاب وإناثها ، بين العصافير والحمام ، والارانب والدجاج . صحيح ان المعيشة في المدن تقلل هذه الاحتمالات ولكن لنحاول الى اقصى حد ان يتقدم طفلنا الى العمليات الجنسية في جو هادىء طبيعى .. جو الحيوانات والطيور ، فهذا يقلل كثيرا من حدتها عندما يكبر ليراها فى الانسان

ثم ماذا عن واجبنا ازام أولادنا وبناتنا على عتبة البلوغ ؟ أما فكرت سيداتنا المصريات فى الجلوس الى جانب بناتهن فى الحادية عشرة والنصف أو الثانية عشرة أى على شفا المراهقة ، وشرح ماسيحدث لاجسامهن ونفسياتهن من ظواهر ؟ بالله دعونا من ترديد هذه السخافات أمثال : عيب .. وقباحة .. وقلة أدب .. ، فلقد سئمنا ترديدها ولم نفز منها بطائل . لقد خرجنا الى الحياة ورأس مالنا لا يعدو كلمات جوفاء نقلناها عن آبائنا كالبيغاوات : عيب .. هس .. او عوا تقولوا الكلام ده .. دى قباحة ، ! ماذا فعل لنارأس مالنا الأحق ؟ ان أبناءنا فى المدارس الثانوية وشبان الجامعة يقضون أجازتهم الصيفية فى زوايا الشوارع والازقة ، يتصيدون الفتيات المسكينات . واذا تحدثت معهم قالوا ان الفتيات هن المسئولات لخلاعتن . ان الجنسين يشتركان فى الخطأ .. وكل هذا لاتنالم نقدمهم للحياة الجنسية على أساس صحيح .. كل هذا لاتنا نحن الآباء والامهات نخجل من أن ندع هذا الموضوع يفتح فى بيوتنا .

علينا أن نشرح لصغارنا قبل المراهقة فى هدوء وبساطة ماسيحدث من تغيرات . وأقول فى هدوء وبساطة وأريد أن أضغط على هاتين الكلمتين فهما كل شئ . لتتحدث كما لو كنا نشرح ظاهرة طبيعية كالمنطق النازل من فوق .. والبخار المتصاعد من آنية على النار .. والصوت الصادر من المذياع . لست أقول أن تشرح الام ظاهرة العادة الشهرية مثلا شرحا عليها فتتحدث عن نزول بعض خلايا غشاء الرحم المخاطى ثم افرازات غدد الرحم مضافا اليها كمية معينة من الدم والبلازما .. لالسنا فى كلية الطب .. ، كل ما نطلبه



هو أن تتحدث في طلاقة عن الظواهر التي عرضناها كثيرا في هذا المؤلف .  
ولكن لا يجب أن تهدأ قبل أن تتأكد أن فئاتها التي قاربت البلوغ قد اتخذت  
نحو هذا الدور موقف الباحث الهادئ المستطلع .. في غير خوف أو وجل  
بل في هدوء ممزوج بقدر من الترقب والتلف .

ويقص أستاذي في علم النفس كيف طلب من إحدى السيدات أن تقوم بهذه  
المسألة مع فئاتها فوافقت بعد تمنع اعتقاد منها بأن هذا الكلام « عيب » .. !  
وجلس الأستاذ في غرفة مجاورة يسمع حديثهما بعد أن أفهمها ما تقول . وبدأت  
الأم فعلا تتحدث في نبرة عادية وموضوعات عادية فقال « هذه مقدمة طيبة  
ولكن متى تنتهي ؟ » وانتهت المقدمة ودخلت السيدة في الموضوع .. وبالطبع  
بدأ على البنت الدهشة وأخذت تسأل أسئلة كان يمكن أن ترد عليها الأم في  
صراحة وهدوء مثل « طب ويبقى عندى عيال وأرضعهم ؟ » لا ! « أmaal ليه  
الصدر يكبر ؟ » واشمعى طنط فلانة وطنط فلانة ما عندهمش عيال مع انهم  
كبار ؟ » « عشان ما اتجوز وش ! » « ازاي الواحدة تتجوز ؟ » « ازاي اتجوز في  
بابا؟ » وهكذا ..

ولكن للأسف تحطم كل شيء وهما لا تزالان في البداية ، للسبب المعروف  
لدينا جميعا .. ارتبكت السيدة فجأة ، واحمر وجهها ، وجف لعابها ، واستندت  
إلى ظهر المقعد وكأنها تمثال للخجل واليأس المجسمين . وهكذا ضاع كل  
شيء ، تماما كما يتحطم قصر كبير من الورق تحت هبات الهواء الضعيفة .  
من المهم إذن أن نقدم أطفالنا للسائل الجنسية مقدمة صحيحة . فإذا  
تذكرنا ما سبق قوله من أن التفكير الجنسي لا يظهر فجأة في المراهقة بل هو  
يتغلغل في حياة الطفل المبكرة .. وتذكرنا القواعد الثلاث التي اقناها للصغار  
فضلا عما ذكرناه من طرق معالجة السرية في أول أمرها ثم في المراهقة  
فإننا نسدى للنشء خدمة كبيرة



## الفصل العاشر

### نمو المعاني

لو تناهى الى اسماعنا صوت ثاقب حاد لفسره أحدنا بأنه انصفاق باب أغلقه الريح ، أو صوت طلق نارى ، أو سقوط جسم ثقيل ، أو تحطم آنية الى غير ذلك . ولعل كلا منا فى ذلك يذهب الى تفسير معين على ضوء ما يجمع فى ذاكرته من معلومات سابقة <sup>(١)</sup> خبر فيها مثل هذا الصوت .

وإذن فكلما تجمعت للبرء خبرات عديدة عن موضوع معين كان ادراكه له أو لما يدور حوله كلما صادف شيئاً يلامسه أكثر غنى وخصوبة . ولعل الصغير اذ يرى البرتقالة لأول مرة تتحدد فكرته عنها فى قالب ضيق ثابت لا يقبل التحوير ، وإذن فهى فكرة مبهمه غامضة تكتسب بريقاً ومضاء كلما رأى الطفل نبات البرتقال ، وعرف أن هذا اللون « برتقالى » ، ثم كبر قليلاً ففهم أن من أنواعه البرتقال الدموى والبلدى واليافاوى وأبوصرة والسكرى وهكذا . واذن فهو ينبذ الفكرة القاصرة الأولى من أن البرتقال ثمرة ذات لون واستدارة معينين فحسب ، تماماً كذلك الطفل الذى رأى يوماً ماسورة يتصاعد منها الدخان وقيل له أنها مدخنة ، ثم اذا به يرى والده يدخن سيجاراً فيقول « شفت مدخنة أكبر من مناخيرك يا بابا . . . ! »

ولقد رأينا فى عرضنا للعب أن الطفل وهو يلعب يمسك اللعبة ليتفحصها بعينه ويديه ، ثم يضعها فى فمه ليختبر مذاقها وصلابتها ، ويطرق بها الأرض

---

(١) يضيف أنصار نظرية الجشتالت Gestalt إلى عامل الخبرات السابقة عاملاً آخر هو طريقة عرض الشيء فى ثوب خاص أو على أرضية معينة .



ليسمع صوتها ، ثم يحطمها اذا استطاع ليرى مم تركب ، وهكذا تتضافر الحواس كلها لتعدل من الفكرة القاصرة الاولى في ثوب مرن يقبل في داخله مختلف اقسام الفصيلة . ولعل هذا هو السبب أيضاً في أن ادراك الشخص العادى منا لكائن كالثعبان ادراك غامض مهوش ، فلم تنهياً لنا الفرصة للتحقق منه عن كذب بمختلف الطرق ، ولعل حاسة البصر هى الوحيدة التى تتقدم بفكرة غامضة مبهمه عن مثل هذا الكائن .

ومن هنا تغيرت أسس التعليم ودخلت الناحية الحسية لتضيف الى معنى الدرس خصباً وحيوية ، وجاءت الأشغال اليدوية كمادة أساسية فى المدارس الحديثة . فالموضوع الواحد يعرض اليوم فى أبواب متعددة فيقوم التلاميذ بالرحلات ليشاهدوا الجبل والقنطرة عن كذب ، ويعملوا النماذج بأيديهم ، ويبحثوا مصادر تعرض للموضوع . وهكذا تتكون لديهم خبرات حسية حية تصفى على تجاربهم المقبلة خصوبة وبريقاً كلها أدرك الطفل العلاقات القائمة بين القديم والحديث .

وإذا كان الطفل يبدأ حياته والعالم - كما سبق أن سقنا قول ولیم جيمس - يهاجمه بسهامه من كل مكان . العينين والأذنين والأنف والفم وهكذا .. فيراه كخلية نحمل تزد وتدوى فى طنين مضطرب فليس لديه حتى الآن خبرات سابقة معروفة ، الا أن لدينا من الأدلة ما يجعلنا نؤكد أن الافكار تنمو بسرعة خلال السنوات المبكرة من الحياة . وإنك لترى الطفل قبل أن تنهياً له القدرة على التعبير شفهاً عن المعانى يعرف الاشخاص المألوفين كأبيه او مربيته والأشياء المألوفة كاللهازة ، واللعب وملابس الخروج فيستجيب لها بسرور بينما يتراجع خائناً منكشاً ازاء الغريب أو الموقف الجديد .

ادراك انعام : اذا كان من الصعب أن نتعرف بالدقة فى هذه المرحلة المبكرة ما يدور فى خلد الصغير أو يتتاب عقلية من ادراك وترق فلقد جاءت الاختبارات الحركية لتلقى ضوء على هذه الناحية ، فالطفل يتحسس المكعبات



ويستكشفها ، ويتعرف جسماً وحجماً معينين فيحاول ان يضعهما في ثقب  
تشابههما ، وهو يبنى مكعبات أو أبراجاً من القوالب .

ولقد جاءت الفترة الاخيرة بأبحاث طريفة وضعت على أساس تفهم  
رسوم الاطفال وتخطيطاتهم سواء دون قصد أو تقليداً لما يرون . وهكذا  
عرفنا أن الطفل يبدأ قرب نهاية السنة الاولى يعبر عما يشوقه بالرسم ، وهو يبدأ  
بخط واحد أو خطوط متكاملة لا نقط ، ولعله بذلك يعبر عن معنى عام  
لم يتناوله بعد عنصر التحليل .. تماماً كما يبدأ بالأصوات العامة منذ المهد ثم يحللها  
الى مقاطع في مرحلة المناغاة ، وبعد هذا الى حروف .

يصعب على الطفل اذن ان يتعرف الدقائق أو التفصيلات بالسرعة التي  
يستجيب بها للوقوف كله بشكل عام ، وهكذا قد يختلط عليه الأمر فيعامل  
موقفين بطريقة واحدة دون أن يرى وجه الاختلاف ، تماماً كما رأيناه في النمو  
الخلقي يأخذ شيئاً من الحانوت ويخرج به مادام يفعل هذا بلبسته في المنزل .

وقد جمعت هيرلوك بمساعدة تومسون رسوماً لأطفال بين  $\frac{1}{4}$  ،  $\frac{1}{8}$  ،  
تمثل أشياء شائعة كرجل وبنت ومنزل وكلب وشجرة وسيارة وزهرة وقارب ،  
يبدو منها أنه بتقدم السن تأتي النزعة لتعرف الخاص أكثر من العام ، وإدراك  
الدقائق والتفصيلات وأوجه الترابط . كما وجد في معظم الاحوال أن الاطفال  
يرسمون أرضية الصورة مما يدل على أن لديهم النزعة لإدراك الأشياء في  
وحدات .

ولقد وضح من الابحاث أن الصغير يدرك المعنى بصرف النظر عن الوضع  
الذي تقدم به الصورة أو الجسم ، كما لو أريته كتاباً مصوراً بحيث ينظر للصورة  
من الجانب أو مقلوبة ، مما يوحي بأن الطفل يستوعب الشكل العام أكثر مما  
يقترّب منه من زوايا جزئية .

وبالتدريب وبازدياد الخبرة يميز الطفل هذه الاخيرة ، ويضع ماله  
مظاهر متشابهة منها في مجموعات . وهنا يلعب تركيب الشيء ووظيفته الدور





1874





ولكم تجده يتابع تقليب صفحات رسالة وقد استلقى في وضع استرخاء جذاب ص ٣٠٨



الأول في فهم الطفل له . فالأم لاتصالها المبكر الوثيق بالطفل وحاجاته يدركها أولا ويرسمها كرأس متعارض الخطوط يستند الى خط طويل يمثل الجسم . وهو اذ يرسم أطفالا يسكون بالكرة يرسم للسابق منهم يدين ممدوتين الى نهايتهما وأصابع منتشرة كالمروحة كأنما تهم بالامساك ، بينما من يتراجع منهم قليلا يرسم بدون أيد . ومع هذا فهم أسعد حظا ممن يتعثر في المؤخرة اذ لا يمن عليه الطمـل حتى بالأذرع ، ولا عجب فما وظيفتها هنا ؟ .. !

خلع الحياة على الاجسام : animism كما يعبد الشخص البدائي أو المتوحش النار اذ يراها تتوثر وتتلظى فيرى فيها قوة جبارة تبسم اذ تشوى طعامه أو تبعث الدفء الى كيانه ، أو تزجر اذ تمرق خلال الغابات فتحيلها مأوى للمرت والدمار .. وكما يعبد زميله الشمس اذ يراها تنتقل على صفحة السماء فتجلب معها الدفء والنور ، ثم تبت وراء الافق السحيق فتخلفه مقرورا خائفا من الظلام .. هكذا يرى الطفل الصغير بخراته القليلة المحدودة عنصر الحياة في أجسام عديدة فلا يفرق بين الحي والجماد . ومن هنا يمكننا أن ندرك مدى ما ينتابه من أوهام ومخاوف لدى رؤيته بابا يحركه الريح أو مقعدا ينقلب على أثر دفعة غير مقصودة ، أو الكرة التي يلقي بها الى الحائط المواجه ترتد اليه طائفة مختارة ، أو ترتطم بأنفه حائقة مهتاجة ، أو تنحرف بعيدا كأنما هي تداوره . بل انظر الى الطفل الذي يتعثر في قطعة من الاثاث فيسقط تراه ينظر اليها في تحد ممزوج بقدر من الجزع ، فاذا اقترحت عليه أن يضرب الكرسي .. يضربه أآء .. سارع لتنفيذ هذا وهو يرى فيه انتقاما وتنفيسا لغضب مكبوت .. !

وقد درس بياجيه هذه النقطة عند الصغار وخرج بأن الطفل يمر بمراحل أربعة تبدأ الاولى من ٤ - ٦ وفيها يضيف الطفل الشعور على كل ما يحتمل الحركة من أى نوع كالشمس والسيارة والباب الذي يدور على مصراعيه



والحجر اذ يسقط بعيدا ثم يتدحرج على الأرض . وخلال السادسة والسابعة يقتصر الشعور على ما يراه الطفل يتحرك دون أن يدفعه ، وهكذا يخرج الباب والحجر والمنضدة من القائمة . ثم تأتي المرحلة الثالثة من ٨ - ١٠ فيميز الطفل بين الحركة التي تعود الى الجسم نفسه والحركة التي تعتمد على أي مؤثر خارجي ، وبذا يحتفظ الطفل بالحيوية للشمس والرياح وبنبذ السيارة أو الدراجة . وأخيرا يقتصر الطفل بعد الحادية عشرة على اعتبار الحيوان والنبات من الاحياء وما عدا هذين يعتبره جمادا .

أسلوب نمو المعاني : واضح ان الطفل في اول عهده يفهم الموقف في شكله الظاهري لا على ضوء ما يخفيه من معان . ولدى القارىء فيما ينشر كثيرا من قصص الدعاية المصورة بدون كلام مجال فسيح للتحقق من هذا . ولقد عرض شافر ١٧ صورة من تلك الصور الرمزية على أطفال من ١٠-١٨ سنة ، ووجد ان هناك أسلوبا للاستجابة يتمشى مع العمر . فلقد بدأ الاطفال بتكرار عنوان الصورة لا أكثر ، وخرجوا من هذا الى وصف ما تحتويه بشكل ظاهر ، وتلا هذا تفسير حسي أعقبه التفسير المعنوي الصحيح في المجموعات الكبيرة السن وعلى العموم فيمكننا أن نتدرج مع الطفل منذ صغره فترى أنه يمر أولا في :

١ - دور الاستكشاف الحسي والحركي : ولقد رأينا في مبدأ هذا الفصل كيف يتعرف الصغير معنى ما في بيئته المباشرة من أجسام عن طريق الالتصاق الحسي فهو يرى ويسمع ويتذوق كل ما تمتد إليه يده وهو في اول الامر لا يتعدى فراشه الصغير ، وهكذا يمكنه ان يتعرف من المعاني ما يمكنه بادماجه مع ما سبقه من ان يرى في كل هذه الاجسام الغريبة التي تبدو له سرا مستغلقا ما يجعلها مألوقة فتضيف إليه شعورا بالطمأنينة والاستقرار . وكلما عرضت للطفل فرص أكثر لرؤية الشيء في فترات متقاربة أصبح هذا الشيء ذا معنى أوضح . وهكذا يعرف الطفل أمه أسرع ما يعرف جدته مثلا فاذا وصلت التوافقات الحركية حثا يسمح للطفل بالوقوف والمشي



ولإمساك الأشياء حسب رغبته عززت معلومات الطفل بفيض من المعاني ما كان يمكن أن يتوفر له عن طريق الاقتناع بالنظر وهو جالس في الفراش. وهو هنا يمد يده ويتخلل بأصابعه كل ما هو قريب فيختبر النعومة والليونة والدفع. وكثيرا ما يتخلل هذا الدور عناصر الانسداد أو التدمير ففسارح نحن لتقييد حركة الطفل فنشل بذلك تفكيره ونعوق تفتح ذهنه، وهي اغراض يجب ان نهيتها في جو من التسامح وتوفير المادة المناسبة لا لاشباع استطلاع الطفل بأقل نسبة من التخريب فحسب، بل لتنمية مدارك الطفل فيكشف من المعاني أكثر مما يتبها له لو ترك لطرائقه الخاصة الساذجة.

٢ - دور الاسئلة: بمجرد وصول الطفل سنأ يسمح له بوضع الكلمات

في جمل يبدأ سؤال من حوله عما يستثير استطلاعاه ويبدأ هذا الدور حول الثالثة ليصل الى ذروته حول السادسة. ويعتمد استمراره بعد هذا كوسيلة من وسائل نمو المعاني على مدى ما يقدر للطفل من نجاح في إرضاء أسئلته في الفترة المذكورة. والكم يجد المدرس بين تلاميذه من يستغل عليه فهم نقاط عديدة في الدرس وهو لا يجرؤ على التساؤل. ولعل هذا بقية عهد مرير يخفيه الطفل تحت نظرة من المعرفة المصطنعة. عهد كان لا يكاد يسأل فيه سؤالا حتى تتابع الضحكات في سخرية لجهله، أو يسموه «عم الحاج لكالك...»

ولن نفيض الآن في الكلام عن الاسئلة فلقد عرضنا لها معززة بتجارب ماك كيرتي في فصل سابق، والمهم ان الطفل يجد في الاسئلة عوناً كبيراً. ولقد يقابل الواحد منا في اجابة بعضها مشاكل قد يدهش اطرافتها، كما لو سألك الطفل «ليه الارض فيها زلط؟» بل انظر إلى هذا المنطق العميق في سداجته «عاوزني آكل عشان أكبر ابقى أدك يا بابا؟ طب انت بتاكل عشان تكبر أبقى أد مين...؟»

ومع هذا فقد يحرك الطفل للسؤال دوافع غير مجرد السعي للمعرفة، فهو قد يسأل للتأكد مما وصل اليه هو من خبرة شخصية، بل قد يسأل لالشيء الا



لاستشارة انتباه من في الحجرة ، وفي هذه الحالة نجده قليل الاهتمام بالاجابة ، وكثيرا ما يتكرر سؤاله للشخص الواحد عدة مرات . أو قد تتجه معظم هذه الاسئلة الاخيرة وجهة دينية أو جنسية فلقد عرف الطفل بالتجربة أنهما ركنان حرجان . واعرف طفلا تعود كلا ساربين شخصين أحدهما رجل والآخر سيدة ان يقرب يديهما اللتين يستند إليهما حتى تتلاصقا فاذا بدا عليهما الحرج والممانعة سارع بالسؤال : انتوا متخاصمين ؟ هـش كنا بنحب بعض ؟ ا

٣ - دور القراءة : حتى قبل ان يتعلم الطفل القراءة بالمعنى المعروف يتعلم الكثير من المعاني من النظر الى الصور ، أو ما تقرأه له أو تقصه عليه من القصص مهما بلغت هذه الكتب المصورة أو تلك القصص من البساطة . ولكم تجده يتابع تقليب صفحات الكتاب وقد استلقى في وضع استرخاء جذاب ، ولعله بذلك يضيف الى المعاني متعة يشتهيها من لعب الايهام اذ يقلد في القراءة أباه .

وبعد فما من شك في أن الطفل يسر لتقليب الكتاب الواحد أسابيع وأسابيع ، ويستمد في كل مرة سرورا غريبا . ولكن الطفل ليس راكدا التفكير كما قد يتبادر الى اذهان البعض ، بل هو يرى في كل يوم من الدقائق والتفصيلات ما عجز عن رؤيته في اليوم الفائت . وهكذا تضيف الصور والقراءة الى الطفل فضلا عن المعاني وما تستثيره من الاسئلة النافعة ثروة خصيبة من التركيز والتدقيق . ولقد تقص على الأطفال قصة فيستعيدونها كل ليلة في لذة متزايدة ، فاذا حدث يوما أن حرفت جزء صغيرا منها سارع الصغار لتصحيحك في دقة تعجب لها

فاذا ما جاز الطفل المرحلة التي يستلقت انتباهه فيها أسلوب القراءة وطريقتها خرج الى القراءة لغرض السرور وقضاء الفراغ ، وهي عملية يجرها الى حد كبير رغبته في اكتساب المعرفة عما يستثير استطلاعها . وبدلا من أن يعتبر



الكبار فقط مصدرا للمعلومات أصبح الآن يستشير المؤلفين في كتاباتهم وهي طريقة أسرع وانشط وأدق خصوصا وقد بدأ عنصر التحفظ قرب المراهقة يلون علاقاته بالآخرين ويخرج موضوعات كالمسائل الجنسية عن نطاق الاسئلة أو البحث المباشر .

٤ - دور المنطق : لكي يدرك الطفل المعاني يجب ان يكون قادرا على

ادراك العلاقات ، فكل سنة تحمل معها خبرات جديدة تفسر على ضوء ما سبق . وهكذا يربط الطفل بالجديدة معان نتيجة لتعرفه مدى ارتباطها بما تعلمه في مناسبة سابقة . وكلما زاد التشابه بين الخبرتين ازدادت المعاني التي يمكن أن ترتبط فتضيف الى السابق خصبا ونموا ، كما تصبح الجديدة اكثر طلاوة واثارة للاهتمام ، وبالتالي تستثير استطلاعها فتزداد محاولته لكشفها دقة واصرارا .

ولارتباط القدرة على ادراك العلاقات بالذكاء العام نجد معظم اختبارات الذكاء تتضمن ما يقيس هذه القدرة لتحديد السرعة والدقة اللذين يصحبان محاولة الطفل وضع اجزاء الصور الى جانب بعضها البعض لتكميلها ، واختيار الاشكال المتشابهة بين رسوم هندسية مختلفة ، أو ذكر الاختلافات في أوزان معروضة أو اطوال خطوط . موضوعات متوازية أو متعارضة . وها هو يبلى يقدم لنا هذه القائمة نسوقها ببعض التصرف :

| العمر بالأشهر | الحركة                  | العمر بالأشهر | الحركة                     |
|---------------|-------------------------|---------------|----------------------------|
| ٢ر٩           | يحرك الخاتم في يده      | ٥ر٤           | يستعيد الشخصية             |
| ٣             | يمد ذراعه للخاتم المعلق | ٥ر٨           | يلعب بالورق                |
| ٣ر٥           | يلعب بالشخصية           | ٦ر١           | يقرب من صورته في المرآة    |
| ٣ر٦           | يتحسس طرف المنضدة       | ٧ر٢           | يهتم بدقائق الجرس          |
| ٢ر٧           | يتفحص اليد المبسوطة له  | ٧ر٣٥          | يحتذب الدوبارة ليصل للخاتم |
| ٣ر٥           | يلقط المكعب             | ٨ر١           | يخطط اعتباطا على الورق     |



| العمر بالأشهر | الحركة                        | العمر بالأشهر | الحركة                     |
|---------------|-------------------------------|---------------|----------------------------|
| ٨٠٦           | يستكشف ثقب بلوحة الاشكال      | ٢١٠٣          | يبنى رجا من ٦ مكعبات       |
| ٨٠٧           | يحاول الاحتفاظ بثلاثة مكعبات  | ٢١٠٥          | يسمى ٣ أشياء               |
| ٩٠٧           | يلعب مع صورة المرأة           | ٢٢            | يفرق بين البرج والهرم      |
| ١٠٠٤          | يضع المكعب في الفنجال         | ٢٤            | يملا لوحة بيلى في ٩ ثوان   |
| ١٠٠٦          | يزيل ما يغطيه من ورق          | ٢٤٠٤          | يسمى ٥ صور                 |
| ١١٠٢          | يمسك بالقلم مسكا صحيحا        | ٢٤٠٥          | يقلد خطوطا متوازية وعمودية |
| ١٢٠٦          | يضع القالب المستدير في اللوحة | ٢٥٠٣          | برج من ٨ مكعبات            |
| ١٣٠٥          | يبنى برجا من مكعبين           | ٢٥٠٤          | يختار الجسم الأكبر         |
| ١٥٠٥          | ينظر للصورة                   | ٢٦٠٥          | الذاكرة : يتذكر شيئا واحدا |
| ١٦٠٣          | برج من ٣ مكعبات               | ٢٨٠١          | يبنى هرما من ٣ مكعبات      |
| ١٦٠٦          | مربع أو مستطيل بلوحة جيزل     | ٣١٠١          | يثبت زرار او احدا          |
| ١٧٠٤          | يسمى شيئا واحدا               | ٣٢            | وصف صورة : صفة أو فعل      |
| ١٧٠٥          | يغطي الصندوق                  | ٣٣٠٩          | يعرف ٥ حروف جر             |
| ١٧٠٧          | يصلح الدمية المكسورة          | ٣٤٠٦          | يقلد الدائرة بعد ٣ محاولات |
| ١٩٠٦          | يسمى شيئين                    | ٣٤٠٧          | يتعرف الخط الطويل          |
| ٢٠            | يدير الكرة الباب              | ٣٥٠٦          | يتذكر صورة من اربع         |
| ٢٠٠٧          | يشير الى ٣ صور                | ٣٦٠٦          | يثبت زرارين في ٧٥ ثانية    |

وبعد فقد جاء بياجيه مستعملا طريقة « المقابلة الفردية » فدرس تفسيرات الصغار لظواهر عديدة كطبيعة الهواء ، وأصل الريح ، وانفاس الانسان ، وحركة السحب ، وقدرة الزوارق على الطفو . وخرج من كل هذا بـ ١٧ نوعا من انواع التفكير المنطقي أو سعيها غيره من العلماء بحثا وعلى الأخص جان ماركيز دويتش اذ قسم بحثه على أطفال بين ٨ و ١٥ سنة قسمين استعمل في



الاول أجهزة كأن ينكس دورقاً فوق شمعة ويسأل عما سبب انطفاءها ، أو يضع عملة صغيرة على غطاء صندوق من الورق المقوى مربوط بخيوط من جوانبه الاربعة ثم يديره بسرعة فلم لا تسقط العملة ، او ارتفاع سطح الماء في حوض عند اسقاط جسم ثقيل ، أو مصدر الصوت الناشئ من سقوط مكعب من ارتفاع مناسب ، او الاصوات المتغيرة لدى الضغط على مفاتيح آلة موسيقية ، او ارتفاع الماء في الاواني المستطرفة . ، والقسم الثاني قدم فيه اسئلة مباشرة عن سبب تكون الجليد ، وارتفاع البالونات في الهواء ، وظهور قوس قزح بعد المطر ، وتكون الظل ، والصورة في المرآة ، وسبب حصول الرعد والبرق ، واصابة اما كن معينة بالصواعق .

وقد اظهرت هذه الابحاث الاخيرة بكل اختصار ان يياجيه اعطانا اسامياً صالحاً للبحث ، وان كانت بعض التجارب الحديثة لا توافقه في نسبة تردد الانواع السبعة عشر وقد ترفض بعضها كلية ، كما تأخذ عليه اشتطاطه في تقسيم التفكير المنطقي الى مراحل محددة تنتهي واحدة لتبدأ التالية لها ، فهو اذ يضع المرحلة الاولى في صورة التفكير ذي الطابع الخيالي السحري ( كأن يقول الصغير ان الرعد صوت تحدثه المردة والشياطين ) . . ، ويضمن المرحلة الثانية خلع الحياة على الجماد ( تتحرك السحب لانها حية ) . . واخيراً تأتي مرحلة التفكير الاستنباطي الناضج حول الحادية عشرة او الثانية عشرة حيث يستنتج الصبي الحقائق بالطريقة المنطقية مستفيداً من معلوماته عن الكثافة والوزن النوعي وهكذا ليفسر انسياب الماء الى الانبوبة المجاورة . . نقول ان يياجيه في هذا الوضع قد اغفل قليلاً تداخل هذه المراحل ، فاذا كانت الاولى تتراجع سريعاً قرب التاسعة عند البنين والحادية عشرة عند البنات في مصلحة الاخيرة التي تبدأ في الشيوخ قرب السن الاخير فالواقع ان التفكير التسلسلي الصحيح هو مسألة نمو تدريجي .

أما عن عامل الجنس فقد وجد ان البنات يعطين اجابات اكثر تختص



النوع الاول ، ونعنى به التفسير المعتمد على الظواهر السحرية ، بينما تزداد اجابات البنين في الناحية الميكانيكية ( السحب تدفع الرياح .. البدالات تدفع الدراجة ) ، ثم في التفكير الاستنباطى .

ولسنا الآن بسبيل الافاضة في بحث المقاييس العقلية اذ لا يتسع المقام لعرض ماجاء به مدرسة فونت في ألمانيا من أبحاث شيقة اجتذبت اليها فلاسفة أمريكا الناشئين اذ تقاطروا الى معامل ليبزج لنلهمهم أفكارا عن التطور ( أمثال ج . ستانلى هول الذى اقتبس طريقة جولدون في الاستفتاءات ) وتغذى ميولهم لدراسة الفروق الفردية ( أمثال جيمس كاتل ) ، والحق أن هذا الاخير كان أول من خطا نحو وضع المقاييس العقلية على أثر اختبارات لطلبة جامعة كولمبيا سنة ١٨٩٦ ، واية يرجع الفضل في توجيه نظر ثورنديك الذى كان منشغلا بتواهاته وصناديقه ذات المزالج الى استخدام هذه الطرق مع الاطفال فخلق بذلك من ثورنديك أكبر داعية لمقاييس الذكاء فى أمريكا ، هذا فضلا عما جاء به هيرمان اينجهاوس الالماني قرب نهاية القرن التاسع عشر من احصاءات ومنحنيات عن التذكر أخضع فيها نفسه لنظام لا بد قد احتاج تطبيقه الى مجهود عنيف .. بل ولعل هذا المجهود يتضام ازاء مارسل اليه من قياس القدرات العقلية « الارقى » بطريقة « التكميل » سنة ١٨٩٧ ، وتبعه جورج مرلر مضيفا الى هذا « قوانين الترابط » والظروف المساعدة على التعلم

ثم جاء القرن العشرين فافتحه بينيه الفرنسى بأبحاثه على بناته ، ولا يمكنه سرعان ما اتجه الى دراسة الشواذ والاطفال المتراجعين منفذا بذلك رغبة الحكومة الفرنسية . وكان من أدق المشاكل التى واجهها بينيه وجماعته التفرقة بين نقص القدرة من ناحية والكسل أو قلة الاهتمام من ناحية أخرى . وهكذا وضع بينيه بمهونة سيمون سنة ١٩٠٥ سلسلة من الاختبارات نظمت بترتيب صعودتها ، ودخلتها التعديلات بعد هذا بسنوات ثلاث ثم ست . وهى فى وضعها الاخير تهدف الى قياس الذكاء على أساس « العمر العقلى » .



أى وضع معايير لكل من سنى النمو .

ظهر نجاح مقاييس بينيه واضحا ملموسا ، فسارع الجميع لترجمتها والاقتباس منها فظهر فى أمريكا جودارد وبيركس وتيرمان ، وفى إنجلترا بيرت ، ثم فى إيطاليا تريفز وسافيو . ثم جاءت أمريكا لتلقى بنصيبها الشخصى فى الميدان على أيدى كيرباتريك وكيلي ونورزورثي ، وقد استطاع الأخيران بمقارنتهما فتيين احدهما عادية والأخرى متراجعة أن يثبتا أن الأخيرة ليست « فعميلة » ، قائمة بذاتها بل ان هناك تدرجا وانتقالا مستمرا من رأس القائمة لنهايتها .

كان كل هذا فاتحة نهضة مباركة تصافرت فيها الجهود لا بداع وتطبيق المقاييس العقلية حتى لنكتفى بأن نسوق للقارىء فى منتهى الإيجاز أهم ما جاءت به الاتجاهات الحديثة :

١ . التفرقة بين النتائج التى ترجع الى القدرات الفطرية من ناحية ثم عامل الخبرة والكسب من ناحية أخرى .

ب . وضع حد بين الاختبارات اللغوية مثل ما وضعه بينيه حيث يلعب التفوق اللغوى دورا ايس بقليل ، والاختبارات غير العملية كالتواهات أو لوحة الاشكال ج . التفرقة بين الاختبارات الفردية حيث يختبر كل شخص على حدة ، والاختبارات الجمعية التى تعطينا مجالا واسعا للنطاق لاحصاءات عن توزيع القدرات بين طبقات عديدة ، ولعل أشهر هذه الأخيرة تطبيق اختبار الجيش الأمريكى الشهير والفاريتاء على حوالى مليونين من المجندين ، عند دخول أمريكا الحرب العظمى سنة ١٩١٧ .

د . مقارنة نتائج الاختبارات بتقديرات أشخاص أكفاء كالمدرسين لمعرفة ما اذا كانت الأولى تقيس الذكاء حقا أو لا تقيسه . ولقد كان مما يشرف الاختبار فى أول الامر أن تطابق نتائجه ما يراه المدرسون حتى لقد أصبحنا الآن مطمئنين إلى هذه الاختبارات فصرنا نفيذ الاراء الشخصية فى أحوال عديدة .



هـ . تطبيق الاختبارات للفرقة بين العادى والمتراجع لاغراض تربوية  
و . بعد أن بدأت الاختبارات بمحاولة قياس الذكاء بعيداً ما أمكن عن عنصر  
الخبرة والاكتساب خرجت الى محاولة دراسة القدرات المكتسبة على حدة على  
قدر الامكان ، كاختبارات التقدم فى العلوم العادية المكونة للنهاج المدرسى ، وهى  
اختبارات يمكن الى حد ما أن تحل محل الاختبارات المدرسية الحالية بأخطائها  
المعروفة ، فهى أسهل فى التطبيق والتصحيح وأقدر على استيعاب عدد أكبر من  
المعلومات فى زمن محدد . وهناك غير هذا الاختبارات الخلقية والمزاجية  
وغير ذلك .

ز . تطبيق الاختبارات فى ميادين عملية واسعة النطاق . فاختبارات الجيش  
الامريكى تهدف الى استبعاد المتأخرين جداً بحيث لا يصلحون للخدمة العسكرية ،  
واكتشاف أولئك الذين ينتظر أن يرتقوا سريعاً ، أو يختاروا لأنواع من العمل  
تحتاج قدرة خاصة . بل لقد طبقت الاختبارات على المهاجرين لامريكا لتعطى نتائج  
فى منتهى الاهمية بالنسبة للاجناس التى تكون الشعب الامريكى . وهناك غير هذا  
الارشاد والتوجيه المهنى .

ح . استخراج معاملات الارتباط بين الاختبارات ، فمن المهم أن يكون هناك  
ارتباط وتمش بين القدرتين المتداخلتين ، بمعنى أن الاشخاص الذين يحصلون على  
الدرجات العليا فى اختبار ما يجب أن يشغلوا نفس المراكز فى اختبار آخر مفروض  
أنه يقيس نفس القدرة أو قدرة مرتبطة بها ارتباطاً كبيراً . واذا كان جولتون قد بدأ  
بالبحث فى هذه النقطة وعززه كارل بيرسون فما من شك فى أن سبيرمان هو أول  
من أدرك فعلاً أهمية الترابط وابتدع طرقاً أسهل لحسابه ، كما وضع تفصيلاً لتصحيح  
الاخطاء التى قد تنشأ . وبعد فإليه يرجع الفضل الاول والاخير فى تعريفنا تركيب  
العقل الانسانى .



ولكن مهما حاولنا الاشارة ببعض المراحل التي خطاها البحث في المقاييس العقلية فان أى بحث ينقصه الكثير لو خلا من الاشارة في اعجاب الى ذلك المجهود البديع الذى أبداه اسماعيل القبانى بك فلقد عمل عزته مع العالم السويسرى كلا باريد ثم تابع العمل بعد سفر الأخير مدة سنتين حتى وضع اختباريه لقياس ذكاء الطفل المصرى ، أحدهما للرحلة الابتدائية ( على أساس اختبار بالارد ) ، والثانى للثانوية ( اختبار برشلونه ) . ولا يتسع المجال لعرض محتوياتهما ففقيهما الكثير من ترتيب الجمل وتكميلها والمتونيات وادراك العلاقات والسخافات ، الى غير ذلك . وهانحن نسوق مثالا لادراك العلاقات ، فالمطلوب وضع خط تحت الكلمات الاجنبية المقابلة للكلمات العربية التى تحتها خط :

فيام أنا توصاد ان اصطن : لون الورد أحمر .

ان ميم جر كى كاف أنا تو : الورق الابيض جميل

كاف اصطن يانق أنا تو : هذا ورد جميل

ميم أنا توصاد ان كراو : لون اللبن أبيض

هـ - درر التدريب : اذا كان صحيحا أن المواقف الجديدة أو المشوقة تستثير استطلاع الطفل وتضيف الى معلوماته فهناك عدد ليس بقليل من الحقائق لم يكن ليلاحظها ما لم نوجه اليها التفاته بشكل خاص . وكلما شجعناه على ملاحظة التفاصيل والدقائق زادت المعانى التى يمكن أن يشتقها ، تماما كما يحدث فى حالة الكشف الصغير اذ يتدرب على أن يرهف حواسه لسماع الهمس الخفيض وملاحظة الرسوم والعلامات المنزوية .

ولدينا فى اللعب التى سبقت الاشارة اليها معين على تنمية ادراك الطفل للمعاني وادراكه للون ، تماما كما تعمل الكتب والصور المنتقاة على ادراك الجمال أو الدعابة . ولقد يجد القارىء الكريم فى هذا الصدد أن وضع جداول يومية مناسبة وتشجيع الطفل على مراعاتها يعطى الصغير فكرة عن الزمن والنظام أوضح بكثير مما تهيئه عشرات المواعظ أو التهديدات عن وجوب اداء العمل فى الوقت المناسب وسنعرض فيما يلى بعض الميادين التى تتضح فيها المعانى بالنسبة للصغير :



## فكره الطفل عن نفسه

قبل أن يكون الطفل أفكاراً عن الآخرين يكون افكاره عن نفسه ويستعملها كمقاييس للآخرين على ضوءها . وهو يكتشف هذه الافكار الأولى عن جسده عن طريق تلمس أعضائه والنظر الى صورته في المرآة اذا عرضت له الفرصة . فهو منذ وقت مبكر ، في الشهر الرابع أو الخامس ، ينظر الى أصابع يديه وقدميه ويمصهما ، ويجذب شعره وأذنيه وأنفه ، ويربت على جلده ويتحسسها ، كما يراقب حركاته في المرآة .

ونظراً لتمرکز اهتمام الطفل في ذاته في سنى الطفولة المبكرة نجد فكرة الطفل عن نفسه ترتقى بسرعة ، ويضع تيرمان وميرل في مقياسهما لطفل السنتين اختبار تحديد ثلاث من أربع : شعر ، وفم ، واذني ، ويدي الدمية . وبعد هذا بنصف سنة يجب ان يتعرف الاربعة . وفي سن ٣ سنوات يرى تيرمان ان الصغير يجب ان يعرف ما اذا كان ولدأ او بنتأ ، واسمه الكامل ، واين تقع أنفه ، وعينه ، وفمه ، وشعره .

ولسكتانزى ان الطفل بين الثالثة والرابعة يدرك ما هو اكثر من هذا . يدرك ان تقع اصابع يديه وقدميه ، ثم الساقين ، والذراعين ، والبطن . كما انه يعرف فيم يستخدم كل منها اذا سأله بطريقة بسيطة مناسبة . بل هو يعلم أى اجزاء الملابس يصلح لعضو معين . ويضع تيرمان في اختبار طفل السادسة معرفة الجانب الايمن من الايسر في جسمه ، وفي السنة التالية يعرف عدد اصابعه دون عدّها .

ويمر ادراك الطفل لنفسه في مرحلتين .. الأولى تأق من الخبرات والاتصالات الخارجية بالآخرين ، بحكم كون هذه الخبرات في اول عهد الطفل بالحياة موضوعية . وهكذا تتكون لدى الطفل افكار خاصة تتصل بقامته ، ومظهره ، والمستوى الذي يشغله بالمقارنة بالاطفال الذين يتصل بهم وهم في



العادة عدد كبير منهم من هو كبير وصغير . فاذا قارب سن دخول المدرسة امكنه ان يكون احكاما شخصية يصدرها هو ، ونتيجة لهذا تأتى المرحلة الثانية حيث تعتمد فكرته على احساسه وتفكيره وخبراته الانفعالية . والواقع ان من الصعب عليه ان يوفق بين هاتين النظريتين . وهو يظل موزعا بينهما يفكر في نفسه كشخصية ثنائية لا تندمج في الغالب الا قرب البلوغ .

اساليب التعبير عن النفس : نال الطفل تحت طرقات التربية القديمة من

العنت ما ليس بالقليل ، « فالآداب ، يقضى بأن يحتفظ الطفل بالهدوء والاتزان ولا يتحدث الا اذا وجه اليه أحدهم كلاماً ، وعليه ان يطيع دون مناقشة ، ويقص على الضيوف ما تعلمه من قصص في المدرسة ، ويترك اللعب لينام في الوقت المحدد . ثم جاء فرويد وانصاره ليؤكدوا الاضرار التي تنشأ لو هرقنا ميلا طبيعيا ، وتقاطر بعد هذا رجال التربية الحديثة فقلبوا فلسفة التربية تماماً حتى لقد ذهب البعض الى ان الدوافع كلها خير فلندع الطفل يتفتح حسب ما تمليه رغباته وما من شك في انه لن ينحرف عن جادة الصواب ما دمنا لا نتدخل لمنعه . ثم ظهر ان اساليب الطفل للتعبير عن رغباته ليست كلها صواباً . ولذا جاءت سياسة التوسط لتؤكد قيادة فألية الطفل وتعبيره عن نفسه كأحسن طريقة لمواجهة وتحقيق رغبات الطفل في اللحظة الحاضرة ، وفي نفس الوقت تثبت عادات التعبير التي ستكون مفيدة له خلال الحياة .

أولا - التعبير بالجهاز الصوتي : ا . الصراخ : يعرف الطفل العادي

قبل انتهاء شهور ثلاث مدى فائدة الصراخ وأثره في جذب الانتباه . وهو يظل يستخدم هذه الوسيلة حتى يكبر قليلا ويتصل برفاقه الصغار فيكتشف أن الصراخ ليس عديم الجدوى فحسب ، بل انه يكسبه احتقار زملاءه ، وسرعان ما يلقبونه « بالعيال النظاظ »

ب - الحديث : قبل أن يتعلم الطفل الكلام يحاول أن يشترك في الحديث بالمناعة .. وهو يرفع من صوته كثيراً بحيث لا يملك الآخرون



سوى الالتفات اليه . فاذا تعلم الكلام فهو يتبع نفس الطريقة اذ تراه يتحدث بصوت مرتفع وفي نبرات حادة ويبيض السرعة تتطلب من الآخرين التمعن في حديثه لالتقاط الكلمات . وكثيرا ما يعتمد الى توجيه أسئلة لا تهدف الى اكتساب معلومات وانما يقصد بها إثارة الانتباه ، فهو اذا تحدث حديثا عاديا فلن يحظى بالاهتمام الذي يتبها له لو سأل سؤالا .

فاذا ما قارب الطفل سن العاشرة واكتسب مهارة كافية لاستخدام جهازه الصوتي لجأ هو ورفاقه الى استخدام لغة سرية اما بالاشارة أو بالكلام رغبة منه في التستر على أسرار العصابة من ناحية وارضاء لحاجته للشعور بالسيطرة من ناحية أخرى وهو الأهم . وكما يسره أن يلمس رغبة الكبار في استطلاع هذه اللغة تزداد الحاحا .

يضاف الى كل هذا رغبة الصبي في الصراخ والضحك بصوت عال في كل مناسبة ليجتذب الانتباه ، هذه الرغبة التي تتراجع كثيرا في فترة الاعتزال التي تصحب حلول التغيرات الجنسية ثم تتطور لتظهر بشكل حاد مزعج عند الفتيان قرب الخامسة والسادسة عشرة ، و لكن تجد الطلبة في المرحلة الثانوية يسرون في الافنية رافعين رؤوسهم للخلف في تحد ، يقهقهون بصوت عال ، ويصفرون ويغنون في سرور مصطنع ، وكم يسر الواحد منهم أن يسير تحت نافذة أحد الفصول الهادئة فيعطس أو يسعل بصوت داو فتجاوب ضحكات زملائه من الداخل وهم يتهايمون باسمه . / او يصحب هذا اقبال الطلبة على امتصاص أنواع من التعبيرات الصارخة سبق أن أسميناها ، المحصول الجارح ، أثناء عرضنا للنمو اللغوي ، وهي تعبيرات تعتمد على أنواع من القسم أو السباب أو الاساليب الجنسية النابية يلقبها الغلام كلما اجتمع بزملائه محاولا بذلك أن يبدو اسبور ، كما يحاول أن يلقبها على مسمع من الكبار في تستر ليرقب بابتسامة ما كره ما ينطبع على وجوههم من دهشة واستنكار . . . وحتى الفتيات وان كن لا يضربن بسهم وافر في هذه النواحي الاعتدائية الا أنهن يتصنعن طرفا للنطق



ومتابعة الحديث بالاشارات تختلف عما يرينه في بيئته .  
أما المبالغة أو « الفشر » فأسلوب شائع من أساليب التعبير عن النفس  
وان كان يختلف موضوعه حسب السن ، فالصغار يبالغون في وصف ممتلكاتهم  
المادية كالملابس واللعب والخدم ، والصبيان عن قوتهم ومهارتهم في الالعاب  
والمباريات ، وفي المراهقة والبلوغ يتجه الحديث الى عرض اخاذ للتعريض  
لخطرات والنجاح في مغامرات غرامية ، كما يلجأ الشبان الى المبالغة في مركز  
عائلاتهم ومدى نشاطها وانتاجها ، على قدر ثوراتهم ضد أساليب معيشة نفس  
هذه العائلات عند عودتهم لمنزلهم !..

ثانيا : الثورات الانفعالية : يتعلم الطفل في سن مبكر جداً أن في امكانه  
أن يسود المنزل بنوبات الغضب والتقلص والرفس والركل . وهو في أحوال  
أخرى يعتمد أن يبدو خائفاً أكثر مما يحس فعلا ليسارع الآخرون للاهتمام  
بأمره ، أو قد يضحك ضحكات هستيرية . وتقل المظاهر الأولى بالتدريج  
لأن الطفل يرى أن الانتباه الذي تجتذبه هو من نوع غير مرغوب فيه بين  
الرفاق ، أما الضحك المصطنع فيستمر في الطفولة والمراهقة

ثالثا - السلوك السيء : معظم الاطفال اللاسف يتعلمون بالخبرة أن  
القريبين منهم يوجهون اليهم اهتماماً أكبر عندما يكونون أشراراً مشاغبين  
مما لو سلكوا سلوكاً حميداً . واذا عوقبوا فهم يتحملون العقاب في سبيل  
ما اكتسبوه من الاهتمام .

والحق أن العناد كمقاومة واضحة للسلطة يحدث بشكل شائع جداً حول  
السنة الثانية والثالثة حتى ليعتبر طريقة عادية للتعبير عن النفس

فاذا جاءت مرحلة العصابات حملت معها شعوراً اعتدائياً واضحاً ،  
فالصبيان يدقون أجراس المنازل ويفتحون صمامات اطرار السيارات ،  
ويرسمون صوراً ليلوثوا بها الجدران في الشوارع والمنازل والاسوار ،  
وفي المدرسة تجدهم يتهايمسون ويتبادلون قصاصات الأوراق ، ويمتدون على



اعضاء العصابات الاخرى فيعاقبون ، ولكنهم لا يابهون لهذا كثيرا مادامت  
أبصار تلاميذ الفصل كله تنتهبهم .

أما عصر المراهقة والبلوغ فهو أكثر المراحل إغراء بالسلوك السيء  
المتصود. والفتى يعتبر القواعد والنظم تحديا شخصياله، وهو يشعر بالسيطرة  
والفرق على المشرع لو حفظها دون أن يضبط . والكثير من الغلمان يدخن  
ويسكر لا لأنه يسر لهذا ولكن لأنه يحس بالنصر . وهو اذا ركب سيارة  
ساقها بسرعة جنونية ، ودار حول المنحنيات على عجائتين .. وأطلق الكلاكسون  
دون ما حاجة لذلك ، والاختصار هو يحمل من نفسه مصدر ازعاج وخطرا  
على الامن يجب على الآخرين أن يحسبوا حسابه . ثم هو في « عنابر » القسم  
الداخلي يتسلل والكل نيام الى أسرة زملائه فيطلى وحوهم بفرشاة اللون  
حتى اذا استيقظوا صاروا أضحكة اخوانهم .

٤ - الرغبة في الاستقلال : يحب الطفل من وقت مبكر أن يؤدي

حاجياته بنفسه ، وقد يصل به الامر الى الثوة على الكبار لو حاولوا  
مساعدته مع انه لا يستطيع أن يقوم بالعمل بمفرده على وجه مرض . فالطفل  
الصغير يريد أن يأكل بمفرده ، يلبس ويخلع ملابسه ، ويلعب بالطريقة  
التي يريد بها .

وهو اذا كبر قليلا أراد أن يمنح حق اختيار ملابسه ، وزملائه ، وكتبه .  
فإذا شارب البلوغ وصلت الرغبة في الاستقلال الى ذروتها ، فهو يريد أن  
يرهن للجميع أنه رجل يمكنه أن يتحكم في حياته ، وكثيرا ما لا يفهم الآباء  
هذه النظرة ويدهشون لهذا « العناد » في الوقت الذي يتطوعون هم فيه لمساعدته  
لتجنب الخطأ . فإذا حدث ، في وقت متأخر ، أن طلب منهم المراهق المساعدة  
اتخذوا في الغالب طريقة التعنيف « ماذا ؟ ألم نقل لك ؟ » ، وهي طريقة تؤكد  
لديه الرغبة في الاستقلال مستقبلا مهما حدث له من متاعب .

وإنا لنرى الفتى يود أن تفرد له غرفة لنفسه ، وملابس يختارها هو ، كما  
يريد أن يحتفظ بحق اتخاذ أصدقاء كما يشاء ، وبمفتاح ليذهب ويعود في أى وقت .



وهو يحب أن ينظم رحلته أو سفره وحده ، وكم يؤلمه أن يصحبه أحدهم الى المحطة أو الكلية .

٥ - الرغبة في الظهور بمظهر كبر السن : في أى مرحلة من مراحل النمو نلاحظ أن الطفل يود لو يبدو أكبر وأكثر فهما مما هو . وحتى الصغير يشعر بأهميته لو تركناه يسهر أكثر من الموعد الممنوح لزملائه في سنه ، أو إذا دعونا إلى مائدة الكبار في الطعام . والواقع أن ارتداء الصبي « بنطلونا ، طويلا أو البنت جوربا طويلا ، أو السماح لها بقص شعرها على طريقة الأنسات ، كلها ترضى لدى الصغار هذه الرغبة ، وهم ينتظرون من وراء هذا امتيازات متلاحقة .

٦ - الممتلكات والشعور بالمسئولية : بين السنة الاولى والثانية يقاوم الاطفال رغبة الآخرين في انتزاع ممتلكاتهم كاللعب والملابس . ومن الصعب أن تقنع طفلا بأن يدع آخر يشاركه ما يملك ، وهذا هو السبب فيما ينشأ من مشاجرات .

ويصحب الشعور بالملكية الرغبة في العناية بالشئ . ولما كان كثيرا ما يقوم الآباء بهذه المسألة فيؤلمون اطفالهم ويحرمونهم من الرضاء الذى يحسونه لو تركوا لانفسهم . والحق أن الأب مخطئ لو ظن أنه بهذا يهيئ للطفل الراحة فيقضى طفولة مرحة .

فإذا كبر الطفل قليلا فلنطمئن اليه ونعهد له بمهام يقوم بها في الخارج فهذا يشعره بالاهمية . كأن « يسجل » خطاباً في البريد أو يشتري شيئاً . ويصل هذا الشعور بالمراهق أقصاه فهو لا يقبل المسئولية مادامنا نقيده بتعليمات كثيرة . والحكم الذاتى هنا يهيئ فرصة جميلة للتعبير عن النفس .



٧ - أحلام اليقظة : هي تعويض لما يفقده الفرد ، أو هي رغبات مدفونة في اللاشعور لا تتحقق في الحياة اليومية . والشخص اذ يستغرق في أحلام اليقظة يتصور نفسه مركزا للحلم ويشفق السرور من الاهمية التي ينسجها حول نفسه .

وقد وجد جرير في تحليله لمئات من هذه الأحلام أنها واحدة من أربعة :

١ - خيال العرض : حيث يقوم الفرد ، بمقدرة لا تتوفر له في الحياة ، بأعمال ينال لها التقدير والتهليل .

٢ - خيال الانقاذ : حيث يتخيل الفرد أنه ينقذ حياة آخر وهكذا يكتسب تقديره واعجابه ، وهو في الغالب واحد من الجنس الآخر .

٣ - خيال العظمة : حيث يمثل الفرد دوراً هاماً ، كملك أو كآله

٤ - خيال التضحية : حيث يكتسب الفرد حب الشخص الذي يعجب هو به ، وهو في الغالب أرقى منه ، بعمل خدمة جليلة له .

وتبدأ أحلام اليقظة في الطفولة المبكرة متأثرة بالقصص الخيالية وبعد هذا بالمغامرات والمخاطر ، فالصغير يتصور أنه يسهر على أميرته الجميلة الممددة الى جانبه في الغابة بينما الطيور تجلب لهما الغذاء الشهى

والحق أن هذه الأحلام المبكرة تدور في الغالب حول اللعب ، والطعام وعلى الأخص ذاك الذي يمنع عن الاطفال كالمربطات ، كما يتمنون أن يكونوا أغنياء لتحقيق طلباتهم .

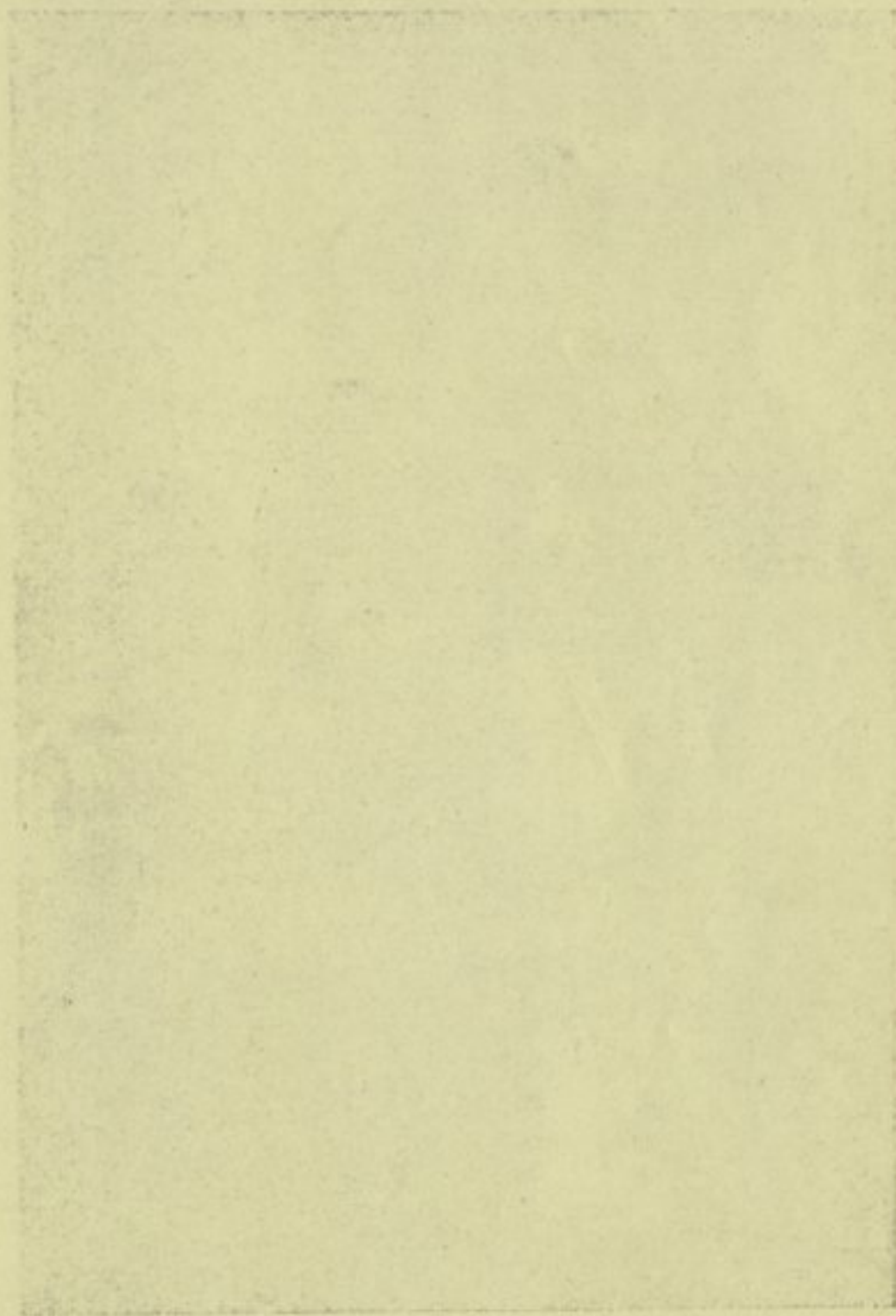
ويتدخل عنصر القصص الخيالية في مرحلة العصابات فالبنات من ٨ - ١٠ أميرة تعيش في قصر مليء بالملابس والجواهر ، أما الأولاد فيهتمون باكتشاف كنوز ونقود وميراث من أقارب حديثي العهد . ومن هذا الوقت حتى فجر المراهقة نجد الألعاب الرياضية والاسفار تحتل الصدارة في أحلام اليقظة .





... فالصغير بهور أنه يسر على أميرته الجيلة الممددة الى جانبه ينال الطيور مجلب لما الغذاء الشهي ...







أما المراهقة فأكثر الاوقات امتلاء بها ، فهي تراجع من الحقيقة المبررة ، وتمتلئ بها الساعات التي تقضى في العزلة ، كما تهى للمراهق الفرصة للاغراق في تصوير نفسه بمظهر البطل المعذب ، فهو شهيد في ايدي الآباء والمدرسين والرفاق . وكل يلذ له أن يتصور نفسه وقد توفي فامتلا المنزل بالنحيب والعيول لفقده ، فليتنجبوا ماداموا يضايقونه كل هذه المضايقة .. ! ومعظم الصبيان في هذا السن يحملون أنهم في منازل أخرى وبين آباء وأمهات آخرين أغنى وأرفع في الطبقة الاجتماعية والمستوى الاقتصادي مما هو حادث فعلا .

وتستمر الأحلام في احتلالها للصداقة في مرحلة البلوغ ، فهي طريقة للهروب من الصدمات والثورات الانفعالية الشائعة للفتى ، أو كوسيلة لارضاء الحب والدافع الجنسي .

وقد وجد سميث أن أصلح الأجواء للأحلام هي الغروب ، والليل المقمر والوحدة ، والموسيقى الهادئة ، والمياه المنسابة ، أو أى صوت رتيب يدور في ملالة كالاصغاء لموعظة مملة ، أو مراقبة النار المشتعلة ، أو احساس الفتى بحالة من التعب الجسماني أو العقلي

٨ - الرغبة الأدبية : من أحسن أنواع التعبير ، فهي ترضى الطفل

وبقبلها المجتمع . ومن أنواعها الرسم ، ولو أن الطفل الصغير لا يقدر فعلا على الرسم لضعف التناسق العضلي ، ولكنه يسر من التخطيط على الورق فيعمل حركات بالقلم مهوشة وغير ذات هدف واضح ، فالرسم بالنسبة له طريقة للتعبير أكثر منه طريقة لخلق الجمال .

ويضع وادل هذه المراحل الأربعة : الأولى مرحلة التخطيط ، من ٢-٥ فالرسم هنا مرتجل مهوش ، وبالتدريج يوحى بشيء يضع له الطفل اسماً .. والثانية مرحلة الاضطراب الفني ، من ٥-١٢ ، وهنا نرى الطفل غير ناقد ، بل هو يصور ما في ذهنه بشكل رمزي ، لا يهتم كثيراً بالتناسق والنسب ؛ هو يهتم



بالتفصيلات المزينة كالازرار والقبعات . . . والثالثة مرحلة التردد حول الثانية عشرة حيث يتناول الطفل مدرس أو شخص يشرح له أخطائه وما يجب أن يفعل فيحس الطفل الحرج والتراجع والخيبة ، وهنا يترك معظم الصبيان الرسم مؤقتاً . . . وأخيراً تأتى المرحلة الرابعة يبعث القدرة الفنية من ١٥ - ١٧ حيث يصبح الرسم عملاً فنياً يلونه الطابع الشخصي .

تأتى بعد هذا الموسيقى ونلاحظ بدء الرغبة فى الغناء من سن مبكر جداً

حيث ينغمس الصغير فى هذا النوع من التعبير عندما يدخل التنعيم فى المناغاة . وكم يسر الطفل أن يسمع غناؤه فى مناغاته . فاذا وصل الصغير الى سن أربع أو خمس سنوات أمكن أن يغنى معظم الأطفال أناشيد وأغان بسيطة ، ويصاحبوا الأغنية بأقدامهم أو أصابعهم . وحتى لو لم يعرف الطفل كلمات الأغنية كلها فيمكنه أن يحل محلها كلمات من عنده . ومن الشائع جداً بالنسبة للأطفال الذين تهيأت فى منازلهم الفرصة لممارسة بعض أنواع العزف كالضرب على مفاتيح آلة موسيقية ، أو شد صندوق موسيقى ، أن ينتجوا بعض القطع البسيطة الركيكة فيشتقون من هذا سروراً عظيماً . ولا يمكن الغناء أكثر شيوعاً على العموم فهو لا يتطلب خبرة .

وقد درس بوينتوز ٩٠٠٠ ولداً وبتاً بين ٧ ، ١٢ فوجد أن الأناشيد والأغاني المدرسية شائعة جداً فى السنين الأربعة الأولى ، ولكنها تقل بعد هذا فى مصلحة الموسيقى الكلاسيكية والشعبية والوطنية وبالمثل نرى الاهتمام يقل بالأغاني الدينية بينما يزداد الميل للموسيقى الراقصة .

وكما رأينا فى حالة الرسم تأتى بوادر البلوغ أى حوالى الثانية عشرة بضرمة قاصمة للموسيقى اذ يهجرها النصى فى كثير من الممالاة نتيجة لتعليمات المدرب المقيد أو سخرية زملاء ، ولذا لا يابجأ الفرد الى الغناء الا حينما يجد نفسه وحيداً . والحق أن معظمنا يسر للاشتراك الفعلى فى الغناء أو العزف فى الوحدة أو وسط جمع كبير اذ يطمئن الى انه لن يجتذب الانتباه ، مما يدلنا على أن



هذه الطريقة التعبيرية لا تهجر كلية وإنما تتعدل لتقابل الحاجات الاجتماعية .

أما عن الكتابة من قصص أو شعر فهي أوضح في مرحلتى المراهقة والبلوغ . وكثير من الفتيان ذوو المقدرة المتوسطة يتمنون ان يدخلوا في مجال الادب ليؤسسوا حياتهم ككتاب لأنهم يسرون للإعجاب الذى يصحب مثل هذه الميادين من الحياة وتنبئ المذكرات للمراهق فرحة جميلة للتعبير فيجد مجالاً للتنفيس عن انفعالات مكبوتة .

٩ اصلاح الآخرين : يبدو في أوضح صورته عند المراهق ، فهو في اعتداده بنفسه وتحمسه لمثله العليا يسعى للاصلاح ، ويأتى الوالدان والاشقاء فى المنزل ليواجهوا لى ضرباته . فشعر الأم «فلاحى» .. والاب يلقي الكلام على عواهنه دون لباقة .. كما أن حركاته على المائدة او أمام الضيوف مؤذية جارحة . والبنات أكثر اغراقاً فى هذا من البنين .

وبعد هذا يأتى دور المنزل .. فالاثاث بالعتيق ، ومزيج الالوان فيه غير متناسق ، والأضواء سافرة يمجها الذوق السليم . والبنات هنا أكثر حساسية نحو منازلهن وما تحتويه وكثيراً ما يصرحن انهن لا يردن أن تزورهن الزميلات فى المنزل لاسباب واهية كعدم الاهتمام بالحفلات ولكن الحقيقة أن الخجل هو السبب الأساسى .

وأخيراً يتجه النشء بنقده للخارج ، فالمدرسة أو الكلية بنظمها وتقاليدها العتيقة التى لا تتمشى مع روح الرجولة والزمالة ، والاصدقاء المحبون ، بل وحتى المجتمع الكبير ، كل هذا يصبح هدفاً للذم . ولقد يسخر الفتى من أصدقائه حتى يغيروا من طريقتهم فيفقد بذلك صداقتهم مما يسبب له فى كلتي الحالتين ألماً عميقاً .

١٠ - الملابس : يكتشف الطفل من سن مبكر أن الملابس تجتذب

الانتباه الى حد كبير ، ومن الشائع جداً أن ترى أحداً يتلطف مع الطفل بالجملة المعهودة « مين اللى عمل لك البلوفر الخلوده ؟ » ، بل ان رفاقه الصغار سرعان ما يلحظون ملابسه الجديدة ويلقون عليها باعجاب أو حسد



ويتمنى الطفل أن يلبس رداءه الجديدة بمجرد شرائه دون أن يهتم كثيراً بما سببه للظرف المعين ، وكثيراً ما تسمعه يفخر بما يلبسه لأول مرة في سذاجة « بص جزمتي الجديدة »

وتكتسب القطعة الجديدة أهمية أكثر في نظر الطفل لو قربته لأول مرة من الكبار ، كالبنطلون الطويل أو الجيب الخلفي أو القفاز . وفي مرحلة الاعتزال التي تسبق المراهقة نجد الغلام يعنى بارتداء كل ما يقربه من الجماعة حتى لا يكون مصدراً للتعليقات فهو هنا شديد الحساسية ، وكثيراً ما يضرب عن الخروج للنزهة لو لم يسمح له بارتداء البنطلون الطويل فهو موقن أن الانظار تنصبه من كل جانب .

فاذا ما انتهت مرحلة المراهقة الأولى تأرجح الفتى الى الطرف الآخر فهو يبالغ في ارتداء الالوان الصارخة والازياء المغايرة لمن حوله فقد أصبح يهتم الآن بالظهور وجذب الانتباه .

### ادراك الطفل الاجتماعي

ونعني به القدرة على فهم أفكار الآخرين وانفعالاتهم بملاحظة التعبيرات الوجهية والسلوك . وهو يتضمن القدرة على تقدير شخصية الآخرين بسرعة ودقة على ضوء الأدلة الموجودة ، وبهذا يمكن أن يتكيف الفرد اجتماعياً وينال نجاحاً معقولاً . فاذا استطاع الطفل أن يتفهم شخصية هذا إلى حد ما ويفرقها عن شخصية ذاك ترتب على هذا تعديل سلوكه هو ليتماشى مع الحياة الاجتماعية المقبولة .

١ - الاستجابة للكبار : واضح أن الطفل عند الولادة لا يشعر بنقص

صحبة الأشخاص ، فهو لا يفرق بينهم وبين الجماد . وهو يستجيب للمؤثرات في بيئته استجابة متعادلة ، اذ يمكنك أن تسكن الطفل الباكي برفع الوسادة دون لمسه أو اصدار صوت ما ، كما أنك لو تحسست وجهه بزجاجة اللبن لأدى هذا الى نفس النتيجة التي تتوفر لو ربت على الطفل بيديك .



ولقد رأينا في فصل سابق أن الطفل في الشهرين الأولين يستجيب  
للأصوات الحادة كالطرق أو الشخص شخياً أكثر مما يستجيب لأصوات الأشخاص  
ولكن الموقف ينقلب بالتدريج ، فهو في نهاية الشهرين يفرق بين أصوات  
الأجسام والأشخاص تبعاً للدور الذي يلعبه الآخرون في حياته ، وهو منذ  
الشهر الثالث يبدى الرضاء في وجود الآخرين بينما يملكه الحزن اذا  
ترك وحده .

وهكذا نرى الطفل يسكت عن الصراخ اذا رفعته من الفراش في نهاية  
شهرين ، وهو يستدير اذا سمع صوت الانسان . ومن هذا الوقت تقريباً يبدأ  
الابتسام الاجتماعي في الظهور اذ يبتسم الصغير تبعاً لابتسام الشخص .  
وخلال الشهر الثالث يصرخ الطفل عندما يتركه الكبير ، ثم هو يتألم  
لفقدان انتباهه فيحاول استعادته بشتى الوسائل . وفي الشهر الرابع يبدى  
تسكيفاً تقريباً نحو حمله بواسطة الكبير ، ويفرق بعض التفرقة في انتباهه نحو  
الوجوه ، وينظر في اتجاه الشخص الذى يتركه ، ويبتسم لمن يتحدث اليه ،  
ويبدى السرور للانتباه الموجه اليه ، ويضحك اذا لعبت معه .

ومنذ الشهرين الخامس والسادس يستجيب الصغير استجابات مختلفة مفرقاً  
بين الابتسام والتأنيب ، والأصوات الودودة والغاضبة . ومن ٦ - ٧ يضحك  
الطفل اذا أخفيت وجهك بمندبل ثم أظهرته قريباً منه ، ويقلد أعمالاً بسيطة  
كالتصفيق والتلويح بالذراعين ، ويبدى لأول مرة خوفاً من الغرباء .

وفي الشهر الثامن والتاسع يقلد الصغير بعض المقاطع التى يسمعها ، وقرب  
نهاية السنة الاولى يمتنع من عمل أشياء لدى قولك « كخ ! كخ ! » . ثم هو  
يصرخ أو يبتعد عند اقتراب الغرباء . فاذا ما اكتملت له سنة ونصف شاع  
لديه « العناد » والاعتراض وعدم قبول طلبات الكبار . ولكنه في سن سنتين  
يمكن أن يتعاون مع الأم في عدد من الاعمال المنزلية البسيطة .

٢ — الاستجابة للصغار : من الشهر الرابع للخامس يبدأ الطفل يبتسم



لرفيق صغير ، ويظهر الانتباه لصرخاته . وبالتدريج يتزايد اتصاله بهم ودياً  
او العكس بالنظر والابتسام ومد اليدين للاستكشاف وجذب الشعر  
والامساك باللعب التي معهم .

وهو بين ١٣ و ٩ شهرا يقلد سلوكهم وتبدو لديه رغبة في التعاون البسيط  
والاستعمال الاجتماعي للعب . ولكن الشجار مع هذا يصبح شخصياً وحاداً  
فهو يقدر الملكية بحيث اذا أخذ أحدهم لعبته غضب وانطلق يمارك ويصرخ  
ويتطور شعوره بسرعة خلال السنة الثانية، من ١٣ الى ١٨، اذ ينقل الاهتمام  
من اللعب الى الرفاق ، ويقل المراك قليلاً ليزداد التعاون ، بل ويمكن أن  
يتحد الاطفال قرب نهاية السنة الثانية في مجموعة لينتظروا اشارة المربية قبل  
البدء في تناول الطعام .

عامل التقليد : لكي يصبح الطفل واحداً من الجماعة يجب أن يقلد من  
حوله ، فهو في أول الامر يقلد الضحك والابتسام خلال الشهر الثالث ،  
وبعدها الحركات والاشارات ( باي باي ، هز الرأس ، ارسال قبلة في الهواء )  
منذ الشهر السادس ، وحوالي الشهر الثاني عشر يقلد الاصوات التي يسمعا  
( تشو تشو ، تيك توك ، دينج دونج )

عامل الانزواء : يأتي نتيجة لتفرقة الصغير بين المألوفين والغرباء فيسبب هذا  
لديه التراجع والحجل ، ويصل هذا الشعور ذروته من ٩ الى ١٢ شهرا فنسميه  
« عصر الغرابة » strange age وتراه هنا يتعلق بمن يحمله ، ويصرخ ،  
ويزم شفتيه ، فاذا أخذ الى غرفة أخرى بدت عليه نفس مظاهر الخوف .  
بل وحتى لو لبس الشخص المألوف ملابس الخروج استثار هذا لدى  
الصغير الخوف .

وقرب نهاية السنة الثانية يأتي « عصر غرابة » آخر ، وتتوقف مدى حدته  
على الفرص التي عرضت للطفل ليختلط بالآخرين وهنا يكتسب سلوك  
الطفل ما يبدو على النعامة المذعورة اذ يدفن رأسه في حجر أمه أو خلف قطعة



من الاثاث .

ويبدو التنافس أيضا قرب هذا السن ، فالطفل يأخذ لعبة زميله لا لانه يريدھا وليكر . لانھا تشعره بالسيطرة . وهنا يصعب لعب الاطفال مع بعضهم اذ يستمر العراك والضجيج ، ولا يستقيم الامر الا اذا لعب الطفل مع الكبير الذى يحب أن يتسامح معه كثيرا فيقدم له ما يشاء

وبازدياد السن يزداد اهتمام الطفل بزملائه ويقل اهتمامه بالكبار ، بل انه بعد دخوله المدرسة الابتدائية يعتبر اصطحاب والديه له فى الرحلات أو الحفلات والزيارات سخيفاءلا ، فهذا عصر الانضمام للمصاوبة ويتميز بالاهتمام بالالاعاب الجمعية ، والاتصال بجماعة يفخر بها ويخلص لها ويشعر بالانتماء اليها فهي أفضل بكثير من غيرها ، ثم عدم الرغبة فى اللعب مع الجنس الآخر ، ثم السرية التى تنتاب أعمال الجماعة .

وكثيرا ما يجتمع الصبيان هنا للعب الورق ، والذهاب للسينما ، وينظمون مكان الاجتماع ، والرحلات والحفلات ، والاتاج التمثيلي الذى يقومون به بأنفسهم ، فضلا عن اغاظتهم الاخرين . ولا يبعد أن تثور نوبات العراك ويفرق البعض فى السرقة ولعب الميسر والتدخين والجولان عدة أيام وتدير الشراك .

وبعد هذا يأتى عصر سلبى أو عنادى قبل المراهقة بقليل ، اذ يعتزل الفرد زملاءه ويكره المنزل والمدرسة والمجتمع كله حتى لتطيح هذه الفترة بصداقات وثيقة ماضية . وهو هنا شديد الحساسية يشعر أنه مظلوم وأن العالم كله قد اجتمع ضده .

فاذا جاءت المراهقة نما الشعور الاجتماعى ، فالفتى ليس واحدا فى جماعة فحسب بل ان واجبه أن يقوم بالكثير من الاصلاح فى سبيلها . فاذا وجد أنها لا تحقق مثله العليا حاول أن يصلحها وليكنه فى الغالب لا يفلح فيصيبه هذا بكثير من اليأس والجمود . والمهم هنا أنه يتمشى مع الجماعة فى اخلاص



يفوق ما لدى الصبي في مرحلة العصابات مدفوعا في ذلك لاختفاء الشعور بالقلق والخوف من أن يسخر به اخوانه لشذوذ مظهره ولذا نراه يتمشى مع طراز الملابس أو السلوك الذي يراه فيمن حوله في حرفة عمياء .

## ادراك الطفل المسكاني

يصعب الحكم على الاتجاهات والمسافات بالنسبة للأطفال الصغار ، ولا بد أن يتدخل عنصر الخبرة لعونهم في هذا السبيل فضلا عن نضوج أعصاب البصر . فلكي يحكم الطفل على الابعاد حكماً صحيحاً يجب أن يتعلم أن يقارن المسافة التي يود أن يقدرها بالاجسام المألوفة أي التي لمسها من حيث الحجم والبعاد . وأن يرى في درجة وضوح الشكل الخارجى ولونه وكمية التفاصيل التي تقع على العين أدلة ومفاتيح . وأخيرا عليه أن يتعلم أن يعتمد على الاحساسات المختلفة التي تتابع على العين والنتيجة من التلاقى أو الانفراج ليستعين بكل هذا على التقدير الصحيح .

ويندر أن نجد الأطفال الصغار يمدون أيديهم لما هو أبعد من ٢٠ بوصة مما يدل على ان لديهم تقديرا بسيطا للمسافات حتى قبل مرور سنة . وقد تصطدم يد الصغير بحاجز الفراش عفوفا فيحس صلابة الجسم المقاوم ، وربما قليلا من الألم ، فيدير عينيه الى مصدره وهكذا يبدأ في تجميع ما تقوم به اليد وما تراه العين في فكرة أولية عن الابعاد . وواضح أن المسافات القريبة هي التي تدرك أولا ، وبالتالي أحجام الأشياء التي يمكنه أن يمسك بها فعلا .

فاذا ما بدأ الصغير يمشى تهيأت له الفرصة لتقدير مسافات أكبر ، بكثير من البطء والمرونة بطبيعة الحال . وانك لتجد الصغير حتى في سن سنة ونصف يسعى لامساك القمر . . أو التقاط شعاع الشمس الممتد الى بساط الحجرة . . أو الامساك بصورته في المرآة . . أو جذب مسيل الماء من الاسفنجة كأنما



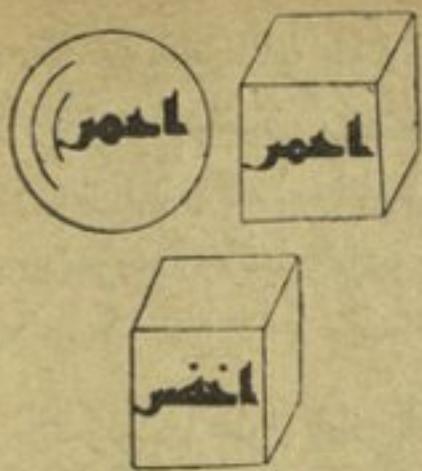
هو خيط . بل ومن المناظر المألوفة بالنسبة للصغار في سن متأخرة عن السن المذكورة أن نراهم يقفون أو يضغطون بأقدامهم على خيال بعضهم البعض لمنعه من مجاراتهم في اللعب والجري . وقد تبدو لنا هذه المواقف غريبة لأن مرأى وملبس هذه الاشياء العادية مرتبطان الى الحمى الذى لا يمكن أن ينفصلا فيه .

وبالتدريج كلما حاول الطفل أن يمسك بشئ عرف لا بعده فقط بل والاتجاه الذى يقع فيه . وإن ألعابه بالمكعبات والعربات والدراجات وغيرها سرعان ما تهيم له الوحدات التى تمكنه من تقدير المسافات القصيرة بدقة . أما الطويلة فلا لأنها بعيدة عن متناول جسمه كالبعد بين شجرتين أو ارتفاع بناء كبير فلا يمكن ان يتعرفها قبل حلول مرحلة البلوغ وحتى هنا كثيرا ما ينتاب احكامه بعض الخطأ .

وقد وجد أن التدريب على تعرف المسافات والاتجاهات والحجوم هام جدا . وتعمل اللعب واجهزة رياض الاطفال كالخرز والمكعبات والاسطوانات ولوحات الاشكال ، والتواهاات ، والدراجات والزحافات على القياس فى ضوء ما هو طويل أو قصير . ثم هو بدخوله المدرسة الابتدائية يتعرف البوصة والقدم والياردة والمتر الى غير ذلك ، حتى ولو كانت هذه شكلية يصعب عليه تطبيقها فى حياته اليومية . وما من شك فى أن قدرة الطفل على ادراك الفروق فى الشكل ومحاولة وضع الاشكال الصحيحة فى ثقبها تزداد تدريجيا حتى السادسة . كما تزداد بالتمرين .

وفى تجربة لدراسة أى العاملين يلعب دورا أهم . . اللون أو الشكل . . قام بريان وجود انف بتجربة تتمثل فى عرض شكلين واحد كروى والآخر مكعب بحيث يتفق كل مع أحد زميليه فى صفة معينة ويختلف عن الثالث كما يرى فى الرسم وهنا يطلب من الطفل أن يخرج شكلين متشابهين دون ذكر وجه التشابه .





وقد وجد في هذه التجربة أن  
الاطفال الاقل من ثلاث سنوات  
وأكثر من ست يختارون الاشكال  
المتشابهة بينما أطفال السن المتوسط بين  
المرحلتين يختارون على أساس اللون .  
وقد قام المؤلف ببحث على حوالي ١٤٠  
ولدا وبتأ مستخدما هذه الاجهزة مع

تعليمها وتنويعها بعض الشيء فوجد أن اللون يلعب دورا أكبر مما ذكره  
الباحثان . ولو أن الفكرة على العموم صحيحة

### ادراكه للوزن

يعتمد اصدار الحكم الصحيح على وزن جسم ما على تقدير الحجم من  
ناحية وعلى المعرفة السابقة للمادة المصنوع منها وثقلها بالنسبة لغيرها من ناحية  
أخرى . والشطر الاخير مصدر ارتباك كبير للطفل في أول عهده ، فهو  
لم يتعلم بالخبرة أن المواد تختلف في ثقلها ، وهو اذا رأى كرة من القطن على سبيل  
المثال فقد يحكم أنها أثقل من مكعب من الخشب أو قطعة من الرصاص أصغر حجما .  
ولعل هذا هو السبب في الحوادث المؤسفة التي تنتهي بتهديم الاواني  
والادوات المنزلية واللعب اذ تتساقط من بين يدي الطفل لانه لم يدرك بعد  
القدر المطلوب من التوافقات العضلية للاصابع والرسغ بحيث تتحمل ثقل  
الجسم الذي اعتبره هو أقل من الواقع .

وبالتدريج يتعلم الطفل أن يدخل اعتبارات المادة التي يصنع منها  
الجسم في حسابه ، فضلا عما تأتي به الالعب والادوات التي تقع تحت حسه  
من أفكار عن الثقيل والخفيف . وهكذا يكشف أنه لتحديد وزن الجسم  
عليه أن يلتقطه من الارض أو من على المائدة ولا يقنع بالنظر اليه . ثم هو  
إذ يضعه على راحة يده ثم يحركها الى أعلا وأسفل يتضح له وزنها أكثر مما



لو احتفظ بيده ثابتة .

فإذا أخذنا تعديل تيرمان لمقياس ستانفورد بينيه وجدناه يطلب من الطفل في سن ٥ سنوات أن يتعرف الفرق بين وزنين أحدهما ٣ جم والآخر ١٥ جم ولو أنهما متحدين في الحجم والمظهر الخارجى . وعلى العموم فإن هذه القدرة على ادراك الفروق في الثقل تزداد سريعا بين السادسة والثانية عشرة وهنا تصل لذروتها فتقارب قدرة البالغ .

### ادراكه للعدد

بمجرد أن يبدأ الطفل الكلام قد يردد ألفاظا تختص بالاعداد ، فهو يحمل شيئا على رأسه « ويبيع » فإذا سأله عن السعر فقد يلقى بعدد ما ، ولكن يشك فيما اذا كان بين الثانية والثالثة يدرك معناه ومتى يمكنه ان يستخدمه بطريقة لها دلالتها . وقد تعددت الابحاث العرضية على الاطفال ولكن الناحية الشخصية تغلب عايتها الى حد كبير أما التجارب العلمية فلا تزال الى الان قليلة لا يمكن الاعتماد عليها . وعلى أى حال فيمكن القارىء أن يعرض على الطفل فى أى عمر كمية من البلى فى يده مدة تمكنه من النظر اليها ولا تمكنه من عدّها ثم تطلب منه أن يقدر هذا العدد . وسيجد فى الغالب أن الطفل من الثالثة حتى السادسة يستطيع أن يقدر تقديرا صحيحا فى حدود بلية واثنين وثلاثا ، أما الرابعة فيختلف فيها مدى النجاح والفشل . وقد خرج دوجلاس من بحثه على هذه النقطة بان تعامل السنين والثقافة يتدخلان فى نمو الادراك العددي

وقد سبقت الاشارة الى محمول الطفل فى الاعداد اثناء عرض المحصول اللغوى فى فصل سابق وتحديثنا عما تضعه المقاييس العقلية كمستوى يبلغه الطفل المتوسط . والمهم هنا هو أن الطفل حتى قرب نهاية المرحلة الابتدائية قليل الادراك لما تعنيه الأعداد الكبيرة ، ونعنى بذلك ما فوق المائة . فهو فى تروس الحساب قد يستعمل أعدادا كالمائة والآلاف والمليون ، ولكنك لو سبرت غوره قليلا لوضح لك أنه يعنى بها مجرد « كثير خالص » . وقد يتحدث



مدرس التاريخ عن الهرم الاكبر فيذكر أن ارتفاعه ١٤٥ مترا فيقبل الصغار هذا العدد دون كبير اهتمام . ولسكنه لو قارن هذا البناء الشامخ بالمدرسة التي يعتبرها الطفل بالطبيعة من أضخم الابنية في بيئته الضيقة ، فقال للطفل : لو أنك بنيت فوق هذه المدرسة دورا ثالثا ثم رابعا ثم خامسا و . . حتى تصل للدور العشرين لما قاربت نهاية الهرم الاكبر . . أى أن الفراغة قد استطاعوا أن يضعوا عشرين مدرسة من نوع مدرستك فوق بعضها البعض ، هنا يمكن أن يقدر الطلبة معجزة الفراغة في فن البناء فضلا عن وضوح الفكرة القديمة الموهشة عن العدد .

## ادراكه للزمن

يظل الزمن مصدراً للغموض بالنسبة للطفل حتى في مرحلة متأخرة ، بل يشك في امكان الطالب في مبدأ المرحلة الجامعية اذ يدرس التاريخ القديح أن يدرك على وجه الدقة تتابع العصور الغابرة السحيقة التي يدرس رسومها على السكوف ، ودلالة التواريخ التي تصحبها .

فاذا ذكرت لطفل العاشرة أن الهرم الاكبر استغرق بناؤه عشرين سنة لنظر اليك في جمود . وهو لا يمكن أن يقدر مدى هذه الحقبة ومغزاها الا انه فسرتها له على ضوء عمره هو — وما من شك في أنه يعتبر نفسه كبيرا على وشك انهاء المرحلة الابتدائية — فقلت له : هل تتصور أن هناك بناء بدأ فيه العمال منذ أن ولدت ولم يكتمل ؟ ، فيجيبك : كلا ، بالتأكيد . . حسنا . ان صبيا مثله في عهد قدماء المصريين كان يمكنه أن يرى الهرم يبنى وهو صغير ثم يصل الى سنه الآن والعمل لا يزال يجري حثيثا ، ثم يدخل المرحلة الثانوية سنة بعد أخرى حتى تنتهى ، ومع هذا فهو لا يزال يرى أن أمام العمال السكوف ليصلوا بالهرم الى قمته . . !



ولعل عدم ادراك الطفل للزمن يفسر ما يبدو من عدم الطاعة اذ يخرج الصغير للعب ويتأخر كثيرا عن الموعد . فهو لعجزه عن الحكم على الزمن حكما قريبا من الصحة ، فضلا عن اهتمامه باللعب أو أى نشاط آخر ، قد يمر الزمن بأسرع مما يعتقد . بل لعل قلق الطفل أثناء الزيارة أو في رحلة بالقطار مرجعه الى أن الوقت يمر ببطء شديد اذا كان ساكنا لا يجد ما يشغله . وأوضح من هذا وذاك تقدير الصغير لطول الليل ، اذ نظراً لان النعاس يتسرب الى جفنيه سريعا ، ولانه ينام نوما عميقا لا تقطعه فترات الاستيقاظ ، تراه يظن أنه لم يذهب للنوم الا منذ بضع دقائق

وهكذا فنوع النشاط الذى ينغمس فيه الطفل في وقت ما يحدد طول الزمن ، « ففسحة الغداء » في المدرسة وقد تزيد عن ساعة تمر بأسرع جدا مما يمر أحد الدروس . والواقع أن ما نشاهده كثيرا من التكاثر والتعطيل في عمليات كالطعام أو ارتداء الملابس بين سن ٣ ، ٥ يمكن أن نعيده مبدئيا الى تقدير خاطئ للزمن . فيوم الطفل لا يزال حتى الآن مهوشا « مائعا » لا يزدحم كما هو الحال عندنا بالاعمال والمقابلات ولذا لا يرى أن التكاثر في عمل ما قد يتدخل في تعطيل غيره وضياع اليوم . بل ان عددا كبيرا من الاطفال في مرحلة الرياض والتعليم الابتدائي قد يرسبون في الامتحانات لانتهااء الوقت وهم لا يزالون يزحفون ويأبدا في اجابة كان يمكن ينتهوا منها لو شعروا بدلالة الوقت . وانى لأشعر ان من العبث أن ينبه المدرس تلاميذه الصغار في الامتحان بالجملة المعهودة « مضى من الزمن نصف ساعة » ، وانما من الاصلح أن يقول « يجب أن تكونوا قد انتهيت الآن من سؤالين ، أو ثلاث ، وهكذا .

فاذا لم يتعلم الطفل أن يضع ليومه حدودا معينة لآمال أعمال واضحة كتناول الطعام أو الذهاب لدورة المياه الى غير ذلك فإن من الخطر أن تتكون لديه عادات الخمول والتكاثر والاستهتار بالوقت وكلما استطاع الطفل أن يربط بالزمن أنواعا معينة من النشاط عملت



هذه كدلالات يعتمد عليها. فالنهار يختلف عن الليل لأن الأول مضى والثاني مظلم ، ثم هو في الصباح يلعب في الظهر ينام بعد وجبة الغداء ، أما الغروب فهو وقت الملابس النظيفة والخروج للنزهة . وبنفس الطريقة نجدد يميز أيام الأسبوع ، فيوم الجمعة هو اليوم الذي يقضيه الوالد في المنزل ، وقد يضاف الى هذا وجود أشقائه وشقيقاته ، وتبعاً لهذا قد يتعقد «روتين» الحياة اليومية فتخرج العائلة للزيارة أو لقضاء يوم في الخارج . وعلى العموم فلا يصل الطفل الى سن ٥ أو ٦ سنوات حتى يعرف في أي يوم هو ، ولو ان ادراكه للشهر والفصول يتأخر عن هذا سنة أو اثنين .

ولقد كانت التجارب لتقدير ادراك الطفل للزمن قليلة محدودة منها أن يطلب من الأطفال أن يحكموا على فترات من الزمن تتراوح بين خمس ثوان وخمس دقائق . وقد وجد إلـسـكن ، كما قد يجد القارئ اذا حاول أن يجرب ، أخطاء كثيرة ، فالمدد الطويلة يقللون منها بينما القصيرة يبالغون فيها . وإلـسـكن إلـسـكن يضيف إلى هذا أنه وجد أن أحسن تقدير كان في حالة الفترات الواقعة بين ٣٠ ثانية ودقيقة . كما وجد أن الأولاد أقرب الى النجاح من البنات في المدد الطويلة والعكس في الفترات القصيرة . أما معرفة تاريخ اليوم والشهر والسنة فيظل محدوداً قبل السابعة والثامنة حيث أن عمليات العد المطلوبة صعبة على الطفل ، وإلـسـكنها تزداد خلال السنتين التاليتين حتى تتضح في العاشرة

### ادراكه للدعابة

ليس هناك شيء مضحك في ذاته بل ان ما نراه مضحكا يعتمد كثيراً على المعاني التي نربطها به وما ندركه من علاقات ومفارقات . وهو كغيره يعتمد على الخبرات السابقة والذكريات التي ترتبط بالحديث . هذا فضلاً عن أن الاستجابة للضحك تعتمد على الحالة المزاجية والانفعالية للفرد ، فالطفل وهو



في ثورة غضب لا يرى ما يضحك في موقف قد يكون مضحكا جداً في حالة أخرى عادية ، هذا فضلاً عن أثر الحالة الصحية

طفل ما قبل المدرسة : وضعت السيدة فنتون ملاحظاتها شهراً بعد شهر

عن طفلها وخرجت بالقائمة التالية :

٤ أشهر : يلعب بالجهاز الصوتي

٦ أشهر : يشاغب من يخلع له ملابسه أو يلبسه إياها .

٧ أشهر : يرسل الفقاقيع في الماء اذ يشرب ، ويلقى ما يقدم له من لعب

الى الأرض .

٩ أشهر : يرقب سقوط اللبن من فمه فيتناثر على الأرض .

١٢ شهراً : يقلب وجهه في أوضاع مضحكة

١٤ شهراً : يختفي من الناس ويضحك اذ يبحثون عنه .

٢٤ شهراً : تحاول أن يدخل رأسه في أما كن ضيقة ، أو يقوم بحركات

تتطلب اتزاناً داعياً الآخرين للنظر اليه .

ويرى كيمنز أن الطفل وقد قارب دخول المدرسة يبدأ يلعب بالالفاظ

ويبدأ ما يسمعه يشير فيه الضحك أكثر مما يراه . وهو على الاخص يجد في

الجميل الغريبة الترتيب مصدراً للضحك مثل « بربرينا بنى منبر » وسرعان

ما يجد في هذه الناحية الكلامية مجالا فسيحاً فهو يلتقط الكلمات ذات

المعنيين لينى حولها نسيجاً .

في الطفولة المتأخرة : من السابعة الى العاشرة تلعب الالغاز والفوازير ،

دوراهاما ، وتقل بعدهذا . ويضحك الصبيان والبنات هنا لسقطات الآخرين

ومتاعبهم ، وللاخطاء التي يسمعونها في الفصول من زملائهم وخاصة اذا

كانوا يعرفون الاجابة . ويضيف آلن وهول الى هذا مصادر أخرى كالخروج

من مآزق ، وقلب الوجوه ، والكاريكاتور ، كما يسرون لمن يتحدى الساطة .

والواقع أن الاشرطة المضحكة تسر الاطفال لان الممثلين فيها يعملون أشياء



يود الصغير أن يعملها ولكنه يحجم خوفاً من السلطة . ويزداد سروره لو اتجهت  
مخرية الفيلم نحو من يمثل السلطة في نظر الصغير كالآب أو المدرس  
في المراهقة والبلوغ : واضح أن الغلام هنا لشدة حساسيته سريع الخجل  
والحرج ، ولذا فلا يمكن أن يدرك عنصر المزاح في موقف تدور عليه فيه  
الدائرة . ومع هذا فهو أكثر من أى وقت مضى سروراً وتقديراً للنكتة  
إذا قيلت على غيره فهذا يعطيه شعوراً بالراحة والسيطرة ، كما يراها أدعى للضحك  
كلها استعيدت .

### ادراكه للجمال

ان ما يراه الطفل جميلاً يعتمد الى حد كبير على الترابطات التي يكوها ،  
فالروابط السارة تجمع له يرى في الشخص أو الشيء الذي يراه جمالاً ؛ بينما  
الروابط المؤلمة تنتهى باعتباره له قبيحاً . وعلاوة على هذا فان كل ما هو جديد  
وغير مألوف يعتبر مخيفاً قبيحاً ، وبالعكس في حالة المألوف اذا افترضنا أن  
الروابط المتصلة به مناسبة .

وليس هناك شيء قبيح أو جميل في ذاته ، فما يحبه الطفل ويميل اليه يعتبر  
جميلاً ، والأشخاص الذين يحبهم هم على قدر كبير من الجمال مهما كان رأى  
الآخرين فيهم . ومما يعزز هذا أن عدداً كبيراً من الأطفال في سن ٥ سنوات  
اذا عرضت عليهم صور مقياس تيرمان لوجوه السيدات اختاروا في بعض  
الأحوال قبيحاً فاذا سألتهم لماذا تلقيت منهم أجوبة تكاد لا تخرج عن « هي  
تشبه ماما ، أو « طنط ، أو « تيته ، أو « الطباخة ، وهكذا .

ثم ان الصور الملونة تلويناً براقاً ، أو الممثلة للحركة والسرور والحفلات  
والآلات الضخمة ، كلها تعجب الطفل وتثير شوقه . كما انه يسر لآلة صورة  
تتضمن أناساً يقومون بأشياء عادية كأعمال المنزل ، أو الزوارق الشراعية ،  
والقطارات والخيول والسيارات . ولكن صور الطبيعة لا تشوقه الا اذا



احتوت أناسا أو حيوانات ترعى . بل ان قدرة الطفل على فهم ما تعنيه الصورة مسئولة الى حد كبير عن تقديره للجمال ، بدليل أنك لو عرضت على الطفل صوراً خيالية جميلة وأخرى واقعية لفضل الأخيرة .

ويعمل عامل الثقافة والمجتمع الذي يعيش فيه الطفل ليحدد الى مدى كبير ادراك الطفل للجمال ؛ فهو يتخلق بدستور الجمال الذي يضعه السكبار لطول اتصاله بهم ، وهو يقبل هذه الأوضاع ويعتنقها دون مناقشة أو اعتبار لميوله هو .

فاذا كبر الطفل قليلا وجدنا أنه من ٧ - ٨ يتركز اعجابه حول الازهار والحيوانات والدمى . وهو يبدأ حول الثانية عشرة في الاعجاب بالمناظر الطبيعية ولكنه لا يظهر اعجابه مطلقا بالمباني .

وواضح أن هناك فرقا بين الطفل والفرد في مرحلة البلوغ ، فالمؤثرات القادرة على استثارة الاحساس بالجمال تصبح أكثر تنوعاً ، فضلا عن أن الخبرات الانفعالية المصاحبة له أكثر وأعمق منها في مرحلة مبكرة حيث يقتصر الصغير على اعتبارها مجرد خبرة عقلية

وعلى العموم ففي مرحلة البلوغ نجد الفرد يفضل ألوانا باهتة واكثر ترابطا وانسجاما . أما إدراك الجمال الجسدى في الجسم الانسانى فيعتمد على تجمع المظاهر كلها التي تضافى على المرأة صفات الانوثة وعلى الرجل كل مظاهر الرجولة كما تحددتها الأوضاع الثقافية للجماعة . ثم ان « المودة » ، الحديثة عامل هام ، فهما نضجت ملامح الشخص كل على حدة فلا يمكن أن يعتبر جميلا الا اذا كان أسلوب الملابس أو الجلسة حديثا جدا .

ويظهر أن الروابط لاتزال تعمل هنا أيضا ، فقد وجدت هو لينجورث من دراسة صور الغلمان المتوسطين في الذكاء والمتفوقين أن الأخيرين يعتبرون بواسطة إخوانهم أجمل كما أن مصاحبات القبح أربعة :



١ - المتراجعون خلقيا ب - القذرون - ج ذروا المظهر الحيواني د - الضعاف  
أو المرضى .

واذن فالخبرات السابقة تتدخل لتلون الحاضرة في الفسكرة عن الجمال .  
أما عن اللون فكما صغر الطفل فضل اللون الفاقع . بل انك لا يمكن  
أن ترضيه بتقديم اللون المطلوب في بريقه . وهو يعتبر التظليل بالباستل  
والالوان الباهته قبيح . وتتغير هذه الحالة بتقدمه في العمر ، فاذا وصل للبلوغ  
اعتبر الالوان البراقة صارخة .. «فلاحى» . وقد يكون السبب في هذا راجعا  
للتدريب ، ويعزز هذا أن صبيان وبنات البيئات الأفقر لا يزالون يفضلون  
الالوان البراقة .





## الفصل الحادي عشر

### المنزل المصرى فى « قفص الاتهام »

تنقسم منازلنا المصرية من حيث نظامها أقسامها أربعة .. قسم يبالغ فى عدم الاعتراف بالطفل حتى لا يكاد يسمح له بالتنفس ، وقسم يبالغ فى الاعتراف به حتى ليعتبره السيد المطاع ، وثالث يتذبذب كبندول الساعة فتارة يتطرف فى القسوة وأخرى يتفانى فى التدليل ؛ وهذه هى الأقسام السائدة فى منازلنا .

بقى بعد هذا قسم أخير وهو نادر الوجود .. وأعنى به ذلك النوع من المنازل الذى يعطى طفله القدر المعتدل المناسب .. فيرضى الحاجة للاعتراف ، بالطفل الى الحد المعقول .. بحيث يخرج طفلا كامل التكوين الخلقى ، طفلا يعرف حقه على الآخرين كما يقدر كل التقدير واجبه ازامهم . فالمنزل يعرف كيف يعترف بالطفل .. ويرضيه ، ولكنه فى نفس الوقت يعرف كيف يوقفه عند حده .. فى هدوء .. وبدون تعنت .

وسيكون ههنا فى الصفحات القادمة ان نقيم اساس ذلك المنزل الاخير ثابتاً وطيداً .

### المنزل الاول .. نظام القسوة المطلقة

أكبر ظنى أن لكل من القراء ذكريات خاصة أو مشاهدات معينة فى هذا الصدد . ولكنى لا أريد أن أذهب بعيداً . فأمامى رواية تمثيلية تدرس ح قسم الأدب الانجليزى فى الجامعة ، كما عرضتها فرقة تمثيلية انجليزية على مسرحى الاوبرا وعنوانها « عائلة باريت بشارع ويمبول » . وان الانسان ليعجب كيف تمكن مؤلف هذه التمثيلية « رودلف بيزير » ، فى خمسة فصول قصيرة



من أن يؤسس ذلك المجتمع الصغير في صورة حية ناطقة. انك لتكاد تحس أنك تعيش بين عائلة باريت . . وتتابع على وجهك نفس الانفعالات التي يحسون بها . هاهم يسرون الى جانبك . جورج وهنرى والفريد وتشارلس واليزابيث وهنريتا، وتطالعك وجوههم كأشباح هزيلة متعبة ، طبع عليها الألم والحُرمان خطوطاً عميقة غائرة ، لا تكاد تستبين وراءها معنى الحياة أو الحيوية . وبين هذا وتلك يقف ادوارد باريت الأب . . عملاقاً ثابتاً كالطود الراسخ . . يلقي بظله الاسود القاتم على كل من أبنائه وبناته فيحجب حياته جميعاً لا يطاق . وفي احدى المواقف تندفع هنريتا على غير وعى منها مستفيضة في وصف ذلك الجحيم لأحد الاصدقاء الجدد .

هنريتا : كلا . . كلا . . يامستر يفن ان المسألة ليست كذلك . المسألة . . ( وفجأة تندفع الكلمات من بين شفثيها في ثورة حديدة جارفة ) المسألة هي انه لا شيء . . لا شيء مطلقاً في هذا البيت ينبغي ان يحدث بدون تصريح واذن أبى . ربما كنت تعلم انه كان يقتنى عبيداً في جمايكا ويستخدمهم في مزارعه . ولما ثار الزنوج في امريكا واستعادوا حريتهم كان من الطبيعي جداً ان يقيم ابى نظام الرقيق في مكان آخر . . وأى مكان احسن من هذا ، هنا وفي انجلترا ؟ . . وعلى ضوء هذه الكلمات القليلة سنحلل هذا المجتمع الصغير بشيء من التفصيل لنرى الى اى شيء يقودنا نظام العبيد .

الخوف : لعل أظهر شيء في حياة هؤلاء الشبان والفتيان هو تملك عنصر الخوف عليهم بشكل غريب . ففي الثلاث أو الاربع مرات التي يظهر فيها الاب على المسرح تسبق ظهوره حالات واضحة جسداً من القلق والفرع الشديدين .

وهكذا تتتابع الفصول والجو مكهرب يسوده الرعب الغريب . ولكن المؤلم أن عامل الخوف هذا قد اكتسب حالة الاستدامة وتأصل في طبيعة الصغار حتى لا يصبحوا يخافون كل شيء . إن أية حادثة بسيطة تروعونهم



وأى صوت مفاجئ . يرسل الاضطرابات المستيرية الى أبدانهم . اسمع  
 « أو كى ، اصغر الاخوة وهو « يته » ، فى كلامه بشكل واضح . و « التته »  
 كما قلنا نتيجة مواقف انفعالية تنسم بطابع القلق والخوف . وانظر الى  
 « جورج » أكبر أفراد العائلة وهو على أبواب العمل بعد أن تعلم ونال أعلى  
 الدرجات الجامعية تجسده متأكدا أنه سيفشل لا محالة . لماذا ؟ لانه يحس  
 بضالة شأنه وسط الآلاف من اخوانه .. ولانه يخاف ذلك الطريق الجديد  
 الذى لم يعتد السير فيه . وتأمل هنريفا هذه الفتاة الناحلة الهضيمه .. هى عصبية  
 المزاج حادة الصوت تضحك لأقل سبب وتبكي لأقل سبب . يختلج وجهها  
 وتغمز بعينها اليسرى فى حركات عصبية . لماذا ؟ لانها تعودت أن تخاف من  
 أبيها وهى صغيرة ، وأن تتحفر للابتعاد عنه اذا ما رآته مقبلا نحوها أو مارا  
 الى جوارها ، وأن تنهيا لاختفاء وجهها واغماض عينيها اذا ما تهددها . واحتفر  
 هذا السلوك الدفاعى المتكرر طريقا عميقا فى تصرفاتها وكيانها العصبى  
 فأصبحت تؤدى هذه الحركات الدفاعية الحادة كإشارات أباه أو تهددها أى خطر .  
 وكبرت وتأصل هذا السلوك فى نفسها فأصبحت تقوم بكل حركة فى حدة  
 وتوتر .. فأذاها على الدوام مرهفة ، وعيونها قلقة زائغة ، ويدها ترتفع فى  
 حركة عصبية سريعة الى دبوس تشبكه فى صدرها ، وهى حركة قديمة كانت  
 تقصد بها اخفاء وجهها من أبيها ثم تعدلت بمضى المدة .. !

هذه رواية حقا ولكنها مقتطعة من صميم الحياة . ها هم شباننا المصريون  
 يخرجون الى الحياة بالالوف فى كل عام ولسكنهم لا يحملون من الشباب الا  
 الاسم فقط وبعض المظهر الخارجى . أما معدنهم الداخلى .. أما الرسالة التى  
 يؤدونها .. فهى رسالة أرنب مذعور .. ! أو قولوا انهم ك « لاعب » البسبس ،  
 الذى يضع كل جوارحه فى أطراف أنامله ، ويحشد كل ما يملك من سرعة  
 ونشاط ليتفادى الضربة التى يتوقعها على يده .

ان شباننا لا يعرفون من الحياة سوى انها ضربات . ويحسبون أنفسهم



سعداء كل السعادة لو تفادوا منها ضربة أو ضربتين . لماذا ؟ لان رأس مالهم « الخوف » . ان الشاب منا لا يجرؤ أن يقتحم ميدان العمل الحر . وكم يكون سعيدا لو حصل على وظيفة حكومية في أحد الدواوين ، في الدرجة السادسة أو السابعة . فتراه يتشبث كل صباح بالمركة الأخيرة للترام ليصل في الميعاد ، وهناك يتلقى تعليمات الرئيس ، ثم يعود الى منزله حاملا « بطيخة » في يده ، وفي اليد الأخرى دوسيهات العمل التي لا تزال تحتاج لاستيفاء .

ان الشاب منا لا يجرؤ أن يهاجر من مكان الى مكان ، مهما صادفه من متاعب هنا ومغريات هناك . وشعاره في هذا « اللي نعرفه أحسن من اللي ما نعرفوش » . ومن يدري .. ربما صادفته المتاعب حتى في الرحلة القصيرة التي تعرض له الى الخارج . ربما غرقت به الباخرة فحوادث البحار كثيرة .. ربما سرق أحدهم نقوده فمن أين ينفق في بلاد غريبة ريثما تأتيه النقود .. ربما وجد الفنادق مزدحمة فلم تيسر له الراحة أو التمتع بالنزهات .. ربما مرض أحدهم في المنزل أو مرض هو في مكان ناء فإذا يكون المصير .. ؟ ربما .. آلاف الافتراضات .. ! أليس من الأفضل أن يتربث قليلا ريثما يتثبت ؟ ويظل يتربث ويتربث حتى يمرض فعلا أو يحدث أي حادث بسيط يروعه فيقول لقد أحسنت صنعنا بالاحتياط .. !

ويقولون ان المصريين شعب مسالم هادئ . يحب الاستقرار .. وأقسم انه لقول مضحك حقا . الى متى نظل نطلي السم بالعسل ؟ ألا دعونا بالله نزيح هاته الزهرات اليانعات التي تخفى تحتها قبورا دفنا فيها شجاعتنا وإيماننا . إنا لسنا شعباً هادئاً مسالماً . لاكننا شعب خائف .. ! انا رضعنا لبان الذلة والاستخذاء مع أول قطرة من اللبن شربناها . إنا تعلمنا أن تنكش وتجمد أطرافنا تحت ظل القسوة القائم .. وفتحنا عيوننا فإذا الحياة غول مخيف يصير بأمنانه كأنما ليلتنا .. تعلمنا أنا نقطة صغيرة حقيرة في بحر خضم



لأنهاية له ، فعدونا الى مخادعنا بعيداً عن عيون الآخرين ، وهناك بين  
الشهقات والدموع أخذنا بنى عالمنا الذى نتمناه من الخيال .. عالماً براقاً ملوناً  
مرصع الحوائثى والأطراف .. جذرانه من الشوكولاته ، الدسمة اللذيذة ..  
وأبوابه مرصعة بالحلوى الملونة الشهية .. فراشه وثير يتأرجح بك فى نشوة  
طاغية .. وأثاثه خيول وعرائس ومراجيح . وحتى صنوبر الماء اذا فتحته  
تلقيت منه شراباً وردياً جميلاً .. لماذا؟ الآن عالم الحقيقة قاس مرير .. فعلينا أن  
نعيش فى عالم الخيال الذى نبنيه نحن من لاشئ ..

ونخرج الى الحياة ورأس مالنا الخيال . انا نخشى أن نواجه الحقيقة ..  
نخشى أن نواجه الانوار الصاخبة والمجتمعات والاندية .. لانا تعلمنا أن  
نتروى فى حجر اتنا ونحن صغار عندما يأتى الضيوف .. نخشى أن نخطط طريقاً  
جديداً .. نخشى أن نستوضح المعلم نقطة فى الفصل لئلا يسخر بعض التلاميذ ..  
أو نتكلم فى اجتماع ونحن كبار لئلا يكتشف الكبار ماقد نجمل .. لانا تعلمنا  
ونحن صغار أننا مصدر سخرية وهزأة ، لانه لم يطلب منا ابداء الرأى فى أية  
مناسبة ، لانا نشعر انا أقل من الآخرين .

وهكذا يتقدم الشاب منا الى ميدان العمل وهو راغم مضطر .. يتقدم  
اليه بعد تردد كبير وبعد أن تفلت منه فرصة واثنان وعشر .. يتقدم اليه بعد  
أن أغلق عليه باب حجرته أياماً بأكملها ، وظل يقبله على وجوهه المتعددة ،  
فاذا سأل صاحب العمل فى الاختبار الشخصى سؤالاً معيناً رد بكيت واذا  
تكلم عن الموضوع الفلانى أجاب اجابة أخرى .. وهكذا يظل يدور فى  
حجرته كالفار الحبيس حتى يشعر أنه استعد استعداداً مناسباً ووضع لنفسه  
برنامجاً معيناً محدوداً ثابت الأركان . ثم يخرج فى صبيحة اليوم التالى واذا  
بفلان بك الذى يود مقابله للتوسط له لدى رؤسائه مشغول اليوم ، وهى  
حادثة عادية تتكرر عشرات المرات فى مصالحنا الحكومية ، ولكن ذهن  
صاحبنا قد تسمم بالخرافات والخزعبلات .. ومرعان ما يفسر هذه الحادثة  
بأنها مدبرة ضده ، وأنها حلقة من سلسلة سوء الحظ الذى يلاحقه فى كل



مكان .. وإذن فما جدوى مقاومة قوى جبارة تتلاعب به كما تشاء ؟ ويفر صاحبنا الى حبرته ليخفى في الخيال همومه وأشجانه ، وقد تأكد لديه اعتقاده السابق أنه فاشل لا محالة .

أوقد يقابل صاحب العمل فينفرد به هذا قليلا ليختبره .. ومع أن صديقنا قد استعد وعمل حسابه لسكافة الاحتمالات الا أن استعداده بطبيعة الحال كان ناقصا أعرج ، فهو استعداد مبني على الخيال ، فهو لم يتقدم الى ميدان العمل قبل الآن ، ولم يتردد عليه في ضوئه السافر الصحيح . و فرق بين أن تقابل الاسد في الخيال وأن تراه يتوثب على قيد خطوات منك . وهكذا قد يسأله الرجل سؤالاً غير متوقع .. أو قد يجه اتجاهها مخالفاً لما رسمه في ذهنه . ولو كان هذا مرنا قليلا لاطاع .. ولكن ذهنه وتفكيره وشعوره وجوارحه .. كل هذه للأسف قد تحددت وجمدت وثبتت داخل برنامج معين رسمه لنفسه وظل يستعيد ويستزیده طيلة الايام الماضية في وحدته . فلما تصدع هذا القالب في ركن من أركانه برز شبح الفشل امام صاحبنا حتى قبل ان يخلق . وهكذا يحس الطفل بضعفه وعجزه فيتردد .. وينهار البناء كله .

ثم هو اذ يتقدم للعمل وسط عشرة شبان يشعر في قرارة نفسه انه اقل منهم بكثير . ومع أن دراساته ومؤهلاته العلمية لا تنقص بل ربما زادت عنهم كثيرا ، الا ان هذا الشعور يفقده نصف قوته على الاقل . وهو شعور ألفه منذ نعومة أظفاره تحت ضربات العصا الحديدية وزئير الوالد الجبار فتعلم انه كمية مهمة لا يحق له ان يرقى الى ما يناله المحيطون به . وهكذا قد يتخطأ شاب واثنان وخمس ، مع انهم لا يساوون في تفكيرهم العلمي بالنسبة له دريهمات معدودة .. كل هذا وهو سعيد اذ نال في وسطهم موضعاً لقدم واحدة .



وإتكرر هذا في كل مناسبة يبدأ فيها عملاً جديداً . . هو يتقدم للزواج لا كما يتقدم غيره للفتيات بعد مقابلات متعددة ، واتصال مباشر ، ودراسة عن كُتب ، ولسكنه يتقدم له في حجرته المغلقة الهادئة . . ! هو يتقدم إليه بعد تفكير وتردد طويلين . وكما بنى قديماً في حجرته عالمه الوهمي البراق ، كما أقام جدراناً من « الشوكولاته » ، وأبواباً من الحلوى ، ودواليب مليئة بالكعك والفطائر ، وصنابير يسيل منها الشراب . . هكذا بنى عروسه من خياله . . ففى جسدها رشاقة جسد فينوس آلهة الاغريق ، وفى عينيها صفاء عيني ديانا آلهة الصيد ، وفى اخلاقها وداعة العذراء اذ تحتضن المسيح . وهكذا يتقدم الى عروسه حاملاً تمثاله الفنى الكامل ، والكمال غير موجود فى الحقيقة .

ويطبق صاحبنا فتاته على التمثال فلا تنطبق . . فهى بشر على كل حال لها أخطاء وهناتها . و بعد يوم أو يومين من العذاب المبرح الاليم يقرر أن يضغط التمثال قليلاً ليسويه بفتاته . ولو كان التمثال مرناً لاطاع ، ولسكنه للأسف هش كعود القش الجاف . . فلا يكاد يثنيه حتى ينكسر ويتهاوى بين يديه كأوراق الخريف الذابلة .

وهكذا فى كل مثل أعلا يتعهد ويرعاه يتحطم . . وكل بقعة من الارض يضع عليها قدمه تتهاوى وتنزل . وحتى مثل المرأة الذى ظل يراوده أعواماً عشرة منذ تفتح قلبه للعالم الجنسى . . هذا الحلم الجميل المنمق أصبح كابوساً ثقيلاً يخنم أنفاسه . انه كان شقياً تعسا قبل أن يتزوج . . كان العالم كله يسخر منه ولا يقدره ويفهمه . كانت الاقدار كلها تتأبضده ، وكان يـجـو أن يجد شريكته التى تقدره وتفهمه فيخلقان معا عشهما الذى يأويان اليه بعيداً عن العالم ، ويمكن اذا بالمرأة التى علق عليها كل هذه الآمال تنضم الى زمرة العالم الخارجى . هى ظاهرة أخرى من ظواهر الحياة الواقعية التى يخافها ويتباعسد عنها . ألا ما أشقى الحياة ! .



ولكن المسكين لا يعلم أن زوجته عادية جدا وأنه هو المخلوق الشاذ... وكما صدمته الحياة بكافة مرافقها ونواحيها لانه تقدم اليها مسلحاً بأمانى وأوهام تذروها الرياح... هكذا صدمه الزواج لان « فستان الفرح » الذى فصله لزوجته كان رداءً واسعاً فضفاضاً طوله عشرة أقدام وعرضه خمسة... وأية سيدة يمكنها أن تملأه؟

ليس الذنب ذنب زوجته... لا ولن أستطيع أن اقول انه ذنبه هو، ولكن لنقل انه ذنب أبيه... أبيه الذى علمه كيف ينكمش ويفر ويعدو الى حجرته هارباً... أبيه الذى علمه معنى الخجل، والانزواء، والشعور بالضعف والهوان. ان هناك وفي قرارة نفوسنا نحن الآباء والامهات... تترقد روح ادوارد باريت. وتعاليم ادوارد باريت... التعاليم القائمة على نظام العبيد الذى يتبع أهواء السيد، النظام الذى تديره الرأس الجسامدة الصلبة وتطيعه الاذنان وهى مغمضة العينين لاتملك نقضا ولا ابراما.

أثر الخوف على التغذية: من مظاهر الخوف حالة القيء وهى من صعوبات

التغذية التى نواجهها كثيرا فى منازلنا الدكتاتورية... ولعل تجربة « كانون » توضح هذه العلاقة الى حد ليس بقليل. فقد تابع كانون بطريقة التصوير بالأشعة عملية الهضم المنتظمة عند القط. ثم أحضر أمامه كلباً شرساً أوقع فى نفسه الرعب والهلع فلاحظ أن عملية الهضم قد توقفت فجأة عدا حدوث تغيرات عضوية أخرى. فاذا كان الجهاز الهضمى يتوقف كلية عند حدوث انفعال الخوف العنيف فهل من العجيب أن تضمحل القدرة على استبقاء الطعام فى المعدة فيقذفه الطفل من جوفه دون ارادة على اثر مشهد رهيب يجبر فيه على أن يتناول كمية معينة أو لونا خاصا من الطعام؟

ان الواحد منا نحن الكبار قد نجد نفسه يوما فى موعد الطعام ضعيف الشهية وأن من الافضل أن يؤجل الوجبة نصف ساعة يقبل بعدها عليه فى نشاط. كما قد يحدث ألا يستسيغ صنفا من الاصناف قد تكرر عرضه خلال الاسابيع



الآخيرة فيود لو استعاض عنه بصنف آخر . أو قد يمل الإنسان طعام الإفطار في المنزل فيفضل أن يسير على قدميه في نزهة صباحية جميلة يصل بعدها الى مطعم أو كازينو ، هادى . على شاطئ . النهر فيطلب طعاماً بسيطاً يتناوله بكل شهية وسرور . أما الطفل المسكين فيجب ألا يخرج عن النظام الآلى الاصم ، فالطعام له مواعيد يجب ان تقدر مهما كانت الحالة ، والالوان التى تقدم هى اصح وأفيد ما يمكن فيجب ألا يرفض الطفل أحدها مهما تكرر أو يقترح تحويرا . . . اما اذا طلب المسكين ان يؤتى له بالطعام فى الشرفة حيث المنظر أكثر بهجة ورواء ، أو لو طلب أن يأكل على مائدته الصغيرة الملونة على سبيل التغيير ، فتلك هى الطامة الكبرى ، فالطعام « نعمة » مقدسة ويجب ان يتناول « بالشكر والاحترام » ، وفى المكان المخصص له والا « منعه الله عنا ، اذا تلاءمنا به أو تمنعنا قليلا . . !

لعل من الواضح ان التغذية يجب ان تنهى فى جو من السرور والهدوء . وهذا بالضبط هو ما يدفعنا الى نصيح الكبار ألا يفكروا باستغراق أو يقرأوا باهتمام أثناء الطعام ، ونصح الطائفة ألا يستذكروا بعده بقليل ، فاللون الانفعالى هام جدا أثناء هذه العملية وبعدها ريثما يتم الهضم . ولعلنا نقدر بعد هذا مدى الخطأ الذى وقع فيه بحسن نية اذ تأمر اطفالنا وهم مستغرقون فى ألعابهم الحبيبة بترك اللعب الى غرفة المائدة ، فنحن نعتبر التغذية العامل الاساسى لإسعاد الطفل . أى لون انفعالى ذلك الذى يفرض نفسه على الطفل وهو يجلس ليتناول طعامه وقد ترك فى الغرفة الأخرى كل ما يشتهى فى اللحظة الحاضرة . . . علينا ان ننبه الطفل فى هدوء اذا رأيناه منصرفا بكليته الى شىء معين الى ان الطعام سيكون معداً بعد دقائق فعليه ان يستعد لترك ما يشغله عندما نناديه . أثره على الجهاز البولى : يضاف الى أعراض الخوف أيضا حالة التبول

اللا ارادى . ولعل تفرغ المثانة هو من مصاحبات الخوف حتى بالنسبة لنا نحن الكبار . فالجنود معرضون لهذا عند بدء نزولهم الى ميادين القتال أو



بعد تعرضهم لمحنة شديدة من الخوف . وبـنفس الطريقة كثيرا ما يحدث في المنازل التي لا نعترف بالطفل ويتسلط فيها الخوف من العقوبات التي يفرضها الوالد أن يحلم الطفل أحلاما مزعجة - يتخللها الكلام أو صرير الاسنان - عن الشياطين والمردة .. أو عن قاطرات وآلات تدهسه وتهشم أعضائه .. أو ثعابين أو كلاب تنقض عليه . والاحلام ظاهرة من ظواهر الكبت ، اذ تدفن نوبات الخوف النهارية الناتجة من نظامنا المستبد وعقوباتنا الجائرة في اللاشعور ، ثم تظهر في الليل في صورة عنيفة . وهب الطفل جازعا متصبب العرق ، فاذا به قد بلل ثيابه وفراشه . وفي الوقت الذي كان يمكن أن تغلب على هذه الحالة بأن نهى للطفل الامن والاستقرار اللذين يفتقدهما .. ونكون نحن الاباء بمثابة مرشدين واخوة كبارا يتبادل الطفل واياهم العطف والتقدير فيفتح صدره لنا ويسر بمخاوفه وآلامه حتى نعمل على ازالتها بتكرار التفاهم في شأنها في ضوء عادي فلا ترسب في اللاشعور . في الوقت الذي كنا نستطيع ان نكسب هذا الطفل الى حظيرة المجتمع الصالح ونخلص من هذه العادة المرذولة بيت الثقة في النفس .. اذ بنا كما يحدث دائما في مثل هذه المنازل تنحى عليه باللائمة ونعرض به في تهكم أمام الضيوف قائلين انه دعيـل وشخاخ .. !

انا نعتمد في علاج مثل هذه الحالة - بعد الانتهاء من المثيرات الخارجية - على الطفل نفسه أولا واخيرا . فاذا انتهينا من توفير النواحي الصحية والجسمانية .. كالتحقق من سلامة الكلى والجهاز البولي وعضلات المثانة ، واذا اتبعنا نظاما ثابتا للمأكولات التي يتناولها الطفل في العشاء بحيث لا تزيد ادرار البول ، ولجأنا الى ايقاظه قبل منتصف الليل بقليل لتفريغ المثانة - ويمكن تحديد هذه اللحظة بالضبط اذا تناوبنا السهر على الطفل حتى تثبت من اللحظة التي يبول فيها على الفراش - اقول اذا انتهينا من المؤثرات الصحية والجسمانية وساعدتنا البيئة على توفير الامن للطفل فلا يبقى أمامنا سوى هذا الأخير وعليه وحده



يعتمد العلاج.. علينا أن نفهمه ان هذه الحالة حالته هو شخصيا ولا يمكن ان يساعده احد منا على التخلص منها ، وهو بما له من قوة العزيمة والارادة يستطيع ان يتحرر منها كجميع زملائه . وهكذا نستطيع ان ندرك مدى الخطر الذي يصحب النظام القاسي في منازلنا اذ يقضى على شخصية الطفل وشهوره بالمسئولية فيكون ذلك نقطة الخطر التي تنهار عندها طريقتنا في العلاج

الخوف من الحسى : ان تكرار استثارة الخوف عمل ضار حقا . فكم

منا يستخدمه كحقن مستمرة وسط تحذيرات دائمة وهو يظن انه بهذا يضمن للطفل سلوكا متفقا مع المجتمع ، فعظم النواهي تنتهى بتهديدات مبالغ فيها وليس من النادر أن تسمع جملا مثل : اوعى تطلع لسانك تانى.. مرة ولد عمل كده وما قدرش يدخل لسانه وفضل لا يتكلم ولا ياكل .. ، أو : اوعى تضرب القطة لحسن ربنا يحرقك بالنار ، أو : ما تطلعش في الشارع لحسن الكلب يا كلك ، وهكذا . وقد تؤت هذه التهديدات ثمارها في الظاهر فلا يخرج الطفل لسانه أمامنا ويبعد الاذى عن القطة ونضمن عدم خروج الطفل من المنزل في اللحظة الحاضرة ، ولكنها تترك في حياته العقلية ندوبا غائرة .. . وانه لخير ألف مرة أن يتدلى لسان الطفل من فمه عشرات المرات في اليوم أو تسام القطة العذاب من أن يقف الطفل عاجلا أو آجلا على مبالغة هذه التحذيرات وبعدها عن الحقيقة فتضيع ثقته بوالديه وبالتالي تنهار ثقته بالبيئة كلها . أو قد يتأثر الطفل بالخوف حقا فيصبح جزء من شخصيته كما رأينا في حالة جورج باريت .

والعجيب أن « القطرة » التي نحب أن يقبل الطفل على استعمالها كلها ألم به عارض بسيط في العينين .. والشرطى الذى يعتمدون عليه كثيرا في البلاد الأوروبية في سلامة أطفالهم أننا ذهابهم أو عودتهم من الرياض ، فيوقف حركة المرور الشديدة ليحبر بالأطفال الشارع حاملا بعضهم على كتفيه وهم يضحكون ويجذبون ملابسه وخوذته .. والله الذى نود أن تكون لدى طفلنا



من ناحيته علاقات طيبة وشعور بالشكر للمكافآت والعناية ، اذا بكل هذا ينقلب خلال تخويفاتنا الحمقاء التي تسارع الى ازجائها في مائه مناسبة ومناسبة كل يوم الى مصادر للفرح والاجتناب . فاذا جاءت اللحظات التي نود فيها أن يستعمل الطفل ، القطرة ، أو الدواء ، أو يسأل الشرطى ، عن شارع معين ، أو يذهب معنا الى عيادة الطبيب ، للكشف على أسنانه ، أو يصلى الى الله ، طالبا منه المعونة والحماية ومقدما الشكر والعرفان . . اذا جاءت هذه اللحظات وانكش الطفل كما هو منتظر انهلنا عليه باللوم والتقريع وعاقبناه بقسوة ، وهكذا ندور فى حلقة مفرغة نبدأها بخطئين وننتهيها متعسفين

ينبغي أن يكون الامر على العكس من هذا تماماً . فاذا كان طفلنا يخاف شيئا حسيًا كحيوان معين أو انسان يشغل وظيفة معينة كالفحام أو عامل المجارى الذى يصعد من بطن الارض ، أو الشرطى نتيجة لتخويف من الخارج أو تجربة قاسية فلنجعل الطفل يألف بالتدريج ، وبدون أى انفعال أو اهتمام وقلق ، ما يخيفه . وأعرف طفلا فى الرابعة تركه والداه نائماً فى المساء ثم خرجا لعيادة الطبيب ، وبينما هما عائدان تذكر أنهما نسيا مفتاح الباب فى المنزل . ودق الوالدان الجرس طويلا فهب الطفل من نومه جازعا فى الظلام وصاح ينادى والدته ، فأجابه صوتها برقة من الخارج يدعوه ليفتح الباب . وذعر الطفل واتباه خوف شديد . وعبثا حاول والداه فى صوت هادى ، أن يعطياه تعليمات بشأن فتح الباب اذ بينما كان يحضر كرسياً ليقف عليه سقط ، فهو فضلا عن صغر سنه كان مضطرب الحركات ولعله لم يفهم كيف ترك والدته فى المنزل وذهب لينام ثم اذا بهما فى الخارج وقد عجزا عن الدخول . . وبين بكاء الام وصراخ الاب الذى نفذ صبره مر الطفل المسكين فى تجربة من الخوف قاسية . وظل الحال كذلك حتى احضر اصحاب المنزل مفتاحاً فتحوا به الباب .

واتتاب الطفل بعد هذا خوف من كل ما له صلة بالابواب . المفاتيح .



دق الجرس . . وعلى الاخص الابواب المغلقة ! وقد نحسن صنعاً لو تذكرنا أن مثل هذه المخوفات وإن كانت تبدو أمامنا سخيصة حمقاء إلا أنها بالنسبة للطفل حية مجسمة ، ولذا ينبغي ألا نهزأ بها بل ندعه يتكلم عنها وعن الموقف حتى لا يدفن في اللا شعور فيشب الفرد وهو يحمل بين جنبيه مصادر الخوف من أشياء بسيطة ضعيفة الخول تجعل منه أضحوكة أمام الآخرين . فالخوف من « الصراصير » و « الابراص » و « الفيران » شائع جداً بيننا نحن الكبار ، مع أن الواحد منا يعلم تماماً أن الصرصور حشرة ضعيفة جداً قد يركبها بقدمه فتتمزق أوصالها ولكنه لا يفعل . وإذا كان التاريخ يحدثنا عن قواد جبابرة خاضوا غمار الحروب بين قصف المدافع وصايل السيوف فلم تختلج عضلة واحدة في وجوههم ، ولكنهم يفتشون خيامهم قبل النوم ليتأكدوا من عدم وجود فأر أو قطرة سوداء . . . وإذا كانت الحربان الأخيرتان قد أنهتا إلينا أنباء جنود وضباط شجعان نالوا أوسمة الشرف لإقدامهم ومجابهتهم الموت ، ثم إذا بهم يصابون بهلع شديد عند دخولهم مكاناً مغلقاً كما لو انهار مدخل الخندق أو الخبأ الذي يحتمون فيه وهي مواقف عادية جداً بالنسبة للملايين من الجنود العاديين الذين لم يبرزوا كثيراً في المعارك . . . أقول إذا كان التاريخ يحدثنا عن هذا وذاك فليس هناك تفسير لهذه الظواهر الغامضة سوى ما تعاقب على الفرد وهو صغير من مواقف مخيفة هزأ بها الكبار لسخفها فرسبت في اللا شعور . . كحالة الطفل الذي نحن بصددده والذي استيقظ على صوت والديه يدقان الجرس والباب مغلق بينهما وبينه .

وقد دأب الوالدان بعد هذا على اصلاح طريقتهم بعد التعليمات التي قدمت لهما فحاولا أن يجعلوا الطفل يألف ما أمكن هذا الموقف فيتنفق معه الوالد مثلاً على أن يلعبا « الاستغماية » فيختبئ أحدهما في الغرفة ويغطي الآخر عينيه حتى إذا مضى بعض الوقت قام ليبحث عن زميله . ويتعمد الوالد مثلاً أن



يغلق باب الحجره التي سيختفى فيها فاذا تسامل الطفل في فزع عن السبب سارع الوالد الى القول بلهجة طبيعية «مش نقفل الباب عشان ما تشوفنيش وأنا باستخبي..؟» تقدر تخليك مفتاح عينيك عشان تتسلى في البلكون لغاية ما أقول لك خلاص.. ويفتح الطفل الباب بعد ذلك ليبحث عن والده فينفتح بسهولة. وبالتدريج أمكن ان يدخل الوالد في اللعبة ظروفا متعددة حتى يقر بها من الحالة المفزعة الأولى كأن يأخذ معه جرسا يدويا صغيرا في الغرفة الأخرى حتى اذا دقه علم الولد ان والده قد استعد.

وتستخدم طريقة «التفريغ الانفعالي» هذه بنجاح لعلاج الامراض العصبية التي خلفتها الحرب الأخيرة بغاراتها وأهوالها المفزعة. وهناك عدد ليس بقليل من سكان أوروبا لا يسمعون صوت بوق سيارة أو فرقة اطار أو أرن طائرة حتى يصابوا بأبلغ مظاهر الفزع فتأخر صحتهم ويتعطل انتاجهم مدة طويلة. وقد هبت الحكومات لمعالجة هذا الخطر المائل بطريقة منظمة، فلقد طالعنا الأنباء بان المستشفيات قد انتشرت في أنحاء إنجلترا لتضم مثل هذه الحالات ثم تعمل تجارب منظمة تصطنع فيها مواقف مفزعة كتلك التي حدثت في الحرب بالاشتراك مع سلاح الطيران والمدفعية بصورة ضئيلة عديمة الضرر، حتى اذا عانى المريض مظاهر الخوف الهستيريه نتيجة للدوى و«القنابل» بدأ العلاج بالتقدم لهذه الظواهر بالتدريج والتثبت من قلة ضررها مع الاشارة الى انتهاء حالة الحرب.

الخوف من المعنوى: هناك خوف من أشياء معنوية كالخوف من الظلام

مثلا وهو نتيجة لقلّة خبرات الطفل مع تلون حياته بلون خيالي، اذ سرعان ما ينسج خياله أشياء غير صحيحة يخافها كما يخاف الأشياء الحسية. وهنا يجب أن نتسامح مع هذه الخبرة أكثر من أي شيء آخر، فالطفل معذور كل العذر، وعلينا عن طريق الدعوة للتقليد والاصطدام المباشر بالحقائق أن نؤكد للطفل أن أوهامه غير صحيحة وأن ظنه في غير محله كأن ندخل نحن الغرف المظلمة ثم



ندعوه لمصاحبتنا بصوت عادى ودون اهتمام أو ضغط فاذا أبدى تمعنا تركناه  
لفرصة أخرى . أو قد نضئ النور فى غرفة نومه أثناء تعبيره عن الخوف  
فيكتشف الطفل أن هذا « العفريت » الطويل الرفيع جداً ليس إلا « الزعافة »  
التي تستعمل لتنظيف السقف . ويمكن لنحذر أن نبقى النور مضاء ليلاً فى غرفة  
النوم أو نستجيب لما يرغب بحيث يخصص له من ينام الى جواره ، فهذا بمثابة  
تأكيد منا بأن هناك ما يخيف . قد نحتاج إلى اضاءة النور بعض الوقت فى أول  
الأمور ثم نخففه بالتدريج . هذا مع اتباع الطرق التي سبق ذكرها من تسهيل  
أمر النوم حتى لا يصاب الطفل بالأرق أو الأحلام المزعجة ، وذلك بعلاج  
ما قد يكون هناك من لوز أو زوائد أنفية ، وعدم تخويفه أثناء النهار بالشرطة  
و « الشطة » والكلاب ، أو العقوبات القاسية . كما يجب ألا نرسله للنوم وفى  
أذنيه تتردد قصص خرافية مزعجة عن الغيلان والمردة والوحوش الغامضة .

ومن أمثلة الخوف من أشياء معنوية الخوف من الموت على أن رقصة حمقاء  
عن شخص دفن حياً أو تعذب ، أو على أثر خبرة ملونة بلون انفعالى عنيف  
إذ يفقد الطفل شخصاً عزيزاً كالآب أو الأم أو يرى منظراً قد يستغلق عليه  
فهمه ويربطه بالموت . وقد حدث أن ذعر طفل ذعراً شديداً لدى رؤيته  
دجاجة ترقد على البيض تقوم من رقدتها وتنقر بيضة فيبدو من تحتها رأس  
الكتكوت مغمض العينين وشبه ميت . وأغلب الظن أن الطفل قد خشى أن  
يمر فى نفس هذه المحنة فيتعرض للموت على يد والدته أو شخص من العائلة .  
ولكنى استطعت أن أفهمه عن طريق الخبرة الحسية أن الدجاجة لم تقتل  
الكتكوت مطلقاً بل انها على العكس كانت تساعد على الخروج من البيضة  
إلى الحياة

ولعل هذه النقطة الأخيرة .. تربية الحيوانات والطيور .. تهى لنا مفتاحاً  
جديلاً لعلاج خطر خوف الطفل من الموت . والأطفال جميعاً مغرمون بتربية  
الآرانب والكلاب والمصافير والدجاج . فلنم عندم هذا الميل ما أمكن .



وفي كل مرة يملك الطفل عصفورا يحبه ويطعمه ثم يموت .. قطعة تشب في المنزل ثم تمرض وتموت .. كتكوتا يفقس ضعيفا فلا يكاد يخطر قليلا حتى يموت .. يتقدم الطفل لظاهرة الموت في ضوء طبيعي هادئ بعيد عن مظاهر الانفعال التي يفاجأ بها وتقلب حياته العقلية رأساً على عقب اذا حدثت في حالة الانسان وخاصة اذا كان شخصاً عزيزاً

أثر الخوف على السلوك : الخوف يورث الطفل هماً وكآبة مقيمين ، ويشعره بعدم استقرار البيئة ، وهو ما نعينه بالأمن . وليس من النادر والحالة هذه أن يلجأ الصغير الى سلوك انسحابي مستسلم كالاغراق في أحلام اليقظة والنزوع للوحدة واشتقاق بعض اللذة من أعضاء جسمه . وهكذا تنشأ عادة مص الأصابع والعادة السرية . . أو قد يهتمهم الطفل لنفسه في صوت خافت أو يتسلى بهز نصف جسمه الأعلى في حركات منتظمة تتطور في الكبر الى هز السيقان أو حركات النقر بأصابع اليدين أو طقطقة الاصابع أو الرقبة وهي حركات شائعة بين الكبار .

أوقد يحدث العكس تماماً فتخرج منازلنا القاسية المستبدة أطفالاً ينحون إلى الاعتداء . فالكذب والسرقة والتخريب والاعتداء كلها نتائج ليست بغريبة إذا كانت البيئة تشيع القلق في نفس الطفل ولا تهمل له الاستقرار والأمن .

وقد تناولنا في مناسبات سابقة بعض مظاهر السلوك الانسحابي أثناء علاجنا لمص الأصابع والعادة السرية وأحلام اليقظة وسننتهز الفرصة هنا للإشارة الى تلك التي تصحب السلوك الاعتدائي :

الكذب : لا يظن القارىء الكريم أن نظام الخوف يؤتى ثماره حقاً فاذا عدنا إلى التمثيلية التي كنا بصددنا وإدوارد باريت الأب يصرح ليلاً إحدى قريباته وقد جاءت تزورها مدة أسبوع بأنه قد استطاع أن يكبح شهوانه بارادة من حديد ، وأن لا شيء هناك يدعى الحب ، بل هو شهوة



أخرى من شهوات البدن الدنيئة ، وأنه قد تمكن بحمد الله من أن يشفى منها أطفاله ، ومع ذلك فلا يمضى على بيلا أكثر من يومين حتى تكتشف أن المنزل « يموج بالمغامرات » فهزينا تقابل حبسها الكابتن كوك وهو ضابط فى حرس الملاحة فكتوريا ، و « أوكى » الصغير يطارحها هى الغرام . وحتى الزايث ، هذه الفتاة المريضة الضعيفة ، تقابل شاعراً شاباً يفيض بالحياة المتفجرة يستطيع بحبه العميق وتعبيراته الملتبها الدافقة أن يثبت فيها الرغبة للحياة فتتفضل عنها شحوب المرض لترتد فتاة مرحة صحيحة تتلف للحياة . كل هذا والوالد يشكر الله إذ استطاع أن يحجب أذهان أطفاله هذه الحزبات التى تدعى الحب . . . ١ .

ولكن الكذب كمص الأصابع لا يصل إلى هذه الدرجة الحادة إلا إذا كانت السلطة باطشة كما هو الحال فى البيئة القاسية وبمعنى آخر إذا أسىء تناوله بفضل المستويات الخاطئة التى نضعها فى مجتمعا الكبير ، إذ سرطان ما نتكرم بتعليقاتنا الجميلة « كذاب » ، بلاش « كذب » ، وهكذا ، لمجرد أن نسمع طفلاً صغيراً يقص قصصاً خيالية عجيبة وهو يؤكد أنها حقيقية . وقد سقت للقراء مثلاً من هذا النوع لطفلة قصت حكاية طويلة جذابة عن عصفور ملون حملها على جناحيه ومر بها بين السكواكب والنجوم .

واسكنك مع هذا تقرأ قصيدة « الملاح التائه » لسكولريدج الانجليزى حيث يصف عوالم غريبة تأسرك وتخلب لبك دون أن تحط من قدرها لبعدها عن الحقيقة . الواقع أن هذا النوع من « الكذب » فى الأطفال الصغار ، مضافاً إليه الميل القوى للتأليف والانتاج الأدبى والشعرى فى مرحلة المراهقة ، هما أساس الكتابة الشعرية والقصصية عند الكبر .

والواقع أن الطفل الصغير له قدرة كبيرة على التخيل فسرعان ما تطفئ هذه على الحقيقة . وإذن فيمكننا أن نعتبر مثل هذه القصص أو الأقوال نوعاً من اللعب نشاركه فيه بعض الشيء . ويمكننا أيضاً أن نسلم له بأنه



يستطيع أن يؤلف قصة مسلية جذابة أمتعنا، ولو أننا لم نفكر لحظة واحدة في تصديقها .

ويقرب من هذا إلى حد كبير اختلاط الامر على الطفل العادى فيحتمل حلها فاذا استيقظ قص الحلم كأنه حقيقة واقعة لا احتمال للشك فى امرها . هنا ينبغي أن نتسامح أيضا فما دامت البيئة عاقلة فسرعان ما يزول هذان النوعان بمجرد تثبيت الطفل من عالم الحقيقة وتحدد قوة التخيل الكبيرة بقيود الواقع .

فاذا كبر الطفل واستمر يكذب أضحت المسألة باعثة على العناية والاهتمام ، وفى الغالب نجد الخوف والشعور بالقلق وعدم الاعتراف بالطفل هى السبب ، فالطفل الذى يعتمد على المبالغة والفسر - ويشاركه فى هذا الكثير من الكبار بصورة مخزية - ينسب لنفسه تصرفات وانتصارات كثيرة نحن نوقن أنها لم تتوفر لديه . هذا الطفل فى حاجة إلى علاج ينصب على البيئة . فى حاجة للعطف والتقدير وإعادة اعتبار الذات التى فقدتها عن طريق القسوة الجائرة والتعابير المستمرة . وقد نحسن صنعا لو لم نطلب منه أكثر مما تمكنه قدرته من أن يحقق ، فلا نزعج به فى المدارس فى الوقت الذى لا يستطيع صحيا أو عقليا أن يسار من حوله ، أو ندعه بين أولاد يفوقونه جسمانيا أو ماليا فيشعر إزاء كل هذا بالنقص ويحاول أن يعرض فى المبالغة والكذب ما يرى فيه نفسه متراجعا فى الحقيقة .

وقد يصل تعسف البيئة وجورها حداً يجعل الطفل يتحداها ويضرب بقوانينها عرض الحائط . وفى موقف عاصف رهيب يعرض لنا مؤلف التمثيلية كيف ينزع الوالد سر هنرييتا من بين شفيتها وهو يضغط معصمها بقسوة فتقر انها تحب الكابتن كوك . وهنا يجعلها تقسم ويدها على الانجيل انها لن تقابل او تتصل او تحاول ان تسمع شيئا عن هذا الضابط . ويهددها بأنه لو شك فى انها حدثت بقسمها فسيلقيها الى الخارج عارية . تماما كما تسلمها



من الشيطان الذى يسكن جسدها ، ...  
وتحنت الفتاة بقسمها مرة ومرات ويدارى عليها الجميع . ويقابلها أبوها  
يوما وهى خارجة تقابل حبيبها فيسألها « هل تذكرين القسم الذى اقسمته ؟ »  
فتجيب دون ان تطرف « نعم » ! .

ويسمى مورجان الكذب الأخير « الكذب الوقائى » وهو ناتج عن  
شعور هنرييتا بحور العقاب وما يتهددها من متاعب إذا ضبطت ، كما ينتج ايضا  
عن تأكدها بأن الصراحة لن تجدى فى تخفيف العقاب . وقريب من هذا إلى  
حد كبير كذب افراد العائلة وهم يتسترون عليها ويدعى « الكذب الوقائى » .  
ومن امثله ما يحدث فى المدارس وعلى الأخص فى المرحلة الثانوية إذ يتهم  
أحد الطلبة باتيانته جرما فيسدى باعتراف كاذب بأنه حقا قد اتاه بينما هو يعلم  
يقينا ان فلانا هو المذنب . وفى الوقت الذى كان يجب أن تكون السلطة  
المدرسية أو المنزلية بمثابة قائد او مرشد يشعر ويشترك فى مشاكل الطفل التى  
يعرضها هذا دون دعوة او ترقب ظاهرين إذا بنا تنصب عصينا ومشانقنا فى  
كل مكان ونستدعى اطفالنا حتى من النوم لنكمل تحقيق الأمل ونحن نظن  
اننا نحصل على الحقيقة بينما يمرح الشر وراء الستار . ان مما يسر الصغار أن  
يتفننوا فى الكذب و « يستغفوا » هذا الكابوس الكريه فيبدون فى ثوب  
البطولة فى نظر أنفسهم وزملائهم ، ويسمى هذا « الكذب العنادى » .

ولسكن على عكس ما رأينا فى الكذب الوقائى حيث يتماسك الصغار لدرء  
الخطر عن احدهم قد يحدث ان يلقي أحد الأطفال تبعة الذنب - كذبا - على  
زميل له صغير لم يفعل شيئا . ويحدث هذا كثيرا إذا أقننا « مخاكننا » الرهيبة  
فى منازلنا فاذا دعى الطفل « الكذوب » للادلاء بما يعرف فسرعان ماتسرح له  
فرصة الانتقام . إنا نرتكب هنا خطأ مضاعفا ، فنحن إذ نشجع الكذب  
بقسوتنا لانقتصر على هذا وإنما نفرق بين الصغار ونجعل منهم أعداء فنعطل  
الصفات الاجتماعية السامية التى هى عماد المجتمع السليم . . صفات التعاون



والتضحية بالذات والوفاء . ويخطئ المشرف في المدارس الثانوية كل الخطأ لو حاول ان يصل في تحقيقه الى الحقيقة عن طريق الدس بين الطلبة ومصادقة بعضهم واعطائهم بعض الامتيازات لينموا ويكونوا عيوناً له ضد زملائهم . ولقد سمعت يوماً أحدهم يلقي هذا التذية على طلبة القسم الداخلي ، ان استحضار الطعام المحفوظ والاحتفاظ به في الدواليب ممنوع . ولا يظن احد منكم اذا هربه خفية من فوق السور ان الأمر سيجوز على ، فيبينكم من الزملاء المخلصين من هم اعرافى وسيكونون رقباء عليكم في غابر النوم .. في دورة المياه .. في الحديقة .. بل وحتى وأنت نائم داخل « ناموسيتك » ، لا تظن انك وحيد .. !

ألا سحقاً للطعام المحفوظ إذا كان منه . سيتحقق على حساب هناك ذلك المجتمع الصغير .. ! لقد تفرق هؤلاء الطلبة وكل منهم يحمل بين جنبيه خوفاً دفيناً . ترى من يكون هؤلاء الجراسيس والمخلصون ؟ لا بد انهم بعض الطلبة السكبار ، ففي إمكانهم أن يتلاعبوا بالآخرين بفضل قوتهم وجاذبيتهم فيكونوا موضع الاسرار ثم يسرعوا بها للمشرف . ولكن لا .. ! لا بد انه يعتمد على التلاميذ الصغار الذين يبدون في ثوب من البراءة والسذاجة فيندسسون بين الجماعات دون أن يثيروا الريسة فيعلموا عن الزملاء ما يودون أن يخفوا . أو لعله يعتمد على هؤلاء وأولئك .. بل من يدري ؟ قد يكون صديقي الذي يلزمني على الدوام وارتاح له كثيراً واحداً منهم . ليتني ما ذكرت أمامه كذا وكذا فلا بد ان هذه المعلومات لدى المشرف . يا لله ! لقد أقبل الفراش فعلاً .. أهذه السرعة ؟ ولكن لا .. انه يقصد واحداً آخر . الحمد لله .. سأكون حذراً فلا اصادق مخلوقاً أو أبوح بأسراري لأى كان . سحقاً لهذه المدرسة .. ! ان كل مكان فيها موبوء .. حتى في الفراش كما قال المشرف يخيل إلى ان العينين تتبعاننى وتهتكان سترى .. ! ومن يدري ؟ ألا يجوز أن يدعى على القوم شيئاً حتى يبدوا « مخلصين » يؤدون واجبهم ، وبالطبع سيصدقهم صاحبنا فهم موضع ثقته ؟



هذا هو المجتمع الذى سنخرج به من نظام التخويف هذا .. مجتمع ممزق  
الأوصال يشيع فيه الشك والعداء .. والوجوم والاعتزال . وسرعان ما يعير  
الطلبة بعضهم بعضاً بأنهم « عيال » وجواسيس ، فتتكرر الحوادث والاشتباكات  
والبلاغات الكاذبة ، ويزداد العبء على صديقنا المشرف الذى ظن أنه بنظام  
« الجستابو » يستطيع أن يضمن استتباب الطاعة والنظام .

من المهم إذن أن نقدم على مواقف التحقيق فى منازلنا أو مدارسنا بمنتهى  
الحذر ، فلا تكن معلوماتنا عن الحادث مقلقة ، ولا يجب أن نعتمد على شهادات  
طفل كذوب فهذا سيترك له الفرصة ليلقى عبء الجرم على غيره ممن يكره ،  
ولنكن دائماً بالنسبة لأطفالنا أصدقاء كباراً يعتبروننا محل ثقتهم . فضلاً عن  
أننا نحن نبدو كما لو كنا نثق بهم فلا نفترض دائماً الكذب بمجرد أن يتحدث  
الطفل فهذا يثير حفيظته . وقد سمعت يوماً طالباً صغير السن يقول لزميل له  
وهو يظن أنها وحيدان « لا يمكن أن تكذب على ( فلان ) أفندى .. إن قلبك  
لا يطاوعك على الكذب ، فعيناه العليمتان بكل شيء تبعدوان كما لو كانتا  
تصدقان كل حرف تنطق به فكيف تكذب ؟ ! »

وبعد .. فهل يتصور القارىء الكريم أن هناك نسبة هائلة منا تنقل الكذب  
إلى أطفالها عن طريق التقليد فكأننا نسمم حياتهم العقلية بأيدينا ؟ وشكراً  
لسيداتنا اللاتي تعذر الواحدة منهن الى زائراتها عن سبب تغييبها عن رد الزيارة  
السابقة فتذكر قائمة بأمراض كانت تعانيها طيلة الأسبوع الماضى فلم تتمكن  
من ترك الفراش ، بينما الطفل يسمع ويعلم أنها قضت الأسبوع الماضى فى  
نزهات وحفلات ولم تمر عليها فترة كانت فيها أحصح مما هى الآن ..! وشكراً  
لآبائنا الذين ينزفون فى جبراتهم ويكلفون الطفل بان ينهى إلى الضيوف  
الثقلاء أنهم غير موجودين ..! وكم مرة تصحب طفلك فى نزهة جميلة ثم يجبك  
شيء فنشتريه ولسكنك تخشى أن تذكر ثمنه الحقيقى لزوجتك فتتفق مع الصغير  
على ذكر ثمن مخالف وتنبه الى أنه يجب ألا ينسى أو يخطئ . وكما أنما أنت تعلمه



أصول الكذب .. بل كم مرة تفتح زجاجة دواء الصغير وتتناول جرعة منها كأنما لتشجعه وأنت تقول : « الله ! طعمه حلو خالص » . كل هذا وأنت تحاول أن تعتصب ابتسامة بينا وجهك ينطق بأبلغ معاني الاشمئزاز !

السرقه : هي مظهر آخر من مظاهر السلوك الاعتنائي يصحب البيئة القاسية الجائرة التي لا تشعر الطفل بالأمن . وكما قلنا عن الكذب في أول عهده نرى معظم الأطفال يتعرضون لنوع معين من حب التملك في مستقبل عمرهم لو عالجناه بحكمة وتسامح لا تهى هذا الدور دون ان يخلف وراءه أثرا شادا .

والواقع أن غريزة التملك هذه دافع فطرى موجود في الأطفال كلهم وهي بالاضافة الى قلة خبرات الطفل في أول عهده بالحياة وعدم وضوح فكرة الملكية عنده قد تدعوه لأن يفتح درجك فيتناول صورة ملونة أو ورقة من فئة العشرة جنيهات — ونسبة تقدير الطفل لكتيها واحدة — ويضيفها الى قائمة محتويات درجه هو . وينسى الحادث بعد هذا نسياناً تاماً . ويكتشف ضياع النقود دون أن يجدى البحث ، والوالدان لا يسانان الطفل بطبيعة الحال . ثم إذا باحدهما يفتح درجه لسبب عادى بعد أيام فيجد ما كان ضائعاً فيصعق ! . وقد يعقب هذا فى منازلنا الجبارة موقف انفعالى عنيف يتناسب وقيمة الشئ الضائع والتعب أو الخسارة التى تسببت عن تعطل وجوده وقت أن كان مطلوباً . ولشدة دهشة الطفل يسمع كلاماً غامضاً مثل « حرامى ! بتسرق ! تروح السجن ! » وهكذا . وقد يكفى حادث مثل هذا وما قد يتبعه من عقوبات لتذنيه الطفل لنوع سافر من السرقة وهو شائع أيضاً يقصد به الانتقام بينما بدأت المسألة عن طريق عدم فهم فكرة الملكية على الوجه الصحيح .

وكثيراً ما يحدث أن يزور الزوج والزوجة وطفلهما عائلة أخرى عندها أطفال . ثم يحين موعد انتهاء الزيارة وإذا بالطفل الضيف يصر على أخذ اللعبة التى كان يلعب بها هو وزملاؤه ولا غرو فقد أعجبت وسببت له سرورا



كبيراً. وبالطبع لا يستسيغ أطفال البيت هذا الاقتراح، ويستمر الجذب والارخاء فلا يتمالك الكبار أن يتدخلوا في المسألة فيزيدوها تعقيداً. وهنا تسمع أقوالاً عجبية. يقول الضيوف: «أيه اللي عاجبك في الاتومبيل ده؟ ما عندك واحد زيه وأكبر منه في البيت»، ولكن الطفل لا يجد مانعاً من إضافة أتومبيل آخر إلى قائمة الألعاب التي لديه.

كل هذا والوالد يشفق من افساد الزيارة والموقف كله بالضغط على الطفل. ولكن هذا يصر على الاحتفاظ برأيه، خصوصاً وهو يسمع أصحاب البيت مثلاً يقولون لا أمه، يا اختي حرام.. يعني أيه مش عيل.. يعني هم الولاد يلعبوا بيه؟ وحياتك يا اختي اللعب كلها منشاله في الدولاب ما يفكروش يطلعوها غير لما ييجى حد أدغم من بره،. وهكذا يتعقد الموقف بين عبارات التودد والانتهاز... يتخللها صراخ الاطفال وبكاؤهم، حتى يقرر الوالدان أن يضعاً حداً للموقف وأمرهما إلى الله فينتزعا اللعبة من الطفل ويجراه معولا با كيا على السلم تشيعهما عبارات الاحتجاج من المضيفين لهذه «القسوة التي لا مبرر لها، فأيه نهاية هذه للزيارة؟

لعل بما يفيدنا ويخطو بنا في الطريق الصحيح أن نتنازل لحظة عن كبريائنا الذي يملئ علينا أن ننعت مثل هذه الاعمال بالسرقة، والميل للاعتداء، وبوادر الاجرام، وغير هذا من الأوصاف التي تسارع دائماً إلى القائها بمناسبة وغير مناسبة.. الأوصاف التي اخترعها مجتمعنا الكبير وألصقها بأنواع من السلوك الشاذ الملتوى بيننا الطفل لا يفهم لها حتى هذه اللحظة أى معنى. متى نقدر أن مشا كل الاطفال لا تنشا من طبيعة الطفل، الشريرة، كما يشاء البعض منا ان يعتقد.. متى نقلع عن ان ننظر للعمل كشيء منفصل قائم بذاته لا تحركه دوافع من وراء الستار، وان نلصق به من المعاني والتعبيرات ما يحيطه بجو من الرهبة والجزع...؟

إن هذه الحالة التي عرضناها الآن، تعنى بكل بساطة أننا قد أخطأنا في



تقدم الطفل لفكرة الملكية على أساس صحيح . هناك ما هو ملكي ،  
وهناك أيضا ما هو ملكك . هناك حقى الذى لى ، وهناك أيضا واجبى إزاءك ..  
واجبى هو أن أحترم ملكيتك وحقوقك ، والطفل الذى نحن بصددده الآن  
ينحصر خطؤه فى أنه فهم الشطر الأول وأغرق فى فهمه ، بينما نسى الشطر  
الثانى وأغرق أيضا فى نسيانه . الطفل يفهم أن هذه اللعبة ملكه فلا يريد أن  
يتخلى عنها لمخلوق ، ولا يمكنه لا يفهم أن اللعبة الأخرى لعبة زميله وبالطبع  
لا يحب أن يتخلى عنها لشخص آخر . وإذن فيجب أن نقدمه لفكرة الحق  
والواجب على أساس صحيح ، ونقدمه لها بالترتيب الذى يفهمه الطفل ،  
الخطأ عندنا هو أننا ننتظر من الطفل أن يعترف بالواجب الذى عليه إزاءنا  
وإزاء زملائه قبل أن يتثبت من حقه

كيف نحقق إذن هذا الشطر الأخير ؟ أمامنا فرص كثيرة .. هناك أشياء  
عديدة تتكرر على الطفل كل يوم ويمكن أن يشعر أنها تخصه ، أنواع الأكل  
التي يفضلها ، أواني الطعام وأدواته الصغيرة ، المكوب الملون الذى يشرب  
فيه ، بل وغرفته الخاصة وهى أهم من أى شئ آخر ، بما تحويه من فراش  
ومنضدة ودولاب ، والأخير بما تحويه من ملابس وأدراج يحفظ فيها لعبه ،  
كل هذه تشعر الطفل أنه شخصية مستقلة لها حقها وملكيتها ، وما دام نفس  
الشئ يحدث مع أطفالك ، فكل منهم له أدواته ودرجه الخاص ، وما دمت  
لا تعتدى بأى حال من الأحوال على ملكية أى طفل بدون استئذان ، إذن  
فتأكد أن الاطفال بهورهم ، بعد أن ترسب فكرة الحق فى ذهن كل منهم ،  
سوف يقدرّون فكرة الواجب نفس التقدير ، ويحلونها من انفسهم نفس  
الاعتبار . يستطيع الطفل أن يقبل كلامك عند ما تقول : الساعة دى بتاعتى  
وما احبش انك تلعب بيها من غير ما تقول لى ، إذا حبيت تسمعها ابقى  
انده لى وانا اسمعها لك فى ودنك وهى فى ايدى . نعم يستطيع الطفل ان يقبل  
هذا برضاء وهدوء لأنك انت بدورك لا تقترب من ساعته الصغيرة « اللعبة »



الا اذا طلب هو منك أن تلبسها إياه . يستطيع الطفل ان يدخل إلى حجرتك فيرى كتابك المفتوح عند الصفحة التي وصلت اليها ، وبجانبه نظارتك الثمينة التي لا تستطيع ان تقرأ بدونها ، ويمر على كل هذا هدهده ، فلا يمس احدهما او يفسد نظامه ، لانه تعلم بينه وبين نفسه انهما كتابك ونظارتك ، وقد تعلم ان يقدس فكرة الملكية مادام الآخرون يقدسونها بالنسبة اليه

اما ان توزع الحلوى على الاطفال ثم يعن لك ان تغير الوضع فثأخذ قطعة من واحد لتضيفها لنصيب آخر ، اما ان يأتبك زوار فلا تمنع في ان ياخذ طفلهم احدى لعب طفلك اعتمادا على انه كان قد تركها مدة طويلة ، اما ان يترامى لك ان تمزج وتلاعب بشعور الطفل فتشرب من كوبه للصغير الملون او تتظاهر بتعليق بذلتك على شماغه الدقيقة وتضحك من الموقف الناشئ عن هذا او غيره ، مع ما يستثيره ذلك في نفس الطفل من احساس لا يستطيع ان يفسرها بعقله البادىء الا بكونها اعتداء ، اما ان يحدث هذا وغيره فأنت بذلك تشوه فكرة الملكية عند الطفل وتعطل تقدمه لمسائل الحق والواجب على اساس صحيح

وأخوف ما يجب أن نخافه هو السرقة في المراهقة . فالمرأه قد يشعر بالضعة والهوان حتى ايحس انه قد أصبح طريد المجتمع لاخير فيه - وهو شعور قريب التحقق اذا تذكرنا شدة حساسيته وأثر التغيرات الجسمية والنفسية وبعده عن المثل العليا التي يبنيها - فيفكر اما في الانتحار وما يتبعه من سلوك الانسحاب ، او في اضافة سلوك اعتدائي آخر الى قائمة ما يشعر به من غضب وحقه ، فيرى مثلا ان السرقة لن تضيف الى ذنوبه ما يثقله أكثر مما هو حادث فعلا في نظر المجتمع . ومعظم هذه الحالات يصحبها انضمام المراهق الى جماعة ممن هم في سنه ، فيسرق لمونهم بالسجائر أو النقود لدخول دور السينما ، مما يثير فيهم الاحترام له والاعجاب بمجهوداته وهي صفات فقدتها في المجتمع الذي نخلقه نحن بقسوتنا الهمجية فنلغى من قواميسنا كل ما يمكن أن يمت



للاحترام أو التقدير أو المديح مهما فعل .  
وليس من النادر أن تدفع المدرسة الطفل للسرقة بحسن نية ، اذ تعلن عن مشروع معين يحتاج الى تبرعات . ويتقدم الطلبة كل يلقي في الصندوق ما تمكنه بيئته من أن يدفع . وتعد المدرسة قوائم بما دفع كل واحد . والواقع ان هذه الطريقة تبرز الموازنة الى حد مافر بين الطلبة .

ولعل القارىء قد أصبح الآن عارفا بطرق العلاج لبعض نواحي السرقة . فاذا فأت فرصة التدريب على احترام ملكية الطفل وتقديمه لهذه الفكرة على أساس صحيح بحيث يحترم ملكية الآخرين واصبح السلوك شاذا كما اشرنا ، فيجب الا نعالج المشكلة في كل حالة على انها «سرقة» ولا شيء اكثر . علينا ان ننظر الى الدوافع التي تتحرك وراء السرقة . وبدلا من ان تدفع البيئة الطفل للغضب والانتقام عن طريق السكبت والقمع والتخويف قد يكون من المفيد أن نشعره بالحنان والثقة والاعتراف به وبمطالبه العادلة تدريجيا . ولنبعد عن الموازنات ودفع الطفل للغيرة والحقد ، وقد عرضنا في مناسبات سابقة لأساليب تقوية الثقة بالنفس ، هذا فضلا عن صقل الرغبة للتملك الموجودة فطريا بتشجيع الطفل في مراحل حياته حتى المراهقة على جمع الطوابع النادرة أو مجموعات من الريش أو القواقع أو صور الشعوب أو نجوم السينما وابطال الرياضة والمجلات وهكذا .

وعلى أى حال فيجب أن يشعر الطفل الصغير من اول الأمر بأن السرقة تنتهى ببعض الخسارة حتى لا يتهاوى فيها ، كأن يعيد ما سرقه مع الاعتذار أو يعرض ما فقد من مصروفه الخاص . على ان يراعى ان لا تتعنت او نلقى عليه من العبء اكثر مما يطيق او يحتمل مصروفه فنخلق له البيئة التي يمتتها . لندربه دائما على الصراحة والعمل دون مواربة او خفاء . ولعل من المفيد ان يتدرب على ذلك اثناء اللعب الجمعى المنظم ، فعرقلة الخصم في لعبة الكرة عملية قذرة تلقى جزاءها في شروط اللعبة في الحال ، لأنها تشبه طعنة من الخلف ،



وهكذا يتعلم الطفل أن يواجه الآخرين جميعاً فيما نسميه «اللعب المكشوف» ،  
وبالتالى تشجيع فى تصرفاته روح الصراحة فيكره السرقة لأنها لعبة فى  
الظلام .

أثر الخوف على نمو الشخصية : ان الخوف وما يتفرع عنه من سلوك

انسحائى او اعتدائى ليس كل مانعبيه على نظام القسوة الذى نحن بهدده . فاذا  
عدنا إلى قول هنريتا الذى سقناه فى اول الأمر وهى تحدث مستر بيفن :  
« لا شيء .. لا شيء مطلقاً فى هذا البيت ينبغي أن يحدث بدون تصريح واذن أبى ،  
لرأينا أن الأب هنا هو المرجع الأول والاخير وفى هذا خطر كبير ، فالفرد  
فى هذه العائلة لا ينتظر حتى تسد فى وجهه السبل ، بل حتى تتعقد الامور ولو  
تعتدأ بسيطاً . إن أى شيء يراه أو يعرض له يجب ان يحيط أباه به علماً وينتظر  
تقريره والويل له إذا اكتشف أبوه شيئاً ولو دقيقاً جداً يكون قد مر فى  
خاطره دون أن يذكره له . وإذن فما جدوى أن يفكر « جورج » فى مشروع  
معين ، أو أن يكون « أوكى » لنفسه رأياً خاصاً ، أو أن يتجه « ألفريد » الى غاية  
يراهها هى الصحيحة ؟ ان هذا المشروع .. هذا رأى .. تلك الغاية .. ستصطدم  
حتماً وتذوب فى ارادة الأب الباطشة .

والنتيجة .. ؟ النتيجة يمكن أن نخرج بها اذا نظرنا الى هؤلاء الفتيان  
والفتيات المساكين .. ستة من النوع الأول وأربعة من النوع الثانى ، كلهم  
كآلات تتحرك هنا وهناك تبعاً للأوامر ، أو كتماثيل يمسك الأب خيوطها  
فى يده ويسيرها ناحية اليمين أو ناحية اليسار .

انى لأرجو أن يتصور القارىء مشهداً يأمر فيه الأب أولاده بالاستئذان  
من أختهم الكبرى والذهاب للنوم ، فيتصور منظر الفتيان وهم يتقدمون الى  
أختهم واحداً واحداً ، فاذا انتهى أحدهم تبعه الأصغر منه مباشرة ، مقبلاً أخته  
فى نفس الموضع ، مردداً نفس الكلمات . وهكذا يخرجون جميعاً من الباب ..  
نفس المشية الآلية المنزنة .. نفس الانحناءة اليسيرة المتصلبة .. ونفس الوجوه



المقنعة الجامدة.. كل هذا يترك في النفس أثرا بالغاً أليماً .  
ان علم النفس، بعد تجارب وأبحاث قام بها علماءؤه ، قد أثبت أنه ليس هناك  
في العالم مرلودان متشابهان في كل شيء . فكل منا فرد مخالف للآخر ، وعليك  
أنت ياسيدى باعتبارك الرأس المربية في المنزل تقع مسئولية اكتشاف ميل  
واتجاه كل طفل على حدة ، وتنمية هذا الميل وهذا الاتجاه كل في الطريق الذى  
أعد له بالطبيعة الى أقصى حد ممكن .

وإذن فمما يقتل التربية ومما يقضى على المجتمع ان نخرج قوالب متشابهة  
كأولاد وبنات باريت . ولكن كلا منا في منزله للأسف ادوارد باريت ..  
ديكتاتور المنزل . فالتفكير تفكيره هو وعلى الآخرين أن يطيعوا ، ولرأى  
رأيه هو فعليهم ان ينفذوا . وهكذا يخرج شباننا عينة واحدة.. مسلوبى الإرادة ،  
مسلوبى التفكير ، مسلوبى الميول . وكما يفعل الزعيم الذى فقد سطوته ومكانته  
في قلوب أتباعه ، فيستأجر صبية من الرعاع فيلتفوا حوله ويشدوا أزره في  
كل مكان يحل فيه ، هكذا يجلس نحن في منازلنا وحولنا من نسميهم أطفالنا  
وما هم في الحق سوى مهرجين . فاذا ابتسمنا لشيء صفقوا له معجبين ، وإذا  
عبسنا ناوأوا عنه مشمزين .. وكما يستبد بنا الفرح اذ نرى هذا فهو في نظرنا عنوان  
التربية الحقة و « سمع الكلام » ، « مساكين نحن حقاً .. !! »

لقد قال أحد عمداء الجامعات في أمريكا ان الالمان خسروا هذه الحرب  
لأسباب كثيرة لعل أهمها انهم أمة دكتاتورية مستبدة .. قتلت الفرد في سبيل  
ضمان الحياة للبادىء لاشتراكية . واستطاعت التربية العسكرية الالمانية أن  
تخرج جنوداً كالآلات ، جنوداً بأسلين شديدي المراس يطيعون طاعة عمياء ،  
جنوداً نبيذوا تفكيرهم ، وتخلوا عن رغباتهم ، وألقوا بأنفسهم على خطوط  
الأعداء وسط عمد من البارود والدخان ، وهم ينشدون « ليحيا القوهرر » ،  
واستطاع هؤلاء الجنود أن يجتاحوا سهول أوروبا وجبالها وهم يخوضون  
بحراً من دماء أعدائهم لأنهم كانوا قريبين من القيادة العليا التي تأمر فيطيعون .



ثم جاء الوقت الذى وجد الجنود فيه أنفسهم يحاربون على حدود مصر النائية وفوق جبال القوقاز الشاهقة ، جاء الوقت الذى ابتعدوا فيه عن الرأس ، وتركوا ليتدبروا أمرهم ويفكروا ريثما تأتيتهم الأوامر . والجندى الألماني لم يصنع ، ليفكر ولكنه « صنع » ليطيع . وهكذا تزلزل الجيش الألماني ، كقطيع الأغنام الهائمة على وجوهها إذا أخذت راعيها سنة من النوم ..! وقد يكون لكل منا تعليقه على هذا رأى ولكنه صحيح بالنسبة للتربية . فمكنا أطفالنا فى منازلنا الدكتاتورية المستبدة يطيعون طاعة عمياء وتبدو الحالة على ما يرام ، فاذا خرجوا إلى الحياة انهارت قواهم .. وزاغت عيونهم ، وهاموا على وجوههم كالنعاج المذعورة

### المنزل الثانى .. نظام الحرية المطلقة

هو النظام الذى يخضع المجموع للفرد . فى الأسرة المكونة من الوالد والوالدة ومن حولهما من الأقارب نجد الطفل هو محور الاهتمام من الجميع . فاذا دخل من المدرسة انقلب البيت إلى حلبة سباق .. هذا ينزع طربوشه عن رأسه ، وذلك يخلع له ملابسه ، وتلك تضع فوطة مبللة على رأسه لئلا تكون حرارة الشمس قد أثرت على جسده . ثم هو لو أبدى رغبة بسيطة فى تناول نوع معين من الطعام قلب الأب أسواق الحى رأسا على عقب للبحث عنه وتقديمه للطفل .. أو لو أنه تهايا للاستذكار ولو ربع ساعة حيل بينه وبين هذا السلوك ، فجسمه متعب ، ووشه أصفر زى اللمونة يا حبة عيني ، .. تجد الطفل الصغير لا يكاد يترك لنفسه لحظة ، بين مداعب يتفنن فى أداء حركات وأصوات تثير فيه الضحك ، ومسارع لخله واحتضانه والاطمئنان على سلامه أعضائه .

وقد يكون فى أذهان الكثيرين مننا أمثلة محسوسة علق بها لطرافتها وغرابتها ، وخصوصا فى عهود الطفولة ومراحل التلبذة ، فكم من طالب



أدهشنا تصرفاته أو على الأصح تصرفات من يتولون أمره ، وكان لهذا مصدرأ لسخرية وتعليقات لا ينضب معينهما . فهو في قاعة الطعام متقزز مشمئز .. لا يكاد يصيب منه لقمة أو لقمتين ، ينظر بعيون مرتاعة إلى « الفوطة » التي يجدها فوق طبقه الفارغ .. ويتحسس أدوات الطعام التي يراها إلى جواره . وفي الوقت الذي يسارع زملاؤه بطريقتهم البريئة الساذجة إلى انتقاء قطع اللحم من « الطاسة » العامة تجده ينظر اليهم واجماً مدهوشاً . ولا عجب فهذه معاملة لم يعتدها في منزله الذي يتفانى في أرضائه . فهو إذ يجلس إلى المائدة تمتد يد لتلبسه « فوطة » ناصعة البياض .. وتتقدم أخرى لتحمل الملعقة المحملة بالطعام إلى فمه .. أما اللحم فقد تناولته قبل أن يقدم أيدي مدربة ماهرة فقطعته قطعاً صغيرة اختلطت بالطعام في مزيج شهي . وهو بعد هذا كله قد يرضى عن هذا الصنف أو يغضب ، فإذا رضى تكسأ أمامه حتى يأخذ كفايته ، وإذا أعرض سارعوا إلى إبعاده وعيونهم تنطق بالأسف والاعتذار !..

أين هذه المعاملة إذن من قاعة الطعام بالمدرسة .. القاعة التي تعج بالئات من الطلبة الذين يتدافعون في فوضى الطفولة الحبيبة ليحصل الواحد منهم على نصيبه كاملاً أو أوفر قليلاً ؟ ..

وكما تجده في قاعة الطعام متقززا مشمئزاً هكذا تجده في أوقات الراحة « والفسح » المدرسية وحيداً منزوياً .. إذ كيف يلعب لعبة « كالاستغاية » مثلاً يطلب منه فيها أن يسلك سلوكاً خاصاً خاضعاً لأحكام هي شروط اللعبة فإذا لم يستطع مثلاً أن يخلص من اللاعب « المساك » كان عليه أن يؤدي دور الأخير وتقع على عاتقه مسئوليات جديدة . أقول قد نحمل في أذهاننا أمثلة متطرفة لأناس من هذا النوع . وبهمنا أن نعلق عليها من الناحية العلمية والنفسية .



أثره على الميدانين الخلقى والاجتماعي : يذكر القراء أنا عند عرضنا للنمو الخلقى للطفل تتبعنا المراحل التي يضعها ماك دوجل في كتابه ، علم النفس الاجتماعي ، وقائنا إن السلوك يتحدد أولا حسب اللذة أو الألم المشتقين من الاحساسات الجسدية ، ثم الثواب والعقاب اللذين تفرضهما السلطة المنزلية ، وتأتي بعدهما مرحلة المدح أو الذم الصادرين من المجتمع الخارجي وأخيرا نصل الى ذروة السلوك الخلقى والاجتماعي حيث يتصرف الفرد حسب قوة كامنة داخلية مستقلة عن المجتمع الكبير .

وواضح أن مهمتنا هي تسهيل اجتياز النشء الحدود الفاصلة بين كل مرحلة والمرحلة التالية لها ، فكما سارع الطفل في الثانية في التحرر من قيود الجسد واللذة الحسية الى التصرف حسبما يراه الوالدان ، وكما سارع حوالى السادسة أو السابعة الى الخروج من دائرة المنزل الضيقة الى مجتمع المدارس الابتدائية و تنسب للكشافة والرحلات ، ثم اتسعت نظره بعد هذا في الثالثة عشرة والرابعة عشرة لتشمل المجتمع الفسيح بأبطاله وأفكاره السامية ، كلما سارع الى هذا قرب من السكمال الخلقى .

ومن هنا ندرك مدى الخطأ الذي تترط فيه منازلنا المدللة ، فالطفل الذى رأيناه فى قاعة الطعام وفى الفسح ، وحيدا منزويا قد تعطل نموه الخلقى والاجتماعي عند مرحلة بادرة مخزية

وفى هذه الجملة القليلة الكلمات العميقة المغزى ، لما أشارهم فى البيت ، . تمثل كل المأساة . فالطفل الذى ندله وتتفانى فى إرضائه . . الطفل الذى نهى له فى منازلنا حرية كاملة لاتحد . . الطفل الذى اقتصر رأس ماله على الاخذ وخلف وراءه العطاء ، هذا الطفل مثال مجسم لجريمة الآباء والأمهات . وكم من شاب أو رجل قطع من العمر مرحلة غير قصيرة وهو يجعل شعاره هذه الجملة ، لما أشارهم فى البيت . . ، فما يعرض له أمر أو تتشعب أمامه طريق الا ويهرع الى أبويه يلتمس عندهما المخرج . . ، تماما كالوليد الصغير



والواقع أن له كل العذر فكما أحجم عن الاشتراك في الرحلات المدرسية التي أقامتها مدرسته لأن الرحلات معناه مبيت في الخارج وغسيل الآنية وحراسة للزملاء النيام أثناء المناوبات . . ، وبالاختصار كما هرب من المجتمع الصغير وانكمش في حضن أبويه ليلعن الجراح التي أحدثها فيه الآخرون . . هكذا يشب ولديه صورة خاطئة عن نفسه تعزها مرآة المنزل وتعليقات أبويه ، فيظل دائما بعيد المنزل مستمدا آراؤه وفلسفته ضمن دائرة ضيقة محدودة متعصبة ، وتضييق بالتالي دائرة نفعه للآخرين . . فما أقرب به الى الشخص الأناني المتبلد الحس الذي يعتصر جهد المجموع دون أن يبذل من نفسه شيئا . . !

بل انه اذا تزوج فما يعكر صفو منزله ان يرى زوجته تختلف عن امه ولو قليلا . . في طريقة طهي الطعام او تقديمه على المائدة . . او في آرائها وتقاليدها . . او مظاهر زينتها وحرركاتها . . او طرق التدليل والملاطفة ، وانه دائما مثله الأعلى مذ كان طفلا . . يصطدم بالمجتمع فيهرب اليها فتحتضنه . . وهكذا يدب النفور بينه وبين زوجته لان الأخيرة تأتي بأراء وطرق جديدة بطبيعة الحال ، او لأنها تعامله معاملة الزوجة لزوجها ، وهو يريد معاملة فيها امومة وتدليل . . معاملة لاتصلح الا للأطفال والصبيان [

أثره على المجهود الفردي : وبعد كل هذا فلا ينبغي أن يتبادر الى أذهاننا أننا نسعد الطفل اذ ندله ونحقق رغباته بهذه الصورة . فالطفل الذي يظهر الرغبة في امساك عصفور يسمع خفق جناحيه على الشجرة فيسارع والده الى شراء عصفور جميل ملون داخل قفص ويضعه الى جانبه ، هذا الطفل قد يسر لهذا ويتسم . ولكنه سرور فاتر وابتسامة متضائلة . بينما الطفل الذي يستهويه مرأى العصفور على الشجرة وهو يطعم صغاره فيخلع حذائيه ويتشبث بجذع الشجرة الاماس ويظل يرفع جسده شيئا فشيئا وهو يستفيد من التواءات البارزة . . وقد يسقط مرة ومرتين وتصطدم قدمه العارية بالأغصان المسننة قدمي . وتلاحق أنفاسه وهو يلث في مجهود أخير حتى يصل الى العش فيمد



يده الى ضالته المنشردة .. ! أى ظفر هذا الذى يحس به .. أية نشوة هذه التى تسرى فى دماثة .. ، بل انظر الى عينييه اللامعتين المنتصرتين وهو يتحسس العصغور الصغير ، وقارن هذا بالطفل المدلل الذى يستيقظ ليجد العصفور الملون بجوار وقد اشتراه له أبوه وهو يظن بهذا أنه يوفر له قدرا من السعادة قد حرم منه الآخرون .

وكما فقد أفراد عائلة باريت طابع الحياة لأن الارادة الباطشة هى التى تفكر وتقرر وتحرك فلا تترك لهم سبيلا لبذل المجهود ، هكذا يفقد الطفل المدلل كل ما يعطى الحياة نشوتها وتوثرها وحيويتها فقد جنبناه نحن كل تفكير أو جهد ونحن نظن أننا نهيب له السعادة بينما هو يشب خامدا راكدا متكاسلا لا يتذوق للحياة أو للآمال أى طعم

وقس على هذا كافة ميادين النمو . فالطفل فى البيئة العادية يحاول ان يخرج سريعا من مرحلة الصرخات البدائية الى يولد بها الى مرحلة الكلام ، فالكلام سلاح اجتماعى يمكنه من أن ينال ما يرغب من لعب الى طعام الى صداقة الآخرين . بل وكم يؤلمه أن يظل عاجزا عن المشى يرى الشئ قريبا منه ولا يستطيع أن يتناوله . هو يزحف ويبدأ معتمدا على يديه وحركات رجلينه ، حتى اذا تصلبت عضلات ساقيه ارتفع بجذعه عن الارض وسار على أربع وهى حركة لا بأس بها تدنيه من الاجسام التى يريد لها ولكنها لاتزال قاصرة عن أن تحقق ما يرجوه من الوصول الى ما يوضع فوق المقاعد أو المناضد . إذن فليتعلق بيديه فى قطعة من الاثاث ثم يجذب جسمه الى اعلا . هل يستطيع ؟ لا ! حسناً . ليحرب مرة ثانية .. هذا احسن .. ! لقد وصل الى اللعبة التى يريد لها . ما اجمل الوقوف هكذا وحيدا .. انه يرى ما امامه الآن بحرية فليحرب أن يخطو قليلا .

وهكذا يتنقل الطفل بطلاقة فى مراحل النمو اللغوى والحركى نتيجة للدافع الذى يحركه ليكن جسما حسيا يريد اومىلا لاظهار السيطرة . اما الطفل



المدلل فيجد كل شيء للأسف الى جانبه . لا عجب اذن اذا تأخر الطفل في الكلام والجلوس والمشي وضبط الجهاز البولي وتناول الطعام او ارتداء الملابس وحيدا و . . و . . آلاف المواقف التي تميز الطفل النامي الصحيح ، بينما نجد هذا المسكين يتمثر فيها ويترنح فقد انتفى الدافع المحرك بفضـل مجهوداتنا السكرية

الغيرة : لعل من الانصاف ان نقول ان الوالدين يقدمان على خلق هذا

النظام اللين بحسن نية . فالطفل الوحيد يسترعى في معظم الحالات الاهتمام . او قد يدفعهم الى هذا ذكريات قديمة مرت بهما منذ عهد الطفولة . فربما شب احدهما في منزل متطرف في القسوة كذلك الذي سبق عرضه ، وهكذا تعطلت حرите وامتيازاته ، او ربما كان لديه اخوة اكبر او اقرب الى قلوب والديه فنالا معظم الامتيازات وتركاه تأكل قلبه الغيرة . ولذا فقد آلى على نفسه ان ينشئ طفله نشأة سعيدة يحده في ذلك الآلام التي تجرعا وهو صمير وظلت تنغص حياته حتى اليوم . وحتى في التعليم قديتذكر الوالدما صادفه من عدم توفيق في المدارس فلم ينل سوى شهادة متراضعة بينما كان يتوق للتعليم العالي فتراه يدفع طفله في حمى ملتبهة ليحقق ما فشل هو في تحقيقه

والحق ان هذا خطأ بالغ . فلا يظن الوالد العطوف ، ان شعور الغيرة الذي أكل قلبه في منزله المليء بالموازنات والتفضيل ستخلو منه حياة طفله المدلل . بل ان الامر على العكس ، فالموازنات والتفضيل عناصر موجودة بشكل أوسع وأقوى في حياة مثل هذا الطفل أكثر من غيره ، فالغيرة تملأ حياته في المدرسة حيث المعلم يعامل الجميع سواسية ، وهي تصرخ في وجهه في الشارع حيث يلعب الاولاد بمبدأ الأخذ والعطاء وهو لم يتعلم هذا الاخير . وسرعان ما ينبذه اخوانه ولا يقبلونه في ألعابهم ، فيعود إلى منزله باكياً . وهنا يتلقاه والداه ليؤكدوا له انه أفضل منهم بكثير وان العيب فيهم وليس فيه ، وانهم لشعورهم بأنه أسوأ منهم لا يقبلونه في ألعابهم القدرة المضحكة .



تلك هي شئمة الشخص الغيور الذي سنخرج به من نظام الحرية  
المطابقة . فهو لا يعترف مطلقا بالغيرة ، بل لا يعترف للغير بالفضل وهو الحق  
الصراح ، وإنما هو يرى ان الغير هو المنافق .. وهو الذي لم يصل لغرضه  
الا بمسح الجوخ للرؤساء وهي طريقة دنيئة لا يقدم عليها هو ولو نفذ آخر  
ملك في جيبه .. ! .. وبينما يصل الآخرون الى الذروة بفضل صفاتهم الاجتماعية  
الجذابة وبذلهم للجهد في خدمة العمل والرؤساء فيقر بهم هؤلاء اليهم تقديراً  
ومكافأة اذا بصاحبنا ينزوي في ركن قصي ، تماماً كما كان في قاعة الطعام والفسح  
المدرسية . فاذا ضمه مجلس عائلي انطلق يسخر بالمجتمع الذي يدين بالمتناقضات ،  
فهو يجعل من لا يملك ذرة من التفكير رؤساء واصحابا للنياصب ، وهؤلاء  
« لضعفهم ، يحيطون أنفسهم ببطانة من « المهرجين ، الذين يرقصون لهم  
ويصفقون ويخلقون آذانهم وأعينهم عن فضائحهم .. بينما يكده هو ويكدح ..  
لا يحده سوى الوفاء والاخلاص والصرامة وراحة الضمير ، ولذا يكرهونه  
لانه يكشف عن أعمالهم المشينة الستر والحجب .. ! .. وتؤمن الام على ما يقول  
ولا عجب « فنحن في مصر أم العجائب . ، ، سبحان الله .. ! لو كان هناك  
مقياس للعجائب لكان هو وأمه على رأسها .. !

بل ان انفعال الغيرة لقرب الوقوع جماً بالنسبة للطفل المدال حتى في  
نفس المنزل بمجرد ولادة طفل آخر .. لسبب واضح هو اننا قد رفعنا مستوى  
المعاملة الى القمة فلا بد أن يحدث انخفاض مهما جاهدنا في تجنبه . فاهتمام  
الام بسلامة طفلها الجديد أثناء الحمل ، وما يتبعه هذا من تغير في ظروف  
المعيشة منها على الاقل نوم الأم في سرير منفرد قرب الوضع ، وهكذا يجد  
الطفل الأكبر نفسه يتباعد بالتدريج عن العطف والتدليل .. ثم يأتي المولود  
الجديد بمطالبه للرضاعة والتجفيف والتدفئة والحمل على الحجز .. كل هذا يثير  
في الطفل الأكبر غيرة مكتسحة .

أثر الغيرة على السلوك : وهو هنا قد يسلك أحد سلوكين كلاهما شاذ ماتو



فاما أن يعكس سلوك الوليد الصغير لظنه أن هذا هو ما يجلب العطف والاهتمام وهكذا تحدث حالة « نكوص » ، فإذا به يتبول على نفسه . . ويمص أصابعه مغرقاً في الخيال .. ويتهته في كلامه كمن يتعلم الكلام .. ويترنح في سيره كمن نسي المشي .. ويكثر من « الزن » والبكاء والاستنجاد . والقوم الذين من هذا النوع يشبهون في الغالب ولديهم كل صفات التراجع .. كالوحدة والصمت . والحجل والتردد واليأس .. والاغراق في الخيال و « السرحان » فيؤثر هذا على سداد حكمه ونظرته للحقائق .

أو قد يسلك سلوكاً مخالفاً لهذا على خط مستقيم . فيغضب ويشور ويمتلي قلبه بالحققد على المولود الصغير أو أمه أو يئته بأجمعها فيود لو ينال منها وينتقم ، وسرعان ما يتشكل سلوكه في هذا القالب الاعتدائي فهو يخرب الأثاث ويكسر الأطباق ويقص المفارش الثمينة ، وهو يعرض شقيقه الرضيع في غفلة عنا . ويكبر هذا النوع من الأطفال وسلوكهم الاعتدائي على أشده . فهم يثيرون المشاحنات لأقل الأسباب ، ويعتبرون اللفظ البريء الذي يوجه اليهم من أحد زملاء إهانة للمكرامة وقضاء على المبادئ . يحدون لذة دائمة في عصيان أوامر الرئيس أو تسفيه اقتراحات الزملاء ، ويعقدون حتى التافه من الأمور حتى يصلوا به إلى ذروة الصخب والضجيج ، بل وهناك من يستخدم القوة الجسدية فيتصادم مع زملائه بالسباب ثم الأيدي . تماماً كما كان يفعل بالصغير الذي شعر أنه قد سلبه ميزاته فأحس عقارب الغيرة تنهش قلبه

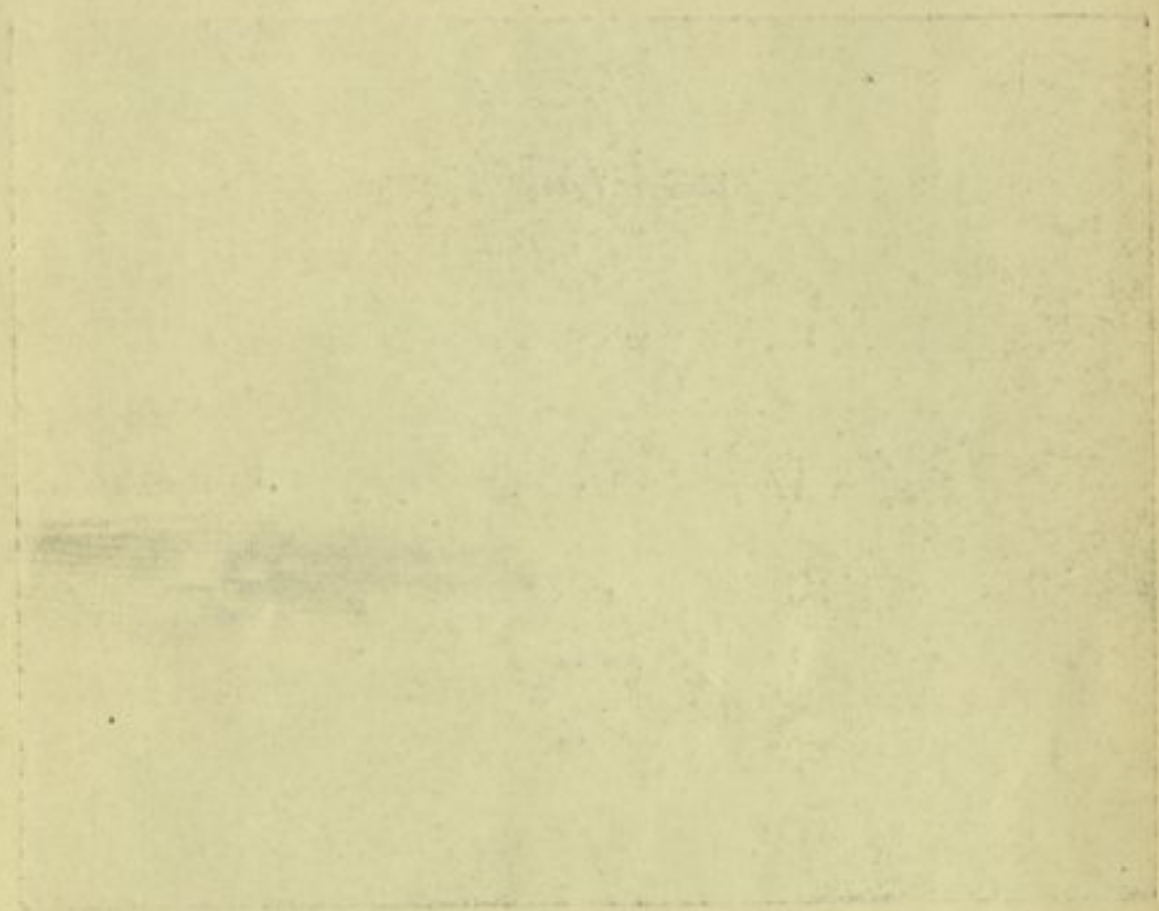
ويهمنا في هذا الصدد أن نشير إلى أن الغيرة والشعور بالنقص يتعرض لهما كل طفل في أي منزل بصورة عادية ويزولان في هدوء لو اتبعنا الطرق السليمة . إن أي رضيع يشعر في الغالب بثقة في النفس مطلقة في نصف السنة الأولى من حياته .. فهو عنيف في طلباته وحاجاته لا يحتمل التأخير . ونحن لضعفه وعجزه عن التعبير نجيب هذه الطلبات بسرعة وعطف وحنان . ثم تظهر بعد هذا عوامل جديدة . ظهور الأسنان .. الميل للعض .. الحبو





... بل إن انفعال الغيرة لقريب الوقوع بالنسبة للطفل المدلل حتى في نفس المنزل  
بمجرد ولادة طفل آخر .





طالعہ دار الفکر (دار الفکر) دار الفکر  
دار الفکر



أو المشى والاستقلال الى حد محسوس . . بدء المحاولات للكلام ، كل هذا يشعرنا للأسف انه قد كبر ويمكنه أن يستقل عن عطفنا واهتمامنا البالغين به بعكس الحال عندما كان مستلقيا في فراشه . وهكذا بين يوم وليلة تتغير طريقة تناول الطعام وما كان يصحبها من رفع وحمل واحتضان الى طريقة جافة بملة قد تتم حتى بواسطة الخادمة . وحتى الطعام وقد بدأ يميل للصلابة يشعره بجمود البيئة وعدائها له . فضلا عن أن قدرته المتزايدة على الحركة والتجريب والفك والتركيب تعارض ما نصر عليه بحماقتنا من الاحتفاظ بكل شيء في موضعه فنجبره على السكوت بل وقد يحدث كثيرا أن نعتقد أن الطفل بمجرد أن يبدأ المشى أو الكلام قد أصبح فجأة فاهما يمكن معه استعمال طرائق التهذيب من انتهاز وتأنيب الى حرمان أو حتى عقوبات بدنية كالضرب على الأيدي . كل هذه العوامل تؤدي بالطفل العادي الى فقدان الثقة بالبيئة وبأمه ، وبالتالي بنفسه . وهكذا يكون على استعداد لأحد السلوكين اللذين عرضناهما : الاستسلام أو الاجرام . ولكنه في كل الأحوال يكون قريبا جدا الى الشعور بالغيرة لأي امتياز ولو بسيط يمنح لأي شخص حتى ولو كان اخا مريضاً أو حتى والده .

والطريقة في هذه الحالة واضحة كل الوضوح . فالغيرة . وهي تحمل شعورا بالانانية والأثرة السخيفة ينبغي ان نعالجها بتعويد الطفل منذ الصغر أن يؤثر غيره بأشياء أو مأكولات حسية . . أو يتنازل عن ركن من فراشه لطفل من الضيوف ، مع افهامه أن هذا لا يتعارض مع فكرة الملكية أو يعتبر اعتداء عليها بطبيعة الحال .

وعليه أن يتعلم ان عليه واجبات يقتضيها انضمامه الى هذه الجماعة التي تحبه . كما يتعلم عن طريق اللعب مع غيره انه قد يتفوق في العاب ويتراجع في أخرى فليدرك لهذا وذاك بدلا من أن يغلف نفسه في لعبة وحده هي تلك التي يتفوق فيها . وقد لا يتم هذا في أول الامر بنعومة ويسر ولكن هذه المبادئ ستصل



بمرور الزمن حتى يأتي الوقت الذي « يلعب فيه الطفل للفريق » في مرحلة المدرسة الثانوية ، فيصفق لغريمه ويصافحه بعد انتهاء اللعب وقد صفت نفسه من أى حقد للهزيمة ، فهو يلعب للعبة « وعلميه أن يسعى وليس عليه ادراك النجاح » ، هنا نكون قد قضينا على الغيرة كلية !

ويمكننا بعد كل هذا أن نقصد في التلطف الشديد الذى نبديه ازاء «طالب الوليد الرضيع في الشهور الاولى . فليس من المفيد دائما بالنسبة للصغير أن نحمله باستمرار وندور به في البيت ونؤرجحه قبل النوم وننام الى جواره . بل لتكن استجاباتنا من النوع المتزن الهادى . فى حنان ، فليست هى بالسريعة المتطرفة بحيث تملأه ثقة مطابقة قد تتزعزع بمجرد ان ينمو أو يولد له شقيق . ولا هى بالبطيئة المتطرفة بحيث تفقده الثقة بالبيئة وتملأه بالمقت والكرهية . وكما اقتصدنا فى التلطف فى الحنان والطفل وليد رضيع علينا أيضا أن نقصد فى الزجر وقلة العناية التى تتميز بها بيوتنا بمجرد ان يمشى الطفل ويتكلم ويأكل وحيدا . انا نحطم بذلك ثقته فى نفسه ونثير فيه الخوف والقلق .

فاذا قدرنا بعد هذا أن نوبات الغيرة لا بد منها أثناء نمو الطفل العادى فلنكن أكثر تسامحا مع هذه الخبرة التى تقلقنا أكثر من اللازم ، اذ سرعان ماتزول من تلقاء نفسها لو اتبعنا ما سبق ذكره وقللنا من موازنة الطفل بأطفال الضيوف ، فاذا كان ولا بد من الموازنة فلنوازن الطفل بنفسه فى فترات سابقة ونشير الى انه تحسن او تراجع فى هذه الناحية أو تلك

وإذا كان لنا ان نتحكم بعض التحكم فى فترات الوضع فليتتابع اطفالنا بحيث تمر بين الواحد والاخر فترة كافية تمكن الاكبر من ان « ينظم » خلقيا واجتماعيا عن الأم الى حد ما فيرى فيها ما هو أكثر من « صدر وذراعين » يشق منها كل اللذة الحسية عن طريق الالتصاق وهى حالة الطفل الصغير قبل ان يكون ميولا جديدة تتصل بالبيئة . وفى هذه الحالة - والطفل صغير - اذا جاء الوضع الجديد وابتعدت عنه امه ضاق هذا الالتصاق الذى كان يستمد



منه كل لذة حياته ، فانهارت معه البيئة كلها . يستحسن اذن الا يأتى الطفل الجديد الا وصديقنا قد رأى فى أمه شخصا له حياته وكيانه المستقل ، شخصا محبوبا لا عن طريق الالتصاق الجسدى بل بصوته العذب وبشاشته ومشاركته له فى اللعب ، ثم هو قد بدأ يكون ميولا جديدة فى الحياة الخارجية عن طريق اللعب والحل والتركيب والقذف والدفع . وهكذا لا يرى فى ابتعاد أمه أثناء الوضع وبعده ظاهرة قاسية مدمرة ..

ولعل الطفل فى سن سنتين ونصف يمكنه ان يتقبل شقيقا او شقيقة له دون كبير عناء لو احسنا توجيه فكره بالتدريب وعلى قدر سنه الى اننا نتوقع طفلا صغيرا سيكون شريكا له فى اللعب . وهكذا لا يفاجأ الطفل بترتيبات واجراءات غريبة تنتهى بمجيء مولود غريب ليحل محله . هو يستطيع - على عكس ما نميل الى الاعتقاد - أن ينتظر هذه اللحظة بترقب وتلف ، وان يحول هذه الغيرة ، اذا توافرت الظروف التى نصحبنا بها الى رعاية وحماية للرضيع وهكذا يشعر بالقوة بدلا من الشعور بالضعف

### المنزل الثالث .. دوامة مقلقة

القليل منا من يصل فى قسوته إلى إدوارد باريت ، الذى تحدثنا عنه فى النظام الأول . والقليل منا من يدل الطفل إلى الحد الذى عرضناه فى النظام الثانى . ولكن معظمنا للأسف يجمع بين هذين النظامين فى سرعة وتعاقب هما أخطر ما يكون على أطفالنا ، [وكم مرة يحدث أن تشتمع مع طفلك وتتشبث بحرمانه بما يريد فاذا بكى أو أضرب عن الطعام سارعت إلى استرضائه باعطائه ما أراد وأكثرت حركاتك تقطير نعومة وتودداً ؟ بل حدثنى كم مرة تستيقظ من نومك مسرورا متعشأ تضحك لأقل الأسباب وتلهو مع طفلك لهما قد لا يتناسب مع وقارك فى الاحوال العادية . فتمثلان « غريبة وحسان » . أو تحمله على ظهرك وتحبو على يديك وركبتيك ، حتى اذا طلع اليوم التالى اذا



بمحالتك النفسية مختلفة تماما واذا بك سريع التهيج ، لا يكاد الطفل يحدث أقل جلبة حتى تنتهره ، او يطلب منك قياسا على ما حدث بالأمس ان تلاعبه لعبة القطار او « الحمار » حتى تصيح في وجهه « عيب .. بابا مش صغير يلعب الحاجات دى .. روح العب بعيد واوعى تعمل هيصة .. ! » ويفاجأ الطفل بالصياح والوجه المربد فيتراجع مأخوذا ولعله يتسامل في نفسه بطريقته الساذجة لم يتعطل القطار اليوم وقد كان بالأمس سريعا نشطا !

بل ان هذا السلوك المتقلب لا يحدث بين يوم وآخر ، ولكنه موجود أفعلا في كل لحظة تتدخل فيها زوجتك بأرائها المتباينة عن آرائك فأنت ترى ان يحرم الطفل من امتياز خاص لأنه لم يستذكر دروسه او لم ينم في الميعاد لمعين ، ولكن الزوجة ترى غير هذا الرأي ، فحفظ مواعيد الدراسة او النوم في نظرها اشياء ثانوية لا تتطلب عقابا ؛ ثم ان طفلها الصغير لا يفهم العقاب فليس هذا وان عقابه ، ولذا تسارع الى نقض مبادئه انت اما خفية أو جهارا ، وتعيد اليه ما قررت انت ان تحرمه منه ، بل قد يحدث ما هو أسوأ من هذا فينشرب الجدل بين الوالدين حول أمر يمس الطفل .. هذا يحذ عقابه والآخر يرى أنه على حق .. وكل هذا يحدث على مسمع من الطفل !  
أثره على التكوين الخلقي والاجتماعي : هذا التذبذب في السلوك ..

علاوة على نتيجته الحتمية الظاهرة من حب الطفل لمن يقف في صفه وكرهه لمن يقترح عقابه ، وفي هذا ما فيه من تعطل في تنفيذ كل ما يراه الطرف الاخير اعتمادا على أن هناك موقفا للطفل ونصيرا .. فان له ضورا أعمق وأشد تأثيرا .. ضررا يتناول نفسية الطفل وتكوينه الاجتماعي بشكل أساسي .

واذا عدنا ثانية الى « ماك دوجل » وتحليله الموفق للمراحل التي يمر بها الفرد حتى يصل في نمو الذات ، الى حدها الاقصى .. هذه القوة التي قد نسميها بطريقتنا الدارجة « الضمير » ، وقد يسميها النفسانيون أو الباحثون في اللا شعور الذات العليا .. لرأينا أن هذه القوة الاخيرة ، في عرا كها المستمر ضد دوافع



الانسان الفطرية وشهواته الجامحة والتي تسمى « الذات الدنيا » تحدد قوالب سلوك الفرد .

وواضح أن هذه القوة يشترك في تكوينها الوعظ والارشاد أو اللذائذ الحسية أو التقليد ، وبالاختصار الاصطدام بالعالم الخارجى سواء كان يتمثل فى الوالدين أو المجتمع الكبير . واذن فما يعطل تكون هذه القوة وتشكلها فى القالب النهائى أن تكون التأثيرات التى تأتيناها من العالم الخارجى مرتجلة موهشة . وهكذا تظل تتشكل ذات اليمين أو ذات اليسار دون ما نظام معين . وهذا هو نفس ما يحدث فى حالة الطفل الذى يوقعه سوء حظه فى « نزل يحمل طابع النظام المذبذب الذى نحن بصددده . . . وهكذا يتعطل تكون « الذات العليا » ، وبالتالي تحديد قوالب ومستويات سلوك الطفل ، وتكوينه الخلقى والاجتماعى الصحيح .

الغضب : إن هذا النوع من المنازل الذى تنعدم فيه السلطة الضابطة هو بمثابة « معمل » مناسب جداً ، لتفريخ ، نوبات الغضب عند الطفل . وهو معذور فى الحقيقة اذ يتجه هذا السبيل ، فالطفل يطلب أن يسطحبه أو « عند خروجه فى المساء مثلاً فيرفض هذا مشيراً الى أن الجو يميل الى البرودة أو لبعدها المسافة أو لاي عذر آخر . ومن الطبيعى أن يغضب الطفل فى هذه الحالة فهنا عائق وضع فى وجه رغبته ، وليكن الغريب أن يتراجع الوالد سريعاً عن قراره بالرفض خوفاً من أن « يتسكده » الطفل او تحت تأثير توسط الام او الجدة . ومن المعروف فى قوانين التعلم ان السلوك الذى ينتهى نهاية سارة سيثبت . . . وهكذا يجد الطفل فى الغضب وسيلة مفيدة تجيب طلبه .

وقد يحدث ان يتنبه الوالدان الى هذا السلوك من جانب الأم فيقرران مبدئياً ألا يجيباه الى ما يطلب اذا غضب ، ولكن مما يبعث على الأسف أن هذا القرار لا يتحمل عبء الغضب اذا أضيفت اليه مضاعفات كأن لا يكتفى الطفل بالصراخ بل يحتقن وجهه ويرتمى على الأرض ويرفس بقدميه أو ينلعه



وجهه بالجدار ، وهذه ناحية ايجابية . . أو قد يضرب عن الأكل والكلام  
وينزوى في ركن وحيداً لا يلعب ، وهي ناحية سلبية . وهنا ينهار كل شيء  
خصوصاً اذا تذكرنا أن هناك سلطات متعارضة في المنزل . وسرعان ما تتناول  
الجددة الطفل الباكي من على الأرض في حنو واشفاق وتجيئه الى مايرجو وهي  
تقول : « انتوا حاتموتوا الواد .. يا عيني وشه اتزرد وجسمه بيتنفض . بس  
يا حبيبي تيته حاجيب لك اللي انت عاوزه .. ! »

وهكذا يدرك الطفل بالمران القدر الكافي من الغضب ، لينال حاجته ، بل  
والوقت المناسب له . ففي وجود ضيف معين لا يستلزم الأمر أكثر من صرخة  
أو انذار ، وفي وجود آخر لا بد من انتفاض الجسم واللهث وتمثيل القىء  
أو الاضراب عن الطعام وجبتين بأكلمهما .. وهكذا قد يحدث فعلاً أن يغمر  
على الطفل أو يتشنج ويتقلص جسمه أو يصيبه الصرع .. وهي كلها اساليب  
لا شعورية يأتيها العقل لنجدة الجسم ، وهي اسلحة مسرحية قوية جداً في منازل  
من هذا النوع القلق المذبذب ، وليس من النادر وقوعها في منازل النوع الثاني  
المدلة التي يحدث لسبب ما كولد طفل جديد أن تنقلب معاملتها ولو بعض  
الشيء .. فالغضب مظهر اعتدائي من مظاهر الغيرة .

انتقال الغضب للصغار : كما ينتقل الخوف عن طريق المشاركة الوجدانية  
من الآباء لأطفالهم ، وكما لاحظنا كيف ينتقل الكذب بطريق التقليد  
للأطفال إذ يسمعون آباءهم ينتحلون معاذير كاذبة ، هكذا ينتقل الغضب من  
الوالد السريع التهيج الى طفله ، وهناك من الآباء والأمهات من هو متوتر  
في كل شيء ، فليس هناك أدعى للغضب والصراخ من أن يجر أحدهم مقعداً على  
الأرض ، أو يهمل الآخر قطعة من الملابس على فراشه وهو يستعد للنوم ،  
أو لا يجد حذاءه في المكان الذي خلعه فيه مساء الامس . وهكذا ينتقل  
الغضب للأطفال ، وليس من النادر ان يظهر في العاقل التي هي تعبير عما يعمل  
في اعماقهم .



بل واسو آمن هذا أنا غضب الطفل لمجرد التسلية .. ! وكما ان الكثير منا يعتمد لا يثار أحد الاطفال بلعبة من العاب طفله أو يجلسه على فخذه ويحنو عليه ليلاحظ هو وضيقه تأثير الغيرة في طفله المسكين . نجد عدداً كبيراً يقلب وجهه أو عينيه أو يحبو على اربع ليخيف الطفل لمجرد المزاح .. ! أو يخني منه لعبة ليري مايفعل فاذا غضب الطفل وبكى كان له في هذا تسلية ما بعدها تسلية .. كأنما الطفل قد خلق لكي يرفه عنا ويخفف متاعب الحياة !  
أثر البيئة العادية : الغضب انفعال فطري موجود عند الاطفال الحديثي

الولادة ، يبدو بوضوح لو امسكنا برأس الوليد الصغير بين أيدينا بحيث نمنعه عن الحركة . هذا فضلاً عن أن ظروف البيئة كما سبق عرضها أثناء خروج أي طفل من مرحلة الرضاعة والاعتماد الكلي الى الفطام والمشى والكلام .. هذه الظروف تدفع معظم البيوت الى الحد من نشاط الطفل ومعاملته معاملة فيها بعض الجفوة بالمقارنة بالمرحلة السابقة وهكذا لا يملك الطفل سوى أن يشعر بالغضب يعتمل في اعماقه للحد من حرته .

بل قد تكون ملائمة الضاغطة الثقيلة بالنسبة للوليد الصغير مما يسبب له الغيظ والغضب نتيجة للضغط الحركي كل هذا ونحن نقصد به خيراً . بل قد تثير غضب الطفل في الوقت الذي نسعى لخدمته وراحته . فالمنازل التي تساعد الطفل أكثر من اللازم فتلبسه ملائمة كلها .. وتثبت له شريط الحذاء .. وتحمل الطعام الى فمه تسبب لديه الغضب كمثل الذي تستثيره بطريق مباشر تماماً .  
العض : يقرب جداً من ظاهرة الغضب ، بل هو مظهر اعتدائي له كما

أنه مظهر اعتدائي للغيرة . وهو يبدأ بظهور الاسنان في السنة الاولى وكميل التجريب هذه القوة الجديدة بعض حلبة الثدي عضاً ودياً ، تماماً كما يجرب ترديد مقاطع او حروف كلها صغلت حركات اللسان والاحبال الصوتية . ولكن بينما يتم تقدم السلوك الاخير في الطريق السوي لتشجيعنا وافساحنا له السبيل اذا بالسلوك الاول يتشكل في قالب اعتدائي خطير لان الأم سرعان ما تضرب



## الطفل عل فمه

والمؤلم ان الرضيع يكون متمتعاً قبل هذا مباشرة بثقة مطلقة ، والثدى في نظره يعنى كل شيء فكأ بك اذا منعتة الثدي منعتة الحب أيضاً. وهكذا قد يعرض الطفل حلة الثدي في حنان تماماً كما يلعب بها قبل أن ينام فاذا به يفاجأ برد فعل عنيف فكأنما قد ضاع من بيئته كل معاني الحنان والعطف والامن و كل ما يسبب الثقة في النفس

علينا إذن أن نتسامح مع هذه الخبرة الجديدة في أول عهدها . وكأ رأينا كيف ينشأ الغضب حتى في الأيام الأولى عن طريق تغطيتنا للطفل بحسن نية فنقيده حركاته ، هكذا قد تنتج حالة العض كشيء . لازم لظهور الأسنان ، أو كظهر نزوعى للغضب في معظم حالاته . ولكن من المؤكد أن أى اجراء موجه نحو عقاب الطفل ، العضاض ، عقاباً قاسياً لا يفشل في علاج هذا التعطل في النمو العقلى والخالق فحسب ، بل سيثبت لدى الطفل هذه الطرق البدائية التى يستخدمها وهى الطرق التى نشأت لان البيئة قد انعدم منها الحنان وأسرفت في العقاب .

ولكن من المؤكد ايضاً أننا لا يمكن أن نسمح للطفل بايذاء أو تخويف الاطفال الآخرين . وما يمكن أن تفعله بطبيعة الحال اذا عض الطفل حلة الثدي ان نسحبها من فمه في هدوء ودون أى جزع بحيث يفهم الطفل عن طريق تكرار السلوك واثباته واستقراره انه لا يستطيع ان ينال الثدي اذا كان يعلق عليه اسنانه بهذه الشدة . والمهم ان نتذرع بالصبر فليس الطفل آلة ندير فيها زرا فتعمل على الفور . اذ قد يعود الى العض مرة او مرتين حتى بعد ان يبدو انه قد اقلع تماماً . فاذا كبر الاطفال قليلاً وكان بينهم طفل يحاول ان يعرض رفاقه في اثناء المشاجرات فعلينا اذا كنا قريبين ان نمنعه باإبعاده بمنتهى الهدوء ، ويمكننا ان نفسر هذا بالقول : سوف لا ادعك تعض فلان ، دون ان نوحى اليه بأن رغبته في العض مفزعة أو فيها عنصر الاجرام أو انها قد هزتنا جميعاً كما يبدو في معظم الاحوال للأسف من صراخنا



وإسراعنا الى المكان . فاذا أتينا بعد فوات الوقت وبعد أن عض الطفل أحدر فاقه فان عطفنا واهتمامنا بالطفل المصاب وحدهما كفيلا - ما دمننا لم نفسد العلاقة بيننا وبين الطفل المعتدى من قبل بقسوتنا وعقوباتنا المرتجلة - بأن يحدثنا عنده ندماً كافياً . والواقع أن شعور العزلة الذي يحس به عندما يرى الاهتمام الذي يثيره عندنا ألم الطفل الآخر هو من القوة بحيث يتطلب منا أن نؤكد له بعد مدة قصيرة حبنا له وهذا هو المهم حقاً ، اذ كلما استطاع أن يفهم بشكل عام أننا نفهم حاجته للقوة والسيطرة ولو أننا نفضل أن يعبر عنهما بطرق لا تؤذيها كلما كان أسرع للتحرر من هذه الوسائل البدائية للسلوك بما لو ظللنا نستمع لطرق القمع والعقاب .

أية أهمية إذن نعلقها على الطعام والقطام إذا كان لهما كل هذا الارتباط بالغضب والعض . . . ! واضح من ناحية علاقة الطفل بأمه أن تأخر اعطاء الوجبة وترك الطفل جائعاً مدة أطول مما يتوقع لا ينصب ضرره على شعور الطفل بالجوع بل هو يفسد الاشباع الوجداني للحب والحنان . فالطفل يبكي لا لأنه جائع فحسب ، بل لأنه يفتقد الحب فلا يحمله . وهو أقله خبراته بالناحية الزمنية لا يستطيع أن يفهم أن طلباته قد تأجلت قليلاً . فهي إما موجودة أو غير موجودة .

وهو يستطيع بعد مرور الأسابيع الأولى أن يكيف هذا الترقب للطعام ومشاعر الحب حسب وجبات الطعام وكمية الحنان والدفء والالتصاق والتجفيف المنتظمة فهذا يعني الاشباع المستمر المنتظم . كم نحن في حاجة اذن الى ثبات المعاملة التي تحتفظ طريقاً وسطاً ، فهي لا تتركه ببطئها فريسة للخوف والقلق والضعف ، كما لا تخلق بسرعتها وحنوها الزائد طفلاً عنيفاً مسيطراً مدللاً لا يحتمل التأجيل . . . !

كما يمكننا أن ندرك صعوبة المحنة التي يمر فيها الطفل في عملية القطام إذا جاءت مبكرة أكثر من اللازم أو مفاجئة . ان الأكل عن طريق « البزازة »



أو الملعقة بدلا من الرضاعة من الثدي يحيل عملية الطعام باردة جافة ، آلة ، ويفقدها عامل اللذة المشتق من الاتصال الجسدى بالأم . فإذا حدث هذا مبكراً والطفل صغير يعتبر الأم مجرد ثدى يرضعه وذراعين يحتضنانه ، وبمعنى آخر إذا حدث والطفل لا يعرف من الحياة سوى اللذة الحسية فلم تتسع نظراته مثلاً ليمثل حب أمه له في صوتها وابتسامتها ومشاركتها له في ألعابه ، فكان الطفل إذ فقد الالتصاق بأمه والحصول على ثديها وذراعيها فقد الحب وبالتالي أصبحت هذه صدمة شخصية عنيفة . وإذا حدث الفطام مفاجئاً فإن الطفل لا يستطيع في الحال أن يجد وسائل أخرى للراحة ، وقد يحتفر هذا مجرى مؤلماً في حياته الداخلية .

وبعكس هذا وذاك ، لو أنا توخينا كما عرضنا في مص الأصابع أن نعلم الطفل منذ الأسابيع الأولى أن يشرب جرعات الماء من الملعقة ، ولو أن هذا التغير من الثدي للبرازة ثم الملعقة جاء تدريجياً بحيث يتهيأ له الوقت الكافي ليعتاده ، لأمكن الطفل أن يقبل هذا التغير بقليل من الصعوبة ومع كل فالأطفال يختلفون في السهولة التي يتقبلون بها ذلك التغير ، وعلينا أن نرغب استجاباتهم وهكذا فكيف الزمن وسرعة التغير حسب احتياجات كل الشخصية . ولنا إذن أن نعتقد أن الفطام المبكر يجب أن يتجنب إلا إذا كانت هناك أسباب صحية ملحة .

وبنفس الطريقة نجد من الأهمية بمكان الطرق التي نستخدمها في حمل الطفل وخلع ملابسه ولفه بها ومدى الراحة أو الضغط الذي يجب أن تسكون عليه هذه الملابس . فإذا كانت الملابس محبوكة غير مرصعة أو كنا نستغرق في خلعها ووضع غير ما وقتاً أطول من اللازم . فأننا لا نقصر في الضرر على احمرار جسده أو إعطائه قدراً أقل من الهواء أو تمرين الأعضاء ، وإنما نحرمه من دوافعه الأساسية التي بها يتقدم ويترقى عقلياً ، ولا عجب فهو في حركاته يكتسب مهارات جديدة ويستكشف نواحي من الحياة وبذا يتسع أفقه . هذا فضلاً عن أننا نبذو أمامه بمثابة أشخاص يمنعون ويغضبونه . هو



لا يستطيع أن يفهمنا ويحكم علينا الا عن طريق أعمالنا ، فهو لا يملك حتى ذلك الوقت المبكر طريقة للاتصال بأذهاننا . قد نحس حقاً أننا نحب ، ولكن إذا كنا نزعجه باستمرار بأصوات وصرخات حادة ثاقبة ، أو بتسليمنا إياه لأخته الصغيرة تحمله وتخلع ملابسه بطرق فجأة غير ناضجة ، أو بقمطاتنا وملابسنا الثقيلة الضاغطة ، فلا يمكن أن نبدو هكذا أمامه .

أثر الخوف والغيرة على الغضب : لا يغرب عن أذهاننا بعد كل هذا أن الغضب قد يكون نتيجة للخوف ، فقد يجد الحيوان إذا طورد أن من الخير أن يهرب ، ولكن إذا سدت عليه السبل وتبعه قانصوه من كل ناحية فقد يقف ، وظهره الى الجدار . وفي المعركة الأخيرة قد يجرح أكثر من واحد قبل أن يسقط مشخماً بالجراح . واذن فلتتذكر أن جرماً قليلة من الخوف تعلم الطفل الحذر ووزن الأمور والحرص والتدقيق ، ولكن الكثير منه يخلق عدواً غضوباً يسبب لنا من المشاكل ما نحن في غنى عنه . ونفس هذا الكلام يمكن أن يقال عن الغيرة ، فالطفل كما قلنا قد يسلك اما طريق التراجع أو التحدى ، ولكنه في كلتي الحالتين قريب جداً للشعور بالغضب . واذن فهذا الانفعال الأخير لا يقتصر على المنزل المذبذب . بل هو مشترك في المنازل الثلاثة .

فاذا استطعنا بعد علاج الغضب بعلاجه مثيراته في كل حالة . . كالتقليل مما يسبب الخوف وعدم الاستقرار والشعور بالظلم في منازلنا المستبعدة . . والابتعاد عما يسبب الغيرة بالتقليل من التدخل في كل كبيرة وصغيرة في منازلنا الناعمة . . ثم تثبيت المعاملة والتقليل من الاهتمام بنوبات الغضب حتى تنتهى نهاية غير سارة بالنسبة للصغير . . أقول اذا استطعنا بعد هذا أن نثبت من الناحية الصحية كزيادة افراز بعض الغدد أو مسببات الأرق كاللوز والزوائد الى غير ذلك ، فقد نجد أن من المفيد أن نستغل الألعاب الجمعية والفردية العنيفة لاعلاء غريزة المقاتلة ووضعها بالتدرج في خدمة المجموع البشرى ، فما من شك في أن الغضب المشروع انفعال مفيد فهو الذى يدفع



المصريين اليوم للمطالبة بحقوقهم ونبذ الاستعمار .  
ان مصرنا المقدسة تشتبك اليوم في صراع ، وواجبنا أن نخرج لها  
أبناءنا ليقفوا في الصف الأول . فليكن رائدنا أن ننقى منازلنا وندير دفتها  
بعيدا عن الأنواع الثلاثة السابقة . وفي الوقت الذي نبيع لطفلنا أن يشب  
فردا له خصائصه المتميزة عن غيره .. له مواهبه وميوله ومشاعره وأطباعه ..  
عليه أن يذكر أنه فرد وسط مجتمع كبير متكامل . فلتعكس منازلنا أضواء  
هذا المجتمع الخارجى بين جدران المنزل حتى يألف الطفل ما ينتظره فى الخارج  
فيخرج اليه غير هيباب ويندمج فيه كعضو محبوب . ولكن لنكن فيما نعكسه  
ناقدين حذرين ، فنحن فى اقترابنا من المجتمع لا نلتصق به تماما فنضمن منازلنا  
السرقه والرشوة والآنانية ، ولا ننقى منه كل الادران فيخرج الطفل ثائرا  
ساخطا وأنفه فى السماء . علينا أن نعكس مجتمعا أنقى قليلا فنخرج رسلا  
للاصلاح الاجتماعى .







صفحة

ا- و

مقدمة

## الفصل الاول

ما نفيده من دراسة الطفل في نموه  
أهمية مرحلة الطفولة . أهمية دراسة النمو . طرق دراسته . أنواع التغيرات  
المصاحبة له . أسباب النمو . دراسة أثر عاملية .

## الفصل الثاني

حقائق عن النمو :  
العوامل المؤثرة عليه .. الذكاء ، التغذية ، الجنس ، الغدد الصماء ، الامراض ،  
المناخ والاجناس ، موقف الطفل في الاسرة .

## الفصل الثالث

الطفل الحديث الولادة  
أحدث الآراء فيما يختص بالتنبؤ بجنس المولود ومحاولة التحكم فيه . العوامل  
المؤثرة على نمو الجنين . الوليد الصغير . طرق الدراسة . الوظائف الفسيولوجية .  
النوم . الجهاز الصوتي . النشاط الحركي . الانفعالات . حساسية الوليد . شعوره .



## الفصل الرابع

النمو الجسماني (٩٥ - ١١٤)  
تداخل الاثر الجسماني والعقلي . موجات النمو . الطول . الوزن . الرأس .  
الجذع . الاطراف . الاسنان . العضلات . الجهاز العصبي . التنفسي . الدورة  
الدموية . الجهاز الهضمي . التناسلي . خطر التراجع الجسماني . عوامل مؤثرة على  
النمو الجسماني .

## الفصل الخامس

النمو الحركي (١١٥ - ١٤٧)  
طرق الدراسة . أسلوب الضبط الحركي . الرأس . الجذع ، الجلوس ، الذراعان  
واليدان ( مص الاصابع ) ، العينان واليدان ، الاقتراب ، القبض ، استكشاف  
الجسم ومعالجته ، تناول الطعام ، معايير ، ارتداء الملابس ، تفضيل احدى اليدين ،  
الساقان والقدمان ، أوضاع القدمين ، معايير ، خطر التأخر الحركي ، عوامل  
مؤثرة .

## الفصل السادس

اللعب : (١٤٨ - ١٨٨)  
ارتباط اللعب بالطفولة . أسلوب اللعب . نظريات : تلخيص لمراحل التطور ،  
موضح للعالم المادي . والعالم الاجتماعي . إعداد للحياة المقبلة . صمام الامن .  
مادة اللعب . في السنتين الاوليين . من ٢ - ٦ : اللعب التي تساعد على النمو  
الجسماني . تركيب الاشياء . الايهام . زيادة المعرفة . اللعب في الطفولة المتأخرة  
والمراهقة . الجمع والافتناء . الالعاب الفردية والجمعية . المسليات . عوامل  
مؤثرة .



## الفصل السابع

النمو اللغوى ( ١٩٠ - ٢٢٩ )  
طرق الدراسة . أسلوب الكلام . مقدماته . الصرخات . المناغاة . الحركات  
والاشارات . مرحلة الكلام الفعلى . الفهم . بناء المحصول اللغوى (العام والخاص)  
تكوين الجمل . النطق . أخطاؤه . الحذف . اختلاف ترتيب الحروف . اللثغة .  
عدم وضوح الكلمات . التتهته . العقلة . مادة الكلام . فى الطفولة . فى المراهقة  
والبوغ . خطر التراجع اللغوى . عوامل مؤثرة .

## الفصل الثامن

النمو الخلقى ( ٢٢١ - ٢٦٦ )  
معنى الخلق الحميد . مراحل النمو الخلقى . أمثلة . نظرة عامة : تكوين السلوك  
الخلقى . تكوين الافكار الخلقية . الخلق عند الصغير . فى الطفولة المبكرة . فى  
مرحلة العصابات . فى المراهقة . النظام . العقوبة . اجرام الأحداث . عوامل  
مؤثرة : العامل الدينى . العائلة . الرفاق . المدارس . الكتب . الذكاء .

## الفصل التاسع

النمو الجنسى ( ٢٦٧ - ٣٠١ )  
قوة الدافع الجنسى وخطره . طرق الدراسة . مراحل النمو الجنسى ، المرحلة  
النارسية . الشرج . الاختلاط أو عدم التفرقة . المرحلة الاوديبية . النضال ضد  
الجنس الآخر . فى المراهقة . دور الاعتزال . عشق البطل من نفس الجنس . من  
الجنس الآخر . الحب الصبيانى . الحب المصقول . كبت الدافع الجنسى والتربية  
الجنسية . أخطاره : العادة السرية . الجنسية المثلية . السادية . الماسوكية . الاحتفاظ  
بالتذكارات وتقديسها . أحلام اليقظة . التراجع . عقدة أوديب . اليكتر . العرض .  
العلاج : قواعد ثلاث .



## الفصل العاشر

نمو المعاني

(٣٢٠ - ٣٤٠)

أثر الخبرات القديمة . ادراك العام . خلع الحياة على الاجسام . أسلوب نمو المعاني .  
دور الاستكشاف الحسى . دور الاسئلة . دور القراءة . دور المنطق . ( معايير .  
نتائج أبحاث يياجييه . نبذة عن المقاييس العقلية وما جاءت به الاتجاهات الحديثة ) .  
دور التدريب . فكرة الطفل عن نفسه . أساليب التعبير عن النفس . ادراك الطفل  
الاجتماعى . ادراكه المكانى . ادراكه للوزن . للعدد . للزمن . للدعابة .  
للجمال .

## الفصل الحادى عشر

المنزل المصرى فى « قصص الآتهام » .

( ٣٤١ - ٣٨٨ )

أقسامه : المنزل الاول ( القسوة المطلقة ) . الخوف . أثره على التغذية . على  
الجهاز البولى . الخوف من الحسى . من المعنوى . أثره على السلوك . الكذب  
وأنواعه . السرقة وفكرة الملكية . أثره على نمو الشخصية . المنزل الثانى ( الحرية  
المطلقة ) . أثرها على الميدانين الخلقى والاجتماعى . أثرها على المجهود الفردى . الغيرة .  
أثرها على السلوك . علاجها . المنزل الثالث ( دوامة مقلقة ) . أثره على التكوين  
الخلقى والاجتماعى . الغضب . انتقاله للصغار . أثر البيئة العادية . العض . أهمية  
القطام . أثر الخوف والغيرة على الغضب . علاجها . المنزل المثالى .



## بعض مصادر الكتاب

Arbitt, A. H. 1931: The child from one to twelve .  
New York . Mc Graw - Hill

Averill, L. A. 1936: Adolescence . Boston . Houghton.  
Baldwin, B. T. Stecher, L. I. 1927: The Psychology  
of the preschool child . New York : Appleton century .

Barker, Kounin and wright: 1943: Child behaviour and  
development. New York, Mc Graw - Hill

Blanchard, P. 1920: The adolescent girl . New York .  
Moffat, Yard .

Boynton, B. 1939: The physical growth of girls . Iowa  
City : Univ . Iowa Press .

Bridges K. M. B. 1931 : Social and Emotional  
development of the preschool child . London Kegan Paul .

Brooks, F. D. 1937: Child psychology . Boston, Houghton.

Buhler, C. 1930 : The first year of life. New york : Day.

Buhler, C. 1935 . From birth to maturity. London Kegan  
Paul .

Buhler , C. 1930 . The mental development of the child.  
New York . Harcourt.

Burt, Cyril . Mental and scholastic tests . London. King.  
Carmichael, L. 1946. Manual of child psychology . John  
Wiley. New York .

Chadwick, M. 1933: Adolescent girlhood . New York, Day.

Chave, E. J. 1937 . Personality developmeat in children.  
Chicago . Univ . Chicago.



طبع هذا الكتاب

في

مطبعة الكائنات

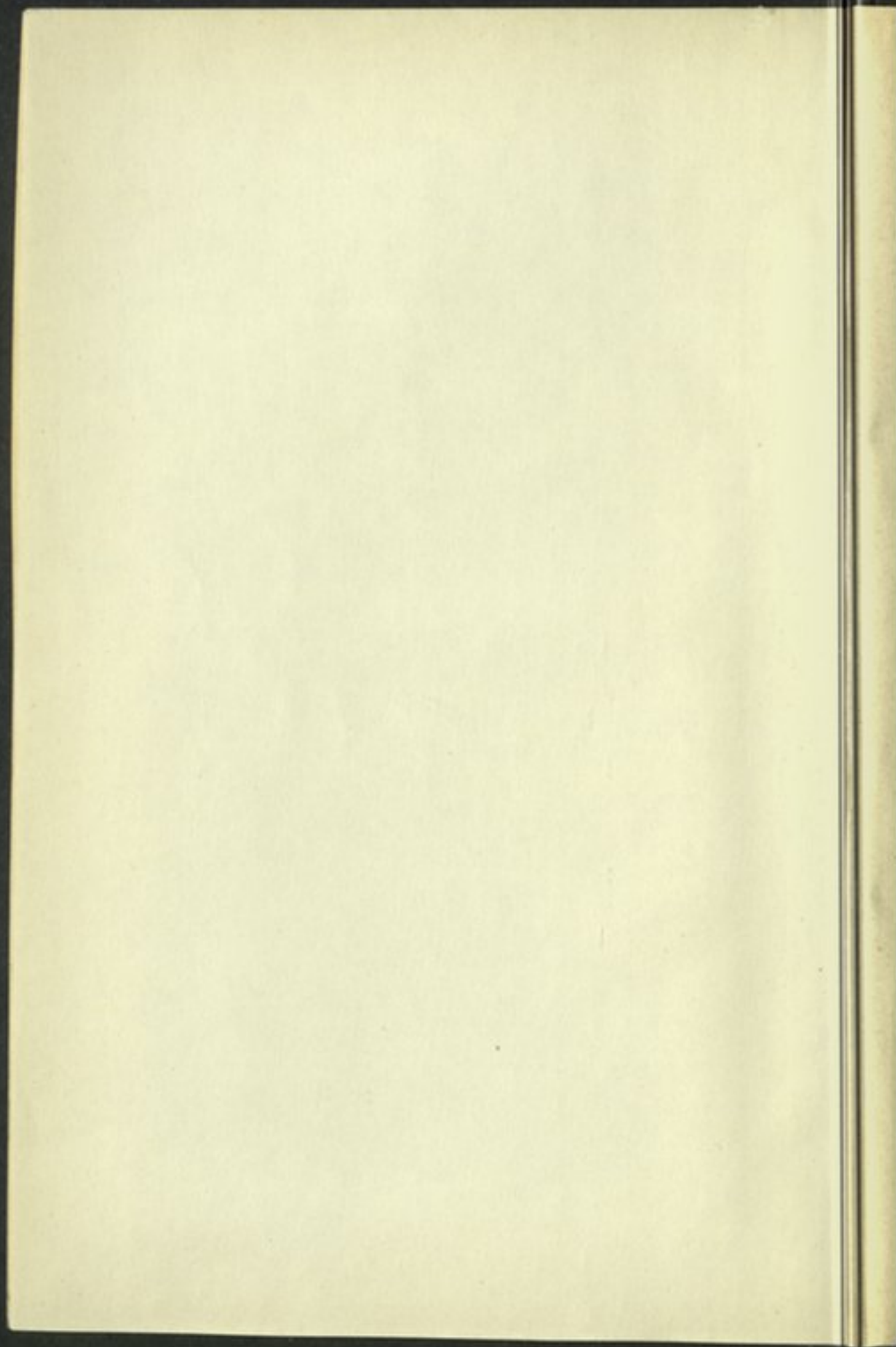
لصاحبها

فرنسيس دويرش

في مايو سنة ١٩٤٧









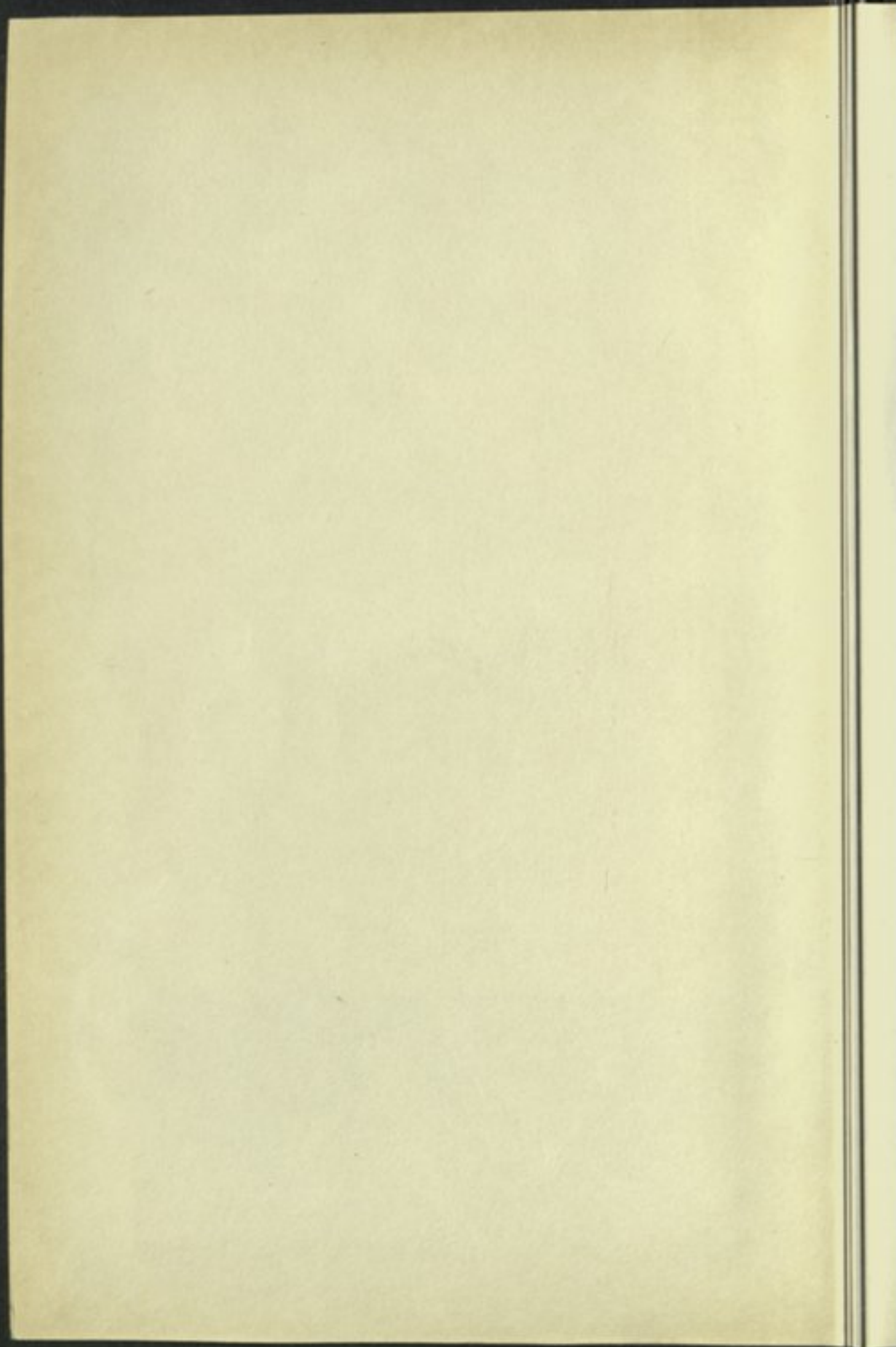
مجلس العلماء

مجلس العلماء  
مجلس العلماء

مجلس العلماء

مجلس العلماء







DATE DUE

JAFET LIB.

3 APR 1983

JAFET LIB.

23 MAR 1984



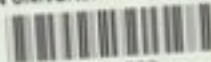


136.7:I81A:c.1

اسكندر، فايز

نداء الطفولة

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01001503

A. U.

136.7  
I81A



